الجمهوريــة الجزائريــة الديمقراطيــة الشعبيــة
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليـم العالي و البحث العلمـي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

جامعة مصطفى اسطمبولي
معسكر
Université Mustapha Stambouli
Mascara

كلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم: التاريخ
مخبر: البحوث الاجتماعية والتاريخية

أطروحة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث

تخصص: الاستعمار الفرنسي في الجزائر (1870 - 1945) مقاومات وتحولات

فرع: علوم انسانية

العنوان

الواقع الاجتماعي والثقافي في معسكر 1900 – 1945

تقديم الطالب: أورنيدي طيب

يوم: 26 أفريل 2023

لجنة المناقشة:

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة	الصفة	جامعة الانتماء
01	بشير بلمهدي علي	أستاذ	رئيسا	جامعة معسكر
02	هرباش زاجية	أستاذة	مناقشا	جامعة معسكر
03	بونقاب مختار	أستاذ محاضر "أ"	مناقشا	جامعة معسكر
04	داعي محمد	أستاذ	مناقشا	جامعة سعيدة
05	بلحاج محمد	أستاذ محاضر "أ"	مناقشا	جامعة وهران
06	جاكر لحسن	أستاذ	مشرفا ومقررا	جامعة معسكر

السنة الجامعية:1444/1443هـ – 2023/2022م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

- إلى والدي أطال الله في عمره.
- إلى روح أمي الغالية طيّب الله ثراها.
- إلى زوجتي وأبنائي عبد الجليل، آلاء، إسراء، سناء.
- إلى جميع أفراد عائلتي الكريمة.
- إلى كل من مد لي يد العون والمساعدة لاتمام هذه الأطروحة.
- إلى رفاقي وكل من لهم حق عليا.

إلى هؤلاء جميعا أهدي ثمرة هذا الجهد العلمي المتواضع.

شكر وتقدير

الحمد لله أقصى مبلغ الحمد، والشكر لله من قبل ومن بعد، على توفيقه لنا في تدوين هذا البحث.

أتقدم بعد الله عزّ وجّل بجزيل الشكر والعرفان إلى أستاذي الفاضل الدكتور جاكر لحسن الذي أشرف على هذه الأطروحة برحابة صدر، حيث ما برح معطاءا بتوجهاته ونصائحه العلمية القيمة، وتتبع خطواتها لإخراجها في شكلها الأخير فكان نعم المشرف ونعم الموجه.

كما لا يفوتني في هذا السياق أن أقدم شكري وامتناني إلى أساتذتي بقسم التاريخ بجامعة معسكر كل باسمه لما قدموه لنا من عون ومساعدة.

ويسعدني كذلك أن أرفع شكري وتقديري إلى الأستاذ الدكتور مختار بن قويدر، والدكتور جابر بلعمري، والأستاذ عبد القادر بوسلهام على مساعدتهم وتشجيعهم لي.

والشكر موصول كذلك إلى السّادة الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة الذين تكبدوا عناء تصويب وتقويم هذا العمل.

كما لا يسعني في الأخير إلاّ أن أشكر كل من ساعدني من قريب أو بعيد ولو بالكلمة الطيبة.

قائمة المختصرات

1. باللغة العربية:

أ.م.ش.د.و.م	أرشيف مديرية الشؤون الدينية لولاية معسكر
تح	تحقيق
تر	ترجمة
ج	جزء
ص	صفحة
ص ص	من صفحة إلى صفحة
ط	طبعة
ع	عدد
م	ميلادي
هـ	هجري

2. باللغة الفرنسية:

A.S.A	**Annuaire Statistique de l'Algérie**
A.W.O	**Archive de la Willaya d'Oran**
A.N.O.M	**Archive Nationale d'outre-Mar (Aix En Provence)**
A.I.P.A	**Archives de L'institut Pasteur D'Algérie**
A.F.A	**Assemblées Financières Algériennes**
B.O.M.I	**Bulletin Officiel du Ministère de L'intérieur.**
C.I.E	**Centre d'informations et d'études**
C.G.D.O	**Conseil Général du Département D'Oran,**

D.F.A	**Délégations Financières Algériennes**
D.F.I	**Délégations financières Indigènes**
E.N.A	**Etoile Nord-Africine**
E.S.G.A	**Exposé de la Situation Générale de Algérie.**
G.G.A	**Gouverneure Général de l'Algérie**
Ibid	**Ibidem**
J.O.R.F	**Journal Officiel de la République Française**
M.T.L.D	**Mouvement pour triomphe des libertés démocratiques**
Op.cit	**Opus Citatum**
P	**Page**
P.P.A	**Parti du peuple Algérien**
P.R.G	**Police des renseignements généraux**
R. A	**Revue Africaine**
T	**Tome**

المقدمة

مقدمة:

لا يزال البّحث في التّاريخ المحلي يستقطب إليه العديد من الباحثين والأكاديميين، لما لهذا النوع من الدراسات من أهمية قصوى في بعث الذاكرة واستكمال بناء المدرسة التاريخية الجزائرية، وكما هو معلوم فإنّ التاريخ الوطني أو ما يعرف بالتاريخ الكلي أو الشامل لا يمكنه أن يتكوّن تكوّناً تاماً إلاّ من خلال التّأريخ لتاريخ كل إقليم من الأقاليم أو منطقة من المناطق.

وإذا كانت بعض هذه الأقاليم والحواضر الجزائرية قد نالت حظاً وافرا من الدَّراسة خلال الفترة العثمانية، فإنّ تاريخها في الفترة المعاصرة لا يزال يحتاج إلى دراسة معمقة ومستفيضة في جميع جوانبها العسكرية، والسياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، والدينية.

ومن هنا تولّدت لدينا الرّغبة الملحّة في خوض غمار البّحث لمنطقة من مناطق الجزائر الضّاربة بجذورها في أعماق التّاريخ العريق، وهي منطقة معسكر والتي نعتقد أنّ الدَّراسات بشأنها إبّان فترة الاستعمار ما تزال شحيحة بالنّظر إلى المواضيع العديدة التي لمَّا تعالجْ بعد، ولم تخضع إلى الدراسة الوافية المستفيضة، خاصة المتعلقة منها بالجانب الاجتماعي والثقافي. وبناءً على ذلك سنسعى إلى تقديم دراسة مونوغرافية نتناول فيها جانبا من تاريخها الاجتماعي والثقافي في الفترة ما بين 1900 – 1945، والتي نأمل أن تساهم في إبراز الفاعلية التّاريخية والحضارية للمنطقة وموروثها الديني والثقافي إبان هذه الحقبة، خاصة إذا علمنا أنّ المنطقة كانت في عهد غير بعيد (الفترة العثمانية) عاصمة لبايلك الغرب الجزائري طيلة قرن من الزمن، وحاضرة من حواضر العلم والثقافة، وأيضا قلعة من قلاع المقاومة ضد الاحتلال الإسباني ثم الفرنسي فيما بعد.

وحسب تقديرنا فإن الموضوع يكتسي أهمية بالغة، وهو جدير بالبحث والدراسة المعمقة بالنظر للزخم الكبير من الأحداث والوقائع التاريخية التي عرفتها المنطقة خلال هذه الفترة،

وعليه سنحاول الإلمام به ودراسته دراسة جادة لتبين الاختلاف الثقافي والتباين الحضاري بين الفرنسيين والجزائريين، وهو الذي حسم الصراع بينهما في آخر المطاف من خلال ثورة نوفمبر المظفرة.

دواعي اختيار الموضوع:

لقد كان سبب اختيارنا لهذا الموضوع قبل كل شيء وليد ميول شخصية، ورغبة ذاتية لسبر أغوار تاريخ المنطقة التي ننتمي إليها بالمولد والنشأة، والتي تعد غنية بأحداثها التاريخية، وإنجازات رجالاتها، وقد يكون لهذا العامل دور كبير في تحقيق الهدف العلمي الذي يقدم تاريخ المنطقة على حقيقتها.

وازدادت هذه الرغبة جموحاً وطموحاً بعدما حفزنا أستاذنا المشرف الدكتور جاكر لحسن على البّحث في هذا الموضوع الذي لم يحظَ إلى يومنا هذا بدراسة تقييمية شاملة تلم به من جميع جوانبه.

أما الدّوافع العلمية الموضوعية التي دفعتنا إلى اختيار هذا الموضوع فنذكر منها ما يلي:

1. حضور الطابع الثقافي بقوة في البحث وهو ما يبرز أهمية الموضوع ودور المقومات الشخصية والهوية في تعزيز الروح الوطنية، والمقاومة لدى الجزائريين الذين اكتشفوا اختلافهم عن الآخر، وأهمية الثقافة في الصراع بين الغالب والمغلوب. أما فيما يتعلق بالجانب الاجتماعي فإن أهميته تكمن في دور العنصر البشري الجزائري الذي يعد عنصرا أساسيا في حركة التاريخ والواقع الثقافي والحركة العلمية المناهضة للاستعمار.
2. قلّة الدَّراسات التي سلّطت الضّوء على الحياة الاجتماعية والثقافية للمنطقة خلال الفترة المدروسة، فمعظم ما تناولته أقلام الباحثين عن تاريخ معسكر خلال الحقبة الاستعمارية يعود إلى الفترة الأولى من الاحتلال والمقاومة التي قادها الأمير عبد القادر ضده. إلا أنه يجب أن نذكر في هذا الصدد دراستين هامتين قام بهما الدكتور جاكر لحسن، الأولى تطرق فيها إلى نشاط جمعية العلماء المسلمين في معسكر (1931-1954)،

والدراسة الثانية كان موضوعها الحركة الوطنية في معسكر (1930 – 1954). وعليه سنعمل جاهدين من خلال هذا البحث على إثراء المكتبة الجزائرية وخدمة البحث العلمي.

3. وما زادني إيمانا بضرورة التوجه إلى هذا الموضوع الرغبة في فهم واستيعاب الحالة العامة التي كان عليها السكان، ومقارنة واقع الجزائريين المأساوي الذي تمثلت مظاهره في الفقر والجهل والبطالة والأمراض وغيرها... بواقع الأوربيين الذين سيطروا على الوضع العام، واستأثروا لأنفسهم بالسلطة والثروة.

حدود الدراسة:

يبدأ الموضوع بسنة 1900م، وهو تاريخ معلمي وأساسي في التحول الكبير الذي عرفه المجتمع الجزائري، من خلال فشل معظم المقاومات الشعبية وظهور بوادر نهضة سياسية وإصلاحية وثقافية رسمت معالمها نخبة من العلماء والمثقفين والسياسيين، وبذلك كان هذا التاريخ فاتحة لعهد جديد من المقاومة أرّخ لها باسم المقاومة السياسية، والتي ستتبلور في اتجاهات إيديولوجية مختلفة على شكل أحزاب ونوادٍ وجمعيات، مما سيكون له أثره على حياة الجزائريين خاصة الاجتماعية والثقافية، وتنتهي الدراسة بتاريخ 1945 وهو تاريخ هام بالنسبة للجزائريين وحركتهم الوطنية على السواء، حيث كان بمثابة الانطلاقة الحقيقية نحو تقويض أركان الاستعمار وإنهاء ليله، وذلك بالتفكير الجدي في التحضير للثورة المسلحة.

الإشكالية:

تتمحور الإشكالية الرئيسة للموضوع حول التّحولات العميقة التي عرفتها المنطقة مطلع القرن العشرين والتي مهدت لواقع جديد استطاع فيه الجزائريون أن يستعيدوا مكانتهم الاجتماعية نسبيا، ويخلقوا بيئة ثقافية جديدة لها ارتباط بمقوماتهم الشخصية، وذلك رغم المضايقات والإجراءات التعسفية الممارسة ضدهم من طرف السلطات الاستعمارية.

وعلى هذا الأساس يمكن صياغة الإشكالية على النحو التالي: إلى أي مدى استطاع الجزائريون إحداث تغيير في واقعهم الاجتماعي والثقافي في ظل مجتمع كولونيالي استئصالي يرفض التعايش مع الآخر؟

ولإثراء هذه الإشكالية نطرح التساؤلات الفرعية التالية:

1. كيف كانت الحالة العامة في المجتمع المعسكري قبل الاحتلال؟
2. كيف تمكّن الاستعمار الفرنسي من إخضاع معسكر؟ وما انعكاسات ذلك على الأوضاع الاجتماعية والثقافية؟
3. ما مدى تأثير السياسة الاستعمارية في وتيرة النمو الديمغرافي في الفترة ما بين 1900 – 1945؟
4. وما هي الشاكلة التي أصبحت عليها البنية الديموغرافية للسكان؟
5. كيف كانت الأوضاع الصحية للجزائريين خلال هذه الفترة؟
6. وما هي أهم الأمراض والأوبئة التي انتشرت في أوساطهم؟ وهل كانت الأطر الطبية والمؤسسات الصحية التي أنشأتها الإدارة الاستعمارية متاحة للجزائريين والأوربيين على حد سواء؟
7. كيف كان واقع التعليم الحر في الفترة مابين 1900 – 1945؟
8. وهل التعليم الرسمي كان متاحا لكل الجزائريين أم لفئة قليلة منهم؟
9. ما هي أهم المؤسسات التعليمية الفاعلة ؟ وما موقف الإدارة الاستعمارية منها؟

10. ما مدى مساهمة النخبة في تفعيل الحراك الثقافي بالمنطقة، وبعث النهضة العلمية فيها؟
11. ما مدى تأثير النوادي والجمعيات الجزائرية على الحياة الثقافية والدينية بالمنطقة ؟
12. وهل التزمت بطبيعة نشاطها أم تجاوزته إلى مجالات أخرى؟ وما موقف الإدارة الاستعمارية منها؟

وللإجابة عن كل هذه التساؤلات المطروحة والإلمام بالموضوع من جميع الجوانب، ضبطنا خطة مكونة من مقدمة وأربعة فصول، أردفناها بخاتمة متبوعة بملاحق ذات صلة وثيقة بالموضوع.

لقد افتتحنا موضوعنا هذا بفصل تمهيدي موسوم: بلمحة جغرافية وتاريخية عامة عن معسكر قبل سنة 1900، خصصنا مبحثه الأول للدراسة الجغرافية لمدينة معسكر ونواحيها، وتطرقنا فيه إلى المجال الجغرافي للمنطقة وخصائصها الطبيعية والمناخية، كما وقفنا فيه على أهم الأحداث والتطورات التاريخية التي عرفتها المنطقة في مختلف الفترات التاريخية القديمة وإلى غاية نهاية الحكم العثماني وكل ذلك بإيجاز. أما المبحث الثاني فتعرضنا فيه بالدراسة إلى الحياة الاجتماعية في عهد الأمير عبد القادر، وذلك بالتطرق إلى الوضع الديمغرافي، والمستوى المعيشي، والأوضاع الصحية، بما في ذلك النسيج العمراني والعادات والتقاليد والآداب العامة التي تميزت بها المنطقة قبل أن يتدخل الاحتلال ويغير الكثير من معالمها. ثم انتقلنا للحديث عن الحياة الثقافية والدور الذي قام به الأمير في النهوض بالجانب التعليمي في عاصمته الأولى معسكر. أنهينا هذا الفصل بمبحث ثالث تطرقنا فيه إلى الحملة الفرنسية على المنطقة وما خلفته من آثار وخيمة على الوضع الاجتماعي والثقافي، نتيجة عمليات القتل، والنهب، والسلب، والتهجير، والتدمير والحرق للمباني والمنشآت الدينية والتعليمية.

أما الفصل الأول الذي جاء بعنوان الواقع الاجتماعي بمعسكر ما بين 1900- 1945 فقد تطرقنا فيه إلى الوضع الديمغرافي للسكان الجزائريين والأوربيين على حد سواء، حيث سلطنا الضوء في ذلك على تعدادهم في مختلف البلديات الكاملة الصلاحيات والبلديات المختلطة المتواجدة على مستوى الدائرة، وكثافتهم، وتمركزهم فيها، ونسبة الزيادة الطبيعية المتمثلة في نسبة المواليد والوفيات، معتمدين في ذلك أرقاماً وإحصائيات مُستقاة من مصادرها الرسمية. ثم انتقلنا إلى التقسيم الاجتماعي الجديد للمجتمع المعسكري الذي كان يتألف من ثلاث فئات رئيسية وهي: البورجوازية الكبرى، والبرجوازية الصغيرة والمتوسطة، والطبقة الكادحة. كما تناولنا في هذا الفصل مبحثا آخر بعنوان الأوضاع الصحية، وقد انصب اهتمامنا فيه على ذكر الأمراض والأوبئة التي كانت منتشرة بكثرة في المنطقة، كوباء التيفوئيد (Typhoid)، والطاعون (peste)، والجدري (variole)، والتيفوس (Typhus)، والملاريا (paludisme) مبرزين أسبابها والنتائج التي خلفتها، لننتقل بعدها إلى الحديث عن طرق العلاج والتدابير الوقائية المتخذة من طرف السلطات الفرنسية للحد من انتشارها، كبناء المستشفيات الفرعية والمستوصفات، والعيادات، وتوفير الأطر الطبية الأدوية اللازمة لحفاظ على سلامة سكانها الأوربيين، مع العلم أنّ ذلك كله على حساب الجزائريين الذين عانوا كثيرا من ويلات تلك الجوائح والأمراض بسبب الإهمال المتعمد واللامبالاة من طرف الإدارة الاستعمارية. وقد اختتمنا هذا الفصل بمبحث أخير تعرضنا فيه إلى المشاكل الاجتماعية، التي كان يعاني منها المجتمع المعسكري، والمتمثلة أساسا في مشكل البطالة التي مست الجزائريين أكثر من الأوربيين، مع التطرق أيضا إلى الحالة المعيشية للسكان التي غلب عليها طابع الفقر مما أدى إلى ظاهرة المجاعة لدى شريحة هامة من سكان معسكر خاصة أثناء الأزمات، ناهيك عن الضرائب والغرامات المفروضة عليهم والتي دفعت الكثير منهم إلى الهجرة.

أما الفصل الثاني الذي عنوناه بالمؤسسات الدينية والتعليمية وفاعليتها في الحياة الثقافية بمعسكر (1900 – 1945) فقد جاء الحديث فيه عن حركة التعليم في المساجد، والزوايا،

والكتاتيب منذ مطلع القرن العشرين وإلى غاية 1945، مبرزين دورها في تعليم القرآن الكريم، وعلوم اللّغة والدّين، كما وقفنا فيه عند مساهمة أعلامها ومشايخها في بعث النهضة العلمية والثقافية بالمنطقة، وبث الروح الوطنية وترسيخها في نفوس طلبتهم، على غرار الشيخ أبو عمران البهلولي شيخ "زاوية سيدي بوعمران" بحي باب علي، والشيخ قادة بوزيان الزلماطي شيخ "زاوية الزلامطة" اللّذان كان لهما دور هام في مواجهة السياسة الاستعمارية الهادفة إلى تجريد الجزائريين من مقوماتهم الشخصية. لننتقل بعدها إلى الحديث عن واقع التعليم الفرنسي الرسمي الذي ظلت خطوات التقدم فيه بالنسبة للجزائريين بطيئة جدا بسبب العراقيل التي كان يضعها مسؤولو الإدارة ورؤساء البلديات.

أما الفصل الثالث الذي جاء موسوما: بنشاط الجمعيات والنوادي الثقافية والفنية والرياضية، فقد قسمناه إلى أربعة مباحث، استعرضنا في مبحثه الأول إسهامات الجمعيات والنوادي الجزائرية التي تأسست مابين 1900 و 1930 في الحياة الثقافية والفنية والرياضة، والتي نذكر من بينها جمعية البابا علّية، والجمعية الأخوية، ونادي غالية معسكر، ونادي الشبيبة الأدبية الأهلية، وقد ركزنا في ذلك على نشأتها وأهدافها والأعضاء المؤسسين، وأهم نشاطاتها، ومواقفها. أما المبحث الثاني فقد تناولنا فيه الجهود التربوية والعلمية والوطنية التي قامت بها شعبة جمعية العلماء المسلمين بمعسكر، والوسائل المختلفة التي اعتمدت عليها لتحقيق أهدافها الإصلاحية والتعليمية، كما تضمّن هذا المبحث جانبا من الصراع المحتدم بينها وبين الإدارة الاستعمارية والإجراءات التعسفية والاضطهادية التي اتخذتها السلطات الفرنسية في حق رجالها خاصة الشيخ محمد سعيد الزموشي والحاج أحمد خليل. ثم انتقلنا للحديث في مبحثه الثالث عن نشاط الكشافة الإسلامية بداية بتأسيس الفروع الكشفية، وأهم روادها والنشاطات التي قامت بها محليا وجهويا ووطنيا، كما أبرزنا علاقتها بعناصر الحركة الوطنية، ومدى انسجامها مع إيديولوجيتها، وتوجهاتها، ونخص بالذكر حزب الشعب الجزائري، وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، هذا إلى جانب علاقتها بالإدارة الاستعمارية

وأجهزتها الأمنية، كما وقفنا عند المشاكل التي اعترضتها، والصعوبات التي واجهتها، كحل بعض فروعها واعتقال زعمائها. ثم في آخرالفصل أدرجنا مبحثا بدا لنا مناسبا حول الجمعيات والمؤسسات الثقافية والإعلامية الفرنسية وقد وقع اختيارنا على أهمها وأوثقها صلة بالأهداف الاستعمارية التي أنشئت من أجلها والمتمثلة في نشر الثقافة الغربية المسيحية ونقل القيم الحضارية الفرنسية إلى المجتمع الجزائري للتأثير عليه. ونذكر منها على وجه الخصوص: الجمعية الفنية، والكشافة الفرنسية، والمسرح الفرنسي، والصحافة الكولونيالية. وقد أنهينا هذا البحث بخاتمة موجزة خلصنا فيها إلى جملة من النتائج التي توصلنا إليها، كما شفّعنا البحث ببعض الملاحق التي تتصل اتصالا وثيقا بمحتوى موضوع البحث.

المنهج المتبع:

تسهيلا للعملية البحثية، وبهدف الوصول إلى نتائج مرضية في هذه الدراسة اعتمدنا على مجموعة من المناهج التي تتناسب مع طبيعة الموضوع، وهذه المناهج هي:

المنهج التاريخي: وهو المنهج الذي يعتمد على عرض الأحداث التاريخية في قالب خبري سردي مع التعليق عليها وتحليلها، ولا شك أنّ ذلك ساعدنا على استعراض وتوصيف واقع السكان في معسكر في الفترة ما بين 1900-1945، كما مكننا أيضا من إلقاء الضوء على مختلف الأحداث والتطورات الاجتماعية والثقافية التي عرفتها المنطقة خلال تلك الحقبة.

المنهج التحليلي: وهو المنهج القائم في أساسه على التحليل والنقد واستخلاص النتائج، وقد اعتمدت عليه لما له من أهمية في تفسير الأحداث والوقائع وربطها بالعوامل المسببة لها، كما ساعدنا على دراسة وتحليل المادة العلمية من حيث أهميتها وأصالتها وموضوعيتها.

المنهج المقارن: استعنا به في المقارنة بين واقع الجزائريين والأوربيين في عدة قضايا خاصة تلك المتعلقة بمستوى المعيشي والحالة الصحية ووضعية التعليم...

مصادر مراجع الدراسة:

لا يمكن لأي موضوع في مجال البحث التاريخي أن تستوفي شروطه الأكاديمية، ويحقق النتائج المرجوة منه إلا بتوفر مادة علمية خاصة به، والتي بدونها يتعذر على الباحث الوصول إلى الحقيقة التاريخية، وعلى هذا الأساس حاولنا منذ البداية جمع ما أمكن من الوثائق الأرشيفية ذات الصلة المباشرة بالموضوع، كما قمنا بجرد وإحصاء ما تيسّر من المصادر التاريخية والمراجع المتخصصة والعامة التي عالجت جوانب مهمة من البحث، إضافة إلى عدد معتبر من الصحف والجرائد الفرنسية بمختلف توجهاتها السياسية والإيديولوجية، والجرائد الوطنية الإصلاحية على غرار الشهاب والبصائر، وكذا بعض الدراسات الجامعية والرسائل الأكاديمية. كما استعنا ببعض الدوريات والنشريات، والمذكرات الشخصية على قلتها، والمقالات والمقابلات الشخصية.

1- الأرشيف:

بما أنّ موضوع البحث يندرج ضمن سياق الدراسات المونوغرافية لمنطقة من مناطق الجزائر المعروفة بوزنها التاريخي خلال الحقبة الاستعمارية، فقد توجب علينا الاعتماد بالدرجة الأولى على الأرشيف المحلي والأجنبي الذي تضمن مراسلات وتقارير ومنشورات صادرة عن مسؤولي الإدارة الاستعمارية المحلية من المتصرفين الإداريين ورؤساء البلديات، ومسؤولي مصالح الشرطة والاستخبارات الفرنسية، وعامل عمالة وهران، والحاكم العام.

ومن بين الوثائق الأرشيفية التي أفادتنا كثيرا، تلك المحفوظة بمركز "أكس أن بروفانس" (Aix En Provence) بفرنسا ضمن العلب رقم" 2U06" و "2U17" و" 2U18" التي تفضل بها علينا الأستاذ "بشير بلمهدي علي" جزاه الله خيرا على صنيعه، والتي اعتنت بتقديم تقارير مفصلة عن الحالة العامة للمساجد الرسمية وأئمتها ومدرسيها. فضلا عن ما قدمه لنا الأستاذ جاكر لحسن من وثائق أخرى تخدم الموضوع.

كما استقينا مادتنا العلمية من مصالح المحفوظات لولاية وهران التي تحتوي هي الأخرى على رصيد أرشيفي ووثائقي هام، وقد سمحت لنا زيارتنا المتكررة إليها بالاطلاع على بعض العلب المحفوظة بها، نذكر منها العلبة التي تحمل رقم 4063 الخاصة بالنوادي والجمعيات في القطاع الوهراني، والتي أفادتنا كثيرا في تتبع السيرورة التاريخية للحركة الكشفية بمعسكر وبعض نشاطات أفواجها التربوية والثقافية والسياسية. والعلبة رقم 4064 التي زودتنا بمعلومات دقيقة عن المدارس القرآنية (الكتاتيب) المنتشرة في قرى ودواوير بلدية معسكر

المختلطة، حيث رصدنا من خلالها عدد هذه المدارس، وأسماء المدرسين وعدد التلاميذ في كل مدرسة منها. كما اعتمدنا على علب أخرى لا تقل أهمية عن سابقاتها تحت أرقام مختلفة منها: "12 I 2260" و"I11 4480" و"4477 " و"Bp 201"، "123 à 114 Ap".

ونظرا لما للأرشيف المحلي من أهمية في سدّ الكثير من الثغرات والنقائص تطلب منا الأمر زيارة دور الأرشيف المتواجدة على مستوى بعض الإدارات والمديريات التابعة لولاية معسكر، منها على وجه الخصوص أرشيف مديرية الشؤون الدينية الذي أفادنا كثيرا في الاطلاع على نشاط الزوايا، وبدرجة أقل الأرشيف الاستعماري لمديرية أملاك الدولة الذي استعنا به في إثراء الجانب الاجتماعي من هذه الدراسة.

2- الصحف والجرائد:

لقد غطت الصحافة الاستعمارية المحلية جزءاً هاماً من موضوع البحث، وذلك لما تضمنته من مادة خبرية هامة عن الوضع الاجتماعي والثقافي للجزائريين، عوضت بذلك النقص الحاصل في الوثائق الأرشيفية، ومن بين هذه الجرائد والصحف نذكر: جريدة لوريفاي دي مسكرا (Le Réveil de Mascara)، جريدة لوبروڤري (Le Progrès)، جريدة لا ليبرتي دي مسكرا(La Liberté de Mascara) ، جريدة لافونير دي مسكرا (L'Avenir de Mascara).

أما فيما يخص الصحافة الجزائرية فقد اعتمدنا بالدرجة الأولى على الجرائد الإصلاحية التابعة لجمعية العلماء المسلمين على غرار "الشهاب" و"البصائر" اللّتَيْنِ كانتا خير عون لتقصي المادة العلمية الخاصة بالنشاط التعليمي والثقافي لشعبة الجمعية بمعسكر.

3- المصادر والمراجع:

ولإثراء الموضوع استعنا ببعض المصادر والمراجع المطبوعة باللغتين العربية والفرنسية، وفي مقدمتها كتاب "مجموع الحسب والنسب والفضائل والتاريخ والأدب" وهو مُؤَلّف تاريخي هام يتكون من أربعة كتب جمعها وقدمها مفتي حاضرة معسكر الشيخ بكارة بلهاشمي في

مجلد واحد وهي: كتاب "القول الأعم في بيان أنساب الحشم" للعلامة الشيخ الطيب بلمختار الغريسي، وكتاب "شرح منظومة الشيخ أبي مهدي عيسى بن موسى التوجيني" للشيخ محمد الأعرج الغريسي الفاسي، وكتاب "السلسلة الوافية والياقوتة الصافية" للإمام أحمد بن محمد العشماوي، والكتاب الأخير "حاشية رياض النزهة على نسمات رياح الجنة" للشيخ بكارة بلهاشمي نفسه، وهو الكتاب الذي قدم لنا معلومات في غاية الأهمية عن مشايخ وعلماء معسكر الذين تصدّوا للتدريس بالمساجد والزوايا المنتشرة في المدينة والأحواز التابعة لها. كما استعنا في هذا الصدد بكتاب "المرآة الجلية في ضبط ما تفرق من أولاد سيدي يحي بن صفية وفي التعريف بمشاهير العلماء ورجال المعاهد الصوفية" لمُؤَلِفه الشيخ عتبة بن عتبة الجيلاني بن عبد الحكم العطافي، الذي تناول فيه بالدراسة حركة التعليم في بعض المؤسسات الدينية بمعسكر، وأهم العلوم التي كالتي كانت تلقن بها من فقه، وتفسير، وحديث، ونحو، وصرف، وبلاغة، كما قدّم لنا لمحة موجزة عن مشايخ وعلماء المنطقة، وأيضا عن طلبتها الذين تلقوا تعليمهم بمدرسته بالعطاف التي أسسها الشيخ عتبة سنة 1906م.

ومن الكتب الأخرى التي اعتمدنا عليها بدرجة كبيرة : كتاب جاكر لحسن الموسوم بـ:" الحركة الوطنية في معسكر 1900 – 1954" والذي نحسبه من المراجع الرئيسية في هذا البحث، لما تضمنه من معلومات وافية وهامة عن الوضع الاجتماعي والثقافي، إذ تطرق فيه صاحبه بالدراسة والتحليل للتركيبة الاجتماعية للسكان وعناصر أخرى كالوضع الصحي والهجرة والتعليم، ونشاط الكتاتيب والمساجد، والطرق الصوفية والجمعيات والنوادي الثقافية والرياضية.

وهناك كتاب أخر له بعنوان "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مدينة معسكر 1931 – 1956"، وهو كتاب له قيمة علمية معتبرة، فقد أفادنا أيّما إفادة في تتبع مسار الحركة

الإصلاحية في معسكر التي اقترنت بدايتها الفعلية بزيارة الشيخ عبد الحميد بن باديس للمدينة شهر أوت 1932.

كما استعنا بكتاب "معسكر عبر التاريخ" للأستاذ عدة بن داهة وهو عبارة عن دراسة تدخل في صميم الاهتمامات الهادفة بالتراث المحلي لمدينة معسكر، ركز فيها المؤلف على التعريف بمنطقة معسكر وبني شقران، ودورهما التاريخي منذ عصر ماقبل التاريخ إلى غاية اندلاع ثورة نوفمبر 1954.

كما اعتمدنا على كتاب الأستاذ خالد بوهند " الشيخ محمد سعيد الزموشي حياته الدينية والسياسية 1904 – 1960" والذي أمدنا بمعلومات في غاية الأهمية عن نشاط الزموشي في مدينة معسكر والمتمثل في التعليم الحر بالمدرسة الإصلاحية والمسجد الملحق بها، وعن دوره السياسي ممثلا في علاقته بالمؤتمر الإسلامي الذي تشكل سنة 1936.

ويدخل ضمن هذه المراجع أيضا كتاب "معسكر في التاريخ" وهو كتاب جماعي صدر عن مخبر البحوث التاريخية والاجتماعية لجامعة معسكر، يشتمل على خمسة عشر مقالا لباحثين وأكاديميين، مست أغلب مراحل تاريخ المنطقة، ابتداء من التاريخ الوسيط الإسلامي، وانتهاء بتاريخ الثورة، وقد استفدت من بعض مقالاته نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر مقالاً للأستاذ بن عتوا بلبراوات المعنون بـ:" وقائع الاحتلال الفرنسي لمدينة معسكر وأحوازها ما بين 1835 – 1842"، ومقالا ثانياً للأستاذ بشير بلمهدي علي الموسوم بـ" خزانات المساجد الكبرى في الجزائر نهاية القرن التاسع عشر ميلادي – خزانة المسجد الكبير بمعسكر أنموذجا – ".

أما بخصوص المصادر الفرنسية فقد رجعنا إلى كتاب حصاب الميلود بن كرامة الموسوم بـ:
Récit d’évènment durant la lutte armée Zone 6 wilaya 5, Mascara, Saida, Mémoires authentiques.

وهو عبارة عن مذكرة شخصية للمؤلف، استفدنا منها كثيرا في رصد الواقع المعاش للجزائريين والحالة المزرية التي كانوا عليها، على أساس أن صاحب الكتاب عاش هذه الظروف ورواها بتفاصيلها.

ومن الكتب الأخرى الهامة كتاب:

Louis Abadie : Mascara une certaine capitale.

وكتاب:

Louis Abadie, Gilbert Leverone : Mascara de ma Jeunesse 1935-1962.

4 – الأطاريح والرسائل الجامعية:

لم تكن الرسائل الجامعية أقل قيمة وإفادة من المصادر والمراجع المذكورة، فقد اهتمت العديد منها ببعض جوانب هذا الموضوع، ومن أهمها:

– رسالة الدراسات المعمقة في التاريخ لمحمد القورصو: بعنوان "تأسيس ونشاط جمعية المسلمين الجزائريين في عمالة وهران 1931 – 1935"، التي ساعدتنا في معرفة أبرز النوادي الثقافية التي كانت منتشرة في معسكر ، وأهم رجال الإصلاح فيها.

– رسالة ماجستير للأستاذ عليو محمد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في منطقة معسكر خلال القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر الميلاديين (1701 – 1830).

– أطروحة دكتوراه للأستاذ قرمان عبد القادر الموسومة بـ: عمران وعمارة مدينة معسكر في العهد العثماني دراسة أثرية، عمرانية ومعمارية، والذي يتحدث فيها عن المنشآت الدينية بالمدينة التي شملت المساجد والزوايا وبعض الأضرحة، وقد استفدت منها كثيرا في دراستي عن بعض الجوامع مثل الجامع الكبير، وجامع عين البيضاء، وجامع سيدي بوسكرين.

– أطروحة دكتوراه باللغة الفرنسية للأستاذ محمد القورصو في جزأين بعنوان:

Politique et Religion en Algérie le cas de l’association des Ulémas Musulmans Algériens en Oranie 1931 – 1945.

التي اعتمدنا عليها بصفة خاصة الفصل الثاني في حديثنا عن النوادي والجمعيات وبأخص جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

5- المقالات والندوات:

اعتمدت أيضا على مجموعة من المقالات وبعض الندوات ومن أهمها:

- جاكر لحسن: مدرسة معسكر للتربية والتعليم ودورها في تطوير التعليم العربي 1932-1956 الصادر بمجلة عصور الجديدة، في عددها الخامس، 1433هـ، 2012م.
- جاكر لحسن: الشيخ أحمد خليل رائد الحركة الإصلاحية في معسكر، مجلة الواحات للبحوث والدراسات التاريخية، العدد 21، جانفي 2014.
- قرمان عبد القادر: المؤسسات الدينية والتعليمية بمعسكر ودورها في كتابة التاريخ الوطني خلال العهد العثماني، مجلة أثار، العدد 15، السنة 2016.
- طاعة سعد: الدور العلمي لزوايا ومساجد معسكر خلال الفترة الأخيرة من الحكم العثماني، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية، المجلد السادس، العدد 10 ديسمبر 2019.
- بونقاب مختار: الطريقة الدرقاوية بالجزائر، الحوار المتوسطي، العدد 11-12 مارس 2016.
- سمير سمراد: البطل الغيور محمد سعيد الزموشي الصائغي، (1904م – 1960م)، مجلة الإصلاح، السنة الثانية، العدد 10، رجب/شعبان 1429 هـ الموافق ل جويلية/أوت 2008.
- بلحاج محمد: اتجاهات الهجرة في عمالة وهران، مجلة المواقف للدراسات في المجتمع والتاريخ، جامعة مصطفى اسطنبولي معسكر، العدد رقم 04، ديسمبر 2009.
- بن داهة عدة: مساهمة الفرق الكشفية بمعسكر في جهود الحركة الوطنية الجزائرية، محاضرة ألقيت في الندوة الوطنية الموسومة ب: دور الحركة الكشفية في المسار النضالي للحركة الوطنية وثورة التحرير الجزائرية، المنظمة من طرف مخبر البحوث الاجتماعية والإنسانية، جامعة معسكر، الثلاثاء 17 أفريل 2018.

الصعوبات الدراسة:

ما من شك أن أي محاولة بحث لا تخلو من صعوبات وعراقيل ولا سيما إذا كان الموضوع جديدا والدراسات حوله ضئيلة، ومن بين هذه العقبات التي واجهتنا في إنجاز هذه الدراسة:

- صعوبة الوصول إلى الأرصدة الأرشيفية والمادة الخبرية الموجودة على مستوى مصالح أرشيف ولاية وهران، خاصة العلب الأرشيفية مما حال بنا إلى عدم الوصول للكثير من الوثائق والتقارير التي تخدم موضوع بحثنا بشكل مباشر.
- ومن المشاكل الأخرى التي وجهتنا في مختلف دور الأرشيف المحلية هو عدم السماح لنا بتصوير الوثائق ونسخها، مما تطلب منا بذل جهد إضافي لتدوين المعلومات التي نحتاجها في دفاتر خاصة.
- الأزمة الوبائية العالمية (أزمة كورونا) وما ترتب عنها من إجراءات للحجر الصحي وهو ما حدّ من نشاطنا العلمي نتيجة الغلق الذي شهدته المؤسسات الجامعية والمكتبات ومراكز الأرشيف.
- صعوبة التوفيق بين البحث العلمي والمهام البيداغوجية، فوظيفتي كأستاذ للتعليم الثانوي التي فرضت علينا التدريس معظم أيام الأسبوع لم تترك لنا متسعا من الوقت لمجال البحث.

ولا يسعني في الأخير إلاّ أن أتقدم بأسمى عبارات الشكر والتقدير والعرفان إلى كافة الأساتذة الموقرين أعضاء لجنة المناقشة كل باسمه، وإلى الأستاذ المشرف الأستاذ الدكتور جاكر لحسن الذي أشرف على هذا البحث منذ أن كان فكرة إلى أن صار أطروحة، بعد أن رعاها بملاحظاته القيمة، وعدّلها بتوجيهاته الدقيقة العميقة حتى أصبحت في نهاية المطاف على الصورة التي خرجت بها للمناقشة اليوم.

و شعاري في البحث دوما، ما قاله أبو علي الحريري:

و إن تجدْ عيباً فسُدَّ الخَلَلاَ === قَدْ جَلَّ مَن لا عيبَ فيهِ و عَلاَ

و ما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

الطالب الباحث: طيب أورنيدي

معسكر في: 27 محرم 1444 الموافق ل 25 أوت 2022

الفصل التمهيدي
لمحة جغرافية وتاريخية عامة
عن معسكر
قبل سنة 1900

الفصل التمهيدي: لمحة تاريخية عامة عن معسكر قبل الاحتلال الفرنسي.

المبحث الأول: معسكر الجغرافيا والتاريخ:

1- موقع وجغرافية معسكر.

2- التطور التاريخي لحاضرة معسكر إلى نهاية الحكم العثماني.

2-1 مرحلة ما قبل التاريخ.

2-2 العهد الروماني.

2-3 العهد الإسلامي.

2-4 العهد العثماني.

المبحث الثاني: الواقع الاجتماعي والثقافي في عهد دولة الأمير عبد القادر:

1. الواقع الاجتماعي:

1-1 السكان.

1-2 الوضع الصحي.

1-3 الأخلاق والآداب العامة.

1-4 الأسواق.

2. الواقع الثقافي:

2-1 واقع الحياة العلمية والثقافية.

2-2 المؤسسات العلمية والثقافية.

- معهد اللوزات.
- معهد القيطنة.
- زاوية الزلامطة.
- معهد واد طاغية.

2-3 العلماء والمشايخ الذين عاصروا الأمير.

- الشيخ محمد بن عبد الله المشرفي.

- أبو حامد العربي بن علي المشرفي.
- الشيخ الطيب بن المختار الغريسي.
- السيد محمد السعيد بن محي الدين.
- أحمد بن التهامي.
- مصطفى بن أحمد بن التهامي.

المبحث الثالث: الاحتلال الفرنسي لمعسكر (1841) وأثره على الحياة الاجتماعية والثقافية:

1. الاحتلال الفرنسي لمعسكر.
2. الآثار الاجتماعية والثقافية للحملة الفرنسية.

المبحث الأول: معسكر الجغرافيا والتاريخ.

من أجل دراسة تاريخية وافية عن مدينة معسكر وأحوازها يجدر بنا في البداية التطرق إلى المجال الجغرافي للمنطقة وتحديد خصائصه الطبيعية والمناخية، ثم الوقوف على أهم الأحداث والتطورات التاريخية التي عرفتها المنطقة في مختلف الفترات التاريخية القديمة وإلى غاية نهاية الحكم العثماني في الجزائر.

1- موقع وجغرافية مدينة معسكر:

تقع مدينة معسكر في الإقليم الشمالي الغربي للجزائر، على أحد السفوح الجنوبية المطلة على سهل غريس بالقسم الغربي بجبال بني شقران، وهي تحتل كل من هضبة سان هيبوليت (المامونية حاليا)، وسهل غريس المنخفض الذي يمتد جنوبا حتى المناطق المتاخمة لجبال سعيدة، وهي جزء من سلسلة الأطلس التلي الداخلية[1]. يحدها شرقا جبل المناور، وغربا جبل كرسوط، وشمالا القلعة، وجنوبا وادي بنيان[2]، وتقع فلكيا بين خطي الطول 2 و12° غربا وبين خطي عرض 26 و35° شمالا[3]. فهي بذلك محصورة بين نطاقين حراريين مما أثر على خصائصها المناخية والطبيعية، ويقدر ارتفاعها عن مستوى سطح البحر 585 متر[4]. أما أصل كلمة معسكر تأتي من كلمة أم العساكر وتعني مكان تجمع الجنود، وهي تشير إلى أن سكانها كانوا محاربين[5]. يمر بواسطتها واد تودمان الذي يقسم المدينة إلى قسمين ويزودها بالمياه الصالحة للشرب والسقي، وقد تم شق قناة منه نحو الحديقة العامة بوسط المدينة التي تبغ مساحتها ثلاثة هكتارات[6].

---

(1) بن داهة عدة: معسكر عبر التاريخ، الطبعة الأولى، دار الخلدونية، الجزائر 2005، ص 08.
(2) بلهاشمي بن بكار: كتاب مجموع الحسب والنسب والفضائل والتاريخ والأدب، تلمسان، مطبعة ابن خلدون، 1961، ص 33.
(3) Niel. (O) : géographie de L'Algérie. Tome 1, principaux libraires de l'Algérie 1876, p 455.
(4) Ibid. p 455.
(5) Léon Galibert : histoire de L'Algérie ancienne et moderne. Furne Libraires- Editeurs Paris 1843, p 449.
(6) Jacquetou Augustin Bernard et Stéphane Gsell : Algérie et Tunisie ce guide a été rédigé, librairie Hachette, paris 1909. p 154.

تتوسط مدينة معسكر عدة مدن. فهي تبعد عن مدينة وهران الواقعة إلى الشمال الغربي بنحو 98 كلم[1]، وعن مدينة سعيدة الواقعة في الجنوب بـ 74 كلم، وعن مدينة تيارت بنحو 140 كلم[2]، وكانت الموصلات بين مدينة معسكر وهذه المدن تتم خلال فترات متفاوتة، لكن في الغالب تتم قطعها في يومين فقط، فالمسافة المقطوعة يوميا تتراوح بين أربعين وخمسة وأربعين كيلومتر عبر المسالك والطرقات.

تجمع المدينة في تكوينها التضاريسي بين الجبال والهضاب والسهول. أما الجبال فأهمها سلسلة بني شقران التي تمتد من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي، يحدها من الشرق وادي مينا الذي يفصل بينها وبين جبال الونشريس، ومن الغرب جبال تسالا، التي تشكل امتداد طبيعي لها ومن الشمال سهل الهبرة، من الجنوب سهل غريس، وتقدر مساحة هذه السلسلة الجبلية بـ: 330 ألف هكتار، تحتل منها منطقة معسكر نحو 60% بمساحة تقدر بـ 198 ألف هكتار من المساحة العامة للمنطقة[3].

وعلى رؤوس هذه الجبال عدة قمم متفاوتة في الارتفاع أعلاها قمة شارب الريح (808 متر) بجبل الناظور في الشمال الشرقي لمعسكر والتي تشكل حاجزا للتيارات الهوائية الباردة، قمة جبل بوزيري بارتفاع (696 متر) بين سيق والمحمدية، وتربط هذين القمتين مرتفعات حدباء يكاد ينعدم فيها الغطاء النباتي بسبب ظاهرة الانجراف[4].

أما الهضاب فأهمها تلك الواقعة بين معسكر والبرج، ومنها هضبة المامونية التي ترتفع عن سطح البحر بـ 687 م[5]. أما المظهر التضاريسي الثالث فهو السهول، وأهمها سهل

---

(1) بن داهة عدة: المرجع السابق، ص 08.

(2) Achille Fillias : Géographie physique et politique de l'Algérie, deuxième Éditions 1873, pp 178,179.

(3) عليو محمد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في منطقة معسكر خلال القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر الميلاديين (1701 – 1830)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة معسكر (2008 – 2009)، ص 18.

(4) Colonel Niox : Géographie Militaire Algérie et Tunisie, Libraires Militaire de L. Baudoin, paris 1890, pp 14-15.

(5) Ibid. p 15.

غريس، الذي يعتبر واحد من أهم السهول الداخلية في الجزائر، وهو عبارة عن حوض منخفض يحده من الشمال جبال بني شقران، ومن الجنوب جبال سعيدة، من الغرب جبال بوحنيفية (جبل أوسيلاس)، ومن الشرق هضبة تغنيف[1]. ويمتد على مسافة 55 كيلومتر، وبعرض قدره 20 كيلومتر، ويرتفع عن سطح البحر بين 450 إلى 500 متر، وتفوق مساحته الإجمالية 147 ألف هكتار، ويأتي في المرتبة الثانية بعد سهل متيجة من حيث الاتساع والأهمية[2]، وفوق أرضه الخصبة توجد قرى وتجمعات سكانية ومزارع غنية بالثمار[3]. وفي الجهة الشمالية من جبال بني شقران تتواجد مجموعة من السهول الخصبة كسهل الهبرة الممتد بين سيق ومحمدية، وسهل سيرات في شرق مستنقعات سهل المقطع، وإلى الشرق من جبل بني شقران يمتد سهل سمار قرب مدينة القلعة. تتخلل معظم هذه السهول مجموعة من الأودية والمجاري المائية التي عادة ما تنسب إليها[4].

2- التطور التاريخي لحاضرة معسكر إلى نهاية الحكم العثماني.

2- 1 فترة ما قبل التاريخ:

أثبتت الحفريات الأثرية والأبحاث التي أجريت بمنطقة معسكر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين على وجود مستوطنات بشرية، وأدوات حجرية، وبقايا عظام حيوانات تعود لفترة ما قبل التاريخ.

ومن أهم هذه الأبحاث تلك التي قام بها "بومال" (Pomel) ما بين عامي (1875 – 1878)، ثم "توماسني" (Tomassini) في 1883، ومن بعده مرة أخرى "بومال" رفقة "بولاري" (pollary)، وقد قام هذا الأخير في سنة 1928 باكتشاف مجموعة من العظام والأدوات

---

(1) عليو محمد: المرجع السابق، ص 19.

(2) بن العيفاوي علي: مدينة معسكر ودورها في العهد العثماني، مذكرة ماجيستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر (2008-2009) ص 21.

(3) Colonel Niox : Op.cit. p15

(4) عليو محمد: المرجع السابق، ص 19.

الحجرية من بينها فكين لجمجمة إنسان يعود تاريخها إلى 700 ألف سنة في موقع تغنيف الأثري[1].

حضي هذا الموقع باهتمام كبير من طرف الباحثين الفرنسيين، الذين قاموا بجمع ما يقارب 130 كلغ من عظام الحيوانات الضخمة[2]، التي كانت تعيش بالمنطقة كالفيل، ووحيد القرن، فرس النهر، الخنزير، الحمار الوحشي، الجمل، وأنواع من الغزلان[3].

وفي سنة 1954 وبنفس الموقع، أجريت سلسلة من الحفريات الأثرية من طرف الأستاذ "ك.أرمبورغ" (C.ARAMBOURG) كللت باكتشاف بقايا عظمية إنسانية، وهي عبارة عن ثلاثة فكوك سفلية وقطعة عظم جداري (جزء من جدار الجمجمة) وعدد من الأضراس المنعزلة[4]، تعود إلى أوائل الزمن الرابع وتنسب إلى إنسان اطلانتروبوس موريطانيوكوس (أي إنسان الأطلس الموريتاني)[5].

وخلال سنتي (1955-1956) تم تكليف "أرمبورغ" مرة أخرى بمواصله الأبحاث بالموقع الأثري المذكور آنفا، فأفضت نتائج الحفريات التي قام بها إلى اكتشاف خمسة رؤوس لخيول وحشية، وضرس فيل، وناب فرس النهر منقرض، وبقايا أخرى[6].

لم يكن موقع تغنيف الموقع الوحيد في المنطقة الذي عرف اهتمام من طرف الباحثين وعلماء الآثار، بل أجريت أبحاث وحفريات في مناطق أخرى، توصلت إلى وجود مواقع أثرية تعود لتلك الفترة، بحيث عثر على أدوات حجرية وفؤوس، وحجارة مصقولة، حجارة منحوتة،

---

(1) بن داهة عدة: المرجع السابق، ص 45.

(2) بوزياني فاطيمة الزهراء : الحفائر الأثرية بمنطقة تلمسان دراسة المستكشفات والنتائج، أطروحة دكتوراه، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان 2016 – 2017. ص18

(3) Stéphane GSELL, Histoire ancienne de l'Afrique du Nord. T1, librairie Hachette S.D, PARIS 1880, p.178.

(4) محمد سحنون: ماقبل التاريخ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1999، ص 57.

(5) ابراهيمي . ك: تمهيد حول ماقبل التاريخ في الجزائر، ترجمة محمد البشير شنيتي، رشيد بورويبة، المطبعة الشعبية للجيش، الجزائر 2007.

(6) بوزياني فاطمة الزهراء: المرجع السابق ص46.

وأدوات حديدية وبرونزية، وأواني فخارية في كل من "سان هيبوليت" (المامونية)، "ديبلينو" (حسين)، و"ماوسة" الواقعة في جنوب معسكر، "ووزغت" على واد طاغية[1].

ونافلة القول أنّ هذه الدراسات رغم أنها استطاعت أن تكشف عن جزء هام من تاريخ معسكر خلال تلك الفترة، وتبين العمق التاريخي والبعد الحضاري لها، ألاّ أنها تبقى ضئيلة بالنظر لما تحتويه المنطقة من ثروة أثرية لم تستنطق بعد.

2-2 في العهد الروماني:

وخلال الفترة الرومانية أصبحت منطقة معسكر تابعة جغرافيا وإداريا لموريتانيا القيصرية، التي استحدثت بعد إلغاء مملكة موريتانيا، وتم إلحاقها بالإدارة الرومانية المباشرة في عهد الإمبراطور كاليفولا سنة 40م، وجعلوا منها قلعة عسكرية عرفت باسم "كاسترانوفا" (Castra Nova) والتي تعني المعسكر الجديد، ضمن سلسلة المدن الدفاعية التي أقامها الرومان على طول خط الليمس الشمالي الذي يمر عبر عدة مدن مثل عين تموشنت (Albulae)، حمام بوحجر(Dracones)، عربان(Regiae)، سيق (Tazaccura)[2]. ويذهب بعض المؤرخين من أمثال "شاو" (shaw) و"سانسون" (Sansoun) إلى القول بأن المدينة كانت تعرف باسم "فيكتوريا" (Victoria)، إلا أنهما اختلفا في تحديد موقعها[3]. وقد سار التقدم الروماني فيها بخطوات بطيئة جدا نظرا لطبيعة تضاريسها الوعرة من جهة، والمقاومة العنيفة التي أبدتها القبائل التي تقطنها من جهة أخرى[4].

---

(1) بن داهة عدة: المرجع السابق ص 46.

(2) شال أندري جوليان: تاريخ إفريقيا الشمالية تعريب محمد مزالي وبوسلامة بشير، الدار البيضاء التونسية للنشر، تونس 1969، ص 238.

(3) Thomas Shaw : voyage dans la régence d'Alger, traduite l'anglais par J. Mac carty, paris 1830, p 250.

(4) Decret (F) , Fautar (M), L'Afrique du nord daus L'antiquité histoire et civilisation 2= Editions Paris, Payot, 1998, p 50.

إن اهتمام الرومان بمنطقة معسكر وفي هذه الفترة المبكرة جداً، يعود لأهميتها الإستراتيجية باعتبارها ظهيرا جغرافيا للمدن الساحلية[1].

وخلال فترة حكم الإمبراطور تراجانوس (98-117م) تمكن من مد حدود الإمبراطورية الرمانية شمال جبال بني شقران وتسالة لتأمين المستوطنات الرمانية الموجودة على الساحل والمقابلة لهذه السلاسل الجبلية، فأقام لأجل ذلك العديد من المراكز العسكرية[2]، وتحصين وبناء أسوار كل المدن الواقعة على الطريق بين سور جوبا (Rapidum)، وعين تموشنت (Albullae)، مثل سيق (Tazaccura) والمحمدية (Castra-Nova)[3].

وفي عهد الإمبراطور هادريانوس (Hdrianus) (117- 138م) اندلعت مواجهات بين القبائل الموريطانية والقوات الرومانية منذ سنة 119م، بسبب رفض السكان لسياسة التوسع الروماني، وامتد نطاقها إلى منطقة بني شقران، حيث استعصى على الرومان إخمادها، مما دفع بهم إلى استقدام قوات إضافية من المقاطعات الرومانية الأخرى. وبعد وضع حد لهذه الثورة وانتهاء العمليات العسكرية بها، حرص الإمبراطور هادريانوس على تقوية الجهاز الدفاعي الروماني بهذه المنطقة (بني شقران) بإنشاء مركز عسكري في المكان المسمى بوحنيفية (Aquae Sireuses) على واد الحمام لضمان وجود عسكري روماني دائم[4].

وقد ترتب عن التوسع الرماني ومد خط الليمس من القرن الأول إلى نهاية القرن الثاني أو ليمس القرن الثالث ميلادي إلى إقامة عدد من المراكز العسكرية وأبراج المراقبة بنواحي معسكر نذكر منها:

أ. **المحمدية (Castra-Nova)** التي يعود التواجد الروماني بها إلى فترة مبكرة جدا حوالي منتصف القرن الأول ميلادي، بتأسيس مركز عسكري فيها، وتؤكد الشواهد الأثرية بأن

(1) Paul-Albert Février : Approches du Maghreb Romain,I Paris Editions 1989. P110.
(2) Dion Cassius : Histoire Romaine, les Belles lettres, Paris 1996. p19
(3) Marcal Benabou: la résistance Africaine a la romanisation, Paris, Maspero 1976. P124.
(4) Marcal Benabou: Op.cit. p 129.

المركز شهد نموا وتوسعا بعد ذلك وأصبح بلدة رومانية وهي تقع على بعد 2 كلم شرق المدينة الحالية[1].

ب. حمام بوحنيفية (Aquae Sireuses): تقع على بعد ألف ومائتي متر جنوب المدينة الحالية بالمكان المسمى تاكلماس، تحتل مساحة خمسة وثلاثين هكتار، وتكمن أهميتها في كونها مركز مراقبة عسكري مهم بالنظر لموقعها الأمامي المتقدم بالنسبة لمركز الخط الدفاعي الأول (الليمس الأول)[2]، على أن أهميتها الكبرى تتمثل في أنها كانت ملتقى للطرق الرئيسية التي تتقاطع عندها، كالطريق الذي يربطها بسيق، والطريق الثاني الواقع في الشمال نحو المحمدية، وفي الشرق طريق أخر نحو وادي الأبطال وأيضا غليزان في الشمال الغربي، علاوة على الطريق بينها وبين معسكر. وقد استخدم الرومان هذه الشبكة المهمة في تحريك قواتهم بسهولة وفي تنقلاتهم أيضا[3].

ت. سيق (Tazaccura): يعود تأسيسها إلى منتصف القرن الأول، وازدادت أهميتها العسكرية كمركز مراقبة على اللمس في نهايته، وصلها الرومان بميناء بطيوة وبطريق أخر نحو أغبال (Regiae). كما شيدوا بأحد الجبال المحاذية لها (جبل البوزيري) مركز عسكري لمراقبة المدينة من كل الجهات[4].

ث. القيطنة: تقع بها أثار تجمع عمراني روماني على الطريق الرابط بين المحمدية وحمام بوحنيفية، وقريبا من القرية الحالية عند أحد المرتفعات الجبلية المسمات صخرة النسور[5]، وقد عثر بهذا الموقع على اثنين وعشرين نقش، يعود أقدمها لسنة 419 م وأحدثها لسنة 524 م، ستة منها مؤرخة بسنة 439 م بعضها لعناصر مسيحية مثلما يتجلى من عبارة « Decessit » التي كثيرا ما تستعمل في النقوش الجنائزية المسيحية[6].

---

(1) Malva (M-V) : "Aquae sirenses" B.S.G.A.O,46 ,1926 p344.
(2) Ibid. p 261.
(3) Lethieullieux (J) : les sites Romains en Oranie, Notes manuscrites, Oran,1989. p 247.
(4) Fabre (A): « Decoverte d'une milliaire a Saint-Denis du Sig » B.S.G.A.O 31. 1911, pp 202-203.
(5) Demaeght (L) « Notes géographiques et archéologiques » B.S.G.A.O,7, 1887, p272.
(6) صدوقي ستي: دراسة تنميطية للمصالح المحفوظة بالمتحف الوطني أحمد زبانة وهران، رسالة ماجيستير في التاريخ القديم، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران (2006-2007) ص ص 30، 31.

ج. حسين: أثبتت الأبحاث التي أجريت في نهاية القرن التاسع عشر على وجود معسكر روماني على أحد المرتفعات المطلة على قرية حسين الحالية، والذي استخدم كمركز للمراقبة ولحماية المستثمرات الفلاحية والمعمرين الرومانيين[1].

وحسب نقيشة عثر عليها بالموقع – يعود تاريخها إلى سنة 261م– تبين أن استقرار الرومان بالمنطقة كان في عهد الأسرة السّيفيرية، التي عملت على توسيع رقعة احتلالها جنوبا، حيث أقاموا بهذا المكان مدينة محصنة خلال القرن الثالث الميلادي، وقد عثر بالمنطقة على عدة أثار تعود لتلك الفترة نذكر منها جدار من الحجارة الغير مصقولة، قبور دائرية صغيرة، حجارة مصقولة، ونصبين جنائزيين يعود تاريخ الأول سنة 348م والثاني لسنة 414 م، مزهريات ومصابيح[2].

ح. البنيان (Ala Miliaria): بني الرومان معسكر البنيان فوق مرتفع يطل على الجهة اليمنى لواد تاغية، عند المنحدرات الشمالية الغربية لجبال سعيدة، على نحو 37 كلم من الجنوب الشرقي لمدينة معسكر، تحول فيما بعد إلى مدينة مزدهرة منذ منتصف القرن الثالث[3].

كان معسكر البنيان جزء من طريق الليمس للقرن الثالث ميلادي والذي شيد في عهد الأسرة السيفيرية (193–235م) أو ما يعرف بالطريق الحدودي (Praetentura)، ومعناه الطريق الفاصل بين الأراضي الخاضعة للاحتلال الروماني في الشمال وتلك التي ظلت خارج السيطرة الرومانية[4].

عرفت المنطقة ازدهرا اقتصاديا إبان الاحتلال الروماني، حيث شكلت الزراعة العمود الفقري لاقتصاد مدينة البنيان، المتمثلة في زراعة القمح والزيتون إلى جانب تربية الماشية وما يدل على ذلك بقايا مطاحن الحبوب ومعاصر الزيتون التي اكتشفت بالمنطقة. أما الصناعة فقد عرفت هي الأخرى تطورا وتنوعا ويأتي في مقدمتها صناعة الزيت والغزل والحياكة، نظرا لوفرة المواد الأولية كمادة الصوف، هذا وقد عرف النشاط التجاري رواجا نتيجة العلاقات التجارية التي ربطت المنطقة بالمدن الشمالية[5].

---

(1) Demaeght (L) : Op.cit, p 271.

(2) صدوقي ستي: المرجع السابق ص 30.

(3) Dela Blanchere (R) : voyage dans une partie de la Mauritanie césarienne, Paris imprimerie national, 1883, p 66.

(4) مضوي خالدية : البنيان (Ala Miliaria) مدينة جزائرية من العالم القديم، مجلة كان التاريخية، العدد العاشر، السنة الثالثة، ديسمبر 2010، ص 28.

(5) مضوي خالدية: المرجع السابق، ص 29.

وللإشارة فإن معظم المراكز والمستوطنات الرومانية شيدت بالمناطق السهلية القريبة من المجاري المائية، كتلك التي أقيمت على ضفاف وادي الحمام كمركز بوحنيفية (Aquae Sireuses)، القيطنة وحسين، حتى تضمن بذلك استقرار الجاليات الرومانية الوافدة من أوربا الذين أغرتهم بقطع أرضية، وتسيطر أيضا على السهول الخصبة التي توفر لها مختلف الغلال والمحاصيل الضرورية التي تحتاجها.

2-3 خلال العهد الإسلامي:

عرفت المنطقة خلال الفترة الوسيطة تحولات كبيرة، حيث شهدت توافدا للكثير من القبائل البربرية والعربية، التي استقرت بها خاصة حول جبال بني شقران وسهل غريس[1]، وهو ما تؤكده مختلف المصادر التاريخية والجغرافية وكتب الرحالة، التي تشير إلى وجود العديد من البلدات والقرى التابعة لإقليم الراشدية[2]، ولعّل أهمها مدينتي إفكان ومعسكر.

أولا: إفكان

تأسست على يد يعلى بن محمد بن صالح اليفريني[3] سنة (338 هـ)، والتي جعلها عاصمة لإمارته[4]، بعد أن كانت في البداية سوق من أسواق زناتة. وكان الهدف من بنائها هو مواجهة الغزو الفاطمي، ومحاولة فرض استقرار القبائل الزناتية[5] التي كانت تخضع

---

(1) عليو محمد: المرجع السابق، ص 28.

(2) بوداود عبيد: معسكر وأحوازها في العصر الوسيط من خلال المصادر الجغرافية العربية، كتاب جماعي " معسكر المجتمع والتاريخ"، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، الجزائر 2014، ص 05.

(3) يعلى بن محمد اليفريني: هو أمير بني يفرن، وخليفة الناصر لدين الله على بلاد العدوة، قتله قواد كتامة مقابل أموال أعطاها إياها جوهر العبيدي، اختط مدينة إفكان، وملك وهران سنة 242هـ وتاهرت، واستقر سلطانه في ناحية المغرب، قتل سنة 347هـ . ينظر: صالح بن عبد الحليم الإيلاني المصمودي مفاخر البربر: تحقيق بوباية عبد القادر، مؤسسة البلاغ النشر والدراسات والبحوث، الجزائر2013، ص 105.

(4) المهدي البوعبدلي: تاريخ المدن، جمع وتقديم عبد الرحمن دويب، الطبعة الأولى 2013، عالم المعرفة للنشر والتوزيع الجزائر، ص 239.

(5) قبيلة زناته: قبيلة بربرية عريقة في القدم منتشرة في كامل الشمال الإفريقي وهي تسكن على الأخص المغرب الأوسط – الجزائر- بحيث أنه ينسب إليها ويعرف بها، فيقال وطن زناتة، ومنها بطن مغراوة وجراوة قوم الكاهنة، بنو يفرن وجلة بالجنوب الجنوب الجزائري، وكانت الرئاسة فيهم قبل الإسلام لجراوة ثم مغراوة وبني يفرن وموطنها بنواحي تلمسان إلى وهران وشلف شمالا وإلى غريس ومعسكر جنوبا. ينظر:عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج1، ط 2، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت 1965، ص 224.

له[1]. وهو ما يؤكده أبو عبيد الله البكري بقوله: "ومدينة إفكان كانت سوق قديمة من أسواق زناته، فمدَّنها يعلى بن محمد بن صالح اليفريني. وكان ابتداء تأسيسه لها سنة ثمان وثلاثين وثلاث مائة. وارتحل إليها أهل المعسكر من أهل تاهرت، ويلل، وشاطئ بني واطيل، ووهران، وقصر الفلوس، فعمرت وتمدنت، وعظمت، وهي في سفح جبل أرشيلاس ... بها جامع وحمام وفنادق"[2].

ومن الرحالة الذين تعرضوا لها الشريف الإدريسي في القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي، حيث أشاد بتمدنها ومرافقها المتنوعة وثمارها الكثيرة، ومياهها الرافدة وتحصيناتها فقال:" وإفكان هذه مدينة كانت لها أرجاء وحمامات وقصور وفواكه كثيرة، وكان عليها سور تراب لكنه الآن تهدّم وبقي أثره، ووادیها يشقها نصفين ويمضي منها إلى تاهرت"[3].

أما ابن حوقل فيقول بشأنها:" إفكان مدينة لها أرحية وحمامات وقصور وفواكه، وكانت ليعلى بن محمد، ذات سور من تراب في غاية الارتفاع والعرض، ووادیها يشقّها بنصفين... ولإفكان على واديها أعمال عريضة وأجنّة ومزارع"[4].

وهناك العديد من النصوص حولها، لكن لا يتسع المجال لعرضها، وما يمكن أن نستشفه من خلالها أن المدينة أصبحت حاضرة من الحواضر الهامة بإقليم الراشدية، استقطبت إليها السكان من مختلف الأمصار والمناطق المجاورة لها، لِمَا توفرت عليه من مرافق عمرانية متنوعة كالأرحية والحمامات والقصور... والبساتين الغنية بمختلف أنواع الثمار.

---

(1) حساني مختار: موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية (مدن الغرب)، الجزء الرابع، ط 2، دار الحكمة، الجزائر 2012، ص 207.

(2) أبو عبيد الله البكري: المغرب في ذكري إفريقية والمغرب، جزء من كتاب المسالك والممالك، مكتبة المثنى، بغداد، دون تاريخ، ص 79.

(3) الشريف الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، المجلد الأول، المكتبة الثقافية الدينية، القاهرة 2002، ص ص 250، 251.

(4) ابن حوقل النصيبي أبي القاسم: صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت، لبنان 1992، ص 88.

كما تؤكد المصادر التاريخية أن المدينة كانت مسكونة من طرف الزناتيين وعلى رأسهم قبيلة بني يفرن، ثم انتقل إليها أهل وهران من بني مسكن وازداجة، وبعض الأندلسيين، كما هاجر إليها أهل يلل وتهرت وشلف، وقصر الفلوس، وعناصر أخرى من قبائل غير قبائل زناتة، مما أدى إلى سرعة عمرانها[1].

وقد زادت هذه الحاضرة أهميةً نتيجة التطور الاقتصادي الذي عرفته، خاصة من الناحية الزراعية والرعوية والتجارية، فتنوع المحاصيل الزراعية ووفرة قطعان الماشية، كان له دور في ازدهار التجارة الداخلية، سواء في الأسواق التي تقام بها أو بجوارها أو مع المدن القريبة منها التي تتزود من محاصيلها الزراعية[2].

لكن المدينة لم تستطع أن تحافظ على ازدهارها، بسبب الصراع الفاطمي الزناتي على السيادة في بلاد الغرب الإسلامي، حيث تمكن القائد الفاطمي (العبيدي) جوهر الصقلي من قتل زعيمها محمد بن يعلى الإفريني قرب تيهرت، وهو ما مكنه احتلالها وتخريبها، وإخراج أهلها الذين فروا باتجاه الصحراء[3]. فكان هذا نهاية لهذه المدينة التي لم تعد لها قائمة بعد ذلك.

ثانيا: معسكر

كانت في البداية عبارة عن مدينة صغيرة لم يرد ذكرها إلا عرضا لدى كتب الرحالة والجغرافيين أمثال الإدريسي وابن حوقل[4]، اللذان وصفاها باسم القرية العظيمة، فصاحب كتاب نزهة المشتاق يقول بشأنها:"... والمعسكر قرية عظيمة لها أنهار وثمار، ومنها إلى

(1) حساني مختار: المرجع السابق، ص 209.
(2) المرجع نفسه، ص 210.
(3) بوداود عبيد: المرجع السابق، ص 09.
(3) ناصر الدين سعيدوني: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر (العهد العثماني) المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984، ص 247.

جبل فرحان[1] مارا مع أسفله إلى قرية عين الصفاصف[2]، وبها فواكه كثيرة، وزروع ونعم دارة"[3]. أما بن حوقل فيقول عنها:" معسكر قرية عظيمة لها أنهار وأشجار وفواكه"[4].

وعلى خلاف مدينة إفكان التي اندثرت خلال القرن العاشر الميلادي، ولم تقم لها قائمة بعد ذلك، فان مدينة معسكر وطيلة الفترة الوسيطة حافظت على وجودها ضمن إقليم الراشدية[5]، وأصبحت محل اهتمام العديد من الدول التي حكمت بلاد المغرب الأوسط.

فخلال القرن الأول الهجري، السابع الميلادي، وعلى عهد الفتح الإسلامي للمغرب الأوسط لجأت قبائل بني زروال القادمة من الجنوب إلى نواحي معسكر، تاركة مضاربها قرب مسعد، الممتدة بين بسكرة والجلفة، حيث كانت تقيم منذ عهد الاحتلال الروماني[6].

وفي القرن الثامن الميلادي اجتاحت قبائل مغراوة البربرية القادمة من الشرق المناطق التي سكنها بنو زروال، ومنها بني شقران التي كانت تحمل اسمهم. وعلى عهد الدولة الرستمية (160 هـ –296هـ) (776م – 909م)، دخلت معسكر ضمن نطاق هذه الدولة، التي استولت على جميع التراب الجزائري الحاضر ما عدى ناحية الزاب شرقا وتلمسان غربا، ويقال أنها كانت مقرا للأئمة الرستميين[7].

---

(1) جبل فرحان : وهو الجبل الذي يطابق جبال بني شقران الحالية الواقعة بين سهلي سيق والهبرة شمالا وسهل غريس جنوبا. ورد ذكره في بعض المصادر التاريخية باسم جبل توجان وهي التسمية الأصح. ينظر: بن معمر محمد: حفريات في تاريخ قلعة هوارة من التأسيس إلى نهاية العصر الوسيط، مجلة المواقف للبحوث في الدراسات في المجتمع والتاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية جامعة معسكر، العدد 12، ديسمبر 2017. ص181.

(2) عين الصفاصف : وهي تسمية أطلقها ابن حوقل على مدينة القلعة الحالية، ولعله نسبها إلى العين التي كانت تنبع في أعلى المدينة. ينظر: بن معمر محمد: المرجع السابق، ص 183.

(3) الشريف الإدريسي: المصدر السابق، ص 251.

(4) ابن حوقل النصيبي أبي القاسم: المصدر السابق ص 89.

(5) بوداود عبيد: المرجع السابق، ص 10.

(6) عليو محمد: المرجع السابق ص 28.

(7) بن داهة عدة: المرجع السابق ص 50.

كما خضعت معسكر لحكم الأدارسة (172 – 311 هـ / 776 – 909 م)، بحكم موقعها داخل حدود دولتهم التي كان يحدها من جهة الشمال الشرقي مدينة وهران ونهر شلف، ومن جهة الجنوب سهول غريس بناحية معسكر[1].

وتذكر المصادر التاريخية أن راشد بن مرشد القرشي أحد وزراء مولاي إدريس هو من أسس مدينة معسكر في القرن الثاني الهجري، وذلك أن المرشد لما قدم من مصر لمعسكر أكرمه أهلها فمكث عندهم وتزوج امرأة زاد المزيلي الراشدي، وهي فاطمة بنت عبد الله، وولدت له راشد بن المرشد بن إبراهيم ابن الحسن المثنى[2].

ويخبرنا عبد الرحمن بن محمد الفاسي عن سبب قدوم المرشد من مصر إلى معسكر ومصاهرته لهم، فيقول أنه كان بسبب خلاف بينه وبين أخيه الذي كان عاملا للأمير مما اضطره إلى مغادرتها نحو المغرب الأوسط فيقول: " كان المرشد بمصر وكان له أخ اسمه المهدي مستخدماً للأمير، وقال يوما للأمير إن أخي يريد الخلافة فبعث إليه الأمير فحذره ... فحمل جميع ما عزّ عليه من متاعه وترك ما هان، وصار يجد السير حتى بلغ حوز تلمسان، يعني بلاد أم العساكر، فلما رأوه أهل تلك البلاد ورأوا خيره وجوده اتخذه رئيسا، فمكث عندهم وتزوج منهم امرأة فولدت له معها ولدا هو راشد ..."[3] .

ويُذكر أن إدريس بن عبد الكامل، وأخوه سليمان نزل عند راشد في معسكر ومكثا ستة أشهر، ومنها انتقل إدريس وراشد إلى المغرب الأقصى، وترك مولاي إدريس أخاه بمعسكر إلى أن مات بها، وترك ذرية وهم أهل عين الكبيرة[4].

---

(1) المرجع نفسه.
(2) حساني مختار: المرجع السابق، ص 211.
(3) سمية مصدق: استقطاب منطقة غريس للأشراف، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، جامعة معسكر، العددان 5 و6 جوان 2015/2014 ص 283.
(4) حساني مختار: المرجع السابق، ص 211

وعلى عهد الدولة الفاطمية، استحكم العبيديون قبضتهم على مدينة معسكر، والتي اتخذوا منها قاعدة للقضاء على ثورة زناته، حيث كلف الخليفة المعز لدين الله الفاطمي قائده جوهر الصقلي بذلك، ومنها أغار على مدينة إفكان وخربها نهائيا سنة 958 م[1].

وقد أكّد ابن عذاري المراكشي نقلا عن البكري أن معسكر وضواحيها كانت ضمن نطاق الحكم الشيعي، خلال الثلث الأول من القرن الرابع الهجري على عهد جوهر الصقلي قائد الشيعة، فيقول في ذلك:" وبين مدينة تلمسان وتيهرت يسكن بنو مرين وجميع قبائل زناتة، ومنهم توجين ومغراوة وبنو راشد وورنيد وغيرهم"[2].

وفي عهد الدولة الزيانية (633 – 962هـ /1235 – 1554م) حضيت منطقة بني راشد باهتمام بالغ من قبل أمرائها، حيث عقد عثمان بن يغمراسن تحالفا بينه وبين قبيلة الحشم[3]، واتخذها جيشا له، وحصنا حصينا بينه وبين أعدائه من بني توجين أمراء تيهرت[4]، ويذكر بن خلدون ذلك فيقول:" أن عثمان بن يغمراسن قد استعمل الحشم بجبل الوانشريس ضد بني توجين"[5].

ويعود سبب ذلك إلى أن قبيلة الحشم كانت معروفة بقوتها وعصبيتها، مما جعلها مطلوبة في التحالفات السياسية[6]، فحسب مارمول فإن تعداد قوات قبيلة الحشم بلغ عشرين ألف

---

(1) بن العيفاوي علي: المرجع السابق، ص 26

(2) ابن عذاري المراكشي: البيان المعرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، تحقيق ليفي بروفنسال وس.ج كولان، بيروت باريس 1948، ص 300.

(3) الحشم: يقول صاحب كتاب القول الأعم في بيان قبائل الحشم أن كلمة الحشم مأخوذة من الحِشمة بالكسر وهي الحياء، أو بالحركة وهو الغضب. وقد اختصت قبيلة الحشم بهذه التسمية أواسط المائة الثامنة لمّا انضموا لبني زيان ملوك تلمسان، وكانوا يسمون قبل ذلك ببني راشد -. أنظر: الطيب بن مختار الغريسي: القول الأعم في بيان أنساب قبائل الحشم، نشر بلهاشمي بن بكار، مطبعة بن خلدون، تلمسان،1961، ص 330.

(4) بلهاشمي بن بكار: المرجع السابق، ص ص 33 -34

(5) عبد الرحمن بن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج 7، دار الفكر، بيروت لبنان، 2000، ص 124.

(6) عليو محمد: المرجع السابق ص 31.

مقاتل، ما بين فارس وراجل، وكلهم من الرّجال الأشدّاء في الحرب المتوفرين على عُدّة جيدة[1].

ومن ناحية أخرى فإن إقليم الراشدية شهد خلال هذه الفترة حركة اقتصادية مزدهرة، وبالخصوص مدينة معسكر التي اشتهرت بنشاطها التجاري، فأسواقها عرفت تطورا كبيرا في التجارة الداخلية، بحكم موقعها الاستراتيجي الذي يتحكم في الطرق التجارية الهامة، مما جعلها زاخرة بمختلف السلع والبضائع، ومقصدا لجميع سكان القبائل والتجار من مختلف الأمصار، وقد تطرق لذلك مرمول فقال بشأنها:" كان هذا السوق يعقد كل يوم اثنين يقصده البربر والأعراب لبيع ماشيتهم وزرعهم، وغلاتهم من الزبيب والعسل، والشمع والزيت، وما شابه ذلك، ويأتي إليه التجار من تلمسان وغيرها بالمنسوجات، والبرانس، والعباءات، والسروج المضّربة ذات المهامز والأعنّة من عُدَة الفرس، وكثير من البضائع الأخرى التي يتزود بها أهل تلك النواحي"[2].

ونتيجة لهذا الرخاء الاقتصادي، توجّب على سكان مدينة معسكر والمناطق المجاورة دفع الجباية للدولة الزيانية[3]، حيث نصب عليها الزيانيون حاكما يستخلص منها الضرائب، التي كانت توفر لخزينة تلمسان حوالي خمسين ألف دورو إسباني سنويا[4].

كما عرفت مدينة معسكر ازدهارا في الميدان الثقافي، خاصة في أخر عهد الدولة الزيانية، حيث اشتهرت بنخبة علمائها، الذين تفوقوا بتخصصهم في علمي الفقه والتوحيد[5] وعلوم أخرى، ومن بينهم عيسى بن موسى الملقب بجمال الدين التجيبي، الذي كان من العلماء العظام، والمتصوفة الكبار عاش في القرن العاشر الهجري، الخامس عشر ميلادي،

---

(1) مرمول كربخال: إفريقيا، ج 02، تر، محمد حجي، محمد زينبر، محمد الأخضر، أحمد توفيق، دار نشر المعرفة، الرباط، (1989/1988)، ص325.

(2) مرمول كربخال:المصدر نفسه، ص 324.

(3) حساني مختار: تاريخ الدولة الزيانية (الأحوال الإقتصادية والثقافية) الجزء الثاني، منشورات دار الحضارة، الجزائر 2009، ص 111.

(4) ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص 247.

(5) المهدي البوعبدلي: المرجع السابق، ص 239.

أخذ عن تلامذة ابن غازي بفاس، وأسس زاوية له بواد تاغية من أرض غريس[1]، ومحمد بن يحي بن موسى الذي أخذ العلم عن أبيه وعن أئمة تلمسان، ثم أسس زاوية الزاوش التي تخرج منها الكثير من العلماء، الذين نسبوا إلى منطقة غريس، قال عنه صاحب البستان:" هو السيد الفقيه العارف بالله الناسك المحقق، المتصوف، الورع، ذو الكرامات والأخلاق المرضية، إمام العلوم الظاهرة ... لا يتحدث في علم إلاّ ظن من معه لا يحسن إلا غيره، أسس زاوية بالكرط قبل أن ينتقل إلى واد فروحة في حدود سنة 900 هجرية، 1494-1495 ميلادية، وأسس هناك رباطا لرواد العلم فقصده الطلاب من جميع الأفاق"، توفي في حدود 920 هـ/ 1541م[2].

ومن أكابر علمائها أيضا أحمد بن أحمد، الذي كان من علماء اللغة بناحية غريس، شرح كتاب الألفية والأجرومية، وهما من الكتب الأكثر تداولا في عصره، كما كان عالما في التوحيد حيث شرح عقيدة السنوسي التي كانت تدرس في القلعة وغريس ومثلما هو عليه الحال في كل من فاس، ومراكش وتلمسان، وغيرها من حواضر المغرب الاسلامي[3].

أما عن هجرة الأندلسيين إلى المنطقة فلا شك أنها أثرت تأثير بالغا في سكان معسكر، وبني شقران[4]، فمعظم الجاليات الأندلسية التي استوطنت إقليم الراشدية جاءت من غرب الأندلس بعد سقوط اشبيلية سنة 646هـ- 1248م، واستقر الكثير منها بمضارب الحشم في معسكر[5]، فحسب الأستاذ عبد الكريم حساني فإن هذه الجاليات حافظت على عاداتها وتقاليدها وعلى الخصوص الرفاهية في الطعام واللباس ... كما لعبت دورا مشرفا في نسخ الكتب، حيث يقول في هذا الصدد:" وقد وجدنا خلال زيارتنا لمدينة معسكر والزوايا المجاورة

---

(1) حساني مختار: المرجع السابق، ص 243.
(2) المرجع نفسه، ص 245.
(3) المرجع نفسه، ص ص 246-247.
(4) بن داهة عدة: المرجع السابق، ص 52.
(5) حساني مختار: تاريخ الدولة الزيانية (الأحوال الاجتماعية) الجزء الثالث، منشورات دار الحضارة، الجزائر 2009، ص 77

لها بعض النسخ نسخها أفراد من الجالية الأندلسية أحدهم ينتسب إلى عائلة العالم الجليل ابن عاشر الأندلسي"[1].

لقد ظلت مدينة معسكر من أهم مدن الدولة الزيانية تمدها بالمال والرجال للدفاع عن حياضها، ولما انهارت مملكة الزيانيين، وجاء العثمانيون إلى الجزائر تعززت مكانة مدينة معسكر إلى أن أصبحت عاصمة بايلك الغرب الجزائري[2].

2-4 خلال العهد العثماني:

مع مطلع القرن السادس عشر دخل إقليم الراشدية مع باقي مدن الدولة الزيانية في دائرة الصراع مع الإسبان، فبعد احتلال المرسى الكبير عمد الإسبان إلى تنفيذ الجزء الثاني من مشروعهم المتمثل في مدّ نفوذهم نحو الداخل، فاحتلوا بذلك منطقة معسكر سنة 1505[3] التي خرج منها أهلها واعتصموا بجبال بني شقران والغابات المجاورة لها، فخربوا قرية الكرط، وواصلوا تقدمهم في اتجاه واد طاغية، وتوغلوا بداخل نسموط، وعادوا إلى الكرط ثانية، وبعدها غادروا المنطقة عائدين إلى المرسى الكبير دون أن يستقروا بالمدينة أو ضواحيها نظرا لقوة المقاومة بها[4].

ويخبرنا صاحب الثغر الجماني عن هذه الحملة فيقول: " وتغلبوا – أي الإسبان – على جميع أعمالها من بلاد بني عامر إلى قلعة بني راشد وما يليها، وربما تجاوزت غارتهم بلد غريس، وقد خربوا مداشر الكُرط قرب معسكر، وأسروا أهله إلا من فرّ منهم"[5].

---

(1) المرجع نفسه، ص 78.

(2) بوداود عبيد: المرجع السابق، ص 11

(3) استعان الإسبان في حملتهم على المنطقة بقوات بعض القبائل العربية التي أعلنت الولاء لهم . نذكر في ذلك بطن أولاد علي وهي فرع من قبيلة بني عامر تحت قيادة زعيمهم رابح بن صولة . ينظر:الأغا بن عودة المزاري: طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق يحي بوعزيز، الجزء الأول، دار الغرب الاسلامي، ص 219

(4) بن داهة عدة: المرجع السابق، ص 53

(5) أحمد بن سحنون الراشدي: الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق المهدي البوعبدلي، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، مطبعة البعث الجزائر 1973، ص 456

كما تعرضت قبيلة هبرة الواقعة في إقليم الراشدية، هي الأخرى لهجوم اسباني، استهدف أحد بطونها المسماة بيعلو، حيث دار بينهما قتال شديد راح ضحيته أكثر من ثلاثين طالبا من طلبة القرآن المرابطين بالزاوية القريبة من ميدان المعركة، كما استشهد فيها سبعون فارسا من هبرة وجرح أربعون، أما الإسبان فقتل منهم ثلاثمائة وجرح ثلاثون، فأدى ذلك بهم إلى الانسحاب والفرار من ميدان المعركة[1].

أثّرت هذه الاعتداءات كثيراً على سكان المنطقة، مما أدى بهم إلى التقارب مع العثمانيين، وطلب الحماية منهم، وهو ما دفع بعروج سنة 1517 إلى وضع حامية عسكرية في قلعة بني راشد الواقعة بمنطقة هوارة[2]، واتخذ منها قاعدة لتأمين اتصالاته وتنقلاته في المنطقة وقطع الطريق أمام الاسبان[3]، واستخلف عليها أخاه إسحاق وصديقه إسكندر بمساعدة 200 جندي مسلحين بالبنادق والمدفعية، وكلفهم بتنفيذ عمليات صغرى لإزعاج الاسبانيين في وهران وحرمانهم من حرية التنقل[4].

كما التقى عروج بالشيخ أحمد بن يوسف الملياني الراشدي[5] بكريشتل قرب وهران، حيث أعلن الملياني ولائه لعروج، واتفق معه على محاربة الإسبان[1]، وتجسّد ذلك في مشاركة أتباع وطلاب الملياني إلى جانب الأتراك في معركة قلعة بني راشد ضد الاسبان[2].

---

(1) الأغا بن عودة المزاري: المصدر السابق، ص 212.

(2) هوارة: قلعة أو بلدة صغيرة تبعد عن مدينة معسكر بنحو 25 كيلومتر، وعن مدينة مستغانم بنحو 55 كيلومتر وهي المعروفة بقلعة بني راشد. ينظر: عبد الرحمن بن محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج3، الطبعة السابعة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص43.

(3) Ernest Mercier : histoire de l'Afrique septentrionale, Tome troisiéme, paris 1891, p 19.

(4) Grammont H- D :quel est le lieu de la mort d'Aroudj Barberousse, Revue Africaine, volume 22, Année 1878, p391.

(5) أحمد بن يوسف الملياني الراشدي: عالم صوفي مشهور، عاش بين القرن التاسع والعاشر الهجري، الخامس عشر والسادس عشر ميلادي، ولد بقلعة بني راشد بالقرب من معسكر عاش ظروف تاريخية مضطربة زالت فيها دولة بني زيان وبدأ فيها العهد العثماني، أسس زاوية في رأس الماء بواد شلف وكوّن المريدين، واتصل بعلماء عصره مثل أبي عبد الله الخروبي وأبي حامد الخياط، وزار المشرق وتعرف على علمائه الكبار ثم عاد إلى وطنه، توفي أحمد بن يوسف سنة 931هـ - 1524م ودفنه إبنه محمد بن مرزوقة في مليانة. ينظر: أبو عمران الشيخ وأخرون، معجم مشاهير المغاربة، الطبعة الثانية، مؤسسة صونيام، الجزائر 2013، ص ص 568، 569.

إلى جانب التّحرشات الاسبانية، تعرّضت المنطقة سنة 1707 إلى اعتداءات أخرى شنتها قوات السلطان المغربي مولاي إسماعيل الذي هاجم من خلالها مدينة معسكر. وحسب ما ورد ذكره في بعض المصادر التاريخية أن قبائل الحشم ساندت القوات المغربية على حساب الأتراك لخلاف بينهما، وهو ما حذا بالسلطة العثمانية إلى معاقبتها وضمها لقبائل المخزن الموالية لهم[3].

وفي مطلع القرن الثامن اتخذ العثمانيون من معسكر عاصمة لإيالة الغرب الجزائري لمدة تجاوزت القرن من الزمن، حيث قام الباي مصطفى بوشلاغم[4] سنة 1701 بنقل مقر البايلك من مازونة إلى إلى قرية الكرط الواقعة جنوب غرب معسكر بأربع كيلومترات، ثم حول بوشلاغم إقامته من الكرط إلى مدينة معسكر[5].

ومن بين الأسباب التي جعلت الباي بوشلاغم يفضلها على مازونة ويتخذها عاصمة لبايلك الغرب هي:

1. إستراتيجية موقعها فهي تعتبر همزة وصل بين الجهات الساحلية والأقاليم الداخلية، كما أنها مركز مهم على الطريق الرئيسي بين قلعة بني راشد وتلمسان، مما جعلها سوقا لمنتجات السودان وبضائع فاس وملتقى لتجارة الغرب الجزائري[6].

---

(1) Bodin (M) : Notes et questions sur sidi Ahmed-Ben-Yousef, in **R. A** , N66, 1925, p 182.

(2) حساني مختار: تاريخ الدولة الزيانية (الأحوال الاقتصادية والثقافية) الجزء الثاني، المرجع السابق، ص 247.

(3) بن داهة عدة: المرجع السابق ص 55.

(4) مصطفى بوشلاغم: هو مصطفى بن يوسف المسراتي تقلى بايا على مازونة وتلمسان، وأول من جمعت له الايالة الغربية سنة 1098 هـ، وبعدها نقل كرسي الايالة من مازونة إلى القلعة ثم إلى معسكر، لكونها تتوسط مازونة وتلمسان، فتح وهران سنة 1119 هـ ونقل كرسي الحكم إليها وسكنها وجعلها قاعدة ملكه، وبعد استردادها من الاسبان مرة ثانية سنة 1143 هـ انتقل منها إلى مستغانم وسكنها إلى أن توفي بها سنة 1146. ينظر: الزياني محمد بن يوسف: دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تحقيق وتقديم الشيخ المهدي البوعبدلي، ط 1، علم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر 2013، ص 254.

(5) بن داهة عدة: المرجع السابق، ص 54،

(6) وللإشارة فإن المدينة عرفت حركة تجارية رائجة خلال العهد العثماني، فبإضافة إلى سوقها الأسبوعي الذي كان يُقام داخل المدينة، فقد كان يعقد بها كل يوم جمعة وسبت وأحد سوق عند الباب المسمى بباب علي، والذي يعتبر سوقا غنيا تُعرض فيه مختلف البضائع: كالبارود، وقشور الرمان لدبغ الجلود، ولوازم الخياطة، التوابل، والخضر والفواكه، كما يوجد بجانب السوق مجموعة من الدكاكين والفنادق التي كانت مقصدا لتجار تلمسان والمغرب. ينظر Emerit : Mercel L'Algérie à l'poque d'Abd-el-kader,Editions Bouchène 2002, p 91.

2. وجودها بمنطقة غنية بإنتاجها الزراعي والصناعي، فسهول غريس كانت تنتج مقادير وفيرة من الحبوب، وتوفر كميات كبيرة من الأصواف والجلود، ونواحي قلعة بني راشد القريبة منها كانت بدورها تصنع الكثير من الأسلحة النارية والصابون والسروج والألجمة، ولا سيما البرانس والزرابي الفاخرة، وبذلك أصبحت سوقا رئيسية لقبائل بني راشد ومحطا للعشائر الكبرى بالناحية كبني عامر والحشم والشراقة وبني شقران وغيرهم[1].
3. لكن الأهم من كل هذه العوامل أن معسكر اختيرت لتحقيق الأهداف العسكرية المتمثلة في محاصرة وهران والقضاء على الوجود الاسباني فيها[2].

بعد نقل مقر الحكم إليها وجعلها عاصمة لبايلك الغرب، جلس للحكم فيها عدة بايات أهمهم: الباي مصطفى بوشلاغم المسراتي (1701 – 1737م)، وابنه الباي قايد الذهب (1742 – 1747م)، الباي عثمان بن إبراهيم (1747 – 1755م)، والباي أبو إسحاق إبراهيم المليانى (1756 – 1771)، ثم الباي الحاج خليل (1771 – 1778م)، وأخرهم وأفضلهم على الإطلاق الباي محمد الكبير الذي تولى الحكم سنة 1779 وإلى غاية 1792م تاريخ فتح وهران[3].

اهتم معظم هؤلاء البايات ببناء المدينة وإعمارها، مما أدى إلى ازدهارها وارتقائها إلى مصاف الحواضر الكبرى بالجزائر العثمانية[4]. حيث يقول صاحب تحفة الزائر في هذا الشأن: "وأعجبهم محلها – أي الأتراك – فشرعو في بنائها بالحجارة، ووسعوا خطتها، وتأنقوا في تشييد دورها على نحو دور الجزائر. وأطلقوا عليها اسمها القديم الذي كانت تعرف به من

---

(1) ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص ص 147، 148.
(2) صالح عباد: الجزائر خلال العهد التركي 1514-1830، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2012، ص 293.
(3) للتفصيل أكثر ينظر: مسلم بن عبد القادر الوهراني : تاريخ بايات وهران المتأخر أو خاتمة أنيس الغريب والمسافر، تحقيق وتقديم رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، من ص 19 – 23. .
(4) ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق ص 247

قبلهم – أم العساكر أي معسكر الجيوش–، وجعلوها مركزا لحاكم تلك النواحي. وكانوا يواصلون الغارات منها على سائر الجهات ويفتحون البلاد"[1].

ومن مظاهر ذلك قيام الباي يوسف المسراتي، ابن الباي مصطفى بوشلاغم المسراتي، بإحاطة المدينة بأسوار عالية سنة 1784[2]، وتم تشييد أبوابها السبعة أيضا، كما بنى بها الباي عثمان بن إبراهيم الجامع الأعظم عام 1160هـ / 1747م، هذا إلى جانب قيام الباي أبو اسحاق المليانى بتشييد برج عسكري سنة 1762م[3] لتبلغ المدينة ذروة مجدها أيام الباي محمد بن عثمان الكبير الذي جهزها بالمرافق الضرورية للحياة، ولاسيما الدينية منها والاجتماعية، كالمساجد والمكتبات والمدارس[4]، حيث أعاد بناء مسجدها العتيق الذي شيد سنة 1761م، وهذا بعد هدمه وإعادة توسيع مساحته، وإحداث خمسة أحواض للوضوء به، وجلب الماء إليه عبر القنوات والسواقي[5]، وهو المعروف حاليا بمسجد سيدي حسن. كما بنى الباي محمد الكبير مسجدا أخر سنة 1207هـ / 1793م، وهو معروف عند أهالي معسكر بجامع عين البيضاء[6]، وبنى بها أيضا مدرسة كبيرة اشتهرت باسم المدرسة المحمدية، التي ألحقها بالمسجد فأصبحت هذه المدرسة من بين المدارس الكبرى التي عرفها بايلك الغرب[7]، فقد رتب لها المدرسين والنظار لتلقين مختلف العلوم، وخصّص لها الأوقاف الكثيرة للإنفاق عليها، إلى جانب تزويدها بمكتبة غنية بنفائس المخطوطات والكتب النادرة[8]. ويخبرنا بن سحنون الراشدي عن الأعمال الجليلة لهذا الباي فيقول:" ومن أعظم مآثره – وإن كانت كلُّها عظيمة – أنّه رتّب المدرسين في الجوامع بوظائف يأخذونها من

---

(1) محمد بن عبد القادر الجزائري: تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، ج 1، شرح وتعليق ممدوح حقي، دار ثالة، الجزائر 2007 ص ص42، 43.

(2) بن داهة عدة: المرجع السابق، ص 54

(3) مسلم بن عبد القادر الوهراني: المرجع السابق، ص ص 20 - 21

(4) بن داهة عدة: المرجع السابق ص 54.

(5) حساني مختار: المرجع السابق، ص 214.

(6) حمدادو بن عمر: مراكز الإشعاع الثقافي وخزائن المخطوطات بالمغرب الأوسط، مجلة الحوار المتوسطي، جامعة سيدي بلعباس، العدد 3-4، مارس 2011-2012، ص 41.

(7) Mercel Emerit : Op.cit, p92

(8) حمدادو بن عمر: المرجع السابق، ص41.

الأحباس، بعد أن كان العلماء لا ينتفعون بناحية المخزن بشيء، إلاّ من كان متولّيا لخطة، أو مستعملاً في خدمة، فاتسعت بذلك حال العلماء، انشرحت الصّدور للقراءة، وشرهت لها النفوس، وكثر طلبة العلم، وتشوق كل واحد للتدريس..."[1].

وفيما يخص المرافق العامة قام الباي بتشييد العديد منها، كالفندق الجديد والسوق القديمة داخل أسوار المدينة والحمام المعروف بحمام الأدهم، والمقبرة المخصصة لرجال معسكر، إلى جانب مخبزة وعدة دكاكين تجارية، وإقامة العديد من العيون في مختلف أحياء المدينة، وأرباضها كربض سيدي علي، وجلب لها الماء الصالح للشرب عبر قنوات وسواقي[2].

وما يجدر بنا قوله أنّ الباي محمد الكبير ارتقى بالمدينة إلى مصاف الحواضر الكبرى، حيث أصبحت في عهده مركزاً سياسيا واقتصاديا وثقافيا هاما، تفوقت بمنجزاتها على الحواضر الأخرى القريبة منها كتلمسان ووهران، حيث يقول صاحب المرآة في عن ذلك: " كانت معسكر هي مقر الباي، وكانت المقاطعة عندئذ غنية، وشاع الترف في معسكر ويظهر من خلال منازلها وهندستها. إنها مدينة أكثر تقدم من مدينة تلمسان..."[3].

هذا وقد حفلت مدينة معسكر في عهد الباي محمد الكبير بنخبة من الأدباء والعلماء الذين توافدوا عليها من مختلف الأقاليم، أو الذين تخرجوا من مدارسها الرسمية أو درسوا في الزوايا الموجودة بالقرب منها كزاوية الكرط[4]، وزاوية القيطنة اللتان تخرج منهما علماء أجلاء وفقهاء مجتهدين وأدباء متبجلين وأئمة مهتدين، وزاوية الشيخ أبو رأس الناصري المعسكري، وزاوية سيدي قادة بلمختار جد الأمير عبد القادر[5].

([1]) ابن سحنون الراشدي: المصدر السابق، ص 143.
[2] حساني مختار: المرجع السابق، ص 215.
[3] حمدان بن عثمان خوجة: المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر 2006، ص 59.
[4] ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص ص249، 250.
[5] حمدادو بن عمر: المرجع السابق، 42.

فمن هؤلاء العلماء الذين ازدانت بهم معسكر، وكان لهم أيادي بيضاء في إغناء التراث الإسلامي والمحافظة عليه خلال هذه الفترة عبد القادر بن عبد الله المشرفي الغريسي صاحب كتاب "بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر"، وأبو العباس الحاج أحمد بن محمد بن الهطال التلمساني الذي عاش مدة غير قصيرة بمعسكر وشغل منصب مستشار وكاتب لدى بعض البايات وخاصة الباي محمد الكبير. وهو صاحب التأليف القيّم الموسوم ب:" رحلة محمد الكبير باي الغرب إلى الجنوب الوهراني"، وأحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي صاحب "الثغر الجُمّاني في ابتسام الثغر الوهراني"[1]، والفقيه أبو طالب محمد بن علي الغريسي الذي اشتهر بنزعته التصوفية وحماسه الديني، والشيخ أبوراس محمد بن أحمد الراشدي المعسكري الملقب بشيخ مؤرخي الجزائر العثمانية، صاحب التأليف الكثيرة والتي نذكر منها رحلته الموسومة ب:" فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته"، وكتابه: "زهرة الشماريخ في علم التاريخ"، وأيضا "درء الشقاوة في حروب درقاوة"، وإن كان أشهرها على الإطلاق "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار"، والشيخ الطيب بن مختار ابن عم الأمير عبد القادر الذي عرف بتآليفه " القول الأعم في بيان ونسب الحشم" [2]. وعلماء ومشايخ آخرون ممن نالوا شهرة عظيمة، وذاع صيتهم في أرجاء كثيرة من الجزائر وبلاد المغرب العربي.

وبعد أن عرفت المدينة فترة رقي وازدهار علمي وحضاري طيلة القرن الثامن عشر تقريبا، تراجعت بشكل كبير في أواخر العهد العثماني وفقدت معسكر مكانتها العلمية، وانحطت منزلتها الحضارية، وتقلص عمرانها، وانخفض عدد سكانها، وهجرها الطلبة والعلماء، وذلك بفعل عدة أسباب منها انتشار الأوبئة التي أودت بحياة الكثير من سكانها[3]، إلى جانب تعرضها مابين (1802 – 1827م) إلى أعمال تخريب وتدمير بسبب الثورات

---

(1) ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص 250

(2) ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص 251.

(3) ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص 252

التي قادها شيوخ الطريقة الدرقاوية والتجانية. فقد تمكن ابن الشريف الدرقاوي من هزم الأتراك في معركة فرطاسة سنة 1805، وقتل عدد كبير منهم، وكان من جملتهم بعض علماء معسكر كأحمد بن الهطال التلمساني، أبو عبد الله محمد الغزلاوي كاتبا الباي[1] .

كما هاجم أحمد بن سالم التجيني معسكر سنة 1826، فحاصرها بجيش قوامه 600 مقاتل، بمعاضدة قبائل الحشم التي تحالفت معه، ودخل المدينة واستولى على ناحية بابا علي، ثم خرج منها والتقى بقوات الباي حسن بعواجة من أرض غريس، والتي انهزم فيها، وقضى الباي على أحمد التجيني وجميع أصحابه، وأعدم أحد عشر رجلاً من زعماء الحشم[2].

وفي 1830 وعلى عهد الاحتلال الفرنسي للجزائر لم تكن معسكر سوى مدينة تحتضن مجتمع فقير يتكون من المسلمين واليهود، ومنازله مترهلة في أغلبها، وقد اتخذها الأمير عبد القادر عاصمة له ومركزا لورشات الأسلحة بمختلف أنواعها وكان ذلك سنة 1832. لكنه خرج منها بعدما أغار عليها الجنرال كلوزيل عليها في 09 ديسمبر 1935 وحطم أسوارها وحصونها وخرب أحيائها وفتك بأهلها.

(1) الأغا بن عودة المزاري: المصدر السابق، ص 304
(2) مسلم بن عبد القادر الوهراني: المرجع السابق، ص 31.

المبحث الثاني: الواقع الاجتماعي والثقافي في عهد الأمير عبد القادر:

3. الوضع الاجتماعي:

إن دراسة الواقع الاجتماعي لمنطقة معسكر خلال هذه الفترة، يقتضي منا التطرق إلى العناصر الفاعلة في الحياة الاجتماعية ولا سيما الوضع الديمغرافي، والمستوى المعيشي، والأوضاع الصحية، بما في ذلك النسيج العمراني والعادات والتقاليد والآداب العامة التي تميزت بها المنطقة.

1-1 السكان:

رغم أنّ المدينة كانت عاصمة لدولة الأمير وأهم مركز في المقاطعة، إلاّ أنّ الحالة الاجتماعية لمعظم سكانها لم تكن في أفضل حال، وهو ما يظهر جليا في أحيائها التي كانت تحتضن مجتمعا فقيرا[1]، يقطن بيوتا متواضعة، بعضها مغطى بالشرفات وبعض الأخر بالقرميد، والكثير منها كان مبنيا بالطوب، كما انتشرت في ضواحيها عدة أكواخ حلت محل البيوت التي تعرضت للهدم[2]، فلم يكن فيها من العمران ما هو جدير بالذكر، سوى بعض المؤسسات الدينية والإدارية والعسكرية، كمساجدها المشهورة ذات الهندسة الرفيعة، والفندقان، وقصر الباي[3] الذي اتخذه الأمير مقرا لحكمه، وهو بدوره تعرض للهدم والتخريب بعد حملة كلوزيل عليها سنة 1835[4].

أما التركيبة السكانية لمواطنيها، فكانت تتشكل أساسا من الفئات التالية: الجزائريين والكراغلة والمورسكيين واليهود، إلا أنه من الصعب علينا إحصاء عددهم بشكل دقيق، باعتبار المنطقة كانت تحت نفوذ الأمير، وأنّ حكومته لم تهتم بهذا الجانب كثيراً، ولهذا

---

(1) أبو العيد دودو: الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص 152.
(2) Mercel Emerit : Op.cit. p90.
(3) Rozet et Carette : L'univers ou Histoire et Description de tous les peuples, de leurs religions, mœurs, coutumes, Editeurs Firmin Didot frères, Paris 1850 : p.63
(4) Adrien berbrugger : relation de l'expédition de Mascara, Paris 1856, p 79.

سنحاول الاعتماد على الإحصائيات التي قدمها بعض الرحالة الأوربيين الذين زاروا المدينة خلال هذه الفترة، وعلى بعض المصادر الفرنسية، لكن هذه الإحصائيات يجب أن نأخذها بتحفظ، لأنه ليس من سهل بالنسبة لهؤلاء الفرنسيين أو حتى الأوربيين معرفة عدد سكان منطقة لا تقع تحت دائرة نفوذهم، بحيث كان لا يسمح لهم بالتنقل الحر لإجراء عملية الإحصاء بسهولة[1].

وحسب طاطارو (Tatareau) فإن عدد سكان المدينة بلغ سنة 1835 حوالي 10000 نسمة[2]، من بينهم 450 يهودي، وبعض الكراغلة والمورسكيين، لكن عددهم تراجع كثير في نهاية تلك السنة، إما بسبب الأمراض والأوبئة التي أودت بحياة 1500 فرد منهم[3]، أو بسبب الهجرة، ففي شهر ديسمبر وعلى اثر الحملة الفرنسية عليها، هاجر منها حوالي 1000 نسمة، حيث انتقل معظمهم إلى تاقدامت المدينة الجديدة التي أنشأها الأمير عبد القادر في الجنوب الشرقي من معسكر[4].

وخلال سنة 1838 أصبح عدد سكان في حدود سبعة ألاف نسمة من بينهم خمسة ألاف حضري[5]. ليتراجع العدد أكثر سنة 1839، بحيث أصبح عددهم الإجمالي يقدر بـ: 3840 نسمة[6]، من بينهم 700 جاؤوها من القرى المجاورة، و1800 حضري، و100 مزابي، و240 يهودي[7]. وفي سنة 1841 وبعد إخضاعها نهائيا أصبح عددهم لا يزيد عن 2800 نسمة[8].

---

(1) حليمي عبد القادر: جغرافية الجزائر (طبيعية، بشرية، اقتصادية)، الطبعة الثانية، مطبعة الإنشاء دمشق (سوريا)، 1968، ص 132.

(2) والإحصائيات نفسها قدمها الضابط سان هيبوليت – Saint Hypolite-، الذي أقام بالمدينة سنة 1835 لمدة تزيد عن الشهر. ينظر: Mercel Emerit: Op.cit. p 94

(3) Mercel Emerit : Op.cit. p91.

(4) أبو العيد دودو: المرجع السابق، ص 152

(5) أبو العيد دودو: المرجع نفسه، ص ص 152، 153.

(6) أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي (1830 – 1954)، ج05، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي 1998، ص 103

(7) بن داهة عدة: معسكر عبر التاريخ، المرجع السابق، ص 27.

(8) عبد الحق شرف: العربي بن عبد القادر بن علي المشرفي جياته وآثاره، ط 1، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2012، ص 56.

جدول (01) عدد سكان مدينة معسكر ما بين 1830 – 1841.

السنوات	1830	1835	1838	1839	1841
عدد السكان (نسمة)	10000	7500	7000	3840	2800

وللتوضيح أكثر سنترجم هذه الأرقام إلى رسم بياني.

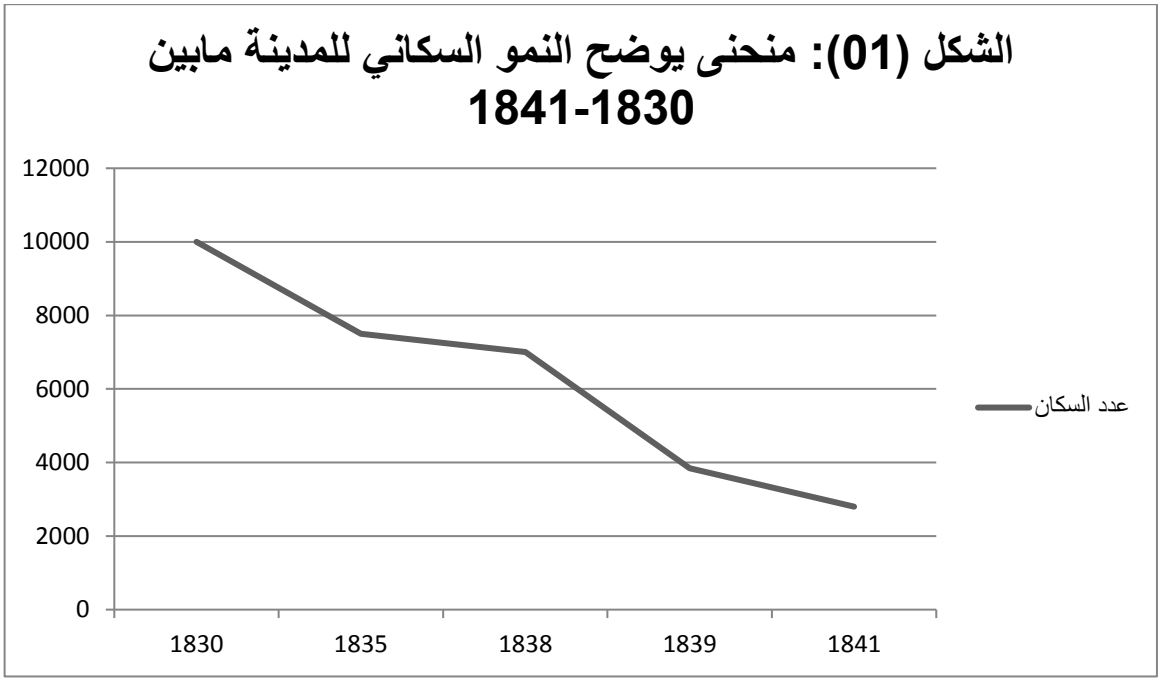

من خلال الإحصائيات والرسم البياني أعلاه، يظهر بوضوح أنّ المدينة فقدت توازها الديمغرافي، ودخلت مرحلة ركود وتقهقر سكاني، حيث فقدت في ظرف أربع سنوات أكثر من ثلثي سكانها، ولعل ذلك يعود إلى الأسباب التي ذكرناها أنفا منها الأمراض والأوبئة التي ما انفكت تضرب المنطقة من حين إلى أخر كمرض الكوليرا، وتدني الخدمات الصحية، لعدم وجود العناية اللازمة بالمرضى، مما أدى إلى ارتفاع نسبة الوفيات، بالإضافة إلى ظاهرة الهجرة خاصة بعد الحملة الفرنسية عليها سنة 1835.

1-2 الوضع الصحي:

عرفت المنطقة خلال هذه الفترة انتشار العديد من الأمراض والأوبئة، كالكوليرا[1] التي اجتاحت مدينة معسكر في الأيام الأولى من شهر أكتوبر 1834م، والتي أودت بحياة 1457 شخص من مجموع السكان المقدر عددهم بحوالي 10000 نسمة[2]، أي ما يعادل سُبع 1/7 سكانها، حيث اشتدت وطأتها مع منتصف الشهر إذ سُجل في الثامن عشر منه 162 حالة وفاة، وفي التاسع عشر 143 حالة وفاة، أما في العشرين منه 151 حالة وفاة، لينخفض عدد الوفيات بعد ذلك حيث تم تسجيل في 31 أكتوبر 07 حالات وفاة فقط[3].

وبشأن هذا الدّاء وآثاره الوخيمة كتب العربي المشرفي يقول:" وكنّا لا نعرف هذا الطعن – أي وباء الكوليرا– حتى حل بأم العساكر من أرض غريس واسطة المغرب الأقصى سنة تسع وأربعين ومائتين وألف[4] بعد أن بلغنا أنه كان في تلك السنة بإقليم الجزائر ووهران، وهما يومئذ دار كفر أعادهما الله دار إيمان، فكانت موته موت بغتة وفجأة، وكم من واحد مات فيه بالحيرة والدهشة، حيث يرى الإنسان أخاه ميتا، وقلَّ من جاوز به في تلك المدة أربعة وعشرين ساعة، وبنحو الخمسة وعشرين يوما مات به خلق كثير وجمٌّ غفير لا يحصي عدده إلا الملك القدير "[5].

وتؤكد التقارير الفرنسية أنّ هذا الوباء ظهر أول مرة بالجزائر في 26 سبتمبر 1934 بالمرسى الكبير، ويعود مصدره إلى سفينة قادمة من اسبانيا وعلى متنها 87 مصابا، وعقب

---

(1) الكوليرا: يتولد الداء من ضمة الكوليرا Vibrio choléra وهي جرثومة تغزو أمعاء المريض وتسبب الاسهال الشديد والقيء مما يؤدي إلى الجفاف وظهور الصدمة . والانسان هوا المستودع الطبيعي والوحيد لضمة الكوليرا ووضحيتها الوحيدة. وتخرج الجرثومة مع البراز والقيء، بينما ينتقل المرض عن طريق الأيدي، ولكن بشكل مباشر عن طريق المحيط الخارجي، ولا سيما المياه والفواكه والذباب. ينظر: مصطفى خياطي: الأوبئة والمجاعات في الجزائر، ترجمة حضرية يوسفي، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، ص 156.

(2) A. Vincent : Le choléra D'Après Les neuf épidémies qui ont régné A Alger depuis 1835 jusqu'en 1865, Paris , p 10.

(3) M. F. M. Audouard, Histoire du Choléra-Morbus, Imprimerie de Dezauche, Paris 1836, P 13.

(4) 1249 هـ الموافق ل 1834 م.

(5) حسن الفرقان: أدبيات الأوبئة في مغرب القرن التاسع عشر، نموذج أقوال المطاعين في الطعن والطواعين للعربي المشرفي ط 1، دار التوحيدي المغرب (2014)، ص 177.

توقف هذه السفينة بميناء المرسى الكبير انتشر الوباء بسرعة كبيرة داخل المدينة، فخرج الكثير من الناس منها، فانتشرت العدوى داخل البلاد، وبخاصة مدينة وهران ثم تلمسان، ثم مستغانم ومعسكر التي كانت الأكثر تضررا[1].

إن خطورة الوضع الصحي دفع بالأمير عبد القادر إلى الاهتمام بهذا الجانب اهتماما بالغا، فأنشأ لهذا الغرض البيمارستانات (المستشفيات) لمرضى جنوده في كل المقاطعات، وعيّن في كل مستشفى أربعة أطباء، يرجع أمرهم إلى طبيبه الخاص، وهو أبو عبد الله الزروالي، والذي كان متمكنا في علم الطب وشهد له أهل الخبرة بذلك[2].

وإلى جانب ذلك نصّب الأمير على كل مقاطعة طبيب خاص يُدفع له مرتب شهري ثابتا، إلا أنّ هؤلاء الأطباء كانوا حسبه لا يتمتعون بتعليم عالي، ولكنهم من ذوي الخبرة ولهم القدرة على العلاج، وخصوصا للأمراض الشائعة في الجزائر، كجبر العظام وتضميد الجراح[3].

كما استعان الأمير عبد القادر ببعض الأطباء الأجانب العسكريين منهم والمدنيين، لتفوقهم في هذا الميدان على العرب، فسمح لهم بحرية التنقل في المناطق الخاضعة لسلطته، وسمح للجزائريين بزيارتهم وتلقي العلاج عندهم[4]، وكانت معسكر محظوظة لوجود طبيب فرنسي بها، يسمى **فارني (Warnier)**، في الفترة مابين (1837-1838)، يقيم بالقنصلية الفرنسية التي كان يدير شؤونها السيد دوما (Daumas) في فترة الهدنة.

لم يدخر هذا الطبيب جهداً في معالجة المرضى من سكان المدينة، فكان يستقبل كل مساء عدد كبير منهم، يفحصهم ويوزع عليهم الأدوية مجانا، وكان بعض المرضى يأتون

---

(1) مصطفى خياطي: المرجع السابق، ص 156.

(2) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1830 – 1954)، ج 07، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت (لبنان) ص 238

(3) إسماعيل العربي: المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، الطبعة الثانية، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982، ص ص 228، 229.

(4) بن داهة عدة: المرجع السابق، ص 162.

إليه من مناطق أخرى بعيدة عن المدينة بعشرات الكيلومترات. ومن الأمراض التي كان يعالجها والتي كانت منتشرة بين السكان، مرض الجذام، ومرض الزهري، والجرب، والطفح، والأورام الكبيرة، وأمرض العيون[1].

ويقول موريس فاغنر[2] عن الجهود التي كان يبذلها، والخدمات التي كان يقدمها هذا الطبيب مايلي:" ... ومع تقديري للدكتور فارني وإعجابي بما يبذله من تضحيات وتفاني في خدمة مرضاه، فيذهب من هذا المريض إلى ذاك، ويسأله بمساعدة الترجمان عن جميع الظواهر المرضية كما يفعل طبيب المستشفى في أوربا، ويعتني به ويصف له طريقة العلاج ويقدم له إرشاداته ونصائحه"[3].

ويجدر بنا القول في هذا الصدد، أنّ الطبيب الفرنسي لم يكن عمله هذا عملا تطوعيا أو مجانيا كما كان يعتقد سكان المدينة، وإنما كان هدفه كسب عاطفة المرضى لصالح الفرنسيين[4]، بالتقرب منهم وتقصي أخبارهم المتنوعة، ومعرفة أسرارهم وعاداتهم، وتقديمها للقنصل الفرنسي، وهو ما يكشفه فاغنر بقوله:" ومن المؤكد أن السيد فارني كان يعترف مع نفسه بأن مجالات ممارساته الطبية لا تفيد الأهالي فائدة كبيرة، وإنما تفيد القنصل، وتقدم تبعا لذلك خدمة كبيرة للمسألة الفرنسية، وتقوي مركزها ... فقد كان أولئك الذين شفوا من أمراضهم، أو خفت عنهم الآلام ... يكافئون الدكتور على معالجته إياهم بأخبار متنوعة عن داخل البلاد، فكان أفضل عيون القنصل من بين مرضى الدكتور فارني"[5].

وفي الحقيقة الأمر أنّ الإدارة الاستعمارية في الجزائر لم يكن هدفها من الاستعانة بالأطباء العسكريين والمدنيين إلاّ لإخضاع المجتمع الجزائري وفرض هيمنتها عليه، معتمدة

---

(1) أبو العيد دودو: المرجع السابق، ص 145.

(2) مورتيس فاغنر (1813 – 1887) عالم طبيعي ورحالة ألماني زار الجزائر عدة كان أهمها سنة 1838، وهي السنة التي زار فيها مدينة معسكر، وضع كتاب عن الجزائر بعنوان :" رحلات في ولاية الجزائر في سنوات 1836، 1837، 1839" صدر في مدينة لايبتسيغ الألمانية سنة 1841. ينظر: أبو العيد دودو: المرجع السابق، ص ص 77،78.

(3) أبو العيد دودو: المرجع نفسه، ص 146.

(4) يوسف مناصرية : مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب 1832– 1847، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص 24.

(5) أبو العيد دودو: المرجع السابق، ص 146.

في ذلك على مبدأ **العلاج من أجل الاحتلال (Guérir pour conquérir)**، وهو ما تؤكده تصريحات العديد من رجال السياسة والطب، كالتصريح الذي جاء به المترجم الفرنسي توستان دي مانوار (Toustain Du Manoir) سنة 1841، حين قال:" أن لقب الطبيب مفتاح عمومي مؤكد للتوغل وسط الجزائريين"[1].

1-3 الأخلاق والآداب العامة:

تعد الأخلاق والآداب العامة من المواضيع الهامة والجديرة بالدراسة للباحث، حين يتطرق لأي مجال من المجالات سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية لأن الجانب الأخلاقي مرتبط بهم جميعا.

ويمكن القول أن الأمير عبد القادر أدرك أن الدولة لا يكمن أن تكون قوية إلاّ بتقويم السلوك الاجتماعي، وعلى هذا الأساس قام منذ البداية بإصلاح أحوال المجتمع وتطهيره من الآفات الاجتماعية التي انتشرت فيه بشكل مذهل، كالتدخين والخمر، والدعارة، ولعب الأوراق، والبغاء وغيرها...

والحقيقة أن نظرة الأمير في ذلك كانت عميقة، لأن تهذيب الأخلاق، وإصلاح الآداب العامة، من الشروط الأساسية لبناء مجتمع متماسك، تكون له القدرة على المقاومة، والوقوف في وجه الاستعمار. فمنع بشدة وصرامة شرب الخمر ولعب القمار، والتدخين... في جميع المقاطعات ولا سيما مقاطعة معسكر باعتبارها العاصمة الأولى لدولته، ومقرا لحكمه، لأنه كان يرى إلى جانب تحريمهم شرعا أنّ فيهم إسرافا وتبذيرا للأموال، وسبب رئيسي في شيوع ظاهرة الفقر لهؤلاء المدمنين وفقر عائلاتهم[2]. كما منع الرجال من استعمال الذهب والفضة إلاّ في الأسلحة وعلى الخيول، وأمرهم بأداء الصلوات الخمس في المساجد، ومن لم يلتزم

---

(1) صليحة علامة: الأحوال الصحية بالجزائر خلال الاحتلال الفرنسي من 1830 إلى 1962 – عمالة الجزائر نموذجا- أطروحة دكتوراه، جامعة أبو بكر بالقايد (تلمسان) 2016-2017، ص 312.

(2) Charles Henry Churchill : la Vie D'Abd-el- Kader, 2 Edition, S.N.E.D, Alger 1974. P 169.

بذلك يعاقب[1]، وفي ذلك يقول:" حرمت عليهم كليّاً استخدام الذهب أو الفضة في تزيين ثيابهم، إذ أنني لا أريد رؤية ترف يغيظني ... وحرمت الخمر والميسر كليّاً وكذلك التبغ، دون وجود نص يحرم التبغ في ديننا"[2].

تعهّد الأمير عبد القادر تطبيق ذلك بحزم وشدّة على رعيته والأقربين منه على السواء، وهو الذي قال لأبيه بعد أن طلب العفو الصّفح منه أنّ الأوامر والأحكام تطبّق عليك أيضا، وعلى نسائك، وإخوتي وأعمامي وأخوالي، وقطع بحركة غاضبة الشّرابات الذهبية التي تزيّن ثوب أخيه مصطفى ورماها أرضا دون أن يتفوه بكلمة[3].

ورغم الوقت القصير الذي تمّت فيه هذه الإصلاحات إلاّ أن الأمير تمكّن من تحسين أنماط السلوك، فتم القضاء على الكثير من العادات السيّئة والأفعال المشينة كالبغاء، والتدخين ... واستطاع العودة بالأمة إلى طريق القرآن الذي ابتعدت عنه[4].

1-4 الأسواق:

إن دراستنا للواقع الاجتماعي بالمنطقة، تقتضي منا ضرورة التطرق إلى أهم الأسواق التي كانت تقام بالمدينة، ليس على أساس أنها فضاء تجاري قائم على البيع والشراء لمختلف السلع والبضائع فقط، وإنما على أساس أنها مجال من المجالات الهامة التي تظهر مدى التفاعل الاجتماعي بين مختلف عناصر المجتمع، حيث كان يرتادها العامة والخاصة من الناس، الكبار والصغار، النساء والرجال، وبذلك كانت هذه الأسواق مرآة للحياة الاجتماعية.

وكانت معسكر من المدن التي شهدت حركة تجارية كبيرة خلال عهد الأمير، حيث كان يقام فيها سوق كل ثلاثة أيام في الأسبوع – الجمعة والسبت والأحد– بمكان فسيح في ضاحيتها المعروفة باسم باب علي، يشغل مساحة كبيرة تكاد تبلغ نصف مساحة معسكر

---

(1) محمد بن عبد القادر الجزائري: المرجع السابق ص 363.
(2) برنو إتيين: عبد القادر الجزائري، ترجمة ميشيل خوري، الطبعة الأولى، دار عطية للنشر، لبنان، ص 170.
(3) المرجع نفسه، ص 152.
(4) المرجع نفسه، ص 170.

تقريبا، يباع فيه مختلف السلع كالبارود، والتوابل، وقشور الرمان التي كانت تستخدم في الصباغة، الخيول، والبقول، والخضر والفواكه[1]، ريش النعام، التمور، جلود الحيوانات الجميلة مثل الأسود والفهود، العسل، والشمع، وغيرها[2].

كما يوجد بالمدينة أسوق أخرى، كسوق اللحوم المحاذي للوادي، وسوق الحبوب الموجود قبالة البرج بساحة المدينة وهو مغطى، وبجانبه سوق أخر تباع فيه الأصواف. أما الزرابي والبرانس فكان يروج لها في الطرقات، وهناك فندق الغرب المخصص للتجار المغاربة والتلمسانيين، وأخر تودع فيه بعض السلع[3].

إلى جانب هذه الأسواق فإنه يوجد في الطريق الرابط بين وسط المدينة والباب المؤدي إلى حي باب علي دكاكين متنوعة تابعة للتجار اليهود والحضر، تستمر حتى خارج هذا الباب، أما الطريق بين معسكر وتلمسان، فهو الأكثر حيوية، حيث يشغله تجار الأنسجة القطنية والقماش والزرابي، إضافة إلى الأغطية، والأواني النحاسية، وهو الطريق الذي يتردد عليه الريفيون بكثرة وذلك لتوفر ما يبحثون عليه[4].

وتذكر بعض المصادر أنّ سوق معسكر كان من الأسواق الكبرى التي ذاع صيتها آنذاك، لدرجة أنّ الرحالة الألماني فاغنر اعتبره أكثر الأسواق حركة ونشاطا في الجزائر، وأفضل من أسواق العاصمة ومتيجة، حيث يقول:" وهو أكثر الأسواق التي رأيتها في الجزائر كلها حركة ونشاطا، وكان عدد البدو المتجمعين به يزيد بعشرة أضعاف على الأقل عن الباعة الذين يترددون يوميا على سوق باب عزون في مدينة الجزائر، وبثلاثة أضعاف عن

(1) Mercel Emerit : Op.cit. p91.

(2) أبو العيد دودو: المرجع السابق، ص 154

(3) Mercel Emerit : Op.cit. p91

(4) الواليش فتيحة: الحياة الحضارية في بايلك الغرب الجزائري في القرن الثامن عشر، رسالة ماجيستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر (1993 – 1994)، ص 75.

عدد رواد أسواق متيجة المهمة، وكانت كمية البضائع الواردة من داخل البلاد فيه أوفر من كميات البضائع التي رأيتها في الأسواق الأخرى..."[1].

وما يؤكد هذا القول التقرير الذي بعث به الباي إبراهيم– باي مستغانم– إلى الحاكم العام الفرنسي بتاريخ 19 نوفمبر 1835 ، بأن سوق معسكر من الأسواق الهامة جعل المدينة تربط من خلاله علاقات تجارية تمتد حتى داخل إفريقيا[2].

إنّ حيوية هذه الأسواق وازدهارها، إنما تعود إلى الاستقرار واستتباب الأمن في معظم المقاطعات الواقعة تحت سلطة الأمير، وإلى الإجراءات الصارمة والعقوبات القاسية التي اتخذها ضدّ اللصوص وقطاع الطرق الذين يعترضون للقوافل المحملة بالبضائع[3].

وبالإضافة إلى ذلك فقد كان سوق معسكر مسرحا يستقطب مختلف شرائح المجتمع، فكان يقصده إلى جانب التجار، شخصيات عربية أخرى، تجمع بين المشّعوذين، والقصّاصين، المغنّيين، الراقصّين والموسيقيّين، وكلهم يؤدّون أدوارهم في جوٍ من المرح[4]. كما كان فضاءاً رحبا تناقش فية الأحداث السياسية والتطورات العسكرية، التي كانت تمر بها البلاد آنذاك.

وفي الأخير وعلى ضوء ما عرضناه يمكن القول أن الوضع الاجتماعي بالمنطقة في عهد الأمير تأثّر بالظروف العامة التي كانت سائدة، سواء خلال الفترة الأخيرة من العهد العثماني، التي عرفت الكثير من الأحداث الاضطرابات بها، أو فترة الاحتلال، خاصة وأن المدينة تعرضت إلى حملة عسكرية سنة 1835 أدت إلى تخريبها ونهبها، وأجبرت الأمير على التخلي عنها مع عدد كبير من سكانها. كما عرفت تلك السنة انتشار رهيب لداء الكوليرا الذي تسبب في تدهور الوضع الصحي والمعيشي وأودى بحياة الكثير من منهم.

---

(1) أبو العيد دودو: المرجع السابق، ص 154.

(2) Mercel Emerit : Op.cit. p91.

(3) Abdellatif Benachenhou : L'état Algérien en 1830, Ses institutions sous l'Emir Abdelkader, E.N.A.G, Alger, 2009, p 99.

(4) أبو العيد دودو: المرجع السابق، ص 154.

كما يمكننا القول أنّ الظروف الصعبة والقاسية لم تثن من عزيمة السكان في التصدي للاحتلال خاصة قبائل المنطقة، وعلى رأسهم قبيلتي الحشم وبني شقران، فقد شكّلوا نواة صلبة لمقاومة الأمير ووقفوا قرابة العقد من الزمن في وجه الاستعمار، دفاعا عن البلاد، وعن مدينتهم، التي لم يستطع إخضاعها حتى سنة 1841م.

4. الواقع الثقافي:

2-1 واقع الحياة العلمية والثقافية:

عرفت الحياة العلمية والثقافية في عهد الأمير عبد القادر اضطرابا كبيرا وتراجعا مقارنة بما كانت عليه في الفترة العثمانية، بفعل ظروف الحرب والمقاومة، والدمار الذي تعرضت له المدينة من طرف الجنرال كلوزيل (Clauzel) عام 1835، والجنرال بيجو (Bugeaud) عام 1841، والذي طال العديد من مؤسساتها العلمية والدينية، مما دفع بعض سكانها إلى الهجرة وبالخصوص العلماء والمعلمون والتلاميذ[1].

لكن هذه الأحداث المتتالية التي عرفتها المنطقة لم تثن من عزيمة الأمير عبد القادر قَطُّ في النهوض بهذا الجانب – التعليمي والثقافي – بعاصمته الأولى معسكر وباقي المقاطعات الأخرى، لأنه يعلم جيدا بأنّ الدولة لا يمكن أن تقوم لها قائمة ودعائم التعليم فيها منهارة ومنتكسة[2]، كما كان يدرك أيضا أهمية الثقافة في بناء الإنسان، وتخليصه من قيود الاستعمار[3]، وأنّ نجاحه العسكري لن يتحقق إلاّ بانتشار الوعي القومي في مختلف طبقات المجتمع[4]، لذا أولى عناية كبيرة بالتعليم، فشجع المشايخ والعلماء القائمين على المساجد والزوايا على تحفيظ القرآن وتدريس اللغة والعلوم الدينية، وأنشأ في المدن والأرياف المدارس، وجعل التعليم فيها مجاني، ووضع لها برامج ومواقيت، وخصص رواتب للمعلمين، منحا

---

(1) جاكر لحسن: نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مدينة معسكر 1931 – 1956، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 55.

(2) بن داهة عدة: رحلة في رحاب دولة الأمير، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر 1435هـ/ 2014م، ص 125.

(3) فغرور دحو وأخرون: فلسفة المقاومة، دار الخلدونية، الجزائر، 1438هـ/2017م، ص 242.

(4) يحي بوعزيز: الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري سيرته الذاتية وجهاده، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2009، ص 123.

للطلبة[1]. وقد عبّر الأمير عن هذا بقوله:" من واجبي كقائد مسلم نشر العلوم والدين، لذلك فتحت المدارس في المدن وفي بعض القبائل، فكانت هذه المدارس تقوم بتعليم الأطفال الصّلاة وتعاليم القرآن، والقراءة والكتابة والحساب... ليتوجّه بعدها الذين يرغبون مواصلة تعليمهم إلى الزوايا والمساجد، وهناك يتعلمون التاريخ وعلوم الدين. كما خصصت للطلبة رواتب حسب معارفهم ودرجاتهم"[2].

ولنجاح مشروعه التعليمي التربوي وتحقيق أهدافه المرجوة، حرص الأمير أشد الحرص على العناية بالكِتَاب الذي يعد الوسيلة الضرورية للتعليم، فأصدر أوامر في ذلك تقضي بـ:

- جمع الكتب والمخطوطات ووضعها في الزوايا والمساجد.
- نسخ الكتب والمخطوطات ذات القيمة العلمية وتوزيعها.
- معاقبة كل من يتلف الكتب والمخطوطات أو يتسبب في ضياعها[3].

ومما لا شك، أنّ هذه الإجراءات كان لها الأثر الحسن على الحركة العلمية والثقافية في دولته، ففي معسكر مثلا وقبل الحملة الفرنسية عليها، أعاد الأمير نشاط العديد من المدارس والمعاهد، وحثّ علماء المنطقة على التدريس فيها كمعهد وادي الطاغية، ومسجد أولاد العربي، كما أنشأ هيئة علمية تتولى مراقبة المدرسين بالمساجد والزوايا ومراجعة البرامج الدراسية وطرق التدريس، أشرف عليها الشيخ مصطفى بن التهامي[4].

2-2 المؤسسات والمعاهد العلمية والثقافية:

عُرفت المنطقة خلال هذه الفترة بتنوع مؤسساتها التربوية، فاشتهرت بمعاهدها وزواياها ومدارسها وكتاتيبها ومكتباتها، والتي كان لكل واحدة منها دور تعليمي وثقافي نذكر منها:

---

(1) بن داهة عدة: المرجع السابق، ص 125.

(2) Charles Henry Churchill : la Vie D'Abd-el- Kader, Op.cit. p 167.

(3) صبحي حسان: العقيدة التربوية الاستعمارية الفرنسية في الجزائر 1830-1962، منشورات أنوار المعرفة، الجزائر، ص ص 151،152.

(4) بن داهة عدة: المرجع السابق، ص141.

- معهد اللوزات:

أحد أهم المعاهد العلمية البارزة منذ العهد العثماني، كان له عدة فروع بالمنطقة، أهمها الفرع المتواجد بواد الحمام[1]، والذي كان يدرس فيه الفقه والتفسير، والحديث والنحو، من طرف علماء أسرة شايب الذراع[2]، وعلى رأسهم السيد محمد بن عبد القادر شايب الذراع الذي عاصر الأمير عبد القادر وتولى إلى جانب التدريس بالمعهد القضاء في دولته، ونظرا لتعدد مهامه وصعوبة التوفيق بينها (القضاء، وإدارة شؤون المعهد، والتدريس)، عين أحمد بن التهامي مكانه الصحراوي محمد بن عبد القادر، وكلفه بتدريس التفسير والحديث لكافة الفئات الاجتماعية، كما قام السيد علي بوطالب بتقديم دوروس في علم الميزان لطلبة هذا المعهد[3].

- **معهد القيطنة:** يعد من أهم المعاهد الدينية والعلمية والتربوية بالمنطقة، جمع كل مراحل التعليم من أدنى مرحلة إلى أعلاها[4]، أشرف على إدارته خلال عهد الأمير أخوه الأكبر الشيخ محمد السعيد[5].

كان يُعقد به عدة حلقات للعلم والتدريس، يُشرف عليها كبار علماء المنطقة آنذاك، وهم السيد المرتضى، محمد السعيد، عبد القادر بن محي الدين (في علم الكلام)، ومحمد بن عبد الله الخالدي في الفقه، ومصطفى بن التهامي، والطيب بن المختار في علم الميزان[6]، ازدانت مجالسهم العلمية بوفود من الطلبة توافدت عليهم من داخل البلاد وخارجها[7].

([1]) نفسه، ص 138.
[2] جلول جيلالي: معسكر رجال تاريخ، منشورات دار الأديب، ص ص 125،126.
[3] بن داهة عدة: المرجع السابق، ص 138.
[4] رقاد سعدية: المؤسسات العلمية في بايلك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني (1700-1830م)، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، السنة الجامعية (2018-2019م)، ص 137.
[5] عبد المنعم القاسمي الحسني: أعلام التصوف في الجزائر من البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى، دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع،المسيلة 2005، ص160.
[6] بن داهة عدة: المرجع السابق، ص 139.
[7] رقاد سعدية: المرجع السابق، ص 138.

استمر المعهد في نشاطه إلى غاية سنة 1841م، وهي السنة التي أباح فيها الجنرال بيجو لقواته تخريب الزاوية وإضرام النار فيها[1].

- زاوية الزلامطة:

تعد من أهم الزوايا بالمنطقة الغربية، أسسها الشيخ الحاج محمد عزايز[2]، احتوت على مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم، ومدرسة لتدريس الفقه والنحو، وعددا من المدرّسين[3]، وكان إقبال الطلبة عليها كبيرا[4]. ومن بين العلماء الذين أشرفوا عليها العلامة الشيخ محمد بن عوالي بن الثعالبي الزلماطي، وهو الذي حضر مبايعة الأمير عبد القادر، ووقّع على نص البيعة[5]، رفقة مشايخ كبار أمثال مصطفى بن التهامي، محمد المداني، مصطفى ولد الشيخ عبد القادر الفرحاوي، وحشد غفير من سكان الزلامطة[6].

- معهد واد تاغية:

أسسه الشيخ سيدي عيسى (الملقب بلغاي الطيور)، وفي عهد الأمير عبد القادر الذي زار المنطقة، وجمع حوله مشايخها وعلمائها طلب منهم إحياء المعهد، ونشر العلم والمعرفة وسط السكان، فتم بعث نشاطه من جديد، وتولى التدريس به نخبة من العلماء مكونة من السادة: دحّو ولد موذن، عيسى بن حواء، المولود بن عيسى، عبد الله الكرابشي[7].

إلى جانب هذه المعاهد انتشرت بالمنطقة زوايا ومساجد أخرى لا تقل أهمية عن سابقاتها، نذكر منها:

- **زاوية الشيخ بن حواء،** التي زارها الأمير عدة مرات، وأوصى صاحبها الشيخ محمد بن حواء بن يخلف بتدريس مادة تاريخ الفكر الإسلامي ضمن المقرر الدراسي لطلبتها.

---

(1) بن داهة عدة: المرجع السابق، ص 139.
(2) جلول جلالي: العقد النفيس في ذكر أعلام غريس، منشورات دار الأديب، ص 75.
(3) عتبة بن عتبة الجيلاني بن عبد الحكم العطافي: المرآة الجلية في ضبط ما تفرق من أولاد سيدي يحي بن صفية وفي التعريف بمشاهير العلماء ورجال المعاهد الصوفية، تحقيق حسين جيلالي بن فرج، دار النعمان للطباعة والنشر، الجزائر 2018، ص305.
(4) جلول جيلالي: المرجع السابق، ص 76.
(5) جلول جيلالي: المرجع نفسه، ص 81.
(6) بن داهة عدة: رحلة في رحاب دولة الأمير، المرجع السابق، ص 139.
(7) المرجع نفسه، ص141.

- **زاوية أولاد عوف** التي أشرف عليها الشيخ المسمى ولد الشيخ السعيد، وهو صاحب علم غزير، وتصدى فيها لتدريس القرآن الكريم والعلوم الشرعية[1].
- **مسجد سيدي حسن** أو المبايعة بمدينة معسكر الذي استمر في وظيفته إلى غاية غلقه من طرف إدارة الاستعمار بعد احتلال المدينة سنة 1841[2]، وتحويله فيما بعد إلى مخزن للحبوب[3].
- **الجامع الكبير:** يدعى حاليا بمسجد مصطفى بن التهامي، يقع وسط مدينة معسكر[4]، ساهم مساهمة فعالة في نشر الفكر الديني وتعميق التربية الروحية قبل الغزو الفرنسي[5].
- **مسجد أولاد العربي:** الذي افتتاحه الأمير عبد القادر شخصيا، ونصب على رأسه الشيخ بن عودة من أولاد التراري لتولي شؤونه والتدريس به،
- **مسجد أولاد بن روكش** :الذي أسسه الحاج عبد القادر بن روكش.
- **مسجد المحاميد:** الذي تولى التدريس فيه كل من الشيخ السنوسي بن عطية والشيخ المزاري[6]،

2-3 العلماء المشايخ الذين عاصروا الأمير:

عاصر الأمير عبد القادر نخبة من العلماء ينتمي معظمهم إلى أسر علمية عريقة كأسرة المشارف، وأسرة عبد القادر بلمختار، وأسرة سيدي بوجلال، وأسرة وأولاد سيد اعمر بن دوبة، وغيرهم، قاموا بأدوار هامة في النهضة الفكرية والثقافية، التي دعا إليها الأمير عبد القادر، حيث تصدى العديد منهم للتدريس، وتلقين الطلبة مختلف العلوم، كما اهتموا بالتأليف

(1) المرجع نفسه، ص 140، 141
(2) يحي بوعزيز: المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2009، ص 210.
(3) جاكر لحسن: الحركة الوطنية في معسكر 1930-1954، المرجع السابق، ص 73.
(4) جاكر لحسن: المرجع السابق: ص 75.
(5) يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص ص 208،209.
(6) بن داهة عدة: المرجع السابق، ص 137.

الوعظ والإرشاد الديني والثقافي والاجتماعي، وشاركوا إلى جانب الأمير في حركة الجهاد ضد الفرنسيين، ومن ضمن هذه الشخصيات نذكر:

- الشيخ محمد بن عبد الله المشرفي:

هو عبد القادر بن عبد الله زين العابدين[1]، ابن مصطفى، حفيد الشيخ عبد القادر المشرفي[2]، لقب بابن عبد الله السقّاط[3]، ولد بغريس وتتلمذ على يد كبار علمائها، وفي مقدمتهم العلامة الشيخ أبو رأس الناصري، وعمه الشيخ محمد الطاهر المشرفي[4]، برع في علوم عديدة كالحديث والتاريخ والفقه واللغة[5]، كما كان شاعرا يحفظ للسيرة النبوية وصحيح مسلم وصحيح البخاري متنا وإسنادا[6]، ومما يدل على غزارة علمه إجازات علماء عصره له[7]، وصفه صاحب الياقوتة بقوله:" كان عالما مشاركا في جميع الفنون، درس ومارس كأنه أسد بن الفرات، في علم الفروع أو سبويه في النحويات، أو سعد الدين التفتزاني في العلميات البيانية والأصولية، درس في التلخيص وجمع الجوامع والسبك لابن السبكي المعاني التي صاغها، وانفرد في وقته بعلم المعاني والبيان وعلم المنطق والميزان... "[8]

لقب السقّاط بشيخ الجماعة في مدينتي معسكر ووهران[9]، وزاول مهنتي التدريس والقضاء بهما لمدة طويلة على عهد العثمانيين[10]، وكان مجلسه للتدريس مزدحما بالطلبة خصوصا في دروس الفقه والنحو والتفسير[1].

---

(1) عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر، الطبعة الثانية، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، 1980/1400م، ص 303.

(2) بودربالة نور الدين: العائلات النافذة في بايلك الغرب 1792 – 1830 م مقاربة اجتماعية سياسية، أطروحة دكتوراه، جامعة معسكر، 2019/2018م، ص125.

(3) سمي بالسقاط أو السقط، أو ساقاط لسقوطه من أعلى فرسه وجرحه من إحدى رجليه. ينظر بودربالة نور الدين: المرجع نفسه.

(4) بلبراوات بن عتو: إسهام العائلة المشرفية في الكتابة التاريخية، مجلة عصور الجديدة، العدد 3-4، عدد خاص 1432-1433/2011-1012م، ص 161.

(5) الطيب بن مختار الغريسي: القول الأعم في بيان قبائل نسب الحشم،المرجع السابق، ص 334.

(6) بلبراوات بن عتو: المرجع السابق، ص 161.

(7) بودربالة نور الدين: المرجع السابق، ص 125.

(8) حمدادو بن عمر، بوعمامة العربي: ياقوتة النسب الوهاجة في ضمنها التعريف بسيدي محمد بن علي مولى مجاجة، للعربي المشرفي، الطبعة الأولى 1432هـ - 2011م، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 294،293.

(9) حمدادو بن عمر، بوعمامة العربي: المرجع نفسه، ص 293.

(10) حمدادو بن عمر، بوعمامة العربي: المرجع نفسه، ص 294.

وبعد احتلال الجزائر والاستلاء على وهران وقّع الشيخ بن عبد الله المشرفي على وثيقة مبايعة الأمير عبد القادر على الجهاد سنة 1832م[2]، فولاّه القضاء، وعينه عضوا في مجلس الشورى، كما بعثه في مهمة دبلوماسية وشرعية[3] إلى سلطان المغرب عبد الرحمن بن هشام سنة 1252هـ/1837م[4]، كما هاجر مرة أخرى رفقة عائلته إلى المغرب مصحوبا بمكتبة تحتوي على 1600 مجلد بتاريخ 1262 هـ/ 1845–1846م، والتي توفي بها سنة 1270هـ/ 1853–1854م[5].

– أبو حامد العربي بن علي المشرفي:

هو العربي بن عبد القادر بن علي المشرفي[6]، ولد في بداية القرن التاسع عشر بقرية الكرط[7]، توجّه إلى معسكر ودرس على يد ثلة من علمائها ومنهم محمد بن عبد الله المشرفي (السقاط)، الشيخ الطيب بن عبد الرحمن، والشيخ أحمد بن التهامي، وابنه مصطفى بن أحمد التهامي، والسيد بن عب بن المصطفى وغيرهم...[8]، ثم انتقل إلى مستغانم ليتتلمذ على يد مشايخها وعلمائها، ثم إلى تلمسان ووهران، امتاز بغزارة علمه وكثرة تأليفه[9]، إذ نجد له ما يقرب من الثلاثين مؤلفا ذكرها في كتابه ذخيرة الأوائل والأول[10].

---

(1) مصدق سمية: أشراف غريس من خلال مصادر النسب مابين القرنيين السابع عشر والتاسع عشر للميلاد(17-19م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة معسكر 2015-2016، ص 105.

(2) بلبراوات بن عتو: المرجع السابق، ص 161.

(3) كلفه الأمير خلالها بحمل رسالة إلى علماء فاس يستفتيهم فيها حول موقف الشرع الإسلامي من المسلمين المتعاونين مع الكفار الأعداء. أنظر نص الرسالة كاملة والفتوة التي أصدرها مفتي مدينة فاس الشيخ التسولي في تحفة الزائر الجزء الأول، لمحمد بن عبد القادر الجزائري، المرجع السابق، من الصفحة 369 إلى الصفحة 387.

(4) بوهليلة ادريس: مقدمة الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية، لمحمد بن محمد بن مصطفى المشرفي، الجزء الأول، دار أبي الرقراق للطباعة والنشر الرباط 2005، ص 57.

(5) بلبراوات بن عتو: المرجع السابق، ص 161.

(6) عبد الحق شرف: الحسام المشرفي لقطع لسان الساب الجعرفي الناطق بخرفات الجعسوس سيء الظن الكنسوس، أطروحة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران 2010-2011، ص 03

(7) بلبراوات بن عتو: المرجع السابق، ص 162.

(8) عبد الحق شرف: العربي بن عبد القادر بن علي المشرفي حياته وأثاره، المرجع السابق، ص 72، 73.

(9) بودربالة نور الدين: المرجع السابق، ص 128.

(10) بلبراوات بن عتو: المرجع السابق، ص 162.

شارك إلى جانب الأمير عبد القادر في مقاومته للاحتلال الفرنسي لمدة تزيد عن العقد من الزمن، وقد ذكر ذلك في الذخيرة إذ يقول:" وكنا نحضر معه في الجهاد..."[1]. وفي سنة 1844 هاجر إلى المغرب، وجلس بفاس يعلم الصبيان القرآن الكريم إلى غاية وفاته سنة 1313هـ/ 1895م[2].

- الشيخ الطيب بن المختار الغريسي:

هو الطيب بن مختار ابن الطاهر ابن البشير ابن محمد ابن عبد القادر بن مختار[3]، ابن عم الأمير، صاحب "كتاب القول الأعم في بيان قبائل الحشم"[4]، ولد بسيدي قادة سنة 1212هـ، تلقى تعليمه في زاوية جده "سيدي الطاهر بن البشير"، ثم في معهد اللوزات بواد الحمام، كما درس بزاوية القيطنة، وانتقل إلى تلمسان لتلقي المزيد من العلوم والمعارف فالتقى بالشيخ عبد القادر شايب الذراع، وأخذ عنه الورد القادري، ونال الإجازة منه، ثم نزل بفاس سنة 1234 هـ طلبا للعلم[5]. شارك في المقاومة إلى جانب الأمير عبد القادر، ونفي معه إلى الشام، عاد إلى معسكر، وتولى القضاء بها بين سنتي 1274-1281هـ، جاد في علوم الدين والأدب، له ديوان شعري ومجموعة من القصائد[6].توفي حوالي عام 1320هـ[7].

- السيد محمد السعيد بن محي الدين:

هو محمد السعيد بن محي الدين بن مصطفى الحسيني، الأخ الأكبر للأمير عبد القادر[8]، كان فقيها ومتصوفا، تولى الإشراف على زاوية القيطنة بعد وفاة والده محي الدين[9]، كما

---

(1) عبد الحق شرف: المرجع السابق، ص 78.
(2) عبد المنعم القاسمي الحسني: أعلام التصوف في الجزائر من البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى، المرجع السابق، ص 228.
(3) الطيب بن مختار الغريسي: المصدر السابق، ص 329.
(4) يحي بو غزيز: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروية، الجزء الثاني، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2009، ص 249.
(5) بودربالة نور الدين: المرجع السابق، ص ص 142،141.
(6) لزغم فوزية: البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي (925هـ-1246م/ 1520-1830م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران 2013-2014م، ص ص 270،269.
(7) الطيب بن مختار الغريسي: المصدر السابق، ص327.
(8) عبد المنعم القاسمي الحسني: المرجع السابق، ص 160.
(9) بودربالة نور الدين: المرجع السابق، ص 144.

شارك إلى جانب أخيه الأمير عبد القادر في جهاد الفرنسيين، وبعد نفيه هاجر معه إلى دمشق، وتولى التدريس بها[1].

من أثاره:" إتقان الصنع في شرح رسالة الوضع"[2] ومخطوط أخر معنون ب: "سيرة محي الدين"، توفي بدمشق سنة 1278هـ/1861م.[3].

- أحمد بن التهامي:

يعود نسبه إلى عائلة أولاد سيدي أحمد بن علي[4]، وهو أحد كبار العلماء والفقهاء[5]، لقب بشيخ الجماعة في عصره[6] نظرا لسعة ثقافته ورفعة مكانته العلمية والسياسية[7]، تولى الإفتاء والقضاء، خلال العهد العثماني[8]، وتصدى للتدريس في الجامع الأعظم بوهران، فكان يتردد على مجلسه المئات من طلبة العلم، وكان من تلاميذته أبو حامد المشرفي، الذي يقول في ذلك:" وترددنا لمجلسه الشريف بجامع وهران الأعظم ومجلسه غاص بأهل العلم ربما يزيد بعض الأوقات على الخمسمائة طالب، ويقرب من الألف..."[9].

صهر الأمير عبد القادر فهو متزوج من عمتة، بايع الأمير على الجهاد وحمل لواء المقاومة معه، عينة الأخير على رأس المجلس الشوري الأميري الذي تشكل من أحدى عشر عضوا من كبار العلماء[10]، وافته المنية بمصر أثناء ذهابه إلى الحج[11].

- مصطفى بن أحمد بن التهامي:

(1) لزغم فوزية: المرجع السابق، ص 266.
(2) عادل نوهض: المرجع السابق، ص 109
(3) عبد المنعم القاسمي الحسني: المرجع السابق، ص 161.
(4) بودربالة نور الدين: المرجع السابق، ص 151.
(5) يحي بو عزيز، المرجع السابق، ص 247.
(6) الطيب بن مختار الغريسي: المصدر السابق، ص 333
(7) المزاري بن عودة: طلوع سعد السعود، المصدر السابق، ص 102
(8) لزغم فوزية: المرجع السابق، ص 281.
(9) حمدادو بن عمر، بوعمامة العربي: المرجع السابق، ص 302.
(10) المزاري بن عودة، المصدر السابق، ص 102.
(11) يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص247.

هو بن أحمد بن التهامي وابن عمة الأمير، ولد سنة 1205هـ/1787م، وأخذ العلم عن والده، ثم انتقل إلى وهران لتلقي المزيد من العلوم على يد علمائها[1]، أهّله تكوينه العلمي بأن يصبح عالما، وأديبا، وعارفا بعلم السير والأنساب[2]، عينه الأمير في البداية رئيسا لديوان الإنشاء، ثم خليفة له على مدينة معسكر بعد مقتل الخليفة محمد بن فريحة المراحي[3].

خاض الشيخ مصطفى بن التهامي مع الأمير عدة معارك، كما قاد الجيش في عدة جهات من الوطن[4]، نفي مع الأمير إلى فرنسا[5]، ثم انتقل برفقته إلى الشام، وفي دمشق تولى التدريس بالجامع الأموي، والفتوى على المذهب المالكي إلى غاية وفاته سنة 1283هـ/1866م[6].

وخلاصة القول أنّ المنطقة حافظت على حراكها العلمي والثقافي، رغم الظّروف الصّعبة التي مرت بها، ويعود ذلك إلى تضافر وتلاحم جهود الأمير عبد القادر مع نخبة من علمائها الكبار الذين ينحدرون في معظمهم من بيوتات علمية عريقة.

كما استطاعت المنطقة تجاوز محنتها بعد الحملة الفرنسية عليها سنة 1835 التي خرّبت بعض معالمها الدينية والحضارية، واستولت على دُرَرها النّفيسة من كتب ومخطوطات، من خلال إحياء نشاط مؤسساتها من جديد، وترتيب المدرِّسين فيها، وتحفيز الطلبة على نهل العلوم.

كما سيكون لهذه الجهود أثرها في ترسيخ قيم الجهاد والمقاومة الثقافية، بعد احتلال المدينة بشكل نهائي سنة 1841، من خلال تصدي السكان لكل محاولات التشويه والطمس التي ستتعرض لها الزوايا والمساجد والمدارس، وهو ما سنتطرق له لاحقا.

---

(1) عبد المنعم القاسمي الحسني: المرجع السابق، ص 399.
(2) يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص247.
(3) المزاري بن عودة، المصدر السابق، ص 102.
(4) قاد جيش الأمير في كل من تلمسان، المدية، الهضاب العليا، الجلفة، بوسعادة، المسيلة، برج بوعريريج، سطيف، عين تاغروط، عين الترك... ينظر: المزاري بن عودة، المصدر السابق، ص 102.
(5) لزغم فوزية: المرجع السابق، ص 182.
(6) عبد المنعم القاسمي الحسني: المرجع السابق، ص 400.

المبحث الثالث: الاحتلال الفرنسي لمعسكر (1841) وأثره على الحياة الاجتماعية والثقافية:

1. الاحتلال الفرنسي لمعسكر:

أثارت الهزيمة القاسية التي تعرض لها الجيش الفرنسي في معركة المقطع[1] على يد قوات الأمير عبد القادر سنة 1835 خيبة أمل كبيرة للقادة السياسيين والعسكريين، الذين خيّم عليهم الشك في الاحتفاظ بالجزائر كمستعمرة[2]، ولتبديد الشكوك وتجاوز الخيبة تعهّدت الحكومة الفرنسية بالانتقام ورد الاعتبار لجيشها، بحملة عسكرية كبيرة تكون بقيادة أحد أشهر ضباطها، يقوم فيها باحتلال مدينة معسكر وإخضاع الأمير وإجباره على الاستسلام[3].

وعلى هذا الأساس تمّ إصدار مرسوم ملكي بتاريخ 08 جويلية 1835 يقضي بتعيين المارشال كلوزيل(Clauzel)[4] حاكما عاما على الجزائر خلفا للكونت دروي ديرلون (Drouet d'Erlon) وبوصوله إلى مدينة الجزائر في 10 أوت 1835 أصدر بيانا صرّح فيه:" ... أنّ هدف تعيينه في إفريقيا هو محاربة الأمير عبد القادر وأخذ الثّأر لهزيمة المقطع..."[5].

---

(1) بلغت خسائر الجيش الفرنسي خلال معركة المقطع حوالي 300 قتيل و200 جريح، بالإضافة إلى عدد كبير من العتاد الحربي، ينظر: Adolph wilhelm Dinesen : Abd-el-Kader et les relations entre les Français et les Arabes en Afrique du Nour, Edition ANEP Rouiba 2012. P 90.

(2) بلبراوات بن عتو : وقائع الاحتلال الفرنسي لمدينة معسكر وأحوازها مابين 1835-1842.، كتاب جماعي " معسكر المجتمع والتاريخ"، المرجع السابق، ص 199.

(3) Charles Henry Churchill : la Vie D'Abd-el- Kader, 2 Edition, Société Nationale d'Edition et de Diffusion, Alger 1974. P 110.

(4) المارشال كلوزيل: Compte Bernard de Clauzel: ولد في 12 ديسمبر 1772 بميريبواكس أرياج (Mirepoix Ariège) الفرنسية، حصل على وسام جوقة الشرف في 14 فيفري 1815، انتخب عضو في البرلمان عن مقاطعة آرداش من 26 جوان 1829 إلى 21 أفريل 1842، عين قائدا للقوات الفرنسية في الجزائر من أوت 1830 إلى فبراير 1831، رُقّي إلى رتبة مارشال في 27 جويلية 1831، عين مرة أخرى حاكم عاما للممتلكات الفرنسية في شمال إفريقيا من 08 جوان 1835 إلى 12 جانفي 1837، توفي في 21 أفريل 1842. أنظر

Paul Azen : les grands soldate de l'Algérie , Publication de Comité National Métropolitain du Centenaire de l'Algérie, p 15.

(5) Adolph wilhelm Dinesen : Op.cit. p93.

وبتاريخ 10 نوفمبر توجه كلوزيل إلى وهران لتنفيذ ما تعهّد به، فشرع في إطار التمهيد للاستيلاء على معسكر إلى تقديم مساعدات عسكرية للجنرال دارلنج (D'Arlanges) الذي خلف الجنرال تريزال (Trézel) لوضع حد للهجمات التي كان يتعرض لها الجيش الفرنسي من طرف القبائل المجاورة. كما توجّه على رأس حملة عسكرية إلى خليج رشقون قرب تلمسان للسيطرة عليه، بهدف مراقبة السواحل الغربية وتأمين التجارة بالمنطقة في وقت السلم[1]، وقطع الإمدادات التي تصل إلى الأمير عن طريق البحر[2].

وعلى إثر ذلك، تحرك الأمير عبد القادر وقام بنشاط واسع النطاق لتوعية الجماهير واستنهاض همّتها للحرب، بالخطابة والكتابة والاتصال بمختلف العشائر ورؤساء القبائل في دولته. وكلّف خلفاؤه للقيام بنفس المهام على مستوى مناطق حكمهم[3]. وفي 29 سبتمبر 1835 توجه إلى معسكر على رأس جيشه وقام بتحصينها، ثم أخرج منها السجلات الرسمية وأموال خزينته، ونقلها إلى ضريح ولي يبعد 8 كيلومترات عن أسوارها، كما نقل عائلته إلى الجنوب في بلدة كاشرو – سيدي قادة حاليا– لتكون بأمن من أي هجوم فرنسي محتمل[4].

وتذكر المصادر الأجنبية أنّ الاستعداد للحملة ضّد معسكر تّم في الجزائر وفي جنوب فرنسا، حيث توجه ولي العهد الفرنسي الدوق أورليان (Duc d'Orléans)[5] الذي أصّر على المشاركة في هذه الحملة إلى مدينة تولون، ومنها أبحر إلى الجزائر العاصمة وكان ذلك في 10 نوفمبر، والتحق بالمارشال كلوزيل، ثم توجها معاً إلى وهران بتعزيزات

---

(1) Léon Galibert : Histoire de L'Algérie ancienne et Moderne, Furne et C Librairie Edition, paris 1843. P447.

(2) إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص 108.

(3) نفسه.

(4) أديب حرب: التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري 1808 – 1847، الجزء الأول، ط3، دار الرائد للكتاب، الجزائر ص213.

(5) الدوق أورليان Duc d'Orléans الابن الأكبر للملك لويس فليب ووريث عرشه، ولد باليرمو في 03 سبتمبر 1810، حاز على وسام الشرف في 03 أوت 1830، شارك تحت لواء قوات المارشال كلوزال سنة 1835 في الحملة الفرنسية على مدينة معسكر، تعرض خلالها للمرض مما أجبره على العودة لفرنسا لغرض العلاج، وبعد أربع سنوات من ذلك عاد مرة أخرى إلى الجزائر ليرافق المارشال فالي في حملة الأبواب الحديدية ضذ الأمير، عاد إلى فرنسا وتوفي في 13 جوان 1848. أنظر: Paul Azen : Op.cit. pp 23-25

عسكرية كبيرة من الجنود والمدفعية وصلتهم من فرنسا، زيادة على ذلك فقد أُرسلت بعض القوات المقيمة في الجزائر إلى وهران، وهكذا تعزز الجيش الفرنسي بـ 10000 رجل و26 مدفعا، قسَّم إلى أربع فيالق بقيادة كل من الجنرال أودينو Oudinot، وبيريقو Pérrégaux، ودارلنج D'Arlanges، والعقيد كومب Combes. وكان جيش احتياطي كذلك بقيادة العقيد بوفور (Beaufort)[1].

وفي 25 نوفمبر غادر الجنرال كلوزيل وهران متجها إلى معسكر للإطاحة بالأمير وحلفائه وتعيين بايا يخدم فرنسا[2]. وقد اتخذت حملة كلوزيل نفس الطريق التي سلكها الجنرال تريزال من قبل، حيث اجتمعت القوات الفرنسية بالكرمة، وفي يوم 27 نوفمبر توجه اللواء الأول بقيادة الجنرال أودينو Oudinot وإبراهيم باي الذي كان على رأس قوة من الأتراك والعرب إلى تليلات، ليتقدم بعدها إبراهيم بقواته إلى غابة مولاي إسماعيل[3]، ولمّا نجح الاستطلاع زحفت الألوية كلها نحو تليلات ثم غابة مولاي إسماعيل وصولا إلى سيق دون أي اشتباك مع قوات الأمير، باستثناء بعض الطلقات النّارية من طرف قبيلة بني عامر، وبالضفة اليمنى من وادي سيق أقام الجيش الفرنسي معسكره ووضع حامية من 1000 عسكري لحمايته، لأن بعد هذه النقطة ستكون المقاومة عنيفة[4].

ومن جهته فإن الأمير عبد القادر باشر هو الأخر استعداداته لمواجهة هذه الحملة، فوضع لذلك إستراتجية حربية تقوم على مجابهة الفرنسيين لإرغامهم على ترك ولايته كخطوة أولى، ثم مطاردتهم باتجاه السواحل وإجبارهم على الرجوع إلى بلادهم. أما قواته

---

(1) Adolph wilhelm Dinesen : Op.cit. p93.

(2) Léon Galibert : Op.cit. p 447.

(3) غابة مولاي سماعيل: تمتد من جبال تليلات إلى غاية سبخة أرزيو بطول 06 فراسخ، وعرض 03 فراسخ، اشتق اسمها من الموقعة التي انهزم فيها ملك المغرب مولاي اسماعيل على يد مصطفى بوشلاغم في 1707. كما انهزم فيها الجنرال تريزال عل يد الأمير عبد القادر في 22 جوان 1835 والتي أدت إلى مقتل العقيد أودينو. أنظر:

E. Daumas : Correspondance du Capitaine Daumas, Consul à Mascara 1837-1839, Publier par Georges YVER, Alger, 1912, p 87.

(4) Adolph wilhelm Dinesen : Op.cit. p97.

فكانت تتكون من 8000 فارس تحت قيادة المزاري[1]، و4500 مقاتل يشرف عليها الخليفة البوحميدي[2]، و2000 من المشاة النظاميين بإمرته، و4 قطع من المدافع الجبلية. وقد كانت مهمة هذه القوات إنهاك الجيش الفرنسي واستنزاف طاقاته بنصب الكمائن له في الممررات الإجبارية وتجنب الاشتباك المباشر معه[3].

وفي 01 ديسمبر وعلى الساعة الواحدة مساءاً، توجه المارشال كلوزيل (Clauzel) والدوق دورليان (Duc d'Orléans) على رأس جيش كبير يتكون من مشاة ومدفعية وفرسان نحو معسكر جيش الأمير الذي تحصن بالجبال، ووقع اشتباك بين الطرفين لمدة خمس ساعات، أظهر فيها العرب شجاعة قتالية كبيرة لدرجة أنهم كانوا يقتربون كثيرا من الصفوف الفرنسية ويفضلون الاستشهاد على الانسحاب، غير أنّ خسائرهم في هذه المعركة كانت أكبر من خسائر جيش الاحتلال الذي اعتمد على مدفعيته [4].

وبعد استراحة الطرفين في اليوم الثاني من ديسمبر، قرر المارشال كلوزيل تغيير الطريق الجبلي المؤدي إلى معسكر لتجنب قوات الأمير، والدخول إليها عبر وادي هبرة بطريق مستغانم. ولما تفطن الأمير لخطة كلوزيل أمر بتقسيم الجيش إلى قسمين، قسم يبقى مرابطا بالمدخل الجبلي، وقسم أخر يسرع للوصول إلى وادي هبرة قبل الفرنسيين

---

(1) الخليفة المزاري: ابن أخ مصطفى بن اسماعيل، تولى منصب أغا العرب لدى الأتراك، وفي عام 1833 أعلن ولائه للأمير عبد القادر الذي عينه أغا على قبيلتي الدوابر والزمالة، وبعد ضعف الأمير تخلى عنه، والتحق بالفرنسيين، فكافأه كلوزيل وعينه بايأعلى مستغانم. أنظر: E. Daumas : Op.cit. p 80.

(2) الخليفة البوحميدي: مرابط من جبال ترارة ومن قبيلة ولهاصة، كان رفيق الأمير أثناء دراسته بوهران على الرغم من أنه يكبره بأربع سنوات، من أفضل الفرسان في الجزائر، عينه الأمير خليفة له على المنطقة الغربية الممتدة من الحدود المغربية إلى واد الصفصاف، وأقام في تلمسان، وأثناء مهمة كلفه بها الأمير عبد القادر في المغرب دُسّ له السّم في الطعام بأمر من السلطان عبد الرحمان بن هشام أدت إلى وفاته في 1847 . أنظر: أديب حرب: المرجع السابق، ص ص 144 – 145.

(3) أديب حرب: المرجع نفسه، ص 220.

(4) Adolph wilhelm Dinesen : Op.cit. p98.

واحتلال المواقع القريبة منه . وقد جنى كلوزيل فائدة كبيرة جدا بفضل هذه المناورة حيث تمكن من تقسيم جيش الأمير عبد القادر وتفكيك كتلته[1].

وفي 03 ديسمبر عبرت القوات الفرنسية وادي سيق عبر جسور تم إنشائها من طرف ضبّاط الهندسة العسكرية، وتوجّهت بسرعة نحو غابة الهبرة، التي كانت تحت سيطرة جيش الأمير[2]، وبمجرد وصولهم إليها التحمت بهم القوات الجزائرية ودارت بينهم معركة قوية أظهر فيها العرب الكثير الثبات والصمود[3]. إلا أنّ ذلك لم يدم طويلا، حيث قام المارشال كلوزيل بتغيير قيادة الميمنة للجيش، واتجه إلى الجبال بدعم من المشاة، واتخذت المدفعية موقعها في منطقة مرتفعة، مسيطرة على الوادي الذي يفصل بين الجبال وهو ما أدى إلى قلب موازين القوة لصالح القوات الفرنسية التي ألحقت خسائر فادحة بجيش الأمير[4].

سمح هذا التفوق للجيش الفرنسي بالسير قُدمًا نحو معسكر، وبعد قطعه مسافة 4 كيلومترات ووصوله إلى منطقة سيدي مبارك[5]، اعترضت سبيله قوات الأمير مرة أخرى، التي احتلت المكان قبله وسيطرت كليا على الأرض والمواقع[6]، مما سمح لفرقة المشاة المتموقعة في الجهة اليسرى من حافتي الوادي، والمدفعية في الناحية اليمنى منه، برمي الجنود الفرنسيين بطلقات نارية كثيفة، وهو ما صعّب من تقدم القوات الفرنسية، ولم يبق أمامها من سبيل سوى الاندفاع نحو جيش الأمير والاشتباك معهم في حرب رجل لرجل بحراب البنادق، مما مكنهم من حسم المعركة لصالحهم والسيطرة على العديد من المواقع التي انسحبت منها قوات الأمير[7].

---

(1) بلبراوات بن عتو : المرجع السابق، ص 203.

(2) Léon Galibert : Op.cit. p 448.

(3) Adolph wilhelm Dinesen : Op.cit. p 99.

(4) بلبراوات بن عتو : المرجع السابق، ص 203

(5) سيدي مبارك : منطقة تتربع على جزء من سهل الهبرة،تقع على بعد بضع كيلومترات شرق مدينة سيق.

(6) إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص 113.

(7) Léon Galibert : Op.cit. p 448.

وفي اليوم الموالي تابع المارشال سيره باتجاه معسكر، وفي ظرف يومين اجتازت قواته سيدي ابراهيم، ووادي البرجية، ووادي ملاح، وصولا إلى عين الكبيرة، التي ترك بها بعض قواته بقيادة الجنرال دارلنج (D'Arlanges) والعقيد كومب (Combes)، واتجه يوم 06 ديسمبر مع بقية الجيش إلى قرية البرج[1]، وفيها التقى بيهودي من معسكر وأخبره أنّ الأمير عبد القادر ترك المدينة مع جميع سكانها المسلمين، ولم يبق فيها سوى اليهود، فأمر المارشال كلوزيل قواته المُشكّلة من الدوابر والزمالة، والقوات النظامية، وقوات الزواف[2] والمدفعية بالزحف نحوها[3].

وفي حدود الساعة الخامسة مساءاً، دخل كلوزيل والدوق دورليان مدينة معسكر، فوجدوها خالية تقريبا من ساكنيها إلا من بعض اليهود الذين قُدَّر عددهم بـ: 700 إلى 800 يهودي كانوا في حالة يرثى لها[4]، أما منازلها ومخازنها ودكاكينها فقد طالها الخراب والدّمار، وتحول الكثير منها إلى رماد بسبب النيران التي أوقدها جيش الأمير قبل مغادرته لها. فقرّر كلوزيل بناءاً على هذه الحالة التخلي عن مشروعه القاضي بوضع حامية عسكرية فيها، وتعيين إبراهيم بايا عليها، وأمر في الوقت نفسه بحرق المدينة وتدميرها[5].

وفي التاسع من ديسمبر، قرر المارشال كلوزيل الانسحاب من المدينة والتوجه إلى مستغانم، بعدما عاث فيها فساداً. وقد ترك ذلك انطباعاً سيئا في نفوس الجزائريين، ودفع الأمير عبد القادر المتواجد بأرض الحشم بإعداد العدة لمهاجمة الفرنسيين ومطاردتهم من جديد، ورأى أنه من الضروري التخلي عن معسكر، ونقل عاصمته إلى أرض غير ممهدة

---

(1) أديب حرب: المرجع السابق، ص 241.

(2) الزواف : فرقة عسكرية أنشأها كلوزيل في 01 أكتوبر 1830، كانوا في الأصل فرقة مختلطة من الأوربيين والسكان الأصليين، عرف تنظيم الزواف عدة تعديلات تمت بموجب مراسيم ملكية في 21 مارس 1831، و07 مارس 1833، و25 ديسمبر 1835، و20 مارس 1837، و11 نوفمبر 1837، وفي هذا التاريخ شكل الزوافيون فيلقا خاصا بهم يدير شؤونه عقيد، وقسموا إلى ثلاث كتائب، كل كتيبة تضم سريتين فرنسيتين وأربع سرايا محلية، عينت الكتيبة الثالثة في محافظة وهران. أنظر: E. Daumas : Op.ci. p 80.

(3) Léon Galibert : Op.cit. p 449.

(4) Adrien Berbrugger : Op.cit. p71.

(5) Adolph wilhelm Dinesen : Op.cit. p 101.

داخل جبال الأطلس، تستطيع أن تصدّ عنها الجيوش الفرنسية، وتكون قاعدة لانطلاق عملياته العسكرية، فوقع اختياره على تاقدامت[1].

لكن ذلك لم يثن من عزيمة الأمير في العودة إلى معسكر وتجديد ما خربه العدو، وإصلاح ما أفسده وأحرقه من معالمها، فعادت إلى سالف عهدها تزخر بالعمران والمعامل الصناعية والمنتوجات وموارد التجارة ورافد الاقتصاد[2].

وبعد توقيع معاهدة التافنة التي أقرت السلم بين الطرفين شهدت مدينة معسكر خلال الفترة الممتدة مابين 1837 – 1839 استقرارا نسبيا واستتباب للأمن بها، وظل الوضع كذلك إلى غاية نقض هذه المعاهدة وعودة الحرب من جديد. ففي سنة 1841 أعلن الحاكم العام الجديد المارشال بيجو[3] عن إستراتيجيته الحربية المتمثلة في القيام بعمليات عسكرية كبيرة ضد المدن الخاضعة للأمير، التي طالما شكلت حاجزا أمام توسع النفوذ الفرنسي نحو الداخل[4]، فسار بقواته المكونة من فيلقين أحدهما بقيادة لامورسيير[5] والأخر بقيادة الدوق دونمور إلى تاكدامت عاصمة الأمير الثانية التي اقتحمها في 25 ماي 1841 واستولى على ما فيها من أسلحة وذخيرة حربية، ثم توجه منها إلى معسكر التي كانت وقتئذٍ في حالة جيدة فاحتلها دون مقاومة، واتخذ من منازلها الكبيرة ثكنات عسكرية ومستشفى ومستودعات[6]، وقبل أن يغادرها في الأول من جوان وضع فيها

---

(1) بلبراوات بن عتو : المرجع السابق، ص 205.

(2) يحي بوعزيز : بطل الكفاح الأمير عبد القادر الجزائري، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 35.

(3) توماس روبير بيجو: ولد في ليمونج بمقاطعة هوت فيين (limoges (Haute-Vienne، بتاريخ 15 أكتوبر 1784، نائب في البرلمان عن مقاطعة دوردون (Dordogne) من 05 جويلية 1831 إلى 23 أفريل 1848، عين حاكما عاما للجزئر مابين 29 ديسمبر 1840 إلى 29 جوان 1840، حصل على وسام جوق الشرف في 09 أفريل 1849، تم ترقيته إلى رتبة مارشال في 31 جويلية 1843، توفي في باريس في 10 جوان 1849 أنظر: Paul Azen : Op.cit. p 65

(4) أديب حرب: التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري 1808 – 1847، الجزء الثاني، ط3، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ص 399.

(5) كريستوف لويس ليون لاموريسيير : ولد في 05 فبراير 1806 بمدينة نانت، تم تعيينه على رأس لواء عسكري في 09 أفريل 1843، كان نائب في البرلمان عن مقاطعة السارت (Sarthe) من 1846 إلى 1851، وزير الحرب من 28 جوان إلى 09 ديسمبر 1848، توفي في 11 سبتمبر 1869. أنظر : Paul Azen : Op.cit. p83

(6) اسماعيل العربي: المرجع السابق، ص 210.

حامية عسكرية بقيادة العقيد تامبور (Tempoure) مكونة من ثلاثة كتائب، وفصيلة مدفعية[1].

وأمام هذه التطورات وبهدف فرض سيطرته ووضع حد للمقاومة، حاول بيجو استمالة قبائل المنطقة وعلى رأسها قبيلة الحشم إلى الصف الفرنسي، فكتب إلى رؤسائها يدعوهم إلى طاعته ويتوعدهم في حال رفضهم ذلك. وهو ما لقي استنكارا واستهجانا من طرفهم، فكان ردهم صريحا وحازما بأن دعوته هذه مرفوضة ولا يمكنهم بأي حال من الأحوال التخلي عن الأمير وعن الجهاد والدفاع عن الوطن. ويخبرنا صاحب تحفة الزائر عن تلك الردود لألئك الرؤساء حيث جاء في إحداها مايلي[2]: " من كافة الحشم الشراقة والغرابة ومن إليهم، كبني شقران[3] وبني غدو[4] إلى النصراني بيجو. السلام على من اتبع الهدى، وثبت عليه، فقد وصلنا تحريرك، وعلمنا ما فيه من كونك تدعونا إلى الطاعة، وتخبرنا أن تجعل بلادنا سعيدة مباركة، وأي سعادة أحب إلينا من سعادة الجهاد، وحماية البلاد وثباتنا أمام أعدائنا ... وكونك تعدنا – كعادتك – مع غيرنا بالفخر والمجد إذا نحن أطعناك وإلى مطلوبك أجبناك، فهذا لا نسمعه ولا نلتفت إليه بل نعده ضربا من المحال...".

نستشف مما ورد في هذه الردود أن سكان هذه القبائل كانوا أهل حزم وشدّة، فرغم علمهم بأنّ القوات الفرنسية أقوى منهم عتادا وعدة، وأن الانتصار عليها شبه مستحيل، إلاّ أنهم رفضوا الاستكانة والخضوع، وآثروا مواصلة الجهاد مع الأمير إلى غاية تحقيق النصر، أو الاستشهاد في سبيل الدين والوطن.

---

(1) أديب حرب: المرجع السابق، ص 403.

(2) محمد بن عبد القادر الجزائري: تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، شرح وتعليق ممدوح حقي، الجزء الأول، المرجع السابق، ص ص 466 – 467.

(3) بني شقران: من قبائل أغاليك الغرابة، تقع في المنطقة الجبلية بين واد الحمام والهبرة شمالا، وشارب الريح جنوبا. ينظر: E. Daumas : Op.cit. p 86.

(4) بني غدو : من قبائل أغاليك الغرابة تقع بين سيدي الغمري ومرابط سيدي براهيم على واد ملاح الرافد من واد الهبرة. أنظر: E. Daumas : Op.cit. p134.

وفي شهر أوت وأثناء التحضير لحملة الخريف قام الجنرال لامورسيير بتموين الحامية العسكرية المتواجدة بمعسكر ببعض ما تحتاجه من مؤونة وغداء، كما تزودت هذه الحامية بكميات كبيرة من الخضر والفواكه التي تم تحصيلها من ضواحي المدينة، وبذلك أصبح مخزونها الغذائي يلبي حاجيات ستة ألاف رجل لمدة أربعة أشهر[1].

ومن جهته قام الحاكم العام بيجو بعقد مجلس حربي في وهران مع جميع ضباطه العسكريين، عبّر فيه عن مخاوفه من تحركات الأمير بالمنطقة والتهديدات التي يواجهها، فأصدر في هذا الشأن تعليمات إلى ضباطه يدعوهم إلى محاصرته وتضييق الخناق عليه والحد من تحركاته. كما أصّر على ضرورة احتلال مدينة معسكر، وجعلها قاعدة عسكرية ومركزا للمؤونة والذخيرة الحربية[2]. وكلف لهذه المهمة الجنرال لامورسيير، فقام هذا الأخير بتعبئة قواته العسكرية المكونة من عشر كتائب من المشاة تحت قيادة كل من العقيد تييري (Thiéry) والعقيد دي توري (de La Torré) ومئات الصبايحية، وتوجّه بها إلى معسكر، إلاّ أنّ قوات بن التهامي اعترضت سبيله، لكنه نجح في صدّها واحتل المدينة في 02 ديسمبر 1841 [3].

2. الآثار الاجتماعية والثقافية الناتجة عن الحملة الفرنسية:

خلّفت الحملة الفرنسية على مدينة معسكر أثار وخيمة على واقع السكان، نتيجة عمليات القتل، والنهب، والسلب، والتهجير، والتدمير والحرق للمباني والمنشآت. وقد كان لهذه السياسة التعسفية والإجرامية تأثير مباشر في حق ساكنيها على وضعهم الاجتماعي والثقافي. فعقب الحملة الأولى بقيادة كلوزيل سنة 1835، وبأمر منه أضرم جيش الاحتلال الفرنسي، وبعض القبائل المتعاونة معه، وعلى رأسها قبيلتي الدوایر والزمالة، النيران في أحيائها ودورها الشهيرة[4]، بما في ذلك منزل الأمير عبد القادر، وفي مخازن

---

(1) Léon Galibert : Op.cit. p 534.

(2) محمد بن عبد القادر الجزائري: المرجع السابق، ص 472.

(3) E. Pellissier: Annales Algériennes, Tome 03, Librairie Militaire , Paris 1854,p 08

(4) محمد بن عبد القادر الجزائري: المرجع السابق، ص 293.

الحبوب والملح والبارود والكبريت [1]. كما تم تحطيم أسوارها وحصونها، وتخريب مؤسساتها العسكرية، وتدمير حي "بابا علي" تدميرا شبه كامل، والفتك بحوالي 7200 شخص من مواطنيها[2].

كما تعرضت المدينة وأحوازها للتخريب مرة أخرى، إثر الحملة التي شنها الجنرال بيجو بتاريخ 30 ماي 1841، والتي أدت إلى سقوطها نهائيا في يد الفرنسيين، حيث أباح لقواته القيام بأعمال تخريبية انتقاما من الأمير والقبائل المساندة له، فقاد لامورسيير في 14 ديسمبر 1841 بحملة عسكرية ضد بعض قبائل المنطقة، كبني شقران، وأولاد سيدي دحو[3]، فقتل منهم ثمانون رجلا، وأسر مائتين، وأخذ بعض ماشيتهم[4]. كما هاجم قرية القيطنة[5]، مسقط رأس الأمير يوم 16 أكتوبر 1841، فدمّر زاويتها ومكتبتها، وأتلف جميع محاصيلها الزراعية[6]، وأضرم النيران في ثلاثين مسكنا تحيط بها ولم يبق منها سوى مسار لجدران (le tracé des murs) وبقايا مطحنة، ومطامير للحبوب، وأكوام من الحجارة الضخمة[7]. ليتوجه إلى الجنوب أين استولى على حصن مدينة سعيدة الذي يبعد عن معسكر بثماني عشرة ميلا، وتم تخريبه لأن الأمير كان يستعمله في مراقبة بعض القبائل المتحالفة مع الفرنسيين[8].

---

(1) Adolph Vilhelm Dinesen : Op.cit. p 101.

(2) بن داهة عدة: معسكر عبر التاريخ، المرجع السابق، ص 58.

(3) قبيلة أولاد سيدي دحو: وهي قبيلة تقطن بجوار الولي الصالح سيدي دحو، وهي إحدى قبائل منطقة بني شقران، الواقعة مابين مرتفعات شارب الريح شمالا وسهل غريس شرقا ومدينة معسكر جنوبا .أنظر:

E. Daumas : Op.cit. p 130

(4) E. Pellissier : Op.cit. p 09

(5) القيطنة: قرية تبعد بـ 28 كلم عن مدينة معسكر، مقر أسرة الأمير عبد القادر، اختطها جده مصطفى بن مختار سنة 1206 هـ، وفيها ولد الأمير عبد القادر، أصبحت مركزا دينيا وثقافيا بفضل زاويتها القادرية الشهيرة المعروفة بزاوية القيطنة، تعرضت للهدم على يد الجنرال بيجو في سبتمبر 1841. أنظر: الأمير عبد القادر: مذكرات الأمير عبد القادر (سيرة ذاتية) تحقيق محمد الصغير بناني وأخرون، الطبعة الرابعة، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر (2004)، ص 48.

(6) J. Pichon : Abd-el-kader Sa Jeunesse Son Role Politique et Religieux Son Rohe Militaire Sa Captivité, Sa Mort (1807- 1883), Edition Militaire, Paris, P 101.

(7) بن داهة عدة: رحلة في رحاب دولة الأمير عبد القادر، المرجع السابق، ص ص 09 – 10.

(8) Léon Galibert : Op.cit. p 534.

وتزامناً مع ذلك قامت قوات عسكرية أخرى بالهجوم على قبيلة الحشم فاستولت على مخزونها من القمح وعلف المواشي، وقامت بنهب الخشب الموجود في المنازل المهجورة وكذا الجبس والطوب والحبوب[1].

أدت هذه الأحداث والوقائع إلى تدهور الوضع الاجتماعي، فالتعداد السكاني انخفض إلى مستويات قياسية، مقارنة بما كان عليه عشية الاحتلال بسبب ارتفاع نسبة الوافيات، وهجرة السكان، ففي تقرير الفرنسيين لسنة 1839 جاء أن المدينة في حالة متدنية، وليس فيها من السكان سوى 3840 نسمة[2]، ليتناقص تدريجيا إلى حوالي 2800 نسمة، بعد إخضاعها نهائيا[3].

كما انعكست هذه الأحداث على الوضع الصحي الذي أصبح مقلقا للغاية، بسبب انتشار الأمراض والأوبئة، كالكوليرا والتيفوس، التي أودت بحياة 1500 شخص من أصل 10 ألاف سنة 1835م[4]. ليزداد الوضع سوءا بعد ذلك، فخلال أربعينيات كانت الخسائر فادحة، حيث تشير الإحصائيات التي قدمها كل من روزي (Rozet) وكاريتِ (Carette) أنّ نسبة الوافيات بسبب مرض الكوليرا بلغت مابين سنوات 1843 إلى1845 حوالي 2.81% بمعسكر، في حين وصلت هذه النسبة إلى 3.70% بمستغانم، و4.75% بمدينة وهران[5].

كما ألمّت بالمنطقة عدة مجاعات وقحوط حادة، منها المجاعة التي ضربتها سنة 1845 واستمرت إلى سنة 1850م، فكانت سنواتها عسيرة وسيئة للغاية، أدت إلى انتشار الأمراض والبؤس والحرمان داخل أوساط المجتمع[6].

---

(1) حرشوش كريمة: جرائم الجنرالات الفرنسيين ضد مقاومة الأمير عبد القادر في الجزائر من خلال أدبياتهم (1832 – 1847) رسالة ماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، ص 161.

(2) أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي (1830 – 1954)، ج05، المرجع السابق، ص 103.

(3) عبد الحق شرف: العربي بن عبد القادر بن علي المشرفي حياته وآثاره، ط 1، المرجع السابق، ص 56.

(4) جاكر لحسن: الحركة الوطنية في معسكر 1930 – 1945، دار القدس العربي، الجزائر 2015، ص68.

(5) مجاهد يمينة: تاريخ الطب في الجزائر في ظل الاستعمار الفرنسي 1830 – 1862، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران (2017-2018)، ص 53.

(6) عبد الحق شرف: المرجع السابق، ص 56.

إنّ هذا الواقع الأليم جعل العديد من العائلات المعسكرية تفكر في الهجرة والبحث عن ملاذ آمن لها، فتوجهت أسرة المشارف، والمهاجيون، والمراحيون، والدحاحويون الأدارسة، والمختاريون الأدارسة، والنميشيون، والخالديون، والشبانيون الغريسيون باتجاه المغرب الأقصى، ليستقروا بالحاضرة فاس[1].

أما بخصوص المنشآت الدينية والعلمية، فقد تأثرت هي الأخرى تأثيرا بالغاً، فالزوايا والمساجد والمدارس والمكتبات أصبحت عرضة للنهب والهدم والهجران، وهو ما أثّر سلبا على حركة التعليم التي أصيبت بالشلل الشبه التام. ومن الزوايا التي توقفت عن أداء مهمتها زاوية القيطنة، ولاسيما بعد سنة 1836، وزاوية سيدي دحو، وزاوية أولاد سيدي عمار بن دوبة بكاشرو الخ[2].

أما المساجد التي طالتها عمليات الهدم والغلق، مسجد عين البيضاء (سيدي حسان)، الذي حولته الإدارة الاستعمارية إلى مربط للخيول ومخزن لعلفهم سنوات طويلة، ومسجد بومعزة الذي تم هدمه، وبناء كنيسة سان بيار على أنقاضه بأمر ملكي عام 1843[3].

كما قضت الحملة على ثروة ثمينة من الكتب والمخطوطات والوثائق، لاعتقاد الفرنسيين أنّ الكتب المُحبسة على المدارس والمساجد، وكذا المكتبات الخاصة لدى العائلات الجزائرية غنيمة حرب يأخذنها عن طريق الغلبة والنهب والاختلاس[4]، فكانوا يأخذون ما وقعت عليه أيديهم وعيونهم، قهرا، ويطلبون المخطوطات والوثائق ممن يعرفون أنها عنده من الأعيان كرجال الدين والقضاة والقياد ليتم من خلالها الاطلاع ومعرفة كل شيء على العائلات والأفراد، وعن الأنساب والتواريخ، وعن التراجم والتصوف واللغة والفلكلور وغيرها[5].

---

(1) عبد الحق شرف: المرجع نفسه، ص 86.
(2) أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج، 03 (1830 – 1954)، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي 1998، ص ص 31، 32.
(3) جاكر لحسن: المرجع السابق، ص 73
(4) أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي (1830 – 1954)، ج05، المرجع السابق، ص 332.
(5) أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص 325.

ويخبرنا بيار بروجر[1] الذي رافق حملة كلوزيل على معسكر سنة 1835، عن المدينة كحاضرة علمية، وعن المخطوطات والوثائق التي استولوا عليها، وكيف تم نقلها إلى مدينة الجزائر فيقول:" ما يشير إلى أنها مدينة ذات أهمية هو كمية المخطوطات التي تم العثور عليها هناك، ولسوء الحظ قام العرب قبل مغادرتهم، بتمزيقها تقريبا وتشتيتها، ولم يتم جمع سوى حوالي أربعين مخطوطا، تم أخذها إلى العاصمة ووضعها بمكتبة الجزائر... ومن بين المخطوطات التي تم جمعها: كريستوماتيا عربية بخط جميل، وقاموس عربي، مؤلفات في الفقه الإسلامي، تتضمن أحكام البيع والشراء، وشرح للأحاديث النبوية، وغير ذلك من الكتب الدينية، بالإضافة إلى شروحات في قواعد اللغة العربية، أطروحة في التاريخ الطبيعي، وسيرة الرسول – صلى الله عليه وسلم– ونسختين من القرآن الكريم"[2].

إنّ رواية بيار بروجر عن هذه الحملة تحمل في طياتها بعض المغالطات، فهو يدعي أن العرب مزقوا المخطوطات قبل مغادرتهم المدينة ونشروا أوراقها، وهذا أمر مستبعد، وغير وارد البتّة، فكيف يحدث ذلك منهم وهي ثروتهم الثمينة[3].

أما عن نقلها إلى الجزائر والصعوبات التي واجهها فيذكر أنه حمل جزءاً منها على ظهر جمل وجزءاً أخر على ظهر حصان. وفي الطريق من معسكر إلى مستغانم سقط الجمل من الأعلى إلى هوة سحيقة، وكان على ظهره أربعون مخطوطا، فهلك وضاعت

---

(1) أدريان بيار بروجر (Adrien berbrugger): رجل سياسة، عالم، ومستشرق ومؤرخ، جاء إلى الجزائر سنة 1835 رفقة المارشال كلوزيل، أصبح كاتبا عاما له، رافقه في حملاته على معسكر وتلمسان ثم على قسنطينة، كان يجمع الكتب والمخطوطات والوثائق من العائلات والمساجد والزوايا ويحملها إلى العاصمة، كما كان يدرس من خلالها عادات وتقاليد وتاريخ الجزائريين وأفكارهم ولغتهم ودينهم. عين محافظا لمكتبة مدينة الجزائر عند تأسيسها. أنظر: أدريان بيار بروجر: رحلة وفد فرنسي لمقابلة الأمير في البويرة (1837 – 1838)، ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر 2006، ص ص 07، 08.

(2) Adrien berbrugger : Op.cit. pp 76- 77.

(3) أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص 333.

المخطوطات كلها معه. أما تلك التي حملت على ظهر الحصان فقد نجت ورجعت مع بير بروجر إلى العاصمة[1].

وخلاصة القول أنّ الخراب والدمار الذي طال المدينة بعد حملتي كلوزيل (Clauzel) عام 1836، وبيجو (Bugeaud) عام 1841، جعلها تفقد أهميتها ومكانتها السياسية، والاجتماعية ومنزلتها العلمية والحضارية التي كانت تحظى بها طيلة عقود من الزمن، لتصبح حينها تحت قبضة الإدارة الاستعمارية، التي حولتها بعد خمس سنوات من ذلك إلى مركز استيطاني.

(1) أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص 333. أو ينظر Adrien berbrugger : Op.cit. p 87

الفصل الأول
الواقع الاجتماعي بمعسكر
1900 - 1945

الفصل الأول: الواقع الاجتماعي بمعسكر 1900 – 1945.

المبحث الأول: الوضع الديمغرافي للسكان

1. النمو السكاني: الكثافة والتطورات.
2. التمركز السكاني:

2-1 الجزائريون.

2-2 الأوربيون.

3. المواليد والوفيات:

3-1 المواليد والوفيات عند الجزائريين.

3-2 المواليد والوفيات عند للأوربيين.

المبحث الثاني: التركيبة الاجتماعية البنى والتحولات

1. البنية الاجتماعية في الريف:

1-1 الفئة البورجوازية العقارية الكبرى.

1-2 الفئة البورجوازية المتوسطة والصغيرة.

1-3 الفئة الكادحة.

2. البنية الاجتماعية في المدينة:

2-1 الطبقة البورجوازية الكبيرة.

2-2 الطبقة البورجوازية الصغيرة والمتوسطة.

2-3 طبقة البروليتاليا (الكادحة).

المبحث الثالث: الواقع الصحي

1. الأوبئة والأمراض:

1-1 التيفوئيد (Typhoid).

1-2 الجُذَري (variole).

1-3 التيفوس (Typhus).

1-4 الملاريا أو حمى المستنقعات (Paludisme).

2.المؤسسات الصحية والأطر الطبية:

2-1 المستشفى العسكري.

2-2 المراكز الإستشفائية الخاصة بالأهالي.

2-2-1 المستوصف الملجأ بباب علي (Hospice Infirmerie).

2-2-2 عيادة باب علي الأهلية.

2-3 المستشفيات الفرعية(Hôpitaux Auxiliaires).

المبحث الرابع: المشاكل الاجتماعية

1. مشكلة البطالة.
2. تدهور الوضع الاجتماعي.
3. الهجرة وأثارها.

المبحث الأول: الوضع الديمغرافي للسكان

1. النمو السكاني: الكثافة والتطورات

إنّ البحث في الجانب الديمغرافي لمدينة أو منطقة يقتضي من الباحث دراستها ضمن الإقليم الذي تتواجد فيه، لأنّ ذلك يساعده على فهم التحولات والتطورات الديمغرافية وتكوين صورة شاملة عن النمو السكاني فيها، وهو ما يتعيّن علينا القيام به من خلال عرضنا للإحصائيات السكانية والتطورات الديمغرافية لسكان منطقة معسكر ودراستها ضمن السياق العام للسكان الجزائر عامة والقطاع الوهراني بصفة خاصة.

فحسب إحصاء سنة 1931 فإن عدد سكان الجزائر بلغ 6.553.451 نسمة، منهم 5.632.663 من جزائريين بنسبة (85.94%) و920.788 نسمة من الأوربيين بنسبة (14.05%)[1]، ليشهد زيادة طفيفة سنة 1936 حيث وصل عددهم 7.234.684 نسمة منهم 6.247.432 جزائري بنسبة (86.35%)و 987.252 أوربي بنسبة (13.56%)[2]، غير أنّ نسبة السكان في دائرة معسكر خلال هذه السنة (1936) لم تتجاوز(2.91%)[3] من مجموع سكان الجزائر، وهي منخفضة نسبيا إذا ما قارنها بدوائر أخرى تقع قريبة منها كدائرة وهران التي بلغت نسبتها(3.47%)، ودائرة مستغانم التي وصلت نسبة سكان فيها إلى (4.85%) بالرغم من أن المنطقة تتوفر على نفس الظروف الطبيعية والإمكانيات الاقتصادية تقريبا الموجودة بكل من وهران ومستغانم، كالسهول الزراعية الواسعة وكمية التساقط السنوي التي لا تقل عن 05 سنتمتر سنويا، ودرجة الحرارة المعتدلة، كما نجدها . نسبة السكان بمعسكر. أدنى حتى من بعض دوائر الجنوب مثل توقرت (3.36%) رغم أنّ ظروف الاستقرار البشري بالإقليم الغربي عامة أحسن مما هي عليه في الصحراء، إذا علمنا أنه لم تظهر بعد في هذه

(1) Revue de l'alliance nationale pour l'Accroissement de la Population française, N° 253, Aout 1933, PP 239.
(2) Annuaire Statistique de l'Algérie, Année 1939-1947, P22.
(3) مريبعي سعيد: التغيرات السكانية في الجزائر (1936 – 1966)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984، ص 59.

الفترة المدن التعدينية والبحث والتنقيب عن المحروقات بالجنوب. أما إذا قارنا هذه النسبة ببعض دوائر الإقليم الشرقي فتصبح الفوارق شاسعة، خاصة دائرة قسنطينة التي بلغت نسبة سكانها (11.4%)[1].

إن انخفاض درجة التركيز السكاني بدائرة معسكر خلال هذه الفترة يعود بالأساس انخفاضها بالإقليم الغربي، والذي يحتل المرتبة الثالثة بعد كل من إقليم قسنطينة وإقليم الجزائر، وهو ما يوضحه إحصاء مارس 1921، الذي يظهر شدة التركيز السكاني بإقليم قسنطينة البالغ عددهم 2.279.756 نسمة، ويليه إقليم الجزائر بـ: 1.866.714 نسمة، ثم إقليم وهران بـ: 1.304.226نسمة[2].

كما شهدت دائرة معسكر انخفاضا في نموها الديمغرافي ويظهر ذلك جليا بين سنوات (1911 – 1936)، فبعد أن كانت نسبة النمو فيها سنة 1911 تشكل نسبة 17.78% من مجموع سكان العمالة، تراجعت هذه النسبة إلى 16.26% سنة 1930، ثم إلى 14.78% سنة 1936، وفي المقابل فإن الدوائر الأخرى للعمالة الغربية حافظت في معظمها على توازنها الديمغرافي مثلما هو الحال لدائرة وهران وسيدي بلعباس، أما دائرة تلمسان فقد شكلت الاستثناء في ذلك، حيث ارتفعت نسبة النمو بها من 12.10% سنة 1911 إلى 20.03% سنة 1936 وهو ما يوضحه الجدول التالي[3]:

(1) مريبعي سعيد: المرجع نفسه، ص 61.

(2) Revue de Les Annales Coloniales , Aout 1929, P3.

(3) A.S.A, Années de l'Algérie, 1911, 1921, 1930, 1936.

جدول (02): عدد سكان دوائر عمالة وهران

الوحدة: نسمة

السنوات	1911		1921		1930		1936	
الدوائر	عدد السكان	النسبة %	عدد السكان	النسبة %	عدد السكان	النسبة %	عدد السكان	النسبة %
معسكر	200483	**17.78**	239180	**17.31**	224524	**16.26**	213787	**14.78**
وهران	320034	**28.93**	358647	**29.16**	381254	**27.61**	448472	**31.01**
مستغانم	363625	**32.26**	359392	**29.2%**	401159	**29.05**	338211	**23.39**
سيدي بلعباس	106490	**09.44**	123069	**10%**	134391	**09.73**	155681	**10.76**
تلمسان	136420	**12.10**	223938	**14.28**	239470	**17.34**	289677	**20.03**

الشكل (02): يوضح نسبة السكان لدوائر عمالة وهران سنة 1911

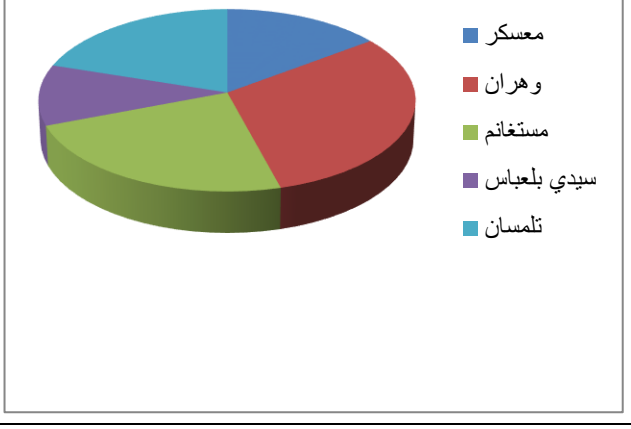

الشكل (03): يوضح نسبة السكان لدوائر وهران سنة 1936

أما بخصوص مدينة معسكر فقد عرفت مع مطلع القرن العشرين نموا ديمغرافي ملحوظا، حيث يُظهر إحصاء سنة 1901 زيادة معتبرة في عدد سكانها والذي بلغ 20.914 نسمة، بما في ذلك المناطق المجاورة لها كسانت أندري (خصيبية) بـ: 670 نسمة، سانت هيبوليت

(المامونية) بـ: 239 نسمة، وسكان القرى الريفية المنتشرة حول المزارع بـ: 734 نسمة، وبعض الدواوير تضم 866 ساكن وهم على التوالي:

- دوار السلاطنة (Selatna) 159 نسمة.
- دوار ديدونة (Dudona) 155 نسمة.
- دور عطاء الله (Atela) 250 نسمة.
- دوار جنان اللوز (Djnan L'oez) 302 نسمة[1].

وحسب هذه الإحصائيات دائما فإن السكان كانوا موزعين على الشكل التالي: الفرنسيون 4735 نسمة، الأجانب 6520 نسمة، الجزائريون 8996 نسمة، التونسيون 23 نسمة، المغاربة 640 نسمة، أي بمجموع 20914[2].

أما عدد سكان المدينة لوحدها فقدَّر بـ: 18315 نسمة. لا يدخل ضمن هذا العدد أفراد الحامية العسكرية المتواجدة بها والتي يبلغ عددهم 1200 عسكري. استقر حوالي 9112 فرد بحي باب علي أي ما يعادل نصف سكانها تقريبا، و159 ساكن بحي فيدورب (Faidherbe) (حي سيدي موفق حاليا)، في حين لم يتجاوز عدد سكان حي المحطة (La Gare) 68 ساكن، وسكان حي بليسي (Pellissier) 68 ساكن[3].

استمر سكان المدينة في التزايد مع توالي السنوات، من الفئتين (جزائريين وأوربيين)، حيث وصل عددهم سنة 1931 إلى 31449 نسمة، منهم 14401 أوربي و17048 جزائري[4]، في حين ارتفع سنة 1936 إلى 32300 نسمة وهو ما يوضحه الجدول التالي[5]:

الجدول (03): تطور عدد سكان مدينة معسكر مابين 1900-1931

(1) Le Republican, N° 97, le 21 Juin 1903.
(2) Ibid.
(3) Ibid.
(4) A.S.A, Année 1931, Alger, p50.
(5) Bulletin Official du Gouvernement Générale de L'Algérie, Année 1900, 1905, 1910, 1915, 1920, 1926, et Annuaire Statistique de l'Algérie, Année 1931.

الوحدة: نسمة

السنة	1900	1905	1910	1915	1920	1926	1931
أوربيين	10004	9659	9996	10170	10170	12673	14401
جزائريين	10047	11255	11591	13258	13258	14761	17048
المجموع	20051	20914	21587	23428	23428	27434	31449

الشكل (04): يوضح تطور سكان مدينة معسكر مابين 1900-1931

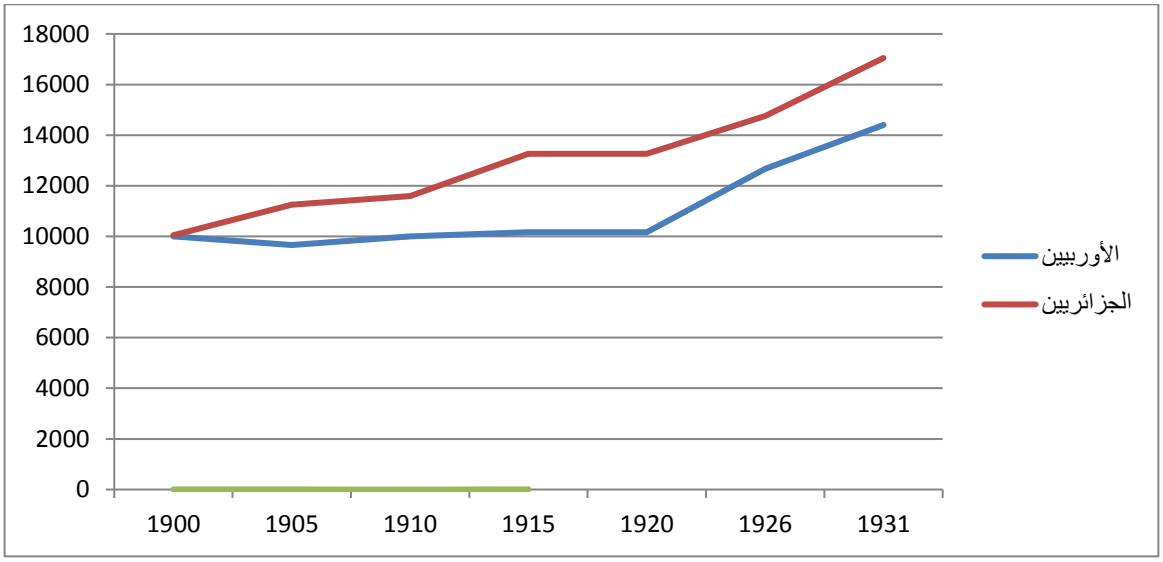

الملاحظ من خلال الجدول أنّ وتيرة النمو كانت بطيئة، خاصة من جانب الجزائريين، باعتبارهم السكان الأصليين، فإذا عدنا إلى إحصاء سنة 1830 وقارناه بإحصاء 1931 فنلاحظ أنّ الزيادة الطبيعية الخاصة بهم وصلت إلى 7000 نسمة فقط بعد مرور 100 سنة، حيث كان عددهم سنة 1830 في حدود 10000 نسمة ليصبح بعد سنة 1931 حوالي 17048 نسمة، ويعود ذلك بالأساس إلى كثرة الوفيات في صفوفهم وهجرة العديد منهم بسبب الأوضاع الصعبة التي كانوا يعيشونها، إضافة إلى التحولات الجذرية التي عرفتها المدينة بعد إقدام الإدارة الاستعمارية على تحطيم البنية الاجتماعية للسكان، وتدمير مختلف الأنشطة الاقتصادية، والتجارية الموجودة بها من صنائع وحرف ومهن وإتلاف ثرواتها المحلية. إضافة

للتغير الذي حصل داخلها بإعادة تخطيطها وفقا لمصالح وسياسة الاستعمار [1]، وذلك بتقسيمها إلى قسمين القسم الأول وهو الحي الأوربي ويقع وسط المدينة ويتوفر على المؤسسات التعليمية العيادات والمستشفى العسكري ومحطة السكك الحديدية والكنيسة ومعبد لليهود، كذلك دار للبلدية لتسيير شؤونهم وبنك فلاحي ومحكمة ومركز للدرك والشرطة، بالإضافة إلى المخابز والمحلات التجارية والسوق الخاص بالخضر والفواكه دور السينما والمسرح ... وهذا كله لخدمة الأقلية الأوربية، أما القسم الثاني وهو الأحياء العربية وتقع في حواشي المدينة الأوربية كحي باب علي، سيدي علي محمد، دوار السبايس، المحطة، وبوليلف... وهي أحياء معروفة بسكناتها الهشة وأحيائها الضيقة، فكان معظم سكانها يعانون الفقر والحرمان ويعيشون في ظروف كارثية[2].

أما نسبة سكان المدينة فقد بلغت سنة 1921 حوالي 13.42%[3] لتصل سنة 1931 إلى 13.80%، وهي نسبة متوسطة مقارنة بعدد السكان الإجمالي الذي وصل عددهم حسب إحصاء 1931 إلى 227808 [4].

وفيما يخص دائرة معسكر التي تربعت على مساحة قدرت بـ: 14233 كلم²، فقد بلغ عدد سكانها سنة 1921 حوالي 209470 نسمة، من بينهم 32035 أوربيو 177435 جزائري، توزعوا على 11 بلدية (07 كاملة الصلاحيات و04 بلديات مختلطة)[5]، ليرتفع عددهم سنة 1931 إلى 227808 نسمة، من بينهم 33374 أوربي، و194434 جزائري، بمتوسط في الكثافة يصل إلى 16 نسمة/ كلم² الواحد، موزعين على 17 بلدية، (13 كاملة الصلاحيات، و04 بلديات مختلطة)[6]، وهو ما يوضحه الجدول التالي[7]:

---

(1) مهديد إبراهيم: القطاع الوهراني مابين 1850و 1919، منشورات دار الأديب، الجزائر، ص57.
(2) Hassab Miloud Benkarama : Récit d'évènment durant la lutte armée Zone 6 wilaya 5, Mascara, Saida, Mémoires authentiques, Edition Dar El-Quds El-Arabi, p16.
(3) A.S.A,1921, Alger p 07.
(4) Ibid. Année 1931, P 50.
(5) A.S.A,1921, Op.cit, p 07.
(6) Ibid. Année, 1931, p 50.
(7) Ibid. Année, 1921 et 1931

الجدول (04): مجموع سكان دائرة معسكر في البلديات الكاملة الصلاحيات والبلديات المختلطة في سنتي 1921-1931 **الوحدة: نسمة**

	السنوات	1921			1931		
	الفئات	الأوربيين	الجزائريين	المجموع	الأوربيين	الجزائريين	المجموع
البلديات الكاملة الصلاحيات	معسكر	12673	14761	**27434**	14401	17048	**31449**
	عين الحجر	1008	698	**1706**	585	1234	**1819**
	عين فكان	/	/	/	602	3433	**4035**
	دومبال (هاشم)	/	/	/	378	2408	**2786**
	ديبلينو (حسين)	682	1311	**1993**	245	1292	**1537**
	فرانكيتي (سيدي عمر)	/	/	/	365	1226	**1591**
	فرندة	/	/	/	1083	4096	**5179**
	ماوسة	/	/	/	320	1330	**1650**
	واد تاغية	623	1031	**1654**	694	2634	**3328**
	باليكاو (تغنيف)	1306	2438	**3744**	1001	2597	**3598**
	سعيدة	6028	6204	**12232**	6934	6875	**13809**
	تيارفيل (غريس)	603	803	**1406**	569	960	**1529**
	أوزيس لوديك (فرطاسة)	/	/	/	273	774	**1047**
	مجموع سكان البلديات ك .ص	**22923**	**27246**	**50169**	**27450**	**45907**	**73357**
البلديات المختلطة	كاشرو (سيدي قادة)	1687	33777	**35464**	975	33377	**34352**
	فرندة	1810	27410	**29220**	881	27476	**28357**
	معسكر	2646	49502	**52148**	1646	44091	**45737**
	سعيدة	2969	39500	**42469**	2422	43583	**46005**
	مجموع سكان البلديات المختلطة	**9112**	**150189**	**159301**	**5924**	**148527**	**154451**
	المجموع العام	**32035**	**177435**	**209470**	**33374**	**194434**	**227808**

من خلال دراستنا للمعطيات الإحصائية المسجلة في الجدول يتضح أنّ الوضعية الديمغرافية عند الجزائريين كانت مستقرة نسبيا حيث سجلت الزيادة السكانية ارتفاعا طفيفا في معظم بلديات الدائرة – باستثناء بلدية معسكر المختلطة– وصلت إلى17000 نسمة. ويعود ذلك إلى عدة أسباب أهمها ارتفاع في عدد الولادات وانخفاض في الوفيات، حيث تشير الإحصائيات الرسمية لسنة 1931 إلى تحسن نسبة المواليد بالنسبة للجزائريين والتي بلغت (19.60 في الألف) أما الوفيات فلم تتجاوز نسبتها (11.96 في الألف)[1]، هذا إلى جانب ارتفاع معدلات الخصوبة الناتجة عن ارتفاع معدلات الزواج، وإعادة الزواج وانخفاض معدلات الطلاق[2]، كما كان لنهاية الحرب الأولى واستقرار الأوضاع بالمنطقة أحد العوامل الهامة في زيادة النمو، خاصة وأن المنطقة شهدت اضطرابات كبيرة سنة 1914، بسبب فرض التجنيد الإجباري على شبابها.

ومما يلاحظ أيضا الانخفاض المحسوس في عدد الأوربيين خلال هذه الفترة في معظم البلديات سواء الكاملة الصلاحيات أو المختلطة، ومن الأمثلة على ذلك ما شهدته بلدية عين الحجر التي مثّلت نسبة الأوربيين فيها سنة 1921 حوالي 59.08% من مجموع سكانها، لتشهد بعد ذلك تراجعا، حيث أصبحت نسبتهم لا تتعدى 32.16% سنة 1931، أما بلدية ديبلينو Dubluneau (حسين) فانخفضت نسبة الأوربيين فيها من 34.21% إلى 15.94%، فيما تراجعت نسبتهم ببلدية بليكاو (تغنيف) من 34.88% إلى 27.82%، والحالة نفسها عرفتها ببلدية تيارفيل (غريس) التي انخفضت نسبتهم من 42.88% إلى 37.21%، وقد كان لهذا الانخفاض أسباب عديدة منها: تراجع الهجرة للعناصر الأوربية والفرنسية إلى الجزائر

[1] بلغ عدد المواليد الجزائريين خلال سنة 1931 حولي 4466، في حين الوفيات فقد بلغ عددهم 2725، بزيادة طبيعية وصلت إلى 1741 أنظر : A.S.A, 1931, Année Op.cit. p50 .

[2] جدول يبين عدد حالات الزواج والطلاق للجزائريين بدائرة معسكر خلال سنوات 1925، 1930، 1931.

السنوات	1925	1930	1331
حالات الزواج	571	992	855
حالات الطلاق	56	65	101

المرجع: Annuaire Statistique de l'Algérie, Année , 1925, 1930, 1931.

خلال هذه الفترة، لتتوقف نهائيا في حدود سنة 1934 بعد أن كانت العامل الرئيسي في الزيادة الكبيرة لهم مابين 1876و 1911[1]، ومن الأسباب كذلك ضعف الإنجاب لدى أوربيي معسكر، وهو ما أدى إلى تراجع نسبة المواليد من 13.93% سنة 1925[2]، إلى 10.70% سنة 1931[3]، لتتقلص أكثر سنة 1936 حيث قدرت بـ: 7.16%[4].

كما يعود هذا الانخفاض أيضا إلى تركز معظم الأراضي الزراعية في يد فئة قليلة من المستوطنين على حساب الأغلبية، مثلما هو الحال في بلدية ديبلينو (Dubluneau) . حسين حاليا .، وباعتبار أنّ النشاط السائد فيها هو النشاط الزراعي، فقد أحال العديد منهم على البطالة أو العمل كأجراء عند نظرائهم من الأوربيين، فكان ذلك عاملا قويا في هجرة الكثير منهم نحو المدن وبأخص مدينة معسكر، بحثا عن ظروف عيش ملائمة، وفرص أخرى للعمل[5].

كما يمكن أن نرجع هذا التناقص في التعداد إلى إنهاء أو توقف بعض المشاريع الكبرى على مستوى بعض البلديات، والتي ارتبطت بوجود عدد كبير من العناصر الأوربية بها كيد عاملة، خاصة الفنّية منها، ومن الأمثلة على ذلك هجرة معظم الأوربيين الذين أشرفوا على مد قناة وادي فكان وبناء سد بوحنيفية بسبب توقف الأشغال الرئيسية سنة 1936[6].

---

(1) عبد الحميد زوزو: محطات في تاريخ الجزائر دراسات في الحركة الوطنية والثورة التحريرية على ضوء وثائق جديدة، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ص 311.

(2) A.S.A, Année 1925

(3) Ibid. Année 1931.

(4) Ibid. Année 1936.

(5) Regards sur l’arrondissement de Mascara, Op.cit. p 103.

(6) Ibid, Op.cit. p 175.

ومن الأسباب أخرى التي أدت إلى تراجع عددهم خلال هذه الفترة، تخلي بعض منهم طوعا عن أراضيهم الزراعية إما عن طريق البيع[1]، أو لوكلاء جزائريين وأجانب، وهجرتهم نحو المدن أو إلى فرنسا[2].

وقد أثارت هذه الظاهرة قلق شديدا في الأوساط الاستعمارية، لأن المسلمين الذين كانوا يشترون الأراضي أصبحوا في تزايد مستمر، وللحد من ذلك أعربت الإدارة عن نيتها في اتخاذ إجراءات لمنع الجزائريين والمضاربين الأجانب من حيازة الأراضي الفلاحية[3]، وحتى الصحافة الفرنسية طرحت هذه القضية، حيث كتبت عنها العديد من الصحف، ومنها على وجه الخصوص جريدة "لافونير دي معسكر"(L'avenir de Mascara) في مقال لها بعنوان "كيف ستصبح الجزائر في 1950؟" (que sera l'Algérie en 1950?) جاء فيه:" إذا بقي المستوطنون ضحية لرجال السياسة فلن يطول الأمر أكثر من عشر سنوات ويسترجع العرب أراضيهم، ثم يقومون بطردنا، ويبقون هنا برفقة اليهود، وبعد ذلك سوف يغزو العشب والحشائش الطرقات، وتصبح المدينة مرة أخرى مملوءة بالنخيل والأعشاب البرية، وتختفي أشجار الكروم الجميلة، ولن يبق سوى أشجار الزيتون التي غرسها الرومان القدامى"[4].

إنّ تراجع تعداد الأوربيين خلال هذه الفترة أدى إلى اختلال التوازن الديمغرافي، مما جعل الفوارق بينهما كبيرة، تراوحت في البلديات الكاملة الصلاحيات (les Commune de plein exercice) مابين 03 إلى 06 جزائري مقابل أوربي واحد[5]، فعلى سبيل المثال بلدية ديبلينو Dubluneau (حسين) التي بلغت نسبة القاطنيين من الأوربيين فيها سنة 1931 بـ: 15.94%، وهو ما يعادل 06 من الجزائريين مقابل 01 أوربي، أما بلدية عين فكان التي لم تتعد نسبة

(1) Mahfoud Kaddache : Histoire du nationalisme Algérien (1919-1939), Tome 1 Edition, EDIF, 2000, Alger,p20.

(2) بن داهة عدة: الاستطان والصراع حول ملكية الأرض إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830-1962، ج2، المؤلفات للنشر والتوزيع (المسيلة) الجزائر، 1434هـ/ 2013 م، ص162.

(3) Mahfoud Kaddache : Op.cit. p20 .

(4) L'avenir de Mascara, 09/12/1922.

(5) لا ينطبق ذلك على بلديتي معسكر وسعيدة الكاملتين الصلاحيات، والتي يتساوى فيهما تقريبا عدد الأوربيين بالجزائريين بحيث نجد في كل منهما 01 أوربي يقابله 01 جزائري.

سكانها الأوربيين 14.91% فنجد فيها كل 05 جزائريين مقابل 01 أوربي، بينما تراوحت في كل من واد تاغية وماوسة وباليكاو (تغنيف) مابين 04 إلى 02 جزائري مقابل 01 أوربي. أما في البلديات المختلطة فزادت حدّة الفوارق بين الفئتين وتعمّقت أكثر، نظرا لارتفاع عدد السكان الجزائريين فيها وقلة الأوربيين، نأخذ على سبيل المثال بلدية كاشرو المختلطة (سيدي قادة) التي بلغ تعدادها سنة 1931 حوالي 34352 نسمة، لكنّ نسبة الأوربيين فيها لم تتجاوز 2.83% أي ما يعادل 01 أوربي مقابل 34 جزائري. في حين نجد بلدية معسكر المختلطة[1]، التي وصل عدد سكانها خلال نفس السنة إلى 45537 نسمة، إلاّ أنّ نسبة الأوربيين فيها لم تزيد عن 3.59% (1أوربي يقابله 26 جزائري)، وهو ما يوضحه الشكلين التاليين:

[1] بلدية معسكر المختلطة:(La Commune mixte de Mascara) أسست بموجب قرار22 جويلية 1877، تحول مقرها من معسكر إلى تيارفيل (غريس) عام 1883، وكانت وقتها تتألف من 28 قسما، منها ثمانية مراكز استطانية هي على التوالي: تيارفيل، فروحة، ماوسة، عين فارس، مطمور، واد التاغية، عين فكان، وتيزي، وعشرون دوارا هم: سجرارة، بني نسيغ، فراقيق، حجاجة، أولاد سيدي دحو، أولاد السعيد، بني خميس، البحورات، ماوسة، عين الدفلة، سيدي بن موسى، زلاقة، فروحة، فكان، سيدي بن حنفية، القيطنة، ماقضة، البنيان، قرجوم، ملغيغ، تحولت بعض منها إلى بلديات كاملة الصلاحيات مثل تيارفيل، ماوسة، عين فارس، واد التاغية، عين فكان، بعد ازدياد العنصر الأوربي بها. أنظر بن داهة عدة: معسكر عبر التاريخ، المرجع السابق، ص 30.

الشكل (05): يوضح عدد السكان الجزائريين والأوربيين في البلديات الكاملة الصلاحيات لدائرة معسكر سنة 1931.

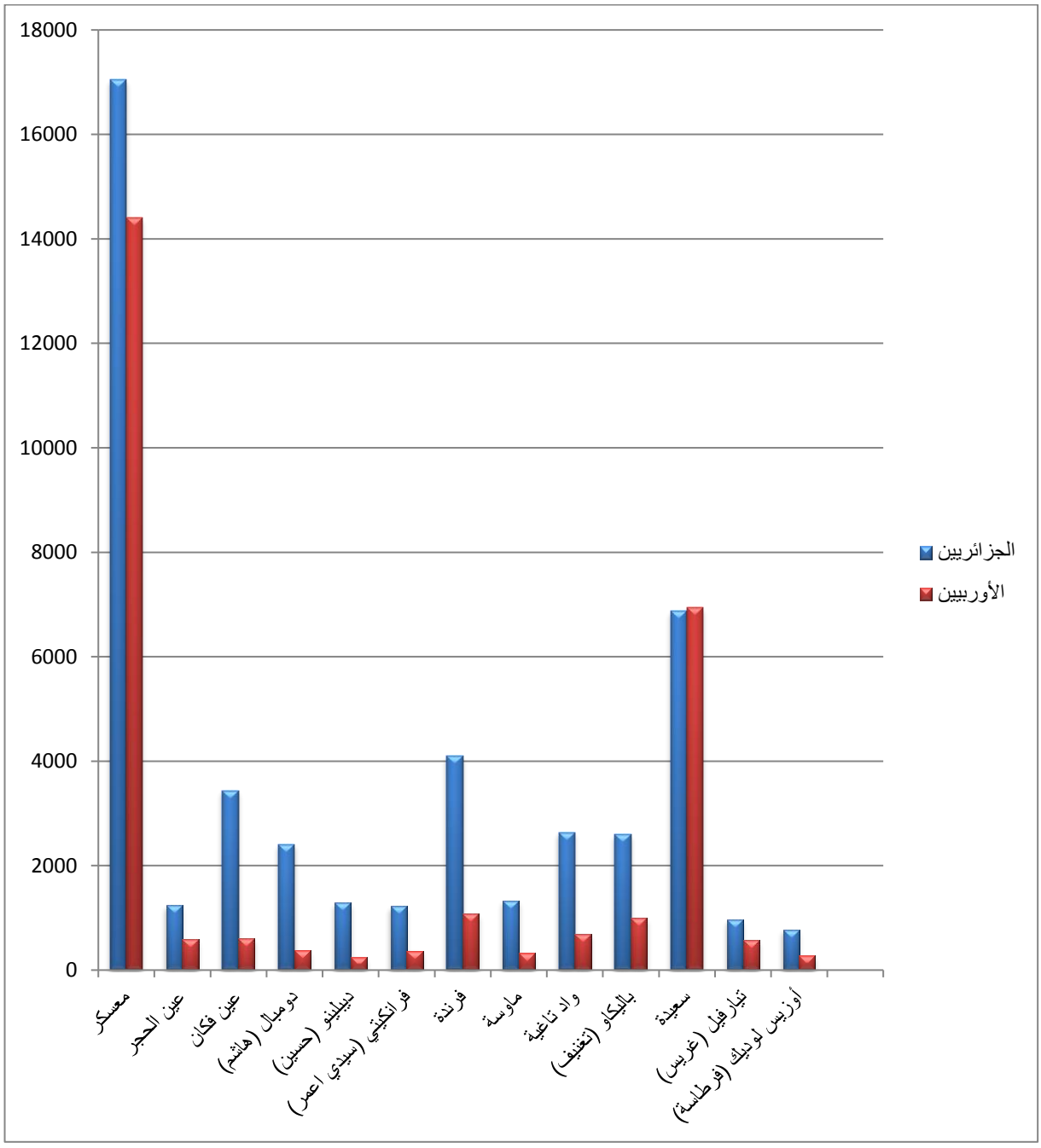

الشكل (06): يوضح عدد السكان الجزائريين والأوربيين في البلديات المختلطة لدائرة معسكر سنة 1931.

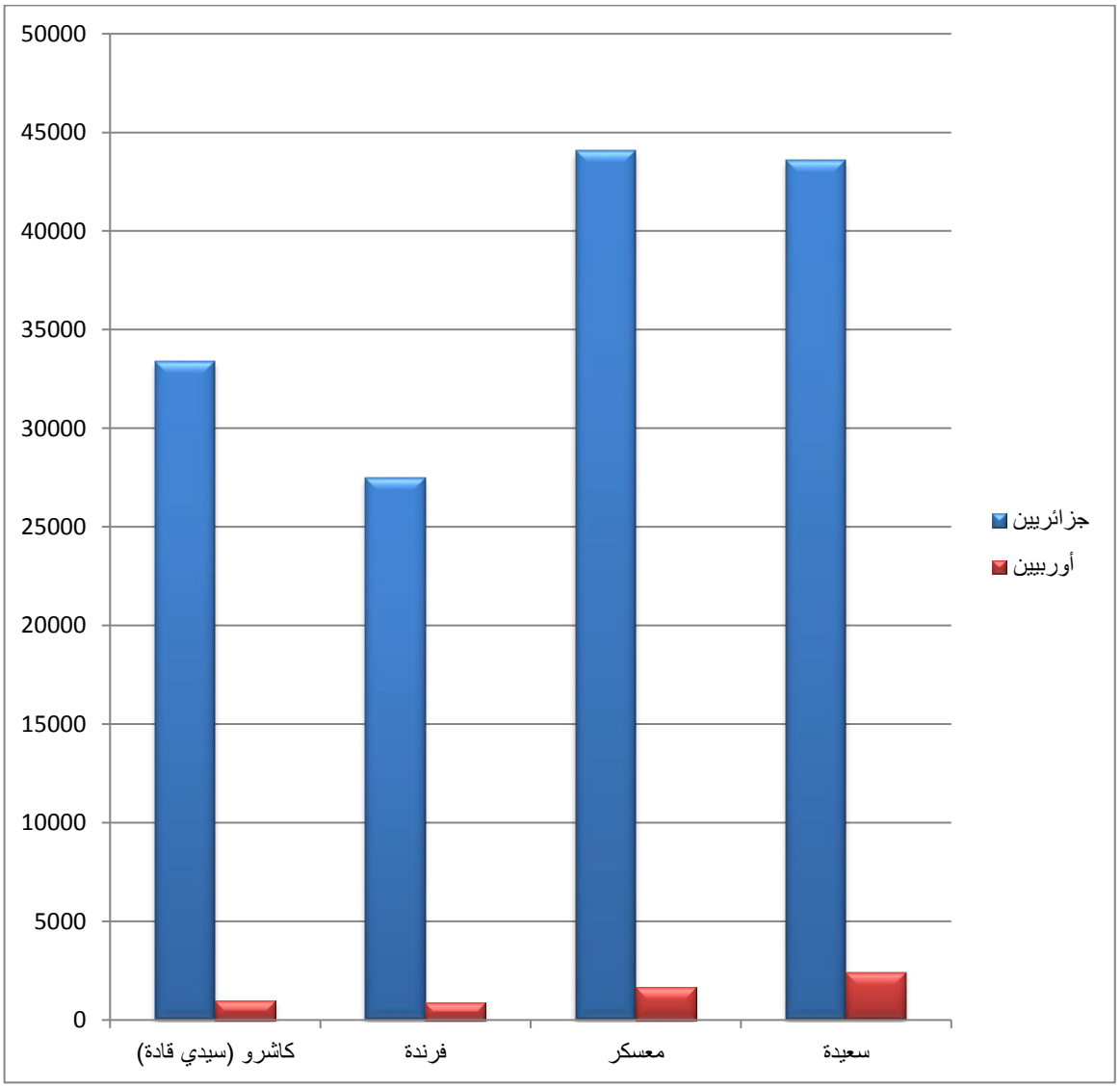

2. التمركز السكاني

أ. بالنسبة للجزائريين

أما فيما يتعلق بتمركز السكان فالملاحظ أنه إلى غاية بداية الثلاثينات كان الجزائريون لا يزالون يتمركزون بقوة في القرى الريفية والدواوير، وكانت معظم المراكز الحضرية والمدن لم تشهد بعد تدفق السكان الريفيين إليها بشكل كبير[1]، نأخذ على سبيل المثال بلدية معسكر المختلطة المعروفة بوزنها الديمغرافي في المنطقة، والتي كانت تتكون عند تأسيسها سنة 1877 من ثمانية مراكز استيطانية، وعشرون دوارا. فحسب الوثائق الرسمية الفرنسية فإنّ عدد سكانها من الجزائريين في بعض دواويرها خلال هذه السنة كان على النحو التالي: البحورات 678 نسمة، بني نسيغ 1191 نسمة، بني خميس 1238 نسمة، سيدي بوحنيفية 2531 نسمة، عين الدفلة 984 نسمة، فروحة 1535 نسمة، الفراقيق 957 نسمة، القيطنة 2901 نسمة، حجاجة 883 نسمة، ماوسة 2074 نسمة، أولاد السعيد 1305 نسمة، أولاد سيدي دحو 1757 نسمة، سجرارة 2086 نسمة، سيدي بن موسى 1849 نسمة، زلامطة 1153 نسمة[2]، أما عدد الأوربيين يكاد يكون شبه منعدم، ماعدا القيطنة التي تواجد فيها 181 فرنسي، و39 إسباني، و19 شخصا من العناصر الأجنبية الأخرى[3].

حافظت بلدية معسكر المختلطة كتجمع من التجمعات الريفية الكبرى بالمنطقة على ثقلها الديمغرافي، حيث تم إحصاء بها 45737 نسمة سنة 1931، منهم 44019 من الجزائريين أي بنسبة (96.94%) و1646 من الأوربيين فقط، ما يعادل (3.59%)[4].علما أنّ شدة

(1) Mahfoud Kaddache : Op.cit. p20
(2) Conseil Général du Département D'Oran, Rapport du Préfet et Procès-verbaux des Délibérations, session D'octobre 1877, Oran, pp 06, 07.
(3) Conseil Général du Département D'Oran, Op.cit. p 07.
(4) A.S.A, Année 1931, Op.cit. p50

التركز السكاني بها هي الأعلى على مستوى الدائرة، والتي وصلت إلى 20.07% من المجموع العام للسكان[1].

وفي مقابل ذلك شهدت التجمعات السكانية في المراكز الحضرية – البلديات الكاملة الصلاحيات– تركّز كثيف للأوربيين، التي أصبح عددهم في بعضها يفوق عدد الجزائريين، مثلما هو الحال في بلدية عين فكان، وفرانكيتي (سيدي اعمر)، وماوسة، أو يكاد يتساوى معهم في بلديات أخرى، مثل بلدية دومبال (هاشم)، وديبلينو (حسين)، ويمكن توضيح ذلك من خلال الجدول الأتي الذي يبين توزيع السكان بشكل مفصل لكل بلدية لسنة 1931[2]:

(1) A.S.A, Année 1931, Op.cit. p50
(2) Ibid.

جدول (05): تمركز السكان في المناطق الحضرية والريفية

	البلديات	التجمعات السكانية في المراكز الرئيسية		التجمعات السكانية خارج المراكز الرئيسية (الدواوير والقرى)	
		أوربيين	جزائريين	أوربيين	جزائريين
البلديات الكاملة الصلاحيات	معسكر	12841	14750	562	1969
	عين فكان	515	336	87	3097
	دومبال (هاشم)	278	329	99	2075
	ديبلينو (حسين)	245	373	/	919
	فرانكيتي (سيدي عمر)	365	132	/	1094
	ماوسة	320	/	/	1330
	واد تاغية	694	1459	/	1175
	تغنيف	945	2025	56	558
	تيارفيل (غريس)	520	851	49	109
	المجموع	**23817**	**29977**	**1396**	**15141**
البلديات المختلطة	سيدي قادة	/	/	975	33377
	فرندة	/	/	881	27476
	معسكر	/	/	1616	44091
	سعيدة	/	/	2418	43313
	المجموع	/	/	**5920**	**148255**

ومما تجدر الإشارة إليه أن المناطق الريفية المعروفة بضغطها السكاني سواء الواقعة في دائرة معسكر أو في الدوائر الأخرى ستشهد انخفاض محسوس مع بداية الثلاثينات نتيجة تدفق سكانها نحو مناطق التصنيع ونحو المدن، ويرجع ذلك إلى المشاكل الاجتماعية العويصة التي أصبحوا عرضة لها كالفقر والجوع والبطالة[1]. حيث يقول الأستاذ محفوظ قداش في هذا الشأن مايلي:" ... فلا بد من الإشارة إلى حقيقة مهمة وهي هجرة فائض السكان القرى الريفية نحو المدن ابتداءا من عام 1931، ففي غالب الأحيان لا تكون الهجرة من أجل العمل فقط ولكن بسبب الجوع، فالوافدون الجدد تركوا قراهم لأنهم لم يعد بوسعهم البقاء فيها..."[2].

وقد أدى ذلك إلى زيادة عدد السكان بالمدن وإعادة التوازن فيها مع السكان الأوربيين، حيث ارتفعت نسبتهم من 11% سنة 1936 إلى 14.7% عام 1947، لتصل إلى 18.9% في عام 1954. غير أن هذه الظاهرة ستؤدي إلى تكدس هؤلاء السكان في الأحياء العربية التقليدية، أو في تجمعات على شكل أكواخ بضواحي المدن[3].

ب. بالنسبة للأوربيين:

أما عندما ندرس الجالية الأوربية بالمنطقة خلال هذه الفترة، فنجد أنّ دائرة معسكر على غرار دوائر المقاطعة الغربية عرفت تنوعا في تركيبتها البشرية الأوربية، حيث استوطن المنطقة إلى جانب الفرنسيين أعراق وأجناس أخرى جاءت من مختلف أنحاء أوربا، كالألمانيين وإيطاليين ومالطيين، وبالخصوص إسبانيين، الذين شكلوا الأغلبية، وتبعا للإحصائيات الديمغرافية الرسمية تمكنا من تكوين صورة واضحة عن التوزيع الديمغرافي لهذة الجاليات ومقارنتها مع بعضها.

(1) الجيلالي صاري ومحفوض قداش: المقاومة السياسية 1900-1945 الطريق الثوري والطريق الإصلاحي، ت عبد القادر بن حراث، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1987، ص212.

(2) Mahfoud Kaddache : Op.cit. p252.

(3) شارل روبير أجيرون: تاريخ الجزائر المعاصرة، تر عيسى عصفور، ط 01، منشورات عويدات، بيروت-باريس، 1982، ص133.

الجدول (06) تعداد الجاليات الأوربية في جميع بلديات دائرة معسكر سنة 1921[1]

الوحدة: نسمة

	المناطق	فرنسيين	إسبان	ايطاليين	مالطيين	أخرين	المجموع
البلديات الكاملة الصلاحيات	**معسكر**	9325	3290	20	05	33	**12673**
	ديبلينو(حسين)	437	241	04	/	/	**682**
	واد تاغية	408	205	03	/	07	**623**
	تغنيف	905	210	10	/	181	**1306**
	غريس	503	75	05	/	20	**603**
البلديات المختلطة	**كاشرو (سيدي قادة)**	1224	456	04	02	1	**1687**
	معسكر المختلطة	2061	556	29	/	/	**2646**

يتضح من خلال الجدول أنّ المجتمع الأوربي في معسكر كان يتشكل في غالبيته من الفرنسيين، باعتبارهم المستوطنين الأوائل وأصحاب السيادة عليها منذ احتلالها سنة 1841، ثم يليهم الاسبان الذين تمركزوا بشكل واسع في جميع أرجاء المنطقة، وبدرجة أقل الايطاليين والمالطيين. وحسب إحصائيات الجدول دائما فإنّ عدد الفرنسيين فاق عدد الإسبان بثلاث مرات تقريبا (14863 فرنسي مقابل 5033 إسباني)، وهو ما جعل السكان الفرنسيين يشكلون ثلث سكان مدينة معسكر، بينما لم يزيد عدد الاسبان فيها عن السدس[2].

وخلافا لما كان موجود في بعض الجهات الأخرى كوهران التي شهدت استقرار كثيف للعنصر الاسباني والعنصر الفرنسي على حساب الجزائريين، فإن مدينة معسكر احتفظت بعدد كبير من سكانها الجزائريين إلى جانب الفرنسيين، وهو ما جعل البعض يصفها بالمدينة

(1) Statistique Générale de l'Algérie, 06 Mars 1921, p 07.
(2) La Revue de Parise, Dix-huitième Année, Tome Première, Janvier-Février 1911, Parise, p 869.

الفرنسية العربية (une ville Franco-arabe)، عكس مدينة وهران التي كانت تُعرف بالمدينة الفرنسية الاسبانية (une ville Franco-espagnole)[1].

أما الجالية الاسبانية التي استقر معظمها خارج المدينة كان تأثيرها واضح على الحياة الاقتصادية بالمنطقة خاصة النشاط الزراعي، ويعود تفوقها العددي على الجاليات الأخرى من ألمان وايطاليين ومالطيين وغيرهم بمعسكر والعمالة الغربية بصفة عامة إلى عدة ظروف وأسباب نلخصها فيما يلي:

- حرص السلطات الفرنسية على إعادة بعث الهجرة الإسبانية، والقرب الجغرافي بين وهران وإسبانيا حيث لا يستغرق الإبحار بينهما إلاّ بضع ساعات[2].
- فقر المنطقة الجنوبية الشرقية لاسبانيا بسبب الظروف الطبيعية الصعبة، وضيق سواحلها، واكتضاضها، مما دفع بغالبية سكانها إلى الهجرة، مثلما هو الحال بالنسبة لمدينة فالنسيا التي ساهمت بنسبة 12% من مجموع المهاجرين إلى الجزائر، وجزر البليار بنسبة 8%، وأليكانت بنسبة 49%، وألميريا بنسبة 10%، ومورسيا بـ، 7%، أما المناطق الداخلية فلم تساهم إلا بنسبة قليلة مثل مدريد التي ساهمت بنسبة 0.6%[3].

- الأزمات السياسية والاقتصادية التي عرفتها شبه الجزيرة الإبيرية وبالخصوص سنوات (18471848) و(1856–1857) و(1868– 1869) والتي أدت إلى تدفق أعداد كبيرة من الاسبان نحو مدن العمالة الغربية وقد شغلوا في البداية وظائف عديدة مثل سائقي

(1) La Revue de Parise, Op.cit.
(2) بلحاج محمد: اتجاهات الهجرة في عمالة وهران، مجلة المواقف للدراسات في المجتمع والتاريخ، جامعة مصطفى اسطنبولي معسكر، العدد رقم 04، ديسمبر 2009، ص 78.
(3) حليمي عبد القادر: المرجع السابق، ص ص 149، 150.

العرابات، وأعمال الحفر وعمال زارعين وما إلى ذلك، كما ساهموا بشكل كبير في بناء البنية التحتية (الطرق والموانئ والسكك الحديدية)[1].

أما بخصوص الجاليات الأوربية الأخرى التي استوطنت المنطقة فإنّ الأرقام الواردة في الجدول لم تقدم معلومات وافية ومفصلة عنها، وقدمتها مجملةً، وهو ما يطرح تساؤلات عن جنسيات هذه العناصر، وبأخص بلدية باليكاو (تغنيف) الكاملة الصلاحيات التي استقر بها عدد معتبر منهم، ويرجح أن يكون بعضها من الجاليات الألمانية، باعتبار أنّ الجالية الألمانية شهدت توافدا كبير على المنطقة في بداية الاحتلال، واستقرت ببعض المراكز الاستطانية، كمركز وادي تاغية الذي قامت إدارة الاحتلال بتثبيت فيه 24 عائلة قادمة من منطقة الألزاس واللورين[2]، ومركز وادي الحمام (ديبلينو) الذي عرف هو الأخر عام 1854 توافد 164 مهاجر من إقليم رينانيا (الألماني) يشكلون 24 عائلة ألمانية أخرى[3]، لكن معظم هذه العائلات فضّلت الهجرة نحو المدن الدّاخلية ولم يبق منهم إلاّ عدد قليل جدا، مثلما هو الحال للعائلات الألمانية التي استوطنت وادي تاغية، لعدم تأقلمهم مع ظروف الحياة الجديدة في هذا المركز، والتي كانت قائمة بالدرجة الأولى على الزراعة، ولأنّ هؤلاء كانوا لا يجيدون هذا النشاط، ومعظمهم مختص في مهنة الخياطة فقد استحال عليهم البقاء رغم الامتيازات التي كانوا يحصلون عليها والمتمثلة في تقديم منحة تصل إلى 50 فرنك لكل فرد منهم[4].

---

(1) Kamel Kateb : Européenne, Indigènes et juifs en Algérie (1830-1962), Edition eh Maarifa, Algérie 2010, P28.

(2) P. Roge Duvollet : chez nous les Africains, Alger et Algérois, Oran, Oranie et Sud Oranies, Constantinoises, Maroc , Tunis et Tunisie, Sahara, Tome 10. P94.

(3) بن داهة عدة: الهجرة الألمانية إلى الجزائر خلال القرن 19م (1830 - 1900)، مجلة المواقف للدراسات في المجتمع والتاريخ، جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر، العدد رقم 04، ديسمبر 2009، ص 12.

(4) P. Roge Duvollet : Op.cit. p 94.

3. المواليد والوفيات:

أ. المواليد والوفيات عند الجزائريين:

إنّ الجدول أدناه[1] يبرز تطور عدد الولادات والوفيات لسكان منطقة معسكر في الفترة الممتدة مابين (1915–1936)، غير أن الإحصائيات الواردة فيه والتي تحصلنا عليها من مصادرها الرسمية لم تغطي جميع السنوات التي تقوم عليها دراستنا خاصة تلك المتعلقة بالحربين العالميتين الأولى والثانية نظرا لتوقف عملية الإحصاء خلال هذه الفترة، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنّ الإحصائيات المسجلة أعطت أرقاما إجمالية ولم تقدم لنا تفاصيل دقيقة عن الظاهرة المدرسة لبلدياتو دواوير المنطقة كل على حدا.

الجدول (07) :المواليد والوفيات بدائرة معسكر عند الجزائريين 1915 – 1935

الوحدة: نسمة

السنوات	1915	1925	1930	1935
المواليد	4443	5514	4466	6662
الوفيات	4045	2642	2725	3241
الزيادة الطبيعية	398	2872	1741	3421

(1) A.S.A, Année 1915,1920,1930,1935.

الشكل (07): عدد المواليد الوفيات لسكان دائرة معسكر عند الجزائريين مابين (1915-1935)

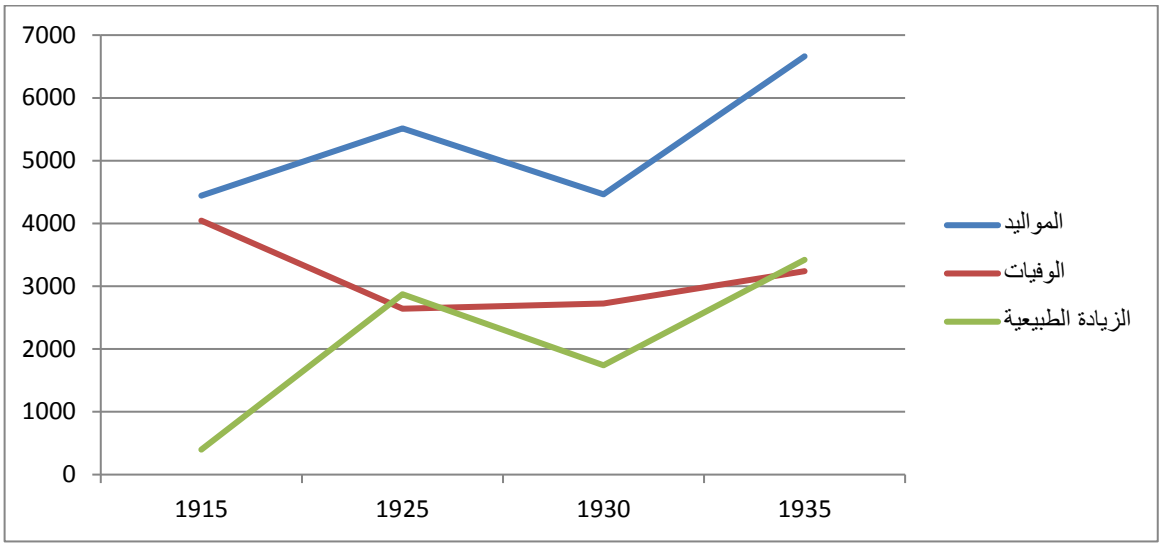

ومن خلال دراستنا للمعطيات المسجلة في الجدول واستقرائنا للرسم البياني نلاحظ أنّ المنطقة عرفت تباين في تعداد المواليد والوفيات مما جعل الزيادة الطبيعية الناتجة عن الفرق بينهما غير مستقرة، حيث كانت فترة الحرب العالمية الأولى صعبة وقاسية على السكان، وهو ما أدى إلى انحسار عدد الولادات بشكل كبير خاصة سنة 1915 التي سُجِّلت بها 4443 مولود فقط مقابل 4045 حالة وفاة، وبتالي فإنّ الفارق في الزيادة الطبيعية قدر بـ: **(398)**، ويعود ذلك إلى تدهور الأوضاع الاجتماعية وانتشار الأمراض والأوبئة بشكل واسع في أوساط سكان المنطقة كحمى الملاريا، حمى التيفويد الحصبة، والسعال الديكي، الإسهال، الكوليرا، وداء السل وغيرها ...[1]، هذا إلى جانب نقص الرعاية الصحية.

غير أن عدد الولادات عرف تزايد ملحوظا في الفترة الممتدة مابين (1925-1935)، حيث ارتفع العدد من 5514 مولود مسجل سنة 1925 إلى 6662 مولود سنة 1935. أما الوفيات فقد سجلت انخفاضا محسوسا مقارنة بما كانت عليه سنة 1915، فمن 4045 حالة وفاة سنة 1915 تراجع العدد سنة 1925 إلى 2642 حالة وفاة بفارق قدر بـ: (1403

[1] A.S.A, Année 1915 pp 40,41

حالة). وأما سنة 1930 فسجل بها 2725 حالة، لتعرف ارتفاعا طفيفا سنة 1935 بـ: 3241. وهو ما نلمسه في جميع دوائر العمالة الغربية، ويرجع هذا الانخفاض إلى انتهاء الحرب الأولى واستقرار الأوضاع وإلى عوامل أخرى مرتبطة بالنشاط الطبي (التلقيح ضد الأمراض والأوبئة وبالأخص "الجدري"، وتطور الهياكل الصحية)، إضافة إلى تحسن الظروف المعيشية[1].

ب. المواليد والوفيات عند للأوربيين:

الجدول (08): المواليد والوفيات بدائرة معسكر عند الأوربيين مابين 1915 – 1935.

الوحدة: نسمة

السنوات	1915		1925		1930		1935	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
المواليد	756	%14.54	875	%13.91	642	%12.58	684	%9.33
الوفيات	563	%12.21	415	%13.57	363	%11.75	391	%10.76
الزيادة الطبيعية	193	/	470	/	270	/	293	/

الجدول أعلاه عبارة عن إحصائيات تبرز لنا تطور عدد الولادات والوفيات عند الأوربيين في منطقة معسكر في الفترة الممتدة مابين (1915–1936)، ومن خلاله يتضح أنّ نسبة الولادات كان منخفضة، تراوحت مابين (9.33%و 14.54%). ويعود هذا انخفاض إلى تراجع تعداد الأوربيين خلال هذه الفترة بسبب الهجرة وعوامل أخرى أشرنا إليه سابقا، بالإضافة إلى انخفاض معدل الخصوبة الناتج عن انخفاض معدلات الزواج، والتي لم

(1) Kamel Kateb : Op.cit. P 132.

تتجاوز 90 حالة زواج سنة 1915 بسبب ظروف الحرب والتجنيد، و224 حالة سنة 1925، أما سنة 1935 فانخفضت إلى 171 حالة [1].

والواضح أنّ تراجع نسبة الولادات لم تكن على مستوى الدائرة فحسب إذا ما قارناها بنسبة الولادات عند الجزائريين، وإنما كانت أيضا على مستوى العمالة حيث سجلت دائرة معسكر خلال هذه الفترة أدنى نسبة مواليد مقارنة بكل من دائرة وهران ومستغانم وسيدي بلعباس وتلمسان وهو ما يوضحه الجدول والشكل البياني[2]:

الجدول (09): عدد المواليد في دوائر عمالة وهران مابين 1915-1935.

الوحدة: نسمة

الدوائر	1915	1925	1930	1935
معسكر	756	875	642	684
وهران	4755	5520	5877	5940
مستغانم	816	1257	1111	1032
سيدي بلعباس	1227	1451	1353	1213
تلمسان	681	1012	966	847

(1) A.S.A, Année 1915,1920,1930,1935.
(2) Ibid.

الشكل (08): المواليد في دوائر عمالة وهران مابين 1915-1935

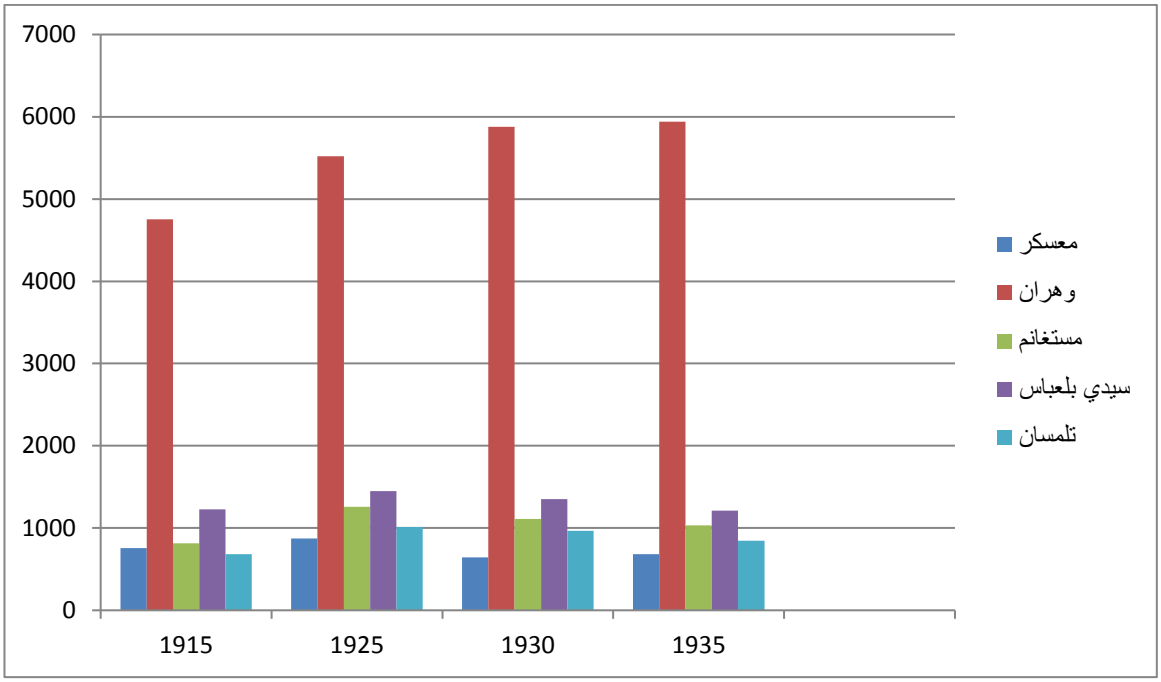

أما الوفيات الخاصة بهذه الفئة عرفت هي الأخرى انخفاضا مستمرا بين 1915 و1935، ويعزى ذلك إلى تحسن البنية الطبية في الجزائر، والتي أصبحت مستخدمة بشكل رئيسي لصالح السكان الأوربيين، وتعميم عملية التلقيح ضد الأمراض والأوبئة الفتاكة.

وفي الأخير ومن خلال ما تقدم يتبين:

– محافظة الجزائريين على التفوق العددي على حساب الأوربيين في الريف والمدينة، رغم ظروفهم الاجتماعية القاسية، وارتفاع معدل الوفيات في صفوفهم، وخير مثال على ذلك بلدية معسكر المختلطة التي بلغت نسبة الجزائريين فيها 96 % من مجموع السكان.

– عدم قدرة الأوربيين على تحقيق توازن ديمغرافي بينهم وبين الجزائريين رغم الإغراءات المادية الكبيرة التي وضعت تحت تصرفهم من قبل السلطات الفرنسية وهو ما أدى إلى فشل المشروع الاستيطاني بالمنطقة.

المبحث الثاني: التركيبة الاجتماعية . البنى والتحولات .

قبل التطرق لدراسة مكونات المجتمع الجديد والتحولات العميقة التي عرفها نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، ينبغي علينا أولا تحديد الأسباب الكامنة التي كانت وراء تلك التحولات والتغيرات التي مست بنية المجتمع الجزائري بصفة عامة والمجتمع المعسكري بصفة خاصة.

فما من شك أنّ البناء الجديد للمجتمع ارتبط بشكل مباشر بالظاهرة الاستيطانية، وما صاحبها من قوانين ومراسيم، كقانون سيناتوس كونسيلت (Sénatus-consulte) لعام 1863، وقانون فارني (Warnier) عام 1873، وقوانين 1887 و1897[1]، التي لعبت دورا كبيرا في بسط سيطرة الكولون على الأراضي الجزائرية وهيأت الجو الملائم للإستطان[2]، بعد أن قامت بتفتيت عرى القبائل والأعراش ومصادرة ملكياتها الزراعية.

ونتيجة ذلك، انهارت العائلات الجزائرية الكبرى في الريف، وفقدت جُل مقوماتها الروحية والمادية، وتقلص دورها الإداري والسياسي والاجتماعي ...[3]. ونفس المصير عرفته البرجوازية الجزائرية في المدن والمؤلفة من المثقفين، والقضاة، والتجار، حيث زالت هي أيضا تحت وطأة الاستيطان، ولم تتكون إلاّ بدءا من عام 1900 ببطء شديد وبصيغة جديدة[4].

وفي مقابل ذلك، حافظت بعض العائلات على نفوذها وقوتها المادية ومكانتها الاجتماعية، خاصة بعد منحها بعض المناصب في الجهاز الإداري والوظيفي وارتقائها

(1) مهديد إبراهيم: القطاع الوهراني مابين 1850 و1919، المرجع السابق، ص05.
(2) بن داهة عدة: الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض إبان فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830 – 1962، الجزء الأول، المؤلفات للنشر والتوزيع (المسيلة) الجزائر، 1434هـ/ 2013م. ص 432.
(3) يحي بوعزيز: سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية من 180 إلى 1954، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2009، ص45.
(4) شارل روبير أجيرون: المرجع السابق، ص ص 97، 98.

تدريجيا فيه حتى عام 1900، وهو عامل أساسي سيمكنها في المستقبل من تعزيز مكانتها الاقتصادية والاجتماعية، لتشكل قسما مهما من البورجوازية الريفية والحضرية[1].

ومع مطلع القرن العشرين اتضحت معالم التراتبية الاجتماعية الجديدة بشكل جلي، والتي تشكلت في المجتمع الريفي من أربع فئات رئيسية، وهي البرجوازية العقارية الكبرى وغالبيتها من الأوربيين، والبرجوازية الوسطى والصغيرة، والمكونة أساسا من الأوربيين والعائلات الجزائرية ذات النفوذ، أما الطبقة الأخيرة فهي الطبقة الكادحة والمشكلة من المزارعين، والخماسين، والعمال الزراعيين[2].

أما بخصوص القوى الاجتماعية في المدن، فتشكلت هي الأخرى من البرجوازية التجارية والصناعية ذات الأصل الأوربي والبرجوازية التجارية الجزائرية، ناهيك عن شريحة أخرى من الفئات الحضرية، وهم المثقفون من النواب والمساعدين (assesseurs)، وأساتذة، وإداريين من الخوجا والعادل والباش–عادل، والمفتي، والوكيل وغيرهم ممن يدخلون اجتماعيا تحت ظل البرجوازية الوسطى[3]. بالإضافة إلى فئة أخرى من أصحاب المهن والحرف كالنجارين، والحدادين، الدباغين، والسباكين... ثم تأتي في الأخير الطبقة الشغيلة وهي طبقة معدومة وفقيرة توظف في الورشات والمصانع والمكونة من الرجال والنساء والأطفال[4].

وللتفصيل أكثر في الموضوع، وإعطاء صورة واضحة عن هذه التراتبية الاجتماعية الجديدة، سنسلط الضوء على المجتمع المعسكري الذي شهد هو الآخر تحولات جذرية مست بنيته الاجتماعية، والتي تشكلت نتيجة مخاض عسير مرت به المنطقة منذ احتلالها سنة 1841 وإلى غاية نهاية القرن التاسع عشر. وتجلى ذلك في قيام الإدارة الاستعمارية

(1) مهديد ابراهيم: المرجع السابق، ص 06.
(2) عبد اللطيف بن أشنهو: تكون التخلف في الجزائر (محاولة لدراسة حدود التنمية الرأسمالية في الجزائر بين عامي 1830 و1962)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1979، ص ص 297 292.
(3) مهديد ابراهيم: المرجع السابق، ص 57.
(4) Charles Robert Ageron, Les Algériens Musulmans et la France 1871 – 1919, Tome second, EDIF2000. P 848.

بمصادرة أراضي القبائل خاصة التي خاضت المقاومة مع الأمير عبد القادر وتمليكها للمستوطنين الأوربيين، وهو ما دفع بالكثير من سكانها إلى الهجرة نحو الجنوب أو إلى الخارج، وأيضا في اضمحلال العائلات الكبرى ذات النفوذ والسلطة وفقدانها لمكانتها السياسية، والدينية، والاقتصادية، والاجتماعية، التي كانت تحظى بها طيلة الفترة العثمانية وإلى غاية السنوات الأولى من الاحتلال، كعائلة المشارف، والدحاحوة، وعائلة سيدي قادة بلمختار – جد الأمير عبد القادر–، وعائلة سيدي أحمد بن علي وغيرها...

وإلى جانب ذلك، قامت الإدارة الاستعمارية بضرب وحدة قبائل المنطقة بتفتيتها وتجزئتها إلى دواوير بموجب مراسيم وقوانين ذكرناها آنفا، وهذا لتسهيل عملية انتقال أراضيها الزراعية إلى الكولون، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر قبيلة الفراقة التي قسمت أراضيها بمقتضى المرسوم الإمبراطوري الصادر في 16 جوان 1866 إلى دوارين هما: دوار الفراقة ودوار عطية جلابة، يجمع كل منهما ثلاثة فروع[1]. أما مساحة الأراضي الجماعية التي كانت بحوزة هذه القبيلة قدرت بـ هكتار12.556، قسمت إلى ملكيات فردية على 948 شخصا من مجموع سكانها البالغ عددهم 2385[2].

وبتفكيكها للقبائل تكون فرنسا قد حطّمت البنية الاجتماعية التقليدية في المنطقة وضربت وحدتها، وأوجدت في ذات الوقت هيكل اجتماعي جديد تحت سيطرة الكولون وذلك على مستوى الريف والمدينة.

أ– **البنية الاجتماعية في الريف:** تكونت من الفئات التالية:

(1) - دوار الفراقة ويتكون من الفصائل التالية الزهادلية، الفراقة الفواقة، والفراقة التحاته، تجمع 1.509 ساكنا وبحوزتها 78 هكتار أراضي جماعيةو 8533 هكتار أراضي ملك،و 04 هكتار مقابر، 04 هكتار قطاع عام (أراضى الدولة).
- دوار عطية جلابة ويتألف هو الأخر من ثلاث فصائل هي عطية جلابة، هبرة، شارب الريح، 1760 نسمة، وحددت أراضيها كما يلي: 988 هكتار أراضي جماعية، 2808 هكتار أراضي ملك، 05 هكتار مقابر، 32 هكتار أملاك عامة، بمجموع 3.256 هكتار. أنظر عدة بن داهة: الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض إبان فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830 – 1962، ج 01، دار المؤلفات للنشر والتوزيع، ط 01، الجزائر 1434 هـ - م2013، ص 25.
(2) بن داهة عدة: المرجع نفسه، ص ص 25، 26.

1. الفئة البورجوازية العقارية الكبرى:

تألفت هذه البرجوازية أساسا من الملاكين العقاريين الكبار، الأوربيين، الذين يمتلكون أكثر من 100 هكتار (حمضيات، كروم، حبوب)، أو يمتلكون أكثر من 50 هكتار كروم، ويحتكرون حوالي 80 % من الأراضي، ويشكل هؤلاء الفئة البورجوازية المهيمنة اقتصاديا وسياسيا وعقائديا. فعلى المستوى الاقتصادي استطاعت هذه الفئة بفضل أموال الدعم والقروض الحصول وسائل حديثة في الإنتاج، واستخدام عمال مأجورين، دائمين أو مؤقتين حسب حاجتها، أما على المستوى السياسي استطاعت أن تمارس هيمنتها على السلطة السياسية لخدمة مصالحها الخاصة، وذلك باستخدام الموارد المالية للدولة لانجاز مشاريعها الكبرى. أما على المستوى الدعائي فإنها تمارس هيمنتها عن طريق الصحف ووسائل اتصال أخرى للترويج لمختلف منتجاتها[1].

ولاشك أن معسكر شأنها شأن العديد من المناطق الجزائرية الأخرى التي عرفت تواجد عدد معتبر لهذه العائلات، والتي بسطت سيطرتها على معظم أراضيها الزراعية الخصبة خاصة في المناطق السهلية القريبة من الينابيع والمجاري المائية كسهل غريس، ومنطقة وادي الحمام، وسهل الهبرة وغيرها. نذكر على سبيل المثال:

عائلة روبير أريكو (Robert Arricau):

نجدها في بعض المصادر باسم بعائلة (Veuve Arricau) أي "أرملة أريكو" لإشراف هذه الأخيرة –أي الزوجة– على إدارة أملاك العائلة بعد وفاة زوجها.

تتكون ملكياتها الزراعية من مزرعتين كبيرتين، الأولى تحمل اسم صاحبها "مزرعة روبير القديمة"، تقدر مساحتها ب: 119 هكتار، والثانية وهي الأكثر أهمية وتسمي "مزرعة الزيتون" (Ferme des Oliviers)، وتتربع على حوالي 250 هكتار.

[1] عبد اللطيف بن أشنهو: المرجع السابق، ص292.

ومن جملة المحاصيل التي كانت تنتجها في هاتين المزرعتين الحبوب والكروم، فكانت زراعة الحبوب تغطي معظم مساحة "مزرعة الزيتون" تقريبا، حيث كان يصل إنتاجها إلى 2200 قنطار سنويا، أما الكروم المنتجة للخمور فكانت تغطي مساحة 84 هكتار، ويتم جني منها حوالي 3000 هكتولتر من الخمور سنويا، فيما خصصت 03 هكتارات أخرى لزراعة الخضر[1].

ونظرا لقوة نشاطها الزراعي، وحاجتها الماسة لليد العاملة، قامت العائلة بتوظيف أزيد من ثلاثين عاملا كعمال دائمين يقومون بمختلف الأعمال الفلاحية على مدار السنة، وحوالي 150 عاملا كعمال موسميين خاصة فترة جني الزيتون أو العنب، ليس هذا فقط بل كانت هذه القوى توظف أيضا في معصرتي الخمر والزيت اللتان كانت تمتلكهما العائلة[2].

عائلة هنري مالي (Henri Malé)

من العائلات البورجوازية الكبرى في المنطقة، تكونت هذه الأسرة بعد زواج السيد مالي بالآنسة برث بولانجر (Berthe Boulanger) سنة 1901[3]، استقرت في معسكر، وفي مبنى أخر لها وسط مزرعتها التي تقع في الشمال الغربي من المدينة على بعد ثلاثة كيلومترات تقريبا.

تعود ملكية مزرعتها في الأصل إلى السيد باشلو (Bacheloat) التي أنشأها عام 1845، على حساب أراضى الجزائريين التي تم مصادرتها من طرف الإدارة العسكرية، والمقدرة آنذاك ب: 50 هكتار[4].

)1(J. Gasser et Claude Petit et Roux Freissineng, Le livre D'or de L'oranie, Edition de Afrique du Noud Hlustrée, Août 1925, P 439.
(2) Ibid
(3) Le Républicain, N° 05, le 22-12-1901.
(4) J. Gasser, op.cit. p 451.

أما عن حيازة مالي لهذه المزرعة، فتذكر المصادر أن الأخير كان شريكا لأحد أحفاد باشلو (Bachelot) في عملية تسييرها، وفي عام 1902 انتقلت ملكيتها إليه، فأجرى عليها أولى التجارب لزراعة الكروم.

وحتى ذلك الحين لم يكن هناك أكثر من 04 أو 05 هكتارات من الكروم وشيئا فشيئا أصبحت المزرعة تتربع على مساحة 105 هكتار من الكرمة المنتجة لكل أنواع الخمور، و100 هكتار أخرى لإنتاج الحبوب، والتي كانت توفر ما بين 1500 إلى 2000 قنطار من المحاصيل سنويا[1].

إلى جانب نشاطها الفلاحي، امتلكت العائلة معصرة للخمور حديثة ومجهزة بأحدث تقنيات ذلك العصر، تنتج أنواعا عديدة من النبيذ، كالنبيذ الأحمر، والوردي، والنبيذ الأبيض[2]. كما امتلكت العائلة أيضا محل تجاري لبيعها يقع في حي باب علي في شارع عين السلطان، اشتراه هنري مالي من أحد بائعي الخمور في المدينة والمدعو جيسبار كاستاجنو (Gaspard Castagno)[3].

عائلة أنطوان راديسيش (Antoine Radicich):

تعود أصول هذه العائلة إلى السيد لوكاس **راديسيش** (Lucas Radicich)، والد السيد أنطوان، الذي جاء إلى الجزائر في بداية الاحتلال، وخلال عام 1848 استقر في معسكر بعد حصوله على امتيازات عقارية تبلغ مساحتها حوالي 22 هكتار، تقع على بعد أميال من المدينة، فقام باستصلاحها وإقامة مزرعة فيها[4].

(1) J. Gasser, op.cit. p 451.
(2) Ibid.
(3) Le Progrès de Mascara, N° 880, 09-05-1903.
(4) J. Gasser, op.cit. p 452.

تولى أنطوان إدارة المزرعة بعد وفاة والده، فقام بتسييرها إلى جانب ملكية زراعية أخرى في البرج، وتزامن ذلك مع ظهور زراعة الكروم في الجزائر، الأمر الذي دفعه إلى توسيع دائرة نشاطه، حيث أصبحت ممتلكاته في المنطقة تغطي 190 هكتار من الكروم المنتجة للخمور، و408 هكتار من الأراضي المخصصة لزراعة الحبوب والمراعي[1].

ومثلما هو الحال بالنسبة لهذه الفئة التي ظل عناصرها يتمتعون بنفوذ سياسي ويحتكرون لأنفسهم المناصب كنواب في مختلف المجالس المنتخبة، فإن السيد أنطوان راديسيش استطاع بفعل مكانته، أن يستأثر بإحدى هذه المناصب وينتخب كعضوا في المجلس البلدي[2].

عائلة سيرانو (Serrano):

عائلة أوربية من أصل اسباني، استقرت في ديبلينو (حسين)، أصبحت مع نهاية القرن التاسع عشر صاحبة أملاك وأراضي واسعة في المنطقة (مباني، ضيعات، ومزارع)، من أفرادها رامون ميقيل سيرانو (Ramon Miguel Serrano) كان صاحب مزرعة كبيرة قبل مصادرتها في المكان المسمى الطرطار (Tartares)[3] تقدر مساحتها بأربعة وأربعون هكتار من الأراضي المروية محاذية لمجرى وادي الحمام مخصصة لزراعة الحمضيات والأشجار المثمرة، وأراضي أخرى غير مسقية (بور) تزيد مساحتها عن 390 هكتار، كانت تخصص لزراعة الحبوب بمخلف أنواعها، كما احتوت المزرعة على مباني سكنية، وإسطبلات وحظائر، وعتاد زراعي، وحيوانات[4].

أما جون هنري سيرانو (Jean Henri Serrano) الذي شغل منصب رئيس بلدية ديبلينو لمدة 21 سنة، (من عام 1899 وإلى غاية 1920)، وأيضا رئيس نقابة مياه الري منذ عام

(1) Ibid.
)2(Le Progrès de Mascara, N° 1186, 10-04-1909.
(3) الطرطار سهل زراعي خصب يخترقه وادي الحمام، يقع على بعد 05 كيلومتر من بلدة حسين.
(4) Le Progrès de Mascara, N° 1104, 04-09-1907.

1883[1]، يعتبر هو الأخر من الملاكين الزراعيين الكبار في المنطقة، حيث استطاع بفعل نشاطه الكبير في هذا المجال وخاصة زراعة الحمضيات كسب ودّ وتقدير الإدارة الاستعمارية التي منحته وسام الاستحقاق الزراعي بتاريخ 10 جانفي 1903 [2].

عائلة ريمي دوبوا (Rémy Dubois):

استقرت هذه العائلة في قرية البرج الواقعة على بعد 20 كيلومتر من مدينة معسكر[3]، تعود ملكيتها الزراعية في الأصل إلى السيد سيكر (Sicre) زوج والدة ريمي دبوا الذي جاء إلى الجزائر سنة 1885 وعمل خلالها موظفا بسيطا في السكك الحديدية، ثم رئيسا لإحدى المحطات، وفي عام 1898 اشترى حوالي 10 هكتارات من الأراضي وقام بزراعتها كروم، ثم وسع نشاطه بشراء الأراضي جديدة لذات الغرض. تمكن بفعل جهوده والنتائج التي حققها في إنتاج النبيذ من الحصول على وسام الاستحقاق الزراعي والعديد من الجوائز.

خلفه في إدارة مزرعته ابن زوجته السيد ريمي دبوا (Rémy Dubois)، والذي تمكن بفعل الدعم المالي والفني المقدم له من طرف الإدارة الفرنسية من توسيع مشاريعه الزراعية وذلك بشراء المزيد من أراضي الجزائريين والتي وصلت مساحتها إلى 160 هكتار، خصص منها حوالي 100 هكتار للكروم فقط، والتي أصبحت تنتج في معصرته العصرية والمجهزة بمعدات وأجهزة حديثة أكثر من 5000 هكتولتر من النبيذ سنويا [4].

إلى جانب هذه العائلات الكبرى، برزت أيضا في المنطقة عائلات برجوازية أخرى لا تقل أهمية عن سابقاتها كعائلة مرسيه (Mercier)، وسياس (Saies) ،و بول كوك (Poul Cuq)، وعائلة فليكس فالات (Félix Vallat)، وكامبلو روسو(Campio Rouseau)، لويس هونورات

(1) Bulletin Officiel du Ministère de L'intérieur, N° 03, Mars 1925. P 81.
(2) L. Grandeau : Journal D'agriculture Pratique Moniteur des comices des propriétaires des fermière, Tome 05, Année 1903, PP 253, 255.
(3) L'Echo d'Alger, N° 8351, Le 20- 08- 1932.
(4) J. Gasser, op.cit. p 456

(Louis Honnorat)، وعائلة بنشارل(Benchael)، وأورش(Ursch)، ودودين(Daudin)، وداليبه (Mallé)[1]، والتي استحوذت على مساحات واسعة من الأراضي الزراعية الخصبة، واستفادت هي الأخرى من القروض والدعم المالي والفني.

وحتى تستطيع هذه العائلات قاطبة الحفاظ على مكانتها الاقتصادية وقوتها المالية وحماية مصالحها، انخرط أصحابها في العديد من النقابات والتعاونيات وصناديق القروض والتأمين الموجودة على مستوى دائرة معسكر، كالصندوق الجهوي المشترك للقرض الفلاحي، وصندوق التأمين المشترك، والاتحاد الجهوي لنقابات المزارعيين، وتعاونية الحبوب والخضروات المجففة، وتعاونيات المطاحن، والتعاونية الكبرى للخمور، وتعتبر نقابة الزراعة والكروم التي أنشئت عام 1896 من قبل السيد فوثيروت (Vauthérot) أول نقابة تأسست لهذا الغرض[2] .

ومن ناحية أخرى، فقد أصبحت هذه العائلات ذات سلطة ونفوذ سياسي كبير في المنطقة، وهي السلطة التي استمدتها من قوتها الاقتصادية والمالية فتحت لها آفاق واسعة وسمحت لها بتشكيل جماعات ضغط سياسية محلية قوية، فقد مكنتها على سبيل المثال من إجبار الإدارة الاستعمارية على منع هجرة الجزائريين إلى فرنسا حفاظا على العمالة الزراعية، كما طالبت شركات السكك الحديدية والأشغال العامة على إبقاء أجور عمالها في مستوى أجور العمال الزراعيين[3].

كما استطاعت هذه الفئة من المستوطنين بفعل مكانتها وعلاقتها بالإدارة الاستعمارية المحلية الترشح لانتخابات المجالس البلدية وتولي رئاستها في مختلف بلديات دائرة معسكر. فعشية اندلاع الثورة تولى كل من فرناند مالي (Fernand Mallé) ورينيه دلييه (René Dallée) إدارة مجلس بلدية معسكر، ولويس هونورات (Louis Honnorat) إدارة مجلس تغنيف، وفليكس

(1)Hassab Miloud Benkarama : Op.cit. PP 31, 32.
(2) Ibid.: p 30.
(3) Ibid.: pp 31, 32.

فالات (Félix Vallat) إدارة مجلس تيارفيل (غريس)، وغاستون رافوت (Gaston Ravot) الذي انتخب هو الأخر في بلدية وادي تاغية، أيضا بول كوك (Poul Cuq) في تيزي، والأمر نفسه حدث في سونيس (خلوية)، وعين فكان، ودومبال (هاشم)، وديبلينو (حسين)، وجميع البلديات في دائرة معسكر امتثلت لهذه القاعدة التي تقوم على تولي المستوطنين الرأسماليين من أصحاب الأملاك الزراعية الكبرى إدارة ورئاسة بلدياتهم[1].

كما تدخل ضمن هذه الفئة العائلات الجزائرية القريبة من الإدارة الاستعمارية، حيث استفادت من امتيازات عقارية واسعة بحكم المناصب والوظائف التي تقلدتها، كفئة القياد، والأغاوات، والبشاغاوات، وبعض ورجال الدين من شيوخ الزوايا والمرابطين، نذكر منهم على سبيل المثال القايد مكاوي عبد القادر الذي كان بحوزته عقار يصل إلى 50 هكتار، ومنزلين بقيمة 10 ألاف فرنك، وأراضي زراعية بمساحة 200 هكتار في وادي تاغية، و100 هكتار في وادي البنيان، وأربعة أحصنة، وأربعة عشر بغلا، و100 معزة، وما بين250 و300 رأس غنم، و50 بقرة، وثمانية أشرطة[2].

وعائلة حقيقي التي سيطرت على سجرارة والدواوير المجاورة لها على غرار بني نسيغ، وأولاد السعيد، والفراقيق، حيث تشير المصادر إلى وجود ثلاثة قياد من أبناء حقيقي الحاج عبد القادر، وهم على التوالي: حقيقي قدور، قايد في عهد الأتراك، وحقيقي بوعلام قايد في عهد الأمير عبد القادر، وحقيقي محمد بلحاج الذي عين قايد عند قدوم الفرنسيين [3].

كما حافظت العائلة على نفوذها في المنطقة خلال الفترة الاستعمارية، حيث تولى العديد من أفرادها مناصب إدارية وسياسية هامة، كحقيقي بن أحمد ولد الحاج الطيب، الذي عين قايد على دوار بني نسيغ[4]، وحقيقي الجيلالي ولد الحاج موسي، الذي شغل هو الأخر قايد

---

(1) Hassab Miloud Benkarama : Op.cit. p 31.

(2) جاكر لحسن: المرجع السابق، ص 39.

(3) ANOM- 5I 157- Affaires locales diveres Arrondissement de Mascara 1910 – 1911.

(4) J.O.R.F, Op.cit, N° 118, 17/05/1942, P1799.

على دوار سجرارة[1]، وانتخب في عضوية في مجلس العمالة بوهران سنة 1959[2]، وحقيقي عمار ولد عبد القادر، الذي شغل في البداية مساعدا أهليا في دوار سجرارة، ثم قايد، فآغا على نفس الدوار[3]، ليعين بعدها في رتبة باشآغا ويمنح له وسام الشرف من الإدارة الاستعمارية في عام 1942[4].

2. الفئة البورجوازية الوسطى والصغيرة:

2-1 البرجوازية الوسطى:

تعتبر الطبقة البرجوازية الوسطى طبقة ذات وزن اقتصادي واجتماعي هام في المجتمع الريفي، فهي تمثل الفئة الأوربية المالكة للأراضي الزراعية التي تتراوح مابين 10 و50 إلى 100 هكتار، وتستخدم اليد العاملة الأجيرة والوسائل والآلات الزراعية الحديثة، وتتضمن أيضا الفلاحين الأوربيين الذين يستأجرون الأراضي من كبار الملاكين[5].

كما تندرج ضمن هذه الفئة، الطبقة البورجوازية الجزائرية التي تمتلك هي الأخرى مابين 10 إلى 100 هكتار من الأراضي. والتي استطاعت بحكم التقدم الاقتصادي أن تتطور بسرعة من 1891 إلى 1912، باستعمالها التقنيات والأساليب الإنتاجية العصرية من جهة، فرض نفسها تدريجيا في محيطها الاقتصادي من جهة أخرى، حيث أصبحت تناضل أكثر في الجمعيات التي تشترك فيها من أجل تحقيق وضمان المساواة بينها وبين الأوربيين في الإعتمادات المالية وغيرها [6].

ففي معسكر وعلى غرار بقية المناطق الأخرى، حصلت هذه الفئة على الأرض بطرق ووسائل عديدة، منها حيازتها عن طريق شرائها من الأوربيين، حيث مكنت هذه العملية

(1) Ibid, N° 165, 11/07/1945, P 4347.
(2) D.G.G.A : Recueil des Actes Administration, N°71, 01/09/1959, P2059.
(3) J.O.R.F, Op.cit, N° 273, 22/11/1938, P13200.
(4) Ibid, N° 210, 02/09/1942

(5) عبد اللطيف بن أشنهو: المرجع السابق، ص 294.
(6) مهديد ابراهيم: المرجع السابق، ص 50.

الفلاحين الجزائريين في المنطقة من استعادة ألاف الهكتارات المغتصبة، حسبما تظهره أرقام الجدول أدناه[1]:

جدول (10): يوضح شراء الجزائريين للأراضي الزراعية من الأوربيين في دائرة معسكر

السنوات	مبيعات أراضي الأوربيين للجزائريين	
	المساحات بالهكتار	الأثمان بالفرنك الفرنسي
من 1901 إلى 1910	21766 هكتار	3.003.963
1921	1504 هكتار	704.481
1925	2629 هكتار	1.772.906
1929	4638 هكتار	1.903.646

تبين لنا هذه معطيات، الإمكانيات المالية التي أصبحت بحوزة هذه الطبقة، حيث أظهرت عمليات البيع والشراء بينها وبين الأوربيين وجود تراكم الرأسمالي معتبر، قد تكون حصلت عليه من فائض عمل سابق أو من القروض الممنوحة لها، وهو ما يؤكده كل من ريفير وليك (Rivière et Lecq) بالقول:" ... لو فحصنا الأشياء بعمق ربما اكتشفنا أن استعادة السكان المحليين لأراضيهم من الأوربيين قد جرى تقريبا لصالح فئة قليلة مكونة من المرابين المحليين"[2].

والملاحظ أن هذه الفئة أصبحت في تزايد مستمر منذ سنة 1900، حيث تشير الإحصائيات إلى ارتفاع عددهم مقارنة بعدد الأوربيين، ويعود ذلك إلى تحسن وضعهم المادي وإقبالهم بشكل لافت على شراء الأراضي من الكولون، ومن الأمثلة على ذلك بيع السيد فارنون رينو (Fernond Raynaud) بتاريخ 08 مارس 1941 قطعتين أرضيتين مساحتهما 10 هكتارات إلى الإخوة محمد بن قادة وهم على التوالي: السنوسي بن محمد بن قادة، وبن

(1) (G.G.A) Exposé de la situation Générale de Algérie, les années 1911, 1921, 1925, 1929.
(2) عبد اللطيف بن أشنهو: المرجع السابق، ص 223.

يحي بن محمد بن قادة، عبد القادر بن محمد بن قادة، وقادة بن محمد بن قادة، الأولى بماقضة ومساحتها 04 هكتارات، والثانية بدوار نسمط مساحتها 06 هكتارات[1].

وكانت بلدية ديبلينو (حسين) قد شهدت هي الأخرى ارتفاع ملحوظ للملاكين العقاريين الجزائريين، خاصة الفئة التي تملك ما بين 10 إلى 50 هكتار، حيث أصبح عددهم خلال الثلاثينات من القرن العشرين يفوق عدد الأوربيين، وهو ما يوضحه الجدول التالي[2]:

)1(Archive la conservation foncière de la Wilaya de Mascara, Acte N° 13, Vol 2263, 08 Mars 1943.
)2(Regards sur l'arrondissement de Mascara, Op.cit. p 114.

الجدول (11): عدد الملاكين الجزائريين والأوربيين للأراضي الزراعية في بلدية ديبلينو (حسين) ما بين (1922 – 1937).

المساحة	سنة 1922		سنة 1937	
	الأوربيين	الجزائريين	الأوربيين	الجزائريين
من 01 إلى 10 هكتار	14	05	03	20
من 10 إلى 50 هكتار	04	13	03	26
من 50 إلى 100 هكتار	01	07	01	05
من 100 إلى 500 هكتار	05	–	06	04
أكثر من 500 هكتار	–	–	04	–

المصدر: Regards sur l'arrondissement de Mascara

كما شملت هذه الفئة أيضا أصحاب النشاطات الاقتصادية والحرف المتواجدين عبر كافة القرى الريفية والمراكز الاستيطانية لدائرة معسكر، والذين كانوا يتشكلون في الغالب من الأوربيين وبعض الجزائريين، مثلما هو الحال في بلدية وادي تاغية التي عرفت تواجد شريحة مهمة من البرجوازيين التجار والحرفيين، ونخص بالذكر مجموعة البقالين كالإخوة دانون (Les Frères Denoun)، وبن ڤيڤي (Benguigui)، ولاباي (Labeille)، وڤاسكون (Gascon)، وجيميناز (Giminez)، وأصحاب المخابز كالسيد أ.هنري (E.Henri)، وعلي قطاف، ومارتنيز (Martinez)، والحدادون من أمثال بونيس (Bonis)، وأودوارد (Audouard)، وكورال (Coural)...، والجزارون كالسيد كوميمال (Commemale)، السيدة ثيبوت (Thibaut)، وفوق كل هذا فهناك من كان يمتلك ورشة أو مصنع مثل مصنع الحلفاء الذي كان يديره كل من السيد نافارو (Navarro) وبرتيڤاز (Portugues)[1].

[1]P. Roge Duvollet : chez nous les Africains, Op.cit. p 91.

2-2 البرجوازية الصغيرة:

أما بخصوص البورجوازية الريفية الصغيرة والتي تكونت من الملاكين الزراعيين لما دون العشر هكتارات، انقسمت هي الأخرى إلى شريحتين متمايزتين، الأولى وهي البرجوازية الأوربية التي اشتهرت بالإنتاج السلعي (الخضر والفواكه ...) وأصبحت ممون هام لأسواق المدن الكبرى مما سمح لها بالظهور والثراء خاصة بعد شراء أراضي جديدة من الجزائريين أو استئجارها واستخدام عمال زراعيين. والثانية البرجوازية الجزائرية من أصحاب الملكيات الصغيرة فكانت على العكس من ذلك تماما، حيث انحصر نشاطها في زراعة الحبوب وبعض الأشجار المثمرة، وكثيرا ما كانت تجد صعوبات في تسويق إنتاجها بسبب احتكار كبار المزارعين للسوق المحلي، مما جعلها في ضيق من أمرها، حيث أصبحت عاجزة عن تلبية حاجياتها وتسديد الضرائب المترتبة عليها، وهو ما دفعها إلى الاقتراض من المرابين، فكان ذلك سببا في انتزاع ملكياتها الزراعية وتحول بعض أفرادها إلى خماسيين أو عمال زراعيين فوق أراضيهم[1] .

3. الفئة الكادحة:

تمثل الشريحة الكبرى في المجتمع الريفي – تصل نسبتهم إلى أزيد من 70% أي ما يعادل ثلاثة أرباع من مجموع السكان الريفيين–، كانت غالبيتها في الأصل من فئة المالكين وتحولت بعد مصادرة أراضيها إلى خماسين وأجراء وعمال الموسميين[2].

ولتشكيل صورة واضحة عن هذه الفئة فيما يخص دائرة معسكر لابأس أن نعرض نماذج لبعض العائلات الريفية في المنطقة ممن صودرت ملكياتهم الزراعية ومنحت للكولون أو وضعت تحت تصرف الإدارة الاستعمارية لاستغلالها في بناء المستوطنات أو توسيعها، وهو ما تسبب في تفقيرها وتدهور مكانتها. ومن الأمثلة على ذلك انتزاع الإدارة الاستعمارية لأزيد

(1) عبد اللطيف بن أشنهو: المرجع السابق، ص 295.
(2) المرجع نفسه، ص 297.

من 1150 هكتار من أيدي 450 فلاح جزائري بقرية عين فارس التابعة لبلدية معسكر المختلطة، وتوزيعها على الكولون في شكل قطع أرضية من أجل استغلالها في بناء ضيعاتهم ومساكنهم أو استغلالها في الزراعة، وقد تصدّر قائمة هؤلاء كل من قادة ولد إبراهيم، علي ولد المختار، علي ولد سي قدور، وأيضا الطاهر ولد محمد الساكن بدوار أولاد بوعلام التابع لبلدية حجاجة، هذا الأخير انتزعت منه قطعة الأرضية تزيد مساحتها عن 40 هكتار[1].

كما أصدرت الإدارة الاستعمارية قرار أخر بتاريخ 18 سبتمبر 1894 ينص على مصادرة 234.000 هكتار من 117 فلاح جزائري في كل من حجاجة والبرج بدائرة معسكر من أجل التوسع الثاني لمركز عين فارس الاستيطاني مقابل تعويض مالي لأصحابها[2] .

هذا إلى جانب فقدان الكثير من العائلات الريفية عشرات الهكتارات من أراضيها، بعد حجزها من طرف الإدارة الاستعمارية وبيعها في المزاد العلني، كأراضي الإرث المتنازع عليها، والأراضي التي تعذر على أصحابها تسديد ديونهم أو الضرائب المترتبة عليهم، والأراضي المرهونة وغيرها، ومن الأمثلة على ذلك حجز سَبْعُ قِطعٍ أرضية للسيد بوقطاية بن يحي بن سليمان في كل من ڤرجوم وفروحة، وسهل غريس التابعين إداريا لبلدية معسكر المختلطة، وعرضها للبيع في المزاد العلني بتاريخ 24 مارس 1898، بناءا على دعوة قضائية رفعها ضده حانون سماجا (Hanoun Smadja)، وهو ما يوضحه لنا الجدول التالي[3]:

الجدول (12): الأراضي المصادرة للسيد بوقطاية بن يحي.

القطعة	مساحتها	موقعها	تسميتها	السعر الأولي للبيع

[1] بن داهة عدة : الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض، ج1، ص ص 466، 467.
[2] المرجع نفسه، ص 468.
[3] Le Progrès de Mascara, N° 391, le 19- 03- 1898.

01	30هكتار و36 آر	قرجوم	سْمِيرية	500 فرنك
02	07 هكتارات و04 آر	فروحة	/	500 فرنك
03	80 هكتار	سيدي علي بن عمار (قرجوم)	اللوزة	1000 فرنك
04	12 هكتار	سهل غريس	/	500 فرنك
05	36 هكتار + أدوات زراعية وحيوانات	سهل غريس	/	حدد سعر القطعتين معا (5 و6) بـ: 8000 فرنك
06	10 هكتارات	عواجة (قرب معسكر)	/	
07	20 هكتار	سهل غريس	/	2000 فرنك

كما قامت الإدارة الاستعمارية بحجز أربعة قطع أراضية للسيد ضاحي الحبيب ولد أحمد بالجيلالي، في منطقة سيدي الجيلالي بدوار عين الدفلة ببلدية معسكر المختلطة، وبيعها في المزاد العلني، وفق عقد مسجل لدى المحكمة من طرف المحضر القضائي السيد دوب (Daube) بتاريخ 16 أكتوبر 1906، والمدون أيضا في مصلحة الرهن العقاري في 25 أكتوبر من نفس السنة، وهي على التوالي:

أولها: أرض تقع في جزء صغير من أولاد الجيلالي صالحة للزراعة والرعي، وجزء منها يقع في سفح التل، وجزء على السهل، محدودة من الشمال بالطيب بن عبد القادر، ومن الشرق عدة ولد الميسوم، ومن الجنوب عبد القادر بخليل ومختار بن إبراهيم، تبلغ مساحتها ثمانية وعشرون هكتارا، عرضت بسعر 300 فرنك.

ثانيها: أرض زراعية تقع في نفس المكان السابق، تزيد مساحتها عن عشرين هكتارا، يقع جزء منها على سفح التل، وجزء في السهل، محدودة بما هو مذكور أعلاه، تم عرضها بسعر 200 فرنك.

ثالثها: قطعة أرض تقع في نفس المكان تابعة لأرض تسمى ضاحي (Dahi)، محدودة بما هو مذكور أعلاه، وأيضا بالحبيب صحراوي عدة، وطيب ولد ميمون، وسي محمد ولد عبد الله، ووادي اللوزات، وهي صالحة للزراعة والرعي، ويوجد بها منبع مائي، تقدر مساحتها بحوالي خمسة عشرة هكتار حدد سعرها ب 200 فرنك.

رابعها: أرض تسمى سيدي حمزة المزابي، تبلغ مساحتها هكتار وخمسين آر، تقع في نفس المكان، حددت بسعر 50 فرنك[1].

وقد أدى تمادي لإدارة الاستعمارية في عمليات الحجز المصادرة أدى إلى زيادة عدد معدومي الأراضي الزراعية في العديد من القرى والدواوير الريفية التابعة لبلديتي معسكر المختلطة وكاشرو المختلطة، وهو ما توضحه الإحصائيات الواردة في الجدول أدناه:

(1) Le Progrès de Mascara, N° 1070, Le 15- 12- 1906.

جدول (13): عدد الفلاحين بدون ملكية عقارية لبعض دواوير بلديات معسكر المختلطة وكاشرو المختلطة.

البلدية أو الدوار	السنة	عدد السكان	عدد منعدمي الأراضي الزراعية	النسبة
سيدي بن موسى	1882	2990	2030	%67.69
سيدي دحو	1882	1580	1421	%89.93
سيدي قادة	–	1991	1658	%83.27

انعكست هذه السياسة سلبا على الوضع الاقتصادي والاجتماعي للعائلات الريفية المعسكرية، حيث أفقرت شريحة كبيرة منهم وحولتهم إلى عمال في مزارع الكولون، وهو ما يؤكده المندوب المالي لبلدية سان دونيس (Saint-Denis-du-Sig) – سيق حاليا – السيد دلوبيي (Deloupuy) بقوله:" إلى أنه من خلال حرمان الأهالي من أراضيهم، فإننا نحولهم إلى عمال يوميين ... قبل خمسة عشر سنة لم نتمكن من العثور على عمال عرب، أما الآن فهناك الكثير "[1].

ب– البنية الاجتماعية في المدينة:

شهدت مدينة معسكر عقب احتلالها عام 1841 تغيرات جذرية مست بنيتها الاجتماعية ومعالمها الحضارية، ففي سنة 1846 شيد بها الفرنسيون شوارع جديدة ومباني حديثة، ساحات، ومكتب عربي، وكنيسة[2]. واستوطنها أزيد من 1200 أوربي، من بينهم 700 فرنسي، و500 اسباني وإيطالي[3]، إلى جانب 2292 جزائري ممن بقوا فيها[4].

وبعد ترقيتها إلى بلدية كاملة الصلاحيات في 15 جوان 1854، ظهرت بها مؤسسات إدارية (دار البلدية) واقتصادية وتجارية كالمصانع والورشات والأسواق، حيث يقول روبير

(1) Charles Robert Ageron, op.cit. p 847.
)2(Louis Abadie, Mascara une certaine capitale, Editions El Ibriz, Algérie 2013, P 34.
(3) Ibid. P 35.
)4(Rozet et Carette : L'univers ou Histoire et Description de tous les peuples, Op.cit. p 126.

تيطوان (Robert Tinthoin) عن ذلك:" أنه في عام 1853 شهدت المدينة إنشاء مطاحن الدقيق، ومعاصر الزيت، ومصنع للأجر والمدابغ والمسالخ ... أما حجم مبيعات السوق المحلي فكانت تصل إلى 04 ملايين فرنك، وهو الأمر الذي ساهم في استقرار السكان بها ..."[1].

صاحب التطور العمراني للمدينة زيادة معتبرة في عدد السكان، ففي عام 1861 قدر عددهم بـ: 7700 ساكن، من بينهم 2500 أوربي، و1200 يهودي، و4000 جزائري[2]، ليشهد بعد ذلك ارتفاعا ملحوظا، حيث وصل عددهم عام 1902 إلى 20914 نسمة، منهم 8996 جزائري، و4353 فرنسي، و382 يهودي، و6520 من جنسيات أوربية مختلفة، و663 من المغاربة والتونسيين[3].

ونتيجة ذلك، أصبح التشكيل الاجتماعي للمدينة يتكون من مجتمعين مختلفين، من حيث الجنس، واللغة، والدين والعادات والتقاليد. الأول هو المجتمع الأوربي[4] المهيمن والمسيطر على الثروة والسلطة، أما الثاني فهو المجتمع العربي الذي تدهور وضعه الاقتصاديو الاجتماعي وأصبحت الغالبية من سكانه تعانى التهميش والتمييز والعزل في أحياء شعبية فقيرة كحي باب علي، وسيدي علي أمحمد، وعين البيضاء، ودوار السبايس، وحي المحطة وغيرها...، وذلك بسبب التعسف والظلم الذي مارسته الإدارة الاستعمارية على مختلف شرائحه الاجتماعية، وخاصة فئة الحضر منهم التي كانت تمثل النخبة في المدينة، حيث تعرضت إلى الإقصاء والإبعاد من المشاركة في الحياة السياسية والاجتماعية، في وقت كانت تقوم فيه هذه الإدارة بتشكيل نواة لطبقة برجوازية جديدة موالية لها ولثقافتها الفرنسية.

(1) Louis Abadie, Op.cit. p 36.
(2) Ibid.
(3) Paul Révoil, Tableau Général des Communes de L'Algérie, Imprimerie V^ve Giralt, Alger 1902. P 82.
(4) يندرج ضمن هذه الفئة اليهود المجنسين بالجنسية الفرنسية حسبما نص عليه قانون كريميو الصادر بتاريخ 1870/10/24.

وعلى هذا الأساس يمكن تقسيم الفئات الاجتماعية في المدينة إلى الطبقات التالية:

1. الطبقة البرجوازية الكبيرة:

تتكون هذه الطبقة من رجال الأعمال الأوربيين من أصحاب المعامل والورشات ذات الطابع الصناعي والتجاري، ومن بعض الملاكين العقاريين الكبار ممن استقروا بالمدينة، نذكر منهم:

- **عائلة ماتيو (Mathieu):** التي امتلكت مؤسسة متخصصة في صناعة مواد البناء والخشب تقع في حي البايلك[1]، أسسها السيد بول ماتيو (Paul Mathieu) سنة 1902، والتي اشتهرت في المنطقة بجودة منتجاتها خاصة القرميد المسطح، والمجوف المستعمل في تغطية الأسطح، والآجر، والاسمنت، كما امتلكت العائلة ورشة للنجارة مجهزة بأدوات ومعدات حديثة تقدم جميع المستلزمات الخشبية (الأبواب، النوافذ...)[2].

وبعد وفاة بول ماتيو سنة 1914 تولت زوجته إدارة المؤسسة، التي أصبحت تتربع على مساحة 1000 متر مربع، وتشغل حوالي عشرة عمال[3].

- **عائلة رامون (Ramon):** استقرت هذه الأسرة بمعسكر سنة 1910، حيث فتح السيد جوزيف رامون (Joseph Ramon) مصنع صغير لتقطير النبيذ في ضواحي المدينة، وبعد بضع سنوات ازدهرت صناعته، فقام سنة 1919 بتوسيع مصنعه الذي أصبح يغطي مساحة 1000 متر مربع، ويحتوي على أجهزة حديثة للتقطير، ويشغل أربعة عشر عاملا بشكل دائم[4].

- **عائلة سرفاتي (Sarfati):** امتهنت التجارة، حيث فتح والدهم جوزيف سرفاتي (Joseph Sarfati) متجر لبيع مستلزمات المطاحن والآلات الفلاحية، عرف نشاطه التجاري رواجا كبيرا

(1) Le Republican, N° 153- 29/05/1904.
(2) J. Gasser, op.cit. p 444.
(3) Ibid.
(4) Ibid. P445.

في المنطقة[1]، اهتم سرفاتي أيضا بالنشاط الجمعوي فأصبح عضوا في جمعية الإعانة المتبادلة (société de secours mutuels) ، ونظير جهوده الكبيرة في تطوير هذه الجمعية منحته الإدارة الاستعمارية وسام الشرف سنة 1904 [2].

بعد وفاته تولت زوجته وأبنائها إدارة أعماله، فقاموا بتوسيع دائرة نشاطهم فأنشئوا ورشة على مساحة أرضية تقدر بـ: 750 متر مجهزة بآلات حديثة تعمل على إصلاح وصناعة المعدات الزراعية[3].

– **عائلة أنجي ماتيي (Ange Mattéi):** إحدى العائلات البرجوازية الكبرى في المنطقه، أسست 1902 ورشة لإصلاح وتركيب السيارات والتي تطورت مع مرور الوقت، وأصبحت تشتغل أزيد من عشرة عمال.

كما امتلكت العائلة إلى جانب ذلك، مزرعة قدرت مساحتها الإجمالية بـ: 60 هكتار، بها عدة حقول أهمها حقل الكروم الذي يزيد عن 35 هكتار، وينتج حوالي 1650 هكتولتر من النبيذ، يرتبط بهذه الضيعة عدد كبير من العمال يزيدون عن خمسة وأربعون عاملا بما فيهم صاحب العمل[4].

– **عائلة انتهوفن (Enthoven):** صاحبة مؤسسة لتسويق وبيع السيارات، أنشأها السيد إدوارد انتهوفن (Edouard Enthoven) سنة 1906 في شارع سعيدة، تتكون المؤسسة من مرأب تصل مساحته إلى 600 متر مربع يتسع لـ: 80 سيارة، وصالة للعرض بمساحة 300 متر مربع، وتشغل مالا يقل عن عشرون موظف بين عامل وسائق تحت إشراف السيد إنتهوفن نفسه[5].

(1) J. Gasser, op.cit. P 447.
(2) J.O.R.F, N° 86, 27/03/1904, P 1935.
(3) Ibid. P .447
(4) J. Gasser, op.cit. p 448.
(5) L'Afrique du Nord, N° 151, 18/09/1926.

أما بخصوص البرجوازية الجزائرية التي تنتمي إلى هذه الفئة، فهي حسب المصادر التاريخية لم تكن بنفس مستوى البرجوازية الأوربية، فمعظم الدراسات التي تناولت الموضوع فرقت بين الفئتين، حيث أكدت في هذا الصدد، أن المجتمع الجزائري كان يفتقد إلى تلك الطبقة البرجوازية الجزائرية بالمفهوم الغربي "ككيان متميز ذي قاعدة اقتصادية متينة"، وهو ما أشار إليه أوغستان بيرك (Augustin Berque) في دراسته الموسومة بـ: << La Bourgeoisie Algérienne ou la Recherche de César Birotteau>> حيث يقول عنها – أي البورجوازية الجزائرية– أنها:" طبقة وسيطة بين النبلاء وعامة الناس ...، تحوي الندر الباقي من الحرفيين والتجار المور (السكان الأصليين) التي تعود أصولها إلى 1830، والمثقفون والإداريون ... وخصوصا الأثرياء الريفيون النازحون إلى المدن"[1].

ويؤكد هذا الطرح أجرون (Ageroun)، الذي يرى هو الأخر أن هذه الشريحة المكونة من التجار الكبار والفئة القليلة من أصحاب المعامل وذوي المهن الحرة وكذا الإطارات ذات الرواتب العالية لا يشكلون على الإطلاق برجوازية رأسمالية كما هو متعارف عليه في المفهوم الماركسي، فهي حسبه برجوازية حديثة وفتية، تتألف من مجموعة من الأفراد يشكلون نخبة اجتماعية ممنوع عليها من أن تصبح برجوازية قوية تنافس البرجوازية الأوربية [2].

أما فيما يتعلق بعامل الثراء لدى الفئة، فإن غالبيتها تمكنت من تشكيل ثروتها داخل المدن عندما حافظت على قاعدتها العقارية التقليدية وهي ملكية الأرض، مما ساعدها على التحول إلى بورجوازية تجارية وصناعية، ومن جهتها فقد تمكنت كل من فئة المثقفين من النواب، والمساعدين، والأساتذة، والإداريون كالخوجة والعادل والباش عادل والمفتي والوكيل، من أن تصبح من أغنياء المدن[3] بفعل المناصب والرواتب العالية التي كانوا تتقاضونها.

(1) مهديد ابراهيم: المرجع السابق، ص 56.
(2) شارل روبير آجرون: تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير 1954، المجلد الثاني، تر. محمد حمداوي وابراهيم صحراوي، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2013، ص ص 825، 826.
(3) مهديد ابراهيم: المرجع السابق، ص 57.

ومن العائلات التي مثلت هذه الطبقة في مدينة معسكر نذكر:

- **عائلة شرقي:** التي تنتمي إلى الولي الصالح سيدي قادة بن مختار، ولها صلة قرابة مع الأمير عبد القادر، شغلت هذه العائلة وظائف هامة وعديدة خاصة في سلك القضاء والمحاماة، في معسكر وفي مدن أخرى من العمالة الغربية، كالقاضي شرقي بن عبد الله بن حسان قاضي ثم مفتي الديار المعسكرية مابين (1938 – 1941) خلفا للسيد موضح عبد القادر بن صديق، وابنه شرقي عبد القادر بن عبد الله، المولود بمعسكر عام 1911، والذي نال شهادة الدراسات العليا للمدارس، والشهادة الأهلية في اللغة العربية من إحدى معاهد وهران، وهو سمح له بتولي المناصب التالية:
  - رئيس للديانة الإسلامية بعين تموشنت.
  - رئيس اللجنة الخاصة للديانة الإسلامية بالمجلس الجزائري.
  - نائب في المجلس الجزائري (شارك كعضو مستقل).
  - نائب رئيس بلدية عين تموشنت.
  - قاضي في محكمة تليلات مابين 1950 – 1957.
  - قاضي في محكمة بوغار (المدية) من 1957 إلى 1958[1].

أما السيد شرقي أحمد بن حسان، شقيق شرقي بن عبد الله، الذي وُلِي القضاء في سيدي بلعباس، فله أربعة أبناء، شغلوا كلهم مناصب هامة، وهم على التوالي[2]:

- شرقي مختار: تلقى تعليمه الابتدائي في مدرسة ألكسندر الثالث بمعسكر (بوسيف مختار حاليا)، والتي تحصل منها على الشهادة الابتدائية سنة 1903[3]، شغل كاتب ضبط (موثق) بمونتينياك (Montagnac)، – الرمشي حاليا –
- شرقي محمد: وهو خوجة في بلدية معسكر المختلطة.

(1) ANOM - 5I 157, 18/06/ 1943, N° 235.
(2) Ibid.
(3) Le Progrès de Mascara, N° 1400 – 21/06/1913.

- شرقي محي الدين: كان محامي بمعسكر وقائد الحزب الشيوعي الجزائري (فرع معسكر) [1]، وعضو في نقابة المحامين بمعسكر، عين في نوفمبر 1962 (فترة الاستقلال) رئيسا للمحكمة العليا في وهران خلفا للسيد مارتينيت (Martinet)[2].

- شرقي حسان: قاضي في معسكر، وهو صاحب عقار زراعي يقدر بـ: 940 هكتار من الأراضي، 04 منازل، 200 رأس من الماشية، و40 بقرة، 16 من الدواب (الحمير والبغال)، سيارتان، وآلتين حاصدتين[3].

- **عائلة بن شنان:** كانت تتكون من فلاحين صغار يمارسون الزراعة في سهل غريس، برزت مكانتها أواخر القرن التاسع عشر، من أشهر أفرادها:

- بن شنان قدور بن محمد: حارس غابة ومستشار بلدي، عين قايد على مدينة معسكر، ثم قايد على كل من دوار سيدي بن موسى، والبنيان التابعين لبلدية معسكر المختلطة من 1890 إلى 1920، ارتقى إلى رتبة آغا، كما شغل عضوية المجلس العام لبعض الوقت ممثلا لدائرة معسكر[4].

- بن شنان محمد: وهو ابن قدور المذكور أعلاه، خلف والده كقايد على دوار سيدي بن موسى، كما صار باشاغا، ومندوبا ماليا لمعسكر.

- بن شنان فضيل: وهو شقيق محمد، قايد وباشاغا على دوار البنيان، فشل في انتخابات المجلس العام التي ترشح لها سنة 1951 أمام شكال دحو.

- بن شنان الطيب: وهو نجل محمد، عين قايد على قرجوم.

- بن شنان بن عمر: وهو شقيق الطيب، ونجل محمد، كان قايد على سيدي بن موسى.

- بن شنان لخضر: وهو نجل الطيب، عين قايد على عين فكان.

- بن شنان محمد: من مواليد 1950، ترأس محطة قطار معسكر.

---

(1) ANOM- op.cit. 15/11/1943.
)2(J.O.R.F, N° 07, 07/12/1962, P 78.
(3) ANOM- op.cit. 15/11/1943.
(4) ANOM - 5I 157, 12/07/1942, N° 312.

- بن شنان حمزة: وهو نجل قدور، ولد عام 1916، تلقى تعليمه في معسكر ووهران، قبل أن يلتحق بجامعة باريس، حيث تحصل على شهادة الصيدلة عام 1947[1].

- **عائلة شنتوف:** تعتبر إحدى العائلات المرابطية والسياسية الكبرى في المنطقة[2]، تنسب إلى الشيخ عبد القادر بن علي، وهو أب لسبعة أبناء، صاروا جميعهم شيوخا يحفظون كتاب الله ويدرسونه للطلبة، من أشهرهم الشيخ بن عبد الله مؤسس الزاوية الدرقاوية في معسكر، في حدود سنة 1870[3].

ارتبط اسم الزاوية بهذه العائلة، حيث خلف الشيخ بن عبد الله ابنه الشيخ عبد القادر في إدارتها وتسيير شؤونها إلى غاية وفاته عام 1926م، ثم جاء من بعده الحاج العوني الابن الأكبر للشيخ بن عبد الله، لكنه لم يعمر طويلا [4]، ليتولى الإشراف عليها الشيخ شنتوف عدة ولد عبد القادر بداية من سنة 1930[5].

ويعتبر الشيخ شنتوف عدة من الشخصيات الدينية والسياسية البارزة، ليس في معسكر فحسب بل على مستوى العمالة الغربية، حيث انتخب كمندوب في المفوضيات المالية ممثلا عن دائرة معسكر، ثم نائبا في المجلس الجزائري عامي 1948 و1951، على التوالي، حاز على العديد من التشريفات والألقاب، أهمها لقب يعادل رتبة ضابط سنة 1939[6].

- **عائلة عدة حنيفي:** التي ينتمي إليها عدة حنيفي بوجلال ولد الحاج عدة، مالك زراعي[7]، وصاحب نشاط تجاري في حي باب علي، ارتبط شخصه بالعمل السياسي

(1) ANOM - 5I 157, 12/07/1942, N° 312.
(2) جاكر لحسن: الحركة الوطنية في معسكر، المرجع السابق، ص 59.
(3) ANOM- 5I 157- 04/03/1943, N° 253.
(4) Ibid.
(5) R. Lespes, les Troupes indigènes de L'Algérie ou service de la France, Tirailleurs, Spahis, Goumiers, Sahariens, imprimerie Minerva, Alger, P 03.
(6) J.O.R.F, N° 199, 25/08/1939. P 10687.
(7) J.O.R.F, Op.cte, N°258, 03/11/1936.

والجمعوي، يعتبر عضوا مؤسسا للجمعية الأخوية سنة 1911 وأمين مالها، وعضوا في المجلس البلدي [1].

كما ينتمي لهذه العائلة، كل من السيد عدة حنيفي الحاج عثمان وهو أخ عدة حنيفي بوجلال[2]، وعدة حنيفي عبد القادر، وكلاهما من التجار المعروفين في المدينة[3]، والسيد عدة حنيفي بلعيد، وهو صاحب ملكية زراعية، وعضو في الجمعية الفلاحية بمعسكر.

- **عائلة مونتيرا محي الدين:** تنسب إلى شخص يدعى مونتيرا، وهو رجل مسيحي شارك إلى جانب القوات الفرنسية في حملتها على الجزائر، فوقع في أسر القوات البحرية الجزائرية، سلمته السلطة الحاكمة آنذاك إلى عائلة الأمير عبد القادر الذي قربه إليه، وبعد احتلال المدينة، وانسحاب الأمير منها افترقا وتركه فيها[4].

أما عن نفوذ هذه العائلة ومكانتها، فتعود إلى السيد مونتيرا محي الدين حفيد مونتيرا المذكور أعلاه، الذي أصبح محاميا وعضوا في نقابة المحامين [5]، وأيضا عضوا في مجلس العمالة بوهران ممثل عن دائرة معسكر[6]، تم ترقيته بعدها إلى نائب رئيس مجلس العمالة لمدة 12 سنة[7].

حاز على العديد من التشريفات والألقاب، منها لقب يعادل رتبة ضابط في الجيش، وذلك شهر أوت 1930[8].

)1(La Mutualité Algérienne, N° 58, 25/12/1911.
(2) Le Progrès de Mascara, N° 1083, 16/03/1907.
)3(La Mutualité Algérienne, N° 58, 25/12/1911.
(4)L'Afrique du Nord, N° 725, 23/03/1935.
(5) G. Espé de Matz, Vers l'Empire …, Edition Moderne – Librairie Ambert, Paris, P 177.
(6) L'union Oranaise, N° 19, 22/09/1928.
(7) جاكر لحسن: المرجع السابق، ص 28.
(8) J.O.R.F, Op.Cit, N° 200, 26/08/1930. P 9897.

- **عائلة اسطمبولي:** يعود تواجدها في معسكر إلى القرن السادس عشر[1]، شغلت العديد من المناصب في القضاء والإدارة، وتركت بصماتها واضحة في الحركة الوطنية والثورة الجزائرية، من أهم أفرادها:

اسطمبولي علي ولد اسطمبولي: مالك زراعي، وعضو المجلس البلدي، عمل مساعدا أهليا لدى الإدارة الاستعمارية[2].

اسطمبولي لكحل ولد علي: صاحب ملكية زراعية، شغل منصب عون قاضي الصلح في معسكر[3].

مصطفى اسطمبولي: مناضل في صفوف حزب الشعب وحركة انتصار الحريات الديمقراطية، شارك في الثورة منذ اندلاعها، اشتغل في مهنة المحاماة بعد الاستقلال[4].

وإلى جانب هذه العائلات نجد أيضا كل من عائلة بن سفير، وبن عبورة، وشكال، ومليايني وغيرهم ...، إلاّ أنه ينبغي القول أن هذه الأسر قاطبة انحصر نشاطها في الوظائف التي أسندت إليها، وفي مزاولة بعضها لمهنة التجارة التي كانت في الغالب تجارة تجزئة، أوفي النشاط الفلاحي، باعتبار أن طابع الملكية الزراعية هو السائد عند الغالبية من أفرادها، وهذا خلافا لما كانت عليه البورجوازية الأوربية في المدينة، التي اشتهرت بنشاطها الصناعي والخدماتي، أو حتى بعض العائلات البرجوازية الجزائرية الكبرى في مدن العمالة الغربية، كالكراغلة في تلمسان الذين امتلكوا مجموعة كبيرة من المصانع (حوالي 22 مصنعا) تشغل ما يقارب المئة عامل، وعائلة "بن ديمراد" التلمسانية أيضا التي استثمرت في تجارة الجملة، وفي قطاع النقل، بامتلاكها لعدة شاحناتو حافلات، لنقل السلع والمسافرين في القطاع

(1) جاكر لحسن: المرجع السابق، ص 58.

(2) Le Progrès de Mascara, N° 601, 28/04/1900.

(3) J.O.R.F, Op.Cit, N° 200, 26/08/1930. P 9901.

(4) Benjamin Stora : Dictionnaire biographique de militants nationalistes Algériens, E.N.A, P.P.A., M.T.L.D (1926 – 1954), Editions L'Harmattan, Paris 1985, PP 317, 318.

الوهراني[1]، وعائلة "كريتلي" في مستغانم التي كانت تمتلك مصنع للكبريت أخر للنيسج، وعائلة بن عليوة التي تخصصت في الصناعة التعدينية[2]، أما في وهران فهناك عائلتا "ابن محمد" و"ابن سعدون" ممن يملكون المطاحن، وعائلة "بن كلة" التي تخصصت في صناعة الجواهر والتجارة[3].

2. الطبقة البرجوازية المتوسطة والصغيرة:

تتألف من الأوربيين والجزائريين من ذوي المهن الحرة، وصغار أرباب العمل، والتجار– الذين كانوا في الغالب يمارسون تجارة المواد الغذائية، والألبسة، والأدوات المنزلية–، ينضاف إليهم الموظفون في القطاع الخدماتي كالتعليم، والجهاز الأمني، والمواصلات، والبنوك، والمستشفيات، وعمال المناجم وقطاع الصناعة [4]. كما يندرج ضمن هذه الفئة بعض النواب المنتخبين في المجالس المحلية.

فبالنسبة لمدينة معسكر برزت العديد من العائلات، خاصة تلك التي اشتهرت بالتجارة، كعائلة أولاد النهاري التي تحمل لقب جاكر، حيث يعود وجودها في المنطقة إلى أكثر من ثلاثة قرون وهي تنتمي إلى الولي الصالح سيدي محمد بوجلال الذي يتوسط ضريحه مدينة معسكر.

وقد تشكلت هذه العائلة من عدة شخصيات بارزة كان لها دور في الحركة الوطنية والثورة والعمل التجاري نذكر منها:

---

(1) بختاوي خديجة: التحولات الاقتصادية والاجتماعية في عمالة وهران (1870 – 1939)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2011 – 2012، ص 346.

(2) المرجع نفسه، ص 347.

(3) مهديد ابراهيم: المرجع السابق، ص ص 60 - 61.

(4) عبد الحميد زوزو: محطات في تاريخ الجزائر دراسة في الحركة الوطنية والثورة على ضوء وثائق جديدة، المرجع السابق، ص ص 318، 319.

- **جاكر النهاري بن عبد الله بن خالد** المولود بمعسكر عام 1850، صاحب ملكية زراعية، توفي سنة 1898[1].

- **جاكر محمد بن نهاري:** ولد بمعسكر عام 1878، اشتغل بالتجارة في متجر له بشارع وادي اللوز بحي باب علي، التحق بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين – شعبة معسكر.[2]، كما صار عضوا في نادي الشبيبة الأدبية الأهلية [3].

صُنَّف محمد في قائمة الطبقة البرجوازية المتوسطة بالنظر إلى عائدات النشاط التجاري الذي كان يمارسه، والمساعدات التي كان يقدمها لتلاميذ المدرسة الأهلية من المحتاجين، والمدرسة الإصلاحية "ابن باديس" في شارع الأمير عبد القادر بحي باب علي. توفي بمعسكر عام 1945[4].

- **جاكر قدور:** وهو شقيق محمد ولد بمعسكر عام 1886، ينتمي إلى فئة النخبة والنواب، فتح متجراً للمواد الغذائية بحي باب علي، وشارع لامورسيير (عمر بن غزال حاليا)، صار مستشارا بلديا في عهدة بسكال موزيلي (Pascal Muselli) لمرتين متتاليتين (1936–1940) و(1942–1946)، كما انخرط في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. توفي بمعسكر عام 1972[5].

- **جاكر بوجلال:** وهو شقيق محمد وقدور، ووالد جاكر علي مؤسس نجم شمال إفريقيا وحزب الشعب الجزائري – فرع معسكر–، فتح موفق متجرا للمواد الغذائية بشارع سيدي عبد القادر، كما صار أحد رواد التعليم الحر في المدينة.

وضمن هذه الفئة نجد أيضا:

(1) Commune de Mascara (Etat civil), extrait du Registre – Matrice, N° 9582.
(2) AWO- Carton, 4480 I11- Etat d'esprit des populations musulmanes : divers (1937-1944) : Tiaret, Mostaganem, sidi Bel Abbes, Mascara, Tlemcen- 02/12/1940- 2145.
(3) جاكر لحسن: الحركة الوطنية في معسكر ...المرجع السابق، ص129.
(4) مقابلة شخصية بالأستاذ جاكر لحسن، حفيد جاكر محمد بن نهاري، يوم 2020/11/10. الساعة 11.
(5) نفس المقابلة.

▪ **عائلة قايد** التي اشتغلت في التجارة وعلى رأسها قايد طاهر صاحب محل لبيع القماش والزرابي بحي باب علي، وابنه قايد حسين – القائد الكشفي البارز– الذي اتبع مهنة أبيه[1].

▪ **عائلة بوعبسة**، ونخص بالذكر بوعبسة عبد القادر ولد جلول صاحب ملكية زراعية وتاجر، انتخب عضوا في المجلس البلدي بمعسكر عام 1919، كما صار عضوا في المكتب الخيري الإسلامي، ونائب رئيس الجمعية الأخوية منذ 1913[2].

▪ **عائلة خليل** وعلى رأسها الشيخ خليل الحاج أحمد بن خليل، رائد الحركة الاصلاحية الباديسية في معسكر، فتح متجرا للأواني النحاسية والجلود في حي العرقوب بمعسكر توفي عام 1944[3].

▪ **عائلة ترنيفي** التي تسيدها الحاج قدور، وهو مالك زراعي ومستشار بلدي.

▪ **عائلة بوزيري** وعلى رأسها بوزيري عبد القادر، صاحب ملكية زراعية، ومستشار بلدي[4]. أصبح أمينا عاما للحزب الشيوعي . فرع معسكر.[5].

هذا إلى جانب عائلات أخرى تدخل ضمن الطبقة المتوسطة والصغيرة غير أن المجال لا يتسع إلى عرضها جميعا.

ومما تجدر ملاحظته، أن نشاط أفرادها لم يقتصر على المهن الحرة كالتجارة أو ممارسة النشاط الزراعي، وإنما ظهر أيضا من خلال دورهم السياسي والجمعوي كنواب في المجلس البلدي، أو أعضاء في مختلف الجمعيات الدينية والثقافية، وهو ما ساهم في نضج أفكارهم وسلوكهم، حيث أصبحوا يشكلون نخبة فاعلة في مجتمعهم نتيجة تبلور وعيهم الوطني، مما أدى بهم إلى المساهمة بشكل فعال في مختلف تيارات الحركة الوطنية، وتقلد المسؤوليات بها، وهو ما يشير إليه الأستاذ عبد الحميد زوزو في سياق حديثه عن هذه الشريحة بصفة عامة، حيث يقول بشأنها:" أن العديد المنتمين للطبقة الوسطى بحكم دخولهم

(1) AWO- 4063 – I 14, 20/10/1943- N° 5977.
(2) J.O.R.F Op.Cit, 26/08/1930, N°200
)3(AWO – 4480 I 11 – 05/06/1940, N° 4488.
(4) J.O.R.F Op.Cit, 03/11/1936, N° 258.
(5)AWO- 4063 – I 14,22/01/1944- N°18

للمدرسة الفرنسية أو احتكاكهم بمجتمع المدينة، أصبحوا يتفاعلون مع الأفكار الدائرة في الأجواء المحيطة بهم كالديمقراطية، والعدالة الاجتماعية، وبالتالي أصبح اهتمامهم بالمسائل السياسية أكثر، مما سيؤدي بهم إلى التفاعل مع القضايا الوطنية..."[1]، ويضيف بالقول:" أن نموهم العددي ووعيهم الوطني، وبالخصوص بعد الحرب العالمية الثانية سيؤدي بهم إلى الظهور على المسرح السياسي، وذلك بتوليهم التمثيل وحتى القيادة والتسيير ضمن الأحزاب الوطنية وعلى رأسها حركة انتصار الحريات الديمقراطية والحزب الشيوعي الجزائري"[2].

ولا بأس أن نعرض عناصر أخرى من هذه الطبقة التي انخرطت في النضال السياسي في مدينة معسكر[3]:

الاسم واللقب	الانتماء الحزبي	المهنة	العنوان
عراب دحو	حركة انتصار الحريات	تاجر	شارع واد اللوز (ابن سينا

[1] عبد الحميد زوزو: المرجع السابق، ص 327.
[2] المرجع نفسه
[3] جاكر لحسن: المرجع السابق، ص ص 264، 267.

	الديمقراطية		حاليا) حي باب علي
حبيبي ميلود	ح.إ.ح.د	فلاح	شارع سيدي دحو باب علي
طفراوي عبد القادر	ح.إ.ح.د	بائع الخضر بالجملة	شارع سيدي على الشريف. باب علي
عينار بن عمر	ح.إ.ح.د	بائع أثاث	شارع سيدي على الشريف. باب علي
شريف امحمد	ح.إ.ح.د	بائع التبغ بالجملة	ساحة كلوزيل وسط المدينة
موفقي قويدر	ح.إ.ح.د	موظف في مقسم هاتفي	شارع التجارة (الخوارزمي حاليا) باب علي
رقيق بشير	ح.إ.ح.د	صاحب مقهى	حي باب علي
بن عودة محمد	ح.إ.ح.د	مقاول في النقل	شارع الأمير عبد القادر
قايد عبد القادر	ح.إ.ح.د	حلاق	شارع وهران (العربي بن مهيدي حاليا)
بوشيخي الطاهر	جمعية العلماء المسلمين	مالك وتاجر	–
بن مغنية لخضر	ج.ع.م	مالك وتاجر	–
قرمالة عبد القادر	ج.ع.م	مالك وتاجر	
علاب مختار	الحزب الشيوعي	معلم	المدرسة الابتدائية الأهلية
بن صالح الطاهر	الحزب الشيوعي	معلم	–

ومن خلال هذا الطرح دائما، علينا أن نشير إلى أن معظم العائلات الجزائرية التي امتهنت النشاط التجاري، وبدرجة أقل النشاط الحرفي أو الزراعي لم ترتق إلى مستوى النشاط الاقتصادي الذي بلغته البرجوازية الأوربية في المدينة، ونستدل في ذلك بما كتبه مدير أحد المراكز الأرشيفية السيد روبرت ثنتوين (Robert Thintoin) في صحيفة الصداقة <<Amitié>> عام 1962 حيث يقول:" كان عدد المسلمين في مدينة معسكر ثلاثة أرباع ¾ من مجموع السكان، غير أنهم لم يساهموا إلا بقدر ضئيل في الأنشطة التجارية، عكس السكان الأوربيين

الذين يشكلون ¼ من مجموع السكان ومعظمهم من اليهود والإسبان، إلا أنهم لعبوا دورا رائدا في التجارة والصناعات المحلية"[1].

ومن الأمثلة على ذلك، احتكار عشر تجار الجملة لتجارة الحبوب والدقيق، وأربعة تجار لتجارة التبغ (وجميعهم من اليهود)، أما المنتجات الاستوائية (الشاي، والقهوة، والسكر) فكانت محتكرة من طرف ثلاثة عشرة تاجرا، وهم من اليهود أيضا[2].

3. طبقة البروليتاريا(الكادحة)

وهي الفئة التي تأتي في آخر الهرم الاجتماعي، وتجمع باقي سكان المدينة من العمال اليوميين، والحرفيين الصغار، والباعة المتجولين، والعاطلين العمل...، استقرت جميعها في الأحياء العربية كحي باب علي، والعرقوب، وحي المحطة، وحي عين البيضاء (دوار السبايس)...

ولا شك أن هذه الفئة شأنها شأن بقية الفئات الأخرى في المجتمع الجزائري قد عانت الظلم، والقهر، والتمييز، حيث يظهر ذلك من خلال عزلها في أحياء فقيرة تفتقد لأدنى ضروريات الحياة كنقص المياه الصالحة للشرب[3]، وعدم وجود قنوات الصرف الصحي[4]، ناهيك عن الحالة المزرية التي كان عليها غالبية سكانها بسبب تدهور وضعهم الصحي، وتدني مستواهم المعيشي، واستفحال ظاهرة البطالة، والفقر، وسوء التغذية[5].

ويصور لنا أحد المعاصرين في مذكراته الواقع المرير الذي كانت تعيشه هذه الشريحة، حيث يقول:" أما المعسكريين فلم يكن لديهم ما يسد رمقهم سوى القليل من الطعام للبقاء على قيد الحياة ... فالمداخيل الفردية التي كانوا يحصلون عليها من الحرف والأعمال التجارية

(1) Louis Abadie : Mascara une certaine capitale, Op.Cit, P 43.
(2) Ibid.
(3) L'avenir de Mascara, N° 09- 03/04/1920.
(4) J.C.Crespin, La Fièvre Typhoïde dans les Pays chauds, Librairie J.-B. Baillière et Fils, paris 1901, p58.
)5(Hassab Miloud Benkarama : op.cit. P 18.

الصغيرة لم تكن كافية لإعانة عائلتهم... وحتى العمال اليوميين والخماسين تم استغلالهم من طرف الملاكين الزراعيين،و كبار التجار في المدينة، ... أما البطالين فعادة ما كانوا يسعون إلى البحث عن وظائف فردية كباعة متجولين للجرائد، ومياه القراب، والتين الشوكي، والحلوى، والفول السوداني، أو حمالين، أو القيام بتلميع الأحذية في الشوارع"[1].

وفي الأخير وعلى ضوء ما سبق يتضح أن الهجرة والاستيطان الأوربي للمنطقة كان العامل الرئيسي في تغيير ملامح البنية الاجتماعية سواء في الريف أو في المدينة، حيث نتج عنهما تفكيك المجتمع التقليدي وانهياره، وظهور مجتمع جديد هيمنت فيه الأقلية الأوربية سياسيا واقتصاديا على حساب الأغلبية الساحقة من الجزائريين.

المبحث الثالث: الوضع الصحي

مما لا شك فيه أن الوضع الصحي شكل الهاجس الأكبر للسكان طيلة الفترة الاستعمارية نظرا لحجم الأوبئة والأمراض التي ضربت المنطقة والآثار التي خلفتها في الجانب الاجتماعي والنفسي خاصة في القرن التاسع عشر، ومنها على وجه الخصوص داء الكوليرا الذي اجتاح مدينة معسكر شهر أكتوبر 1834 وأودى بحياة 1457 شخص من مجموع سكانها البالغ عددهم 10.000 نسمة أي ما يعادل سبع سكانها (7/1)[2]، فكان ذلك بداية لجوائح أخرى ستشهدها المنطقة لا تقل ضررا عن سابقاتها والتي ستمتد إلى غاية النصف الأول من القرن العشرين كوباء التيفوئيد (Typhoid)، والطاعون(peste)، والجدري (variole)، والتيفوس (Typhus)، والملاريا (paludisme) وغيرها.

وهو ما سنسلط عليه الضوء في هذا المبحث من خلال رصدنا لتلك الأوبئة الأمراض التي شاهدتها المنطقة مبرزين أسبابها والنتائج التي خلفتها. كما سنتطرق فيه إلى طرق العلاج والتدابير الوقائية المتخذة من طرف الإدارة الاستعمارية للحد من ذلك، كبناء

[1] Ibid. PP 18, 19.
[2] M.F.M Audouard, histoire du choléra-Morbus, imprimerie de Dezauche, Paris 1836, P 13.

المستشفيات الفرعية والمستوصفات، والعيادات، وتوفير الأطر الطبية الأدوية اللازمة لحفاظ على سلامة السكان.

إلا أننا سنبين أيضا، أن هذه الرعاية الصحية مست بدرجة كبير فئة الأوربيين، على حساب الجزائريين الذين عانوا كثيرا من ويلات تلك الجوائح والأمراض، بسبب الإهمال المتعمد واللامبالاة من طرف الإدارة الاستعمارية.

1. الأوبئة والأمراض

1-1 التيفوئيد (Typhoid):

يعرف وباء التيفويد على أنه حمى معدية تحدث بسبب مكروب يولد داخل أمعاء المريض ويتكاثر عند قضاء الحاجة، وعملية البول مما يؤدي إلى ارتفاع درجة حرارة الجسم وانخفاض معدل ضربات القلب وظهور طفح جلدي وانتفاخ وتضخم الطحال[1].

أما أعراضه فهي كما قلنا حمى شديدة يصاحبها وجع في الرأس مصحوب بنعاس، فقدان للشهية، انتفاخ للبطن والصدر مصحوب بإسهال، مع ظهور طفح جلدي أحمر على جسم المريض يدوم مدة طويلة تفوق الخمسة عشر يوما[2].

اشتدت وطئت هذا الوباء في معسكر نهاية القرن التاسع عشر وطيلة النصف الأول من القرن العشرين، بحيث تكرر ظهوره وأصبح مرضا مستوطنا ومستقرا فيها، فقد عرفت الفترة الممتدة مابين 1884- 1894 إصابة العديد من سكانها مما أدى إلى وفاة 23 شخص[3]، كما أظهرت الإحصائيات الرسمية ذلك خاصة خلال سنوات الثلاثينيات والتي

(1) مجاهد يمينة: تاريخ الطب في الجزائر في ظل الاستعمار الفرنسي 1830- 1962، المرجع السابق، ص 61

(2) مجاهد يمينة: المرجع نفسه، ص 61.

(3) J.C.Crespin, La Fièvre Typhoïde dans les Pays chauds, Op.cit, p58.

سجلنا فيها إصابة 12 شخصا سنة 1930[1]، و43 شخصا سنة 1931[2]،و 30 شخصا سنة 1936[3].

ويعود سبب تفشي هذا الوباء حسب الأستاذ كريسبان (Crecpin)[4] إلى تلوث مياه وادي تودمان وبعض الينابيع التي تغذي المدينة وأحوازها، حيث يقول:" توجد أربعة ينابيع تتغذى من وادي تودمان وتوفر المياه لمختلف الأحياء، وهناك منبعان رئيسيان يغذيان المنطقة المنبع الأول يقع في الأعلى يسمي سيدي دحو، وهو صافي ومياهه عذبة، والمنبع الثاني يقع أسفل منه يسمى باس (basse) محاذي للوادي وهو ملوث وغير نقي ما جعله بؤرة حقيقية لهذا الوباء، حيث تسبب عام 1890 في إصابة جنود القناصة التابعين للثكنة العسكرية السادسة بحمى التيفوئيد عند التزود بمياهه"[5].

كما أشار في ذات السياق، أن حمى التيفوئيد اجتاحت بقوة الأحياء الفقيرة التي تعاني البؤس والحرمان وتفتقد لأدنى ضروريات الحياة كحي باب علي الذي كان إلى غاية مطلع القرن العشرين لا يتوفر على شبكات الصرف الصحي وكان سكانه يستعملون المطامير (les Fosses d'aisances) كبديل عن المراحيض مما جعل شوارعه مملوءة بالمياه القذرة[6]، إضافة إلى عدم التزام السكان بشروط النظافة وقواعد الصحة وهو ما أدى إلى ازدياد عدد الحالات المصابة بهذا الوباء، فأغلبهم كانوا يستعملون في عملية السقي وتخزين المياه الجِرَار (Les gargoulettes) التي تحمل في مساماتها شوائب الماء الملوثة وكان ذلك مضرا لصحتهم[7].

ومن جهتها فإن الصحافة الفرنسية التي تناولت عن الموضوع أرجعت سبب تلوث مياه وادي تودمان إلى استغلالها بشكل سيئ من طرف السكان الجزائريين، وذلك في غسيل

(1) A.S.A, Année 1930, Op.cit, p 128.
(2) Ibid.Année 1931, Op.cit, p142.
(3) Ibid.Année 1936, Op.cit, p198.
(4) أستاذ مساعد في مدرسة الطب في الجزائر العاصمة، قام بدراسة معمقة عن أسباب وأعراض وباء التيفوئيد في العديد من المناطق والمدن بالجزائر سنة 1901.
(5) J.C.Crespin, Op.cit, p 58.
(6) Ibid.
(7) J.C.Crespin, Op.cit, P 58..

الملابس والصوف والجلود واستعمالات أخرى[1]، مما جعل الوادي مكب للنفايات ووعاء للقمامة بمختلف أنواعها، وعدوى حقيقية وخطر دائم على صحتهم وصحة السكان الأوربيين خاصة في فصل الصيف عندما يصبح تدفق الوادي ضعيف ومنسوب المياه قليل[2].

إنّ هذه الوضعية لفتت نظر اللجنة الصحية للمنطقة خاصة في ظل ازدياد عدد المصابين من الأوربيين بحمى التيفويد مابين سنتي (1910 و 1911) بسبب الظروف الغير صحية للنهر. كما أثارت انتباه المجلس البلدي الذي اقترح بناءا على طلب نائبه الأول سيلفستر (Silvestere) وبالاتفاق مع نائب رئيس اللجنة الصحية تغطية جزء من وادي تودمان كعلاج لهذه المعظلة، وتم طرح هذا المشروع الأولي على المجلس العام والوفود المالية [3]. لكن تكلفته المرتفعة والمقدرة بـ: 650 ألف فرنك حسب الدراسة التي أجرتها إدارة الجسور والطرق دفعت الإدارة إلى تعطيله مؤقتا لأنّ الموارد المالية للميزانية العامة لا تسمح بذلك، هذا إلى جانب وجود مشاريع أخرى أكثر أهمية كانت المدينة بحاجة ماسة إليها ولا سيما إمدادها بالمياه الصالحة للشرب من بلدية كاشرو المختلطة والذي كلف خطها الرئيسي 900 ألف فرنك، ناهيك عن بناء مدرسة ابتدائية للبنين وملحق لها بقيمة 550 ألف فرنك[4].

1-2 الجُذَري (variole):

هو مرض جلدي شديد العدوى يحدث بسبب فيروس، ويظهر على شكل بقع حمراء على الجلد، ثم يتضاعف حجمها فتصبح على شكل حويصلات صلبة جدا، وفي حالة عدم معالجتها بسرعة تسبب تقيحات وتشوهات على مستوى الوجه، كما يمكنها أن تسبب عاهات كالصمم والعمى، وفي بعض الأحيان تؤدي حتى إلى الوفاة. يصيب الجذري فئة الأطفال

(1) Mascara empoisonné, Le Progrès de Mascara, 09 Octobre 1901, N° 747.
(2) Couverture de L'Oued Toudman à Mascara, Le Progrès de Mascara, 29 Novembre 1913, N° 1422.
(3) Le Progrès de Mascara, N° 1422, 29 Novembre 1913.
(4) Le Progrès de Mascara, N° 1422, 29 Novembre 1913.

بكثرة ومن أعراضه الارتعاش، وارتفاع درجة حرارة الجسم التي تفوق 40 درجة، التقيؤ، وجع الرأس، والألم في العمود الفقري[1].

وقد عانى سكان دائرة معسكر كثيرا من وطأة هذا الوباء الذي بات يهددهم باستمرار، بحيث انتشر بشكل خطير عام 1884 في المدينة وضواحيها ووصل إلى غاية فرندة[2]، كما تسبب في الفترة الممتدة مابين سبتمبر 1895و ديسمبر 1896 في وفاة 167 شخص في مدينة معسكر وحدها، منهم 52 حالة وفاة بالنسبة للأوربيين و115 حالة وفاة بالنسبة للجزائريين[3].

وأمام شدة تواتر هذا الوباء وازدياد عدد المصابين سنة 1912، أمر رئيس بلدية معسكر المواطنين بضرورة إجراء عملية التلقيح وإعادة التلقيح حسب ما ينص عليه القانون[4]، والذي حدّد بموجبه فئة الأطفال الصغار الذين يبلغون من العمر ثلاثة أشهر إلى سنة، وجميع الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين عَشرِ سنوات وإحدى عشرة سنة، والأشخاص البالغون من العمر عشرون سنة وواحد عشرين سنة، وكل من لم يتم تطعيمه من قبل. ومن أجل تمكين الجميع من إجراء التلقيح وإعادة التلقيح تم فتح مركز يقوم بهذه العملية مجانا في مبنى البلدية يعمل كل يوم من العاشرة إلى الحادية عشر صباحا[5].

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا السياق، أن عملية التلقيح التي دعا إليها رئيس البلدية ضد الجذري اقتصرت على السكان الأوربيين ولم يستفد منها الجزائريون، لأن التعبئة

---

(1) مجاهد يمينة: المرجع السابق، ص 58.

(2) P. Forgeot, Traité des Maladies infectieuses et Contagieuses D'origine Microbienne des Animaux Domestiques, Tome 03, Publication Pierre Johanet, P 1274.

(3) L'indépendant de Mascara, Année 1261, 10 Janvier 1897.

(4) صدر هذا القانون في 15 فيفري 1902، وتنص مادته السادسة على إلزامية التلقيح ضد وباء الجدري في ثلاث فترات من حياة الإنسان، الأولى بعد الولادة وحين يبلغ الطفل ثلاث أشهر من العمر، والثانية في الحادية عشرة من العمر، والثالثة في سن الحادية والعشرين. أنظر:

M. Ch. Lutaud, (G.G.A) Exposé de la situation Générale de Algérie en 1910, Alger, imprimerie Administrative Victor Heintz, 1911 , P 55.

(5) Le Progrès de Mascara, N° 1372, 23 Novembre 1912.

الإعلامية التي قامت بها الإدارة لم يكن لها صدى واسع وتمت عبر صفحات بعض الجرائد، هذا إلى جانب فتح مركز واحد فقط وسط المدينة ليقوم بهذه العملية ولمدة ساعة في اليوم، وهو ما يبين التجاهل المتعمد لهم من طرف الإدارة الفرنسية والتخلي عنهم حتى في ظل الظروف الصحية الصعبة رغم أنّ القانون الصادر في 15 فيفري 1902 يلزم السلطات المعنية على إجبارية التلقيح لجميع السكان.

لم يخمد هذا الوباء بل استمر في التزايد تزامنا مع الحرب العالمية الأولى وما أفرزته من عواقب وخيمة على الأحوال الصحية والاجتماعية للجزائريين، كما عرفت سنة 1926 انتشارا واسعا بحيث سجلت 2165 حالة في الجزائر، ليضرب بشدة سنة 1927 حيث ارتفع عدد المصابين إلى 4299 حالة[1].

بعدها بدأ وباء الجذري في التراجع والانحصار، حيث تم تسجيل 383 حالة عام 1928، و137 حالة سنة 1929، ليزداد عدد الإصابات انخفاضا سنة 1930 حيث سجلت 33 حالة فقط، أما سنة 1931 فسجل 21 حالة، وفي سنة 1932 لم يتم تسجيل إلاّ 13 حالة، ويرجع ذلك إلى تعميم التلقيح وإعادة التلقيح وتطبيق ذلك بشكل حازم على الأوربيين والجزائريين[2].

أما بخصوص دائرة معسكر خلال هذه الفترة، فتؤكد التقارير الطبية لسنة 1930 على عدم وجود أي حالات للجذري، ويعود ذلك إلى الجهود الدؤوبة التي بذلها فريق الصحة المتنقل في القضاء على هذا الوباء، حيث قام بتلقيح 5248 شخص وإعادة تلقيح 11406 من سكان المنطقة[3]. وبقي الوضع الصحي مستقر نسبيا إلى غاية نهاية الثلاثينات التي لم تسجل فيها إلا حالات نادرة جدا نذكر منها ثمان حالات سنة 1936[4].

---

(1) مجاهد يمينة: المرجع السابق، ص 150.

(2) M. J. Carde, (GGA) Exposé de la situation Générale de Algérie en 1930, Alger, imprimerie Solal, 1933, P 196.

(3) M. Lucien Camus, Rapport Général par L'académie de Médecine sur les Vaccinations et Revaccinations, Masson et C^{le} , Editeurs, Paris 1931, PP 97,98.

(4) A.S.A, Année 1936, Op.cit, p 198.

غير أنّ الأحوال الصحية سرعان ما تدهورت خلال الحرب العالمية الثانية، إذ ضرب وباء الجذري من جديد وبشدة جميع أنحاء المقاطعة الغربية عام 1941 حيث أصاب 953 شخص[1]، وكانت المدن أكثر تضررا وهران (382 حالة) ومعسكر(108 حالة)، ويعود سبب ذلك حسب تقارير السلك الطبي إلى هجرة عدد كبير من المغاربة المصابين بالجذري من منطقة مليلية (المغرب الاسباني) إلى عمالة وهران، وهو ما أدى إلى نقل العدوى وانتشارها في جميع أنحاء المقاطعة[2]، غير أن هذه التقارير التي حصرت سبب الوباء في عامل الهجرة فقط، تجاهلت الأسباب الرئيسية الأخرى المتمثلة في الظروف السيئة التي خلفتها الحرب العالمية الثانية مما أدى إلى تدهور الأوضاع الاجتماعية الاقتصادية للجزائريين وانتشار الفقر ونقص التغذية وانخفاض مستوى المعيشة والخدمات الصحية.

3-1 التيفوس (Typhus)

داء التيفوس وباء شديد العدوى، يسببه ميكروب من فصيلة الريكتسيّات يحمل اسم ريكتسيا بروفازيكي (Rickettsai Provazeki)، ينتقل إلى الإنسان بواسطة القمل، ويظهر نتيجة تدهور المستوى المعيشي والصحي، وأثناء فترة الحروب والكوارث التي تسبب المجاعات وسوء التغذية والبؤس، وسنوات الجفاف وعند حدوث الفيضانات والأمطار الغزيرة[3].

يعود أول ظهور لوباء التيفوس في الجزائر إلى سنة 1861 في منطقة القبائل والذي أصاب 330 شخص من سكانها، كما ظهر سنوات 1864،1863،1862 في بجاية ثم قسنطينة مخلفا الكثير من الضحايا، وبعدها أصبح وباء مستوطن له مراكز في العمالات الثلاث[4].

---

(1) MM, Aboulker, Anduze-Acher :L'Algérie Médicale, Janvier- Février 1943, N°1, Rédaction Maison du Médecin, Alger, P.47

(2) Ibid.P 48.

(3) علاّمة صليحة: الأحوال الصحية في الجزائر خلال فترة الاستعمار الفرنسي 1830-1962، المرجع السابق، ص 125.

(4) مجاهد يمينة: المرجع السابق، ص 155.

تشير المصادر إلى أن معسكر كانت من المناطق التي استوطن فيها التيفوس خلال الفترة التي هي قيد الدراسة، لأنه وجد الظروف مهيأة له كقلة الرعاية الصحية وتدني المستوى المعيشي، حيث ظهر فيها بقوة بين عامي 1920–1921، بعدما ضرب وهران، وتلمسان، وسيدي بلعباس، ويعود سبب انتشاره إلى هجرة العمال المغاربة الحاملين للعدوى من منطقة وجدة المغربية إلى العمالة الغربية[1].

وخلال سنة 1920، قام الدكتور بريجيت (Brégeat) . مفتش النظافة بعمالة وهران . إلى جانب أعضاء عن لجنة الصحة في معسكر بزيارة إلى حي باب علي، للوقوف عن كثب على الوضع هناك بعدما أصاب التيفوس شريحة كبيرة من سكانه، فوجد الحالة الصحية غير مرضية تماما، وتتطلب ضرورة الإسراع في اتخاذ الإجراءات العلاجية اللازمة لإنقاذ حياتهم[2].

وللحد من انتشار الوباء أوكلت الحكومة العامة هذه المهمة إلى إدارة الصحة العامة بتشكيل فريق متنقل في مقاطعة وهران متكون من طبيب استعمار[3] وممرضة، ومساعدون طبيون جزائريون[4]، مجهزين بسيارة ومعدات تطهير، يتنقل هذا الفريق في القرى والدواوير ويقوم بإجراء تلقيح للسكان ضد التيفوس، كما يعمل على تنظيف وتطهير المحيط والقضاء على الحشرات المسببة للأمراض[5].

---

(1) Le Progrès de Chéliff, N° 1336, 02 Juin 1921.

(2) L'avenir de Mascara, N° 09, 03/04/1920.

(3) طبيب استعمار هو طبيب تعينه الإدارة الاستعمارية في المناطق الأهلة بالجزائريين وبالضبط في البلديات المختلطة، يقوم بتقديم خدمات طبية مجانية لهم وعادة ما يتنقل بين الدواوير والقرى وفي الأسواق أيضا لذات الغرض. أنظر:
Victor Piquet, La Colonisation Française dans L'Afrique (Algérie – Tunisie – Maroc), Librairie Armand Colin, Paris 1914, P 253.

(4) المساعدون الطبيون الجزائريون: هم شباب جزائريين تلقوا تكوينا في كلية الطب لمدة سنتين، يرافقون الأطباء الاستعماريين ويقومون ببعض المهام كإجراء عملية التلقيح للسكان الجزائريين، ووضع الضمادات العيون وتوزيع الأدوية عليهم. أنظر:
Victor Piquet, Op.cit, p 253

(5) M. Pierre Bordes, (GGA) Exposé de la situation Générale de Algérie en 1927, imprimerie Administrative Victor Heintz, P 44.

غير أن عملية التلقيح ضد التيفوس في القرى والدواوير شكلت صعوبة بالغة للأطباء والفريق العامل معهم، لأنها لم تشمل جميع الأشخاص، فقد كان يتم تلقيح الكبار والصغار فقط أما النساء فقد كن يمتنعن عن ذلك[1].

1-4 الملاريا أو حمى المستنقعات (Paludisme):

حمى المستنقعات مرض طفيلي معدي تتسبب فيه جرثومة لافران (Hématozoaire de Laveran) الموجودة في الأرض، وتنتقل إلى الإنسان عن طريق لسعة بعوضة الأنوفيل (Anophèle)، وقد تضاربت الآراء حول مصدر هذه الحمى، وتسمية المرض، وطريقة انتقال الجرثومة إلى الإنسان، إلاّ أنّ المتفق عليه هو أنه لا وجود لهذا النوع من الحمى دون البعوض الذي ينشأ حيث وجود المياه العكرة على سطح الأرض[2].

وتبين الدراسة التي قام بها الطبيب الفرنسي دوماغتين (Dommartin) حول الملاريا في الجزائر أنها تصيب المناطق الريفية المحاذية للمستنقعات التي يصعب تجفيفها أو تجف نسبيا في فصل الصيف، مما يجعلها عرضة للبعوض، كما تنتشر أيضا في المزارع والضيعات ذات النباتات الكثيفة المتواجدة على حواف الأنهار[3].

أما بخصوص معسكر فيقول دوماغتان (Dommartin) أنّ الملاريا ظهرت متفرقة في العديد من سهولها ووديانها، كسهل غريس، وسهل الهبرة، ووادي مينا، ومنطقة سيق[4].

وللتفصيل أكثر حول مناطق توطّن هذا الدّاء وعدد الإصابات والإجراءات المتخذة، اعتمدنا في ذلك على الدراسة التي أجراها معهد باستور سنة 1922 في كل من بوحنيفية،

---

(1) Ibid.

(2) مجاهد يمينة: المرجع السابق، ص ص 43، 44.

(3) D^{r}. Dommartin, DU Paludisme en Algérie, Imprimerie Librairie BEUN, BATNA 1900, p09.

(4) Ibid.P 10.

ودومبال (هاشم)، باليكاو (تغنيف)، وقرية صونيس (Sonis) – خلوية حاليا–، وأوزيس لوديك (فرطاسة).

تشير الدراسة إلى أنّ بوحنيفية كانت أكثر المناطق تضررا بالملاريا خلال سنة 1922، حيث أصيب معظم سكانها بهذا الدّاء (60 أوربي و60 جزائري)، وهو ما أدى إلى تشكيل لجنة تحقيق بتاريخ 20 أفريل 1923، مكونة من الدكتور بريجيت (Bregeat) مفتش النظافة في المقاطعة، والدكتور برنان (Pernin) طبيب استعمار، والسيد فارا (Yvara) المتصرف الإداري لبلدية معسكر المختلطة، لمعاينة المنطقة وتشخيص أسباب الداء والتي أرجعت ذلك إلى كثرة المستنقعات مما أدى إلى انتشار البعوض المسبب للملاريا[1].

وقد أكد برنان من خلال تقريره الذي أعده في شهر سبتمبر 1922 على وجود ثلاث مستنقعات تعتبر أحواض كبرى للبعوض في المنطقة رتبها حسب أهميتها:

- المستنقع الموجود تحت الضفة اليمنى لوادي الحمام المقابل للفندق.
- مجرى المستنقع الموجود تحت مبنى البلدية.
- على ضفاف وادي الحمام والتي يمكن أن تكون ملجأ ليرقات البعوض (Anopheles)[2].

قامت اللجنة بعد المعاينة وتشخيص الأسباب اتخاذ تدابير والإجراءات اللازمة، وطالبت الإدارة بضرورة التسريع في تنفيذها، ومن هذه الإجراءات تجفيف المستنقعات التي كانت تتغذى من الينابيع، وذلك بحفر قنوات مائية تغير مسار مياه هذه الينابيع من المستنقعات إلى الودي.

(1) Archives de L'institut Pasteur D'Algérie, Études sur le Paludisme en Algérie 1922-1923, Tome 1, N° 3, septembre 1923, P 378.
(2) Ibid.

كما طالبت اللجنة من الإدارة وضع شبابيك على أبواب ونوافذ العمال القاطنين في بوحنيفية، ومنها مكاتب طبيب الاستعمار، والمدرس، ومدير البريد لمنع تسرب البعوض[1].

أما بخصوص المركز الاستيطاني دومبال (Dombales) التابع لبلدية كاشرو المختلطة، فقد عرف هو الأخر تسجيل العديد من الإصابات بالملاريا خاصة في فئة الأطفال، فمن خلال عملية الفحص التي أجريت على ستون (60) طفل من الجزائريين القطنيين في المركز، وجدوا أكثر من 10 أطفال يعانون من أعراض الملاريا، ويعود سبب ذلك حسب التحقيق الذي أجراه طبيب الاستعمار هوتفوتاي (Hautefeueille) إلى تشكل البرك الصغيرة على ضفاف وادي حداد والتي كانت تتحول خلال فصل الصيف إلى بؤرة للفيروسات المسببة لحمى المستنقعات[2].

وما يلفت الانتباه في هذا الأمر، هو أن طبيب الاستعمار المكلف بالمعاينة والتحقيق لم يقدم حلول عملية تسمح بوضع حد لهذا لذلك، واكتفى بتحذير السكان من خطر الفيروسات المسببة للأمرض[3]، رغم أنّ الحكومة العامة في الجزائر قامت منذ سنوات بتطبيق أساليب علمية أثبتت فعاليتها في مكافحة الملاريا، تقوم على ثلاث خطوات رئيسية وهي:

- تجنب لدغات البعوض ووضع الشبابيك على النوافذ والأبواب لمنع تسربه إلى البيوت.
- القضاء على البعوض أثناء مرحلة تشكله كيرقات عن طريق وضع الزيت في الأماكن التي توجد فيها هذه اليرقات. فملعقة واحدة من الزيت تدمر كل اليرقات التي تعيش في متر مربع واحد من الماء الراكد.

(1) Ibid.
(2) A.I.P.A. Op.cit, P 385.
(3) Ibid.

- تناول دواء الكنين بانتظام حتى في حالة عدم الإصابة بالمرض، وقد قدرت الجرعة الوقائية من دواء الكنين بـ: 30 سنتغرام للشخص البالغ، ونصف الجرعة للأطفال دون سن العاشرة، وتؤخذ يوميا من شهر جوان إلى شهر أكتوبر[1].

واصلت الملاريا انتشارها في المنطقة خلال نفس سنة (1922)، حيث تم تسجيل 04 إصابات (01 أوربي و03 جزائريين) في قرية صونيس (Sonis) – خلوية – التابعة لبلدية كاشرو المختلطة والواقعة على بعد 12 كلم من باليكاو، إذ تشير التقارير المعدة من طرف طبيب الاستعمار هوتفوتاي (Hautefeueille) أن سبب الإصابات تعود إلى بناء سد في تلك الضواحي مما أدى إلى جفاف وادي ماوسة بشكل شبه كامل وظهور مكانه سلسلة من البرك التي أصبحت تشكل خطر على صحة سكان القرية[2].

أما أوزيس لوديك (فرطاسة)، المركز الذي يطل على وادي العبد الرافد من وادي مينا، والذي يزيد عدد سكانه عن 900 نسمة (384 أوربي و568 جزائري)، عرف هو الأخر عدة إصابات بالملاريا بسبب الظروف الصحية السيئة التي آلت إليها القرية. وحسب ما ورد في التحقيق الذي أجره طبيب الاستعمار أبيتبول (Abitboul) سنة 1922، أنّ الفئة أكثر تضررا من هذا الدّاء هي فئة الأطفال، الذين أصيبوا بانتفاخ الطُحال (spléniqur) – وهو مؤشر على الإصابة بالملاريا– والتي بلغت نسبة المصابين فيهم إلى 54%[3].

ويعود ارتفاع حصيلة الإصابات في هذا المركز إلى غزو البعوض للتجمعات السكانية بسبب الأوحال والرواسب التي تشكلت نتيجة إهتراء شبكة قنوات السقي وعدم صيانتها، وهو ما جعلها موطن للحشائش والنباتات الكثيفة وليرقات البعوض[4]. مما دفع بطبيب

(1) Le Progrès de Mascara, N° 1061, 13 Octobre 1906.
(2) A.I.P.A. Op.cit, pp 420 , 421.
(3) Ibid. PP 423, 424.
(4) Ibid, p 424

الاستعمار إلى اتخاذ مجموعة من الإجراءات وفي مقدمتها إجراء التلقيح لجميع لأطفال القرية الحاملين لهذا المرض،و ترميم جميع قنوات السقي.

2. المؤسسات الصحية والأطر الطبية:

أولت الإدارة الاستعمارية المحلية اهتماما بالغا بالجانب الصحي في المنطقة، من خلال إنشائها للعديد من الهياكل الصحية كالمستشفى العسكري في وسط المدينة، وبعض العيادات مثل العيادة الأهلية في حي باب علي، والمستشفيات الفرعية ومراكز الإسعاف في كل من أوزيس لوديك (فرطاسة)، باليكاو (تغنيف)، وسيدي بوحنيفية، وتيار فيل (غريس)، دمبال (هاشم)، ومركز للعناية بالمعوزين والعجزة أصحاب الأمراض العقلية في سانت أندري (خصيبية) وغيرها ... ووضعت على رأسها الأطر الطبية المختلفة (أطباء، ممرضين، قابلات ...). والذين كان عددهم إلى غاية ديسمبر 1931 على النحو التالي: 21 طبيب، وواحد طبيب أسنان،و 08 قابلاتو 08 صيدليات.

غير أنّ المنشآت الصحية هذه والأطر الطبية كانت موجهة منذ الوهلة الأولى لتلبية متطلبات الجيشو السكان الأوربيين لذا اقتصر وجودها على المناطق الحضرية الآهلة بالمعمرين[1]، أما المناطق الريفية التي كان يقطنها الغالبية من الجزائريين فكانت الرعاية الصحية فيها شبه منعدمة، ومن أهم هذه المراكز نذكر:

2-1 المستشفى العسكري:

يعد من بين المنشئات أولى التي بنتها الإدارة الاستعمارية في معسكر بعد احتلالها سنة 1841، وكان على غرار بقية المستشفيات العسكرية الأخرى يدير شؤونه طبيب عسكري مسؤول على طاقم مكون من أطباء وممرضين، إضافة إلى صيدلي عسكري. كانت هذه المستشفيات تستقبل المرضى من الجيش الفرنسي من مختلف الفئات والرتب، وعمال

[1] جاكر لحسن: الحركة الوطنية في معسكر (1930-1954)، المرجع السابق، ص67.

المصالح الإدارية وبعض المستوطنين إلى اقتضت الحاجة، أما الجزائريون فكان يمنع عليهم دخولها أو التقرب منها[1].

يعتبر مستشفى معسكر من أكبر المستشفيات العسكرية في دائرة وهران، حيث وصلت طاقة استيعابه سنة 1932 إلى 226 سرير، متجاوزا بذلك مستشفى مستغانم (224 سرير)، ومستشفى سعيدة (160 سرير)، ومستشفى تيارت (125 سرير)[2].

في منتصف الثلاثينات تم تحويله إلى مستشفى مختلط، وذلك بموجب الاتفاقية الموقعة بين وزارة الحرب والحكومة العامة في الجزائر التي تقضي بتحويل المستشفيات العسكرية إلى مستشفيات مختلطة في مدة لا تتجاوز أربعة سنوات ابتداء من 1932 وإلى غاية 1935 والتي خصصت لها ميزانية قدرت بـ: 64.786.000 فرنك [3]، علما أنّ مستشفى معسكر تم إدراجه ضمن المرحلة الثانية المقررة سنة 1933، على أن تصبح طاقة استعابه 200 سرير للمدنيين و80 سرير للعسكريين وخصصت لهذه العملية مبلغ 2.000.000 فرنك فرنسي[4].

وحسب تقرير المفوضيات المالية، فإن عملية تحويل عرفت تأخرا كبيرا، ولم يتم الالتزام بالبرنامج المسطر من طرف وزارة الحربية والحكومة العامة بسبب النقص في الميزانية المالية، وبموجب ذلك دعا السيد ميزيلي (Muselli) المفوض المالي والمتحدث باسم اللجنة المنتدبة للصحة العامة خلال سنة 1936 إلى ضرورة استئناف العمل وتحويل هذا المستشفى في أقرب وقت إلى مستشفى مختلط[5].

كما قامت المفوضيات المالية خلال هذه السنة بإعادة تنظيم المساعدات التي وضعت أسسها عام 1929 لتحويل ما تبقى من هذه المستشفيات، ومنها على وجه الخصوص

(1) علامة صليحة: المرجع السابق ص 388.
(2) A.F.A, session ordinaire de Septembre-Octobre 1932, Imprimerie Solal Alger 1932, P 217.
(3) A.F.A, Op.cit, P 216.
(4) Ibid. P221.
(5) D.F.A, session ordinaire de Mai-juin 1936, IMP Solal Alger 1936, PP 397-398.

مستشفى معسكر والذي ورد في شأنه مايلي:" لم يتسن حتى الآن نقل مستشفى معسكر وتطويره إلى مرفق صحي مختلط بالنظر لمحدودية الإعتمادات المالية المخصصة لإعادة تنظيمه، مما يدفعنا إلى الالتزام الصارم لتنفيذ المشاريع المسجلة كل سنة في البرنامج، وقد أدرجت اللجنة إعادة تنظيمه في البرنامج المستعجل وتم إنشاء مشروع التحول للتو من قبل أحد المهندسين المعماريين"[1].

وباعتبار المستشفى العسكري أكبر منشئة صحية في دائرة معسكر، فقد كان يستقبل مئات المرضى سنويا، حيث تشير إحصائيات سنة 1931 أن عدد الحالات التي خضعت للعلاج فيه بلغت 1076 حالة، منهم 987 من الرجال العسكريين والمدنيين (611 عسكري، و376 مدني)، إضافة إلى 52 امرأةو 37 طفل[2]. أما سنة 1936 فقد شهدت تراجعا طفيف حيث بلغ عدد المرضى ممن خضعوا للعلاج فيه إلى 892 حالة، 455 من العسكريين و437 من المدنيين[3].

لكن يجب علينا القول، أنه رغم تحويله إلى مستشفى مختلط وتسليمه إلى السلطات المدنية واستقباله لهذا العدد الكبير من المدنيين، إلا أن ذلك لم يغير شيء من الوضع الصحي المتأزم للسكان الجزائريين، لأن الخدمات الطبية فيه بقيت حكرا على الأوربيين فقط، وهو ما نستشفه من تقارير الأطباء الفرنسيين والذين أجمعوا على أن جميع المستشفيات سواء كانت عسكرية أو مدنية التي أنشأتها فرنسا كانت في خدمة الجيوش والمعمرين الفرنسيين على وجه الخصوص، أما الجزائريون فنادرا ما كان يُسمح لهم بدخولها[4].

2-2 المراكز الإستشفائية الخاصة بالأهالي:

2-2-1 المستوصف الملجأ بباب علي (Hospice Infirmerie):

(1) D.F.A, Op.cit, PP 869 – 870.
(2) A.S.A, Année 1931, Op.cit,P 233.
(3) A.S.A, Année 1936, Op.cit,P 233.
(4) مجاهد يمينة: المرجع السابق، ص 202.

يعتبر أول مركز صحي خاص بالجزائريين في المنطقة، تأسس في 14 جويلية 1903[1] في حي باب علي العربي على مساحة أرضية تابعة للبلدية. أشرف على افتتاحه كل من رئيس الدائرة السيد ميسوني (Messonnier)و رئيس البلدية السيد لويس جيغو (Louis Giraud)، وأعضاء مجلس الإدارة[2].

واستنادا إلى ما جاء في كلمة لويس جيغو التي ألقاها في حفل الافتتاح، فإن الملجأ أنشئ من أموال الإعانة المالية التي خصصتها الوفود المالية والحكومة العامة لصالح المرضى الجزائريين في معسكر، ومن التبرعات التي قدمتها بعض الشخصيات الأوربية والجزائرية البارزة في المدينة. أما عن تسييره فقد أسندت مهمة ذلك إلى الطبيب الفرنسي فوجيان (Vaugien) وطاقمه المكون من بعض الممرضين[3].

وعلى الرغم من هذا كله، فإن مجلس الإدارة أبدى تخوفه من عدم إقبال الجزائريين على هذا المركز وتلقي العلاج فيه بسبب رفضهم للطب الفرنسي، وهو ما أشار إليه الطبيب فوجيان بقوله:" ... إنّ العرب يرفضون الطب الفرنسي، لأنّ بعض المستشفيات لديها أنظمة غذائية مخالفة لمعتقداتهم، لكننا سنقدم لهم الرعاية اللازمة ونعمل على احترام عاداتهم. الفراش سيكون مثل الذي لديهم في المنزل، والطعام أيضا مناسبا لذوقهم، وهذا هو المهم..."[4].

والحقيقة أن رفض الجزائريين للطب الفرنسي في تلك الفترة لم يكن بسبب الوجبات الغذائية المقدمة لهم أو الفراش أو ما شابه ذلك مثلما أشار إليه الدكتور فوجين، وإنما يعود إلى فكرة العداء والخوف التي كانت تسيطر على الجزائريين نتيجة ربط الطب الفرنسي

(1) إن اختيار الإدارة الاستعمارية يوم 14 جويلية كتاريخ لتدشين المستوصف ليس من باب الصدفة، لأن هذا تاريخ له رمزيته الخاصة بالنسبة لهم، حيث يصادف ذكرى العيد الوطني الفرنسي، واختياره لافتتاح هذا الملجأ ما هو إلاّ محاولة لفرض ثقافتها وتاريخها على الجزائريين، وطمس تاريخهم وماضيهم وبطولات زعمائهم وأبطالهم.

(2) Le Républicain de Mascara, 19 Juillet 1903, N° 101.

(3) Ibid.

(4) Ibid.

بالسياسة والدّين. فالسلطة الفرنسية استغلت عملية التطبيب وتقديم العلاج كوسيلة لطمس عقيدة الجزائريين وهويتهم ونشر أفكارهم المسمومة الداعية إلى تمجيد الاستعمار والتنصير، وهو ما تفطنوا إليه من البداية. حيث بقي هؤلاء إلى غاية مطلع القرن العشرين في منأى عن الأطباء الفرنسيين لا يقصدونهم للعلاج إلاّ مضطرين وفي حالة يشوبها الكثير من الخوف والحذر[1]. وفي هذا الصدد يقول الأستاذ سعد الله:" إلى سنة 1908 تقريبا كان الجزائريون مبتعدين عن الفرنسيين في مجال الطب ولا يقصدون حكماءهم للعلاج لأن فكرة العداء والخوف كانت هي المسيطرة. إنّ الثقة كانت مفقودة بين الطرفين. وهذا رغم قناعة الكثير من الجزائريين بمعرفة الفرنسيين لأسرار العلوم الطبية. لقد كان عامة الجزائريين يعرفون أن الفرنسيين قد ربطوا بين عناصر ثلاث: الاستعمار والدين والطب، ولم يكن من السهل عند الجزائريين الفصل بين الطب وغيره من ظواهر الاستعمار، رغم أنّ الفرنسيين كانوا يعززون موقف الجزائريين من أطبائهم إلى التعصب"[2].

ومن جهة أخرى فإن هذا النوع من المراكز الصحية غير قادر البتّة على تقديم الرعاية اللازمة للجزائريين، ولا يمكنه بأي حال أن يرتقي إلى نفس الخدمات الطبية التي كانت تقدمها المستشفيات المدنية والعسكرية للأوربيين، خاصة وأن وجوده تزامن مع فترة عرفت فيها المنطقة تفشي العديد من الأمراض والأوبئة في أوساط الجزائريين كاجُذري والتيفوئيد والحمى بمختلف أنواعها ومرض السل... فدوره عادة ما كان يقتصر الكشف عن المرض وتقديم بعض الأدوية والتلقيح أو تضميد الجراح.

2-2-2 عيادة باب علي الأهلية:

(1) علامة صليحة: المرجع السابق ص 317.
(2) أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي (1830 – 1954)، ج 07، المرجع السابق، ص 226.

تمت الموافقة على مشروع بناء هذه العيادة عام 1912، غير أن اندلاع الحرب العالمية الأولى وصعوبة الحصول على قطعة أرض لانجازها أخّر ذلك كثيرا[1]. ولم يتم بناؤها إلا في أواخر عام 1924 بمبلغ مالي وصل إلى 160 ألف فرنك[2].

وللعلم فإنّ بناء هذا النوع من العيادة يندرج ضمن القرار الذي أصدره الحاكم العام جونار (Jonnart) في 20 ديسمبر 1904 والذي يقضي بإنشاء عيادات خاصة بالأهالي، تم تحديد شكلها على النحو التالي: قاعة للفحوصات، وقاعتان صغيرتان واحدة للرجال والأخرى للنساء، بكل واحدة بعض الأسرة، بالإضافة إلى دورة للمياه[3].

وقد أثار بناء العيادة في حي باب علي جدلا واسعا بين أعضاء المجلس البلدي والمفوض المالي السيد محمد بن شنان ولد قدور، بسبب طلب هذا الأخير من المفوضيات المالية في دورتها لسنة 1912 نقل هذه العيادة من معسكر إلى تيارفيل (غريس) أو وادي تاغية[4]. وهو الاقتراح الذي رفضه أعضاء المجلس البلدي وعارضوه بشدة وعلى رأسهم السيد مارتيني بيتي (Martini Petit) والسيد بن عبورة، وألحوا في نفس الوقت على ضرورة بناء العيادة في حي باب علي لأن الحي كان يضم 13.000 نسمة من الجزائريين وسكانه كانوا بحاجة ماسة إليها[5].

وبتاريخ 08 أكتوبر 1912 كتب السيد بن شنان مقالا في جريدة لو بروڤري دي مسكرا (Le Progrès) يرد فيه على أعضاء المجلس البلدي الذين رفضوا طلبه، ويوضح من خلاله الأسباب التي دفعته إلى طلب تحويل هذه العيادة من معسكر إلي غريس أو وداي تاغية، حيث قال فيه:" أن السلطة العليا رفضت إنشاء هذا النوع من العيادات في المناطق التي

(1) Le Réveil de Mascara, 24 /04/1925, N° 3136.

(2) جاكر لحسن: المرجع السابق، ص 69.

(3) مصطفى خياطي: الطب والأطباء خلال الفترة الاستعمارية، منشورات ANEP، طبعه المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر2013، ص 287

(4) D.F.A, session ordinaire de Mai 1912, Op.cit, PP 68, 69.

(5) Le Progrès de Mascara, 05 Octobre 1912, N° 1365.

توجد فيها مستشفيات. وأن التكاليف المخصصة لإنشاء مثل هذه المؤسسات الصحية عبارة عن إعتمادات مالية مأخوذة من الضرائب التي يتم جمعها من سكان البلديات المختلطة، وبتالي يجب تخصيص هذه الأموال لتقديم المساعدة الطبية لهؤلاء السكان الذين يعيشون في هذه البلديات البعيدة عن المناطق الرئيسية، عكس الجزائريين الآخرين الذين يعيشون في المدن ويتلقون الرعاية من طرف مصالح الفحص المجاني أو في المستشفى"[1].

ولتبرير موقفه أضاف بن شنان بالقول:" أن المناطق التي يوجد فيها مستشفى وعيادة أهلية عادة ما يفضل سكانها من الجزائريين التوجه إلى المستشفى على أساس أن الرعاية الصحية فيه أفضل بكثير من تلك الموجودة في العيادات الأهلية، كما أن هذه العيادات الموجودة في المدن لا يرتادها إلاّ المرضى الذين هم غرباء عن المدينة، ليختم قوله في الأخير بالعبارة التالية:" هذا هو موضوعي وهذا ما أريده، أستشر السيد بن عبورة مع 13.000 من سكان معسكر إذا كانوا يفضلون العلاج في المستشفى أو في المستوصف الأهلي"[2].

وعلى كل فإنه بعد إنشاء العيادة وفتحها أمام المرضى سنة 1924 طالب الدكتور بريجيت (Brégeat) مندوب قسم النظافة إضافة ملحق تابع لها خاص بتنقية القمل للسكان، وعلى اثر ذلك قامت البلدية بشراء قطعة أرض بجانبها لانجاز المشروع[3].

إن العيادة وعلى غرار بقية العيادات الأهلية الأخرى دخلت بعد فترة وجيزة من النشاط في تدهور وانحطاط بسبب نقص الوسائل وعدد أعوان المصالح الطبية مما حال دون استفادة الجزائريين بشكل كاف من خدماتها الطبية[4].

المستشفيات الفرعية (Hôpitaux Auxiliaires):

(1) Le Progrès de Mascara, 12 Octobre 1912, N° 1366.
(2) Ibid.
(3) Le Réveil de Mascara, 24 /04/1925, N° 3136.
(4) جاكر لحسن: المرجع السابق، ص 70.

قرر الحاكم العام للجزائر موريس فيوليت (Maurice Violette) سنة 1926 إعادة هيكلة العيادات الأهلية كلية وتحويلها إلى ما يعرف بالمستشفيات الفرعية لتقديم العلاج الطبي والجراحي للمرضى الجزائريين والأوربيين على السواء. أسندت مهمة تسيرها إلى لجنة إدارية يشكلها رئيس البلدية في البلديات الكاملة الصلاحيات، ومتصرف الإداري في البلديات المختلطة، تضم رئيسا وأربعة أعضاء أوربيين وجزائريين[1].

وحسب المخطط الذي وضعته الحكومة العامة فإن هذه المستشفيات تحتوي على مصلحة للطب العام واحدة للرجال وأخرى للنساء، وقاعات للعزل، وقاعة مخصصة للأوربيين مجهزة بمختلف التجهيزات تشبه إلى حد ما غرف المستشفيات الكبرى، أما الجناح الخاص بالعمليات فيتوفر على قاعة للعمليات العفنة (opérations septiques)، وقاعة للعمليات المعقمة (opérations aseptiques)، كما تتوفر أيضا على قاعة للولادة، وقاعة للاستحمام وتنقية القمل، وقاعة للفحص وأخرى للتضميد[2].

وكانت معسكر إلى غاية 1936 تتوفر على أربعة مستشفيات فرعية، ثلاثة منها شيّدت سنة 1927 وهي مستشفى باليكاو (تغنيف)و مستشفى بوحنيفيةو مستشفى مدينة معسكر[3] أما مستشفى وادي تاغية فتم بنائه سنة 1930[4].

وحسب الإحصائيات التي أعدتها الإدارة الاستعمارية بشأن عدد المرضى الذين خضعوا للعلاج في هذه المستشفيات خلال فترة الممتدة من 1927 إلى غاية 1936 فإنها تراوحت ما بين 1024 حالة و409 حالة، وأكبر عدد في ذلك سجل سنة 1927 ب: (1024 حالة) أما أدناه فسجل سنة 1935 ب: (409 حالة) وهو ما يوضحه الجدول التالي[5]:

(1) علامة صليحة: المرجع السابق، ص ص 419، 420.
(2) علامة صليحة: المرجع السابق ص 420.
(3) Pierre Bordes, (G.G.A) Exposé de la Situation Générale de Algérie en 1927, Alger, imprimerie, Victor Heintz, P 34.
(4) J. Carde, (G.G.A) Exposé de la situation Générale de Algérie en 1930, Op.cit, P 31.
(5) (G.G.A) Exposé de la situation Générale de Algérie, Les années 1927 à 1936.

الجدول (14): عدد المرضى الخاضعين للعلاج في المستشفيات الفرعية لدائرة معسكر ما بين 1927 و 1936.

السنوات	1927	1928	1929	1930	1931	1932	1933	1934	1935	1936
باليكاو	565	318	328	168	165	150	115	126	161	163
بوحنيفية	149	117	120	99	115	100	145	116	100	110
معسكر	311	220	268	174	97	103	130	128	85	102
وادي تاغية	/	/	/	28	145	247	51	80	63	62
المجموع	**1025**	**655**	**716**	**469**	**522**	**600**	**441**	**450**	**409**	**437**

إن قراءة الأرقام الواردة في الجدول تظهر بوضوح العدد الضئيل للمرضي ممن تلقوا العلاج في هذه المستشفيات، والذي تراوح عددهم مابين 300 إلى 50 مريض سنويا باستثناء سنة 1927، ويعود ذلك إلى صغر حجمها فطاقة استيعابها لا تزيد عن 35 سرير، كما يعود أيضا إلى رفض الكثير من الجزائريين الالتحاق بها بسبب التمييز الفاضح في نوعية الخدمات الطبية المقدمة وظروف الإقامة بينهم وبين الأوربيين، بالإضافة إلى الأسباب التي أشرنا إليها سابقا والمتمثلة في توظيف الطب لصالح السياسة والدين.

وفي ختام هذا المبحث ومن خلال ما سبق يمكن أن نستخلص مايلي:

- تعاقبت على المنطقة العديد من الأمراض والأوبئة كالتيفوئيد والجذري والتيفوس والملاريا والسل وغيرها، والتي تكرر حدوثها بشكل مستمر ومتواصل وهو ما تسبب في تدهور الوضع الصحي وهلاك الكثير الجزائريين.

- ارتبطت معظم الأوبئة التي ضربت معسكر خلال هذه الفترة بالظروف البيئية السيّئة (تلوث المياه، كثرة المستنقعات، عدم وجود قنوات الصرف الصحي في الأحياء والدواوير

العربية ...) وهذا في ظل غياب قواعد الصحة وشروط النظافة. كما ارتبطت أيضا بالظروف الاجتماعية والمعيشية المأساوية التي كان يعيشوها الجزائريون بسبب السياسة الاستعمارية القائمة على التجويع والتفقير وسوء التغذية والحرمان. الأمر الذي جعل هذه الأمراض تفتك بالمرضى بسرعة بسبب قلة مناعة الجسم وعدم قدرته على المقاومة.

– ومن جهة أخرى فإنّ هذه الأوبئة اقترنت بعامل الهجرة خاصة هجرة العمال المغاربة المصابين بالعدوى (كالجُذري والتيفوس) إلى المنطقة بحثا عن فرص للعمل وهو ما أدى إلى انتقالها بشكل سريع بين السكان، فمنطقة ديبلينو (حسين) وحدها كان يهاجر إليها أكثر من 600 مغربي سنويا كعمال موسميين.

– رغم الاهتمام الذي أولته السلطات الاستعمارية بالجانب الصحي والإجراءات التي اتخذتها من أجل القضاء الجوائح والأمراض في المنطقة كتحويل المستشفى العسكري للمدينة إلى مستشفى مختلط وتخصيص 200 سرير فيه للمدنيين،و بناء العيادات والمراكز الصحية وتجهيزها بمختلف التجهيزات والأطر الطبية، إلاّ أنّ ذلك بقي حكرا على الأوربيين وشريحة قليلة جدا من الجزائريين التي كان يسمح لها بتلقي العلاج معهم في هذه المراكز.

– على الرغم من إقرار الإدارة الاستعمارية لمجانية العلاج للجزائريين وسعيها إلى وضع ملاجئ وعيادات خاصة بهم كالملجأ المستوصف والعيادات الأهلية في حي باب علي، إلا أن طبيعة الخدمات الطبية التي كانت تقدمها هذه المنشآت متدنية جدا وتفتقر لأدنى شروط الصحة، فضلا عن قيام الإدارة بتوظيفها لأغراض سياسة ودينية دنيئة تمس بعقيدة ووطنية الجزائريين. أما المستشفيات الفرعية التي أنشأتها الإدارة في نهاية العشرينات وبداية الثلاثينات في كل من معسكر وتغنيف وبوحنيفية وواد تاغية فقد تميزت جميعها بطابعها العنصري، وظلت تمارس التفرقة بين المرضى الأوربيين والجزائريين بفصلهم عن بعضهم البعض، وذلك بتخصيص جناح للأوربيين ووضعهم في غرف مجهزة ونظيفة وتوفير لهم الرعاية والأدوية اللازمة. أما الغرف والخدمات المخصصة للجزائريين فكانت على العكس

من ذلك تماما ناهيك عن سوء معاملتهم واحتقارهم مما أدى إلى عزوف ورفض الكثير منهم العلاج فيها. ولجوئهم إلى الطرق التقليدية المتمثلة في الطب الشعبي.

المبحث الثالث: المشاكل الاجتماعية

1. مشكلة البطالة:

إن الخوض في موضوع البطالة ودراسته بشكل موضوعي يطرح أمام الباحث العديد من الصعوبات، خاصة ما يتعلق منها بالإحصائيات، فهي إلى جانب قلتها نجدها متضاربة وغير دقيقة، وتحتاج إلى مراجعة كلية، لأن معظم الأرقام المصرح بها من طرف الهيئات الإدارية المتخصصة كمفتشيات العمل لا تعكس حقيقة الواقع، خاصة إذا علمنا أن نشاطها اقتصر على المؤسسات الصناعية والورشات فقط. أما الإحصائيات المقدمة من طرف مكاتب البطالة الموجودة على مستوى الدوائر فنجدها تتعلق بطلبات البطالين المسجلين لديها، والجزائريون العاطلون عن العمل نادرا ما كانوا يسجلون أنفسهم فيها[1].

وعلى أية حال، فإن بعض الدراسات قدرت عددهم في الجزائر مع بداية الخمسينات بحوالي مليون عاطل في الريف، و150000 بطال على مستوى المدن من مجموع 2300000 شخص من هم في سن العمل، أي بمعنى نصف القادرين عن العمل هم في الواقع بطالون أو شبه بطالين[2].

وإذا كان بعض الباحثين يرجعون ارتفاع معدلات البطالة إلى الزيادة السكانية الكبيرة التي عرفتها الجزائر في فترة ما بين الحربين العالميتين، فإنّ هناك أسباب أخرى نراها أساسية كانت وراء تفاقم الظاهرة منها: عمليات المصادرة التي تمت في حق الملاكين الصغار وتحويلهم إلى عمال زراعيين، ثم إلى بطالين بسبب الأزمات التي شهدها القطاع الفلاحي – خاصة خلال ثلاثينات القرن العشرين – بالإضافة إلى عامل أخر يتمثل في المنافسة التي كان يلقاها الجزائريون من طرف العمال المغاربة الذين أصبح عددهم بالآلاف،

(1) Charles-Robert Agéron, Genèse de l’Algérie algérienne, EDIF 2000, PP 239, 240.
(2) عبد الحميد زوزو: المرجع السابق، ص 329.

هذا إلى جانب الاستخدام الواسع للآلات والوسائل الزراعية الحديثة من طرف الكولون والتي جعلتهم في غنى عن الكثير من العمال الزراعيين[1].

زيادة على ذلك فإن القطاع الصناعي بالجزائر كان يشهد ضعفا كبيرا خاصة في مجال الصناعات التحويلية (التعدينية، والنسيجية، والغذائية ...)، التي كانت عاجزة عن امتصاص الفائض العمالي، كما أدى تأجيل أو توقف بعض المشاريع الكبرى كمشاريع البناء والسدود والطرق نتيجة الصعوبات المالية بالإدارة الاستعمارية إلى تسريح العديد العمال المرتبطين بها[2].

وفيما يخص دائرة معسكر، فإن المشكل ظل مطروحا فيها وبحدة، خاصة في أوساط الجزائريين، حيث كانت الغالبية الساحقة منهم دون عمل، مما دفع العديد منهم إلى الانخراط في النقابات الفلاحية أملا في إيجاد مناصب شغل لهم، أو الدفاع عن مصالحهم المهنية فيما بعد، كما يظهر ذلك من خلال ما تناولته الصحافة الاستعمارية، والتي تطرقت في الكثير من المناسبات إلى ظروفهم الاجتماعية القاسية، وإلى الاحتجاجات والمظاهرات التي كانوا يقومون بها بين الفينة والأخرى جراء بقائهم مدة طويلة بلا وظيفة، أو في حالة توقيفهم وطردهم من عملهم[3].

أما بخصوص حجم البطالة في معسكر، فليس لدينا إحصائيات دقيقة حولها، فالأرقام المصرح بها من طرف الجهات المتخصصة كقسم البطالة على مستوى البلدية تمثل طلبات البطالين الباحثين عن مناصب شغل فقط، وليس العدد الإجمالي للبطالين، وهو ما يوضحه الجدول أدناه[4]:

---

(1) Charles-Robert Agéron, Op.cit, P 239.

(2) J. Carde, Exposé de la situation de L'Algérie en 1932, Imprimerie Solal, Alger 1933, P 750.

(3) من الصحف الاستعمارية التي تناولت موضوع البطالة بكثرة والواقع الأليم الذي آلت إليه هذه شريحة في معسكر جريدة (L'Avenir de Mascara)، وجريدة (L'Oranie Populaire).

(4) Le Réveil de Mascara, N° 3706, 22/02/1936 et N° 3836, 13/08/1938.

جدول (15): طلبات العمل للبطالين في مدينة معسكر في سنتي 1936 و1938.

الطلبات	إحصائيات سنة 1936		إحصائيات سنة 1938	
	الأوربيين	الجزائريين	الأوربيين	الجزائريين
بنائين	01	–	14	–
صانعي الأسرجة	01	–	01	–
قلاعين الحجارة	07	–	–	–
خبازين	01	–	03	–
عمال زراعيين	09	–	09	–
اسكافيين	02	–	–	–
حفارين	14	61	14	109
نجارين	06	–	01	–
حفارين الأبار	03	–	–	–
صانعي الآجر	03	–	01	–
حدادين	03	–	02	–
فحامين	03	–	05	–
مكسري الحجارة	04	–	05	–
سائقي العربات	02	–	03	–
دهانين	04	–	03	–
ميكانكيين	03	–	03	–
مربي الخنازير	01	–	01	–
بائعي الخردوات	02	–	02	–

موظفين في مكتب	05	–	01	–
سائقين	04	–	05	–
بياطرة	01	–	–	–
طحانين	01	–	–	–
كهربائيين	03	–	00	–
سمكري	01	–	02	–
بائعي البرميل	01	–	–	–
مصلحي العربات	01	–	–	–
مساعدي البنائين	–	01	–	17
صانعي المشروبات	–	–	01	–
حراس	–	–	06	–
ملقمو الكروم	–	–	04	–
لبانين (بائعي الحليب)	–	–	02	–
منقب	–	–	01	–
بستانيون			05	02
مختصين في التقطير	–	–	02	–
مراقب	–	–	02	–
صانعي ومصلحي الأقفال	–	–	01	–
المجموع	**82**	**62**	**109**	**134**
	144		**243**	

المصدر : Le Réviel de Mascara

يلاحظ من خلال الجدول انخفاض عدد المسجلين في قوائم البطالة خاصة من جانب الجزائريين، ويعود ذلك بالأساس إلى عدم وجود رغبة لدى معظم العاطلين عن العمل في التواصل مع مثل هذه المكاتب التي كانت تكتفي في العديد من المرات بتسجيلهم ضمن قوائم البطالة دون توفير مناصب الشغل لهم، كما يمكن تبرير ضعف الإقبال عليها إلى قصر فترة استلام الطلبات التي كانت في غالب الأحيان لا تتجاوز عشرة أيام، كما هو الحال في سنة 1936 والتي تم تحديدها مابين 06 إلى 15 فيفري[1]، أما سنة 1938 فامتدت مابين 08 إلى 13 أوت[2]، مما حرم العديد منهم تسجيل أنفسهم فيها.

ومهما يكن من أمر، فإن البطالين الجزائريين رغم عددهم الذي يفوق عدد البطالين الأوربيين بكثير في مدينة معسكر والدائرة بصفة عامة، إلاّ أن حظهم في التوظيف كان ضئيل جدا مقارنة بنظرائهم الأوربيين نتيجة التمييز والتهميش الذي تعرضوا له من طرف السلطة الحاكمة، ومن الأمثلة على ذلك التجاوزات التي حصلت في حقهم خلال عملية التوظيف بالمعمل الذي افتتحه رئيس بلدية معسكر باسكال موزيلي (Pascal Muselli) في سانت أندري . خصيبية . حيث ضمت قائمة البطالين الذين تم انتقائهم للعمل في هذا المصنع بعض المقربين إليهم من الأوربيين، والعديد من المتقاعدين السابقين الذين تم إدماجهم من جديد، وذلك على حساب 450 عائلة من المنطقة كانت تعاني البطالة والفقر[3]. حيث كتبت جريدة "لوراني بوبيليار" (L'Oranie populaire) في هذا الصدد مايلي:" لقد ألقينا نظرة على قائمة طلبات العمل، فلا أحد من هؤلاء بحاجة إلى عمل ... دعونا نرى قائمة الإخوة الأعزاء جدا؟ أنطوان متقاعد سابق، والأخر نقيب سابق من رجال الإطفاء، وهذا متقاعد، إلخ ...؟"[4].

(1) Le Réveil de Mascara, 22/02/1936, N° 3706.
(2) Ibid, 13/08/1938, N° 3836.
(3) L'Oranie populaire, 02/07/1938, N° 60.
(4) Ibid.

ومن الأمثلة الأخرى على ذلك، قيام السيد أنجليد (Anglade) رئيس بلدية بريقو (Perrégaux) . المحمدية . شهر أكتوبر 1937 بتوظيف 251 بطال، منهم 170 أوربي، و86 جزائري فقط (أي ثلث عدد الموظفين تقريبا)، إلا أنه سرعان ما تم إحالتهم على البطالة من جديد بعدما عملوا مدة ستة أيام وخمسة ساعات طوال شهر نوفمبر، تقاضوا خلالها مبلغ 12 فرنك كأجرة يومية، وهو مبلغ زهيد، وبعيد كل البعد عن المبلغ الذي وعدهم به هذا الرئيس قبل بداية الأشغال والمقدر بـ: 25 فرنك في اليوم، خاصة إذا علمنا أن الإعتمادات المالية المخصصة لهم قدرت بـ: 20236 فرنك فرنسي[1].

وأمام استمرار مثل هذه التجاوزات والتصرفات غير المبررة من طرف مسؤولي البلدية تجاه البطالين، قام فرع الحزب الشعبي الفرنسي (P.P.F) ببريقو في أفريل 1938 بتقديم شكوى لدى عامل عمالة وهران تضمنت تقرير مفصل حول الانتهاكات المرتكبة في حقهم، تدعوه فيها إلى إجراء تحقيق في تصرفات رئيس البلدية ونوابه[2].

لكن هذه الشكاوى والتنديدات التي وجّهها ممثلو الفروع الحزبية والنقابية إلى السلطات الفرنسية بخصوص موضوع البطالة لم تغير من الواقع شيئا، وظل الوضع على ما هو عليه، الأمر الذي آثار سخط وغضب البطالين ودفعهم إلى التظاهر في العديد من المرات، مثلما حدث سنة 1935 في بريقو، أين قام العاطلون عن العمل بمظاهرات عارمة بمعية بعض العناصر الشيوعية المعروفة في المنطقة التي قادت المسيرة وقامت بتوجيهها عبر الحي العربي لزيادة عدد المتظاهرين، وقد أدى ذلك إلى أعمال عنف واشتباكات مع الشرطة، بسبب إطلاق النار على أحدهم من طرف رئيس البلدية السيد ترجمان (Tordjman)، ولحسن الحظ تدخل كل من محافظ الشرطة، والسيد معبد شارف[3]، ودعا المئات من الجزائريين إلى

(1) L'Oranie populaire, 11/12/1937, N° 32.
(2) Ibid. 02/04/1938, N° 47
(3) معبد شارف: شخصية دينية وإصلاحية، اشتغل مدرسا في المدرسة الفرنسة في بريقو (المحمدية)، قام في إطار جهوده الذاتية بتأسيس جمعية دينية وبناء مسجد، أصبح عضوا في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ورئيسا لشعبتها في مدينته، شارك في المؤتمر الإسلامي الجزائري، وعين عضوا في لجنته المركزية سنة 1936. أنظر: محمد خير الدين: مذكرات، الجزء الأول، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص 280.

الهدوء وعدم إثارة الفوضى بعدما قام المحافظ بمعاتبة الفاعل على تصرفه الغير مسؤول أمام الجميع، ووصفه بالعمل الفاشي[1].

وفي السياق ذاته، فإن الاحتجاجات والإضرابات التي قام بها العمال في منطقة معسكر لم تكن من أجل الأجور أو تحسين ظروف العمل فحسب، وإنما تعود أيضا إلى حالات الطرد التي تعرضوا لها، والتي أدت بهم إلى البطالة، ومثال ذلك الإضراب الذي نظمه عمال البناء ببوحنيفية تضامنا مع عامل منهم تم توقيفه يوم 23 فبراير 1938[2].

كما تنصّل المزارعون الأوربيون الكبار في المنطقة من مسؤولياتهم تجاه ما يحدث للبطالين الجزائريين، وكانت تبريراتهم حول هذه المسألة أنهم كانوا دائما في نيتهم توظيف عدد كبير من الجزائريين لإنقاذهم من حالة البؤس التي يعيشونها، لكن لم يعد بوسعهم ذلك بسبب رفض البنوك منحهم القروض، مما جعلهم في ضائقة مالية يستحيل فيها توفير مناصب شغل لهؤلاء البطالين[3].

وعلى أية حال فإن استمرار ظاهرة البطالة في معسكر، وبقاء الوضع على ما هو عليه زاد من تأزم الوضع الاجتماعي لسكان المنطقة، وتعقدت حياتهم أكثر، وهو ما تسبب في هجرة حشود كبيرة من الريف إلى المراكز الحضرية القريبة، أو من المدينة إلى الخارج طلبا للعمل وبحثا عن موارد رزق أخرى، وهو ما سنسعى إلى التطرق إليه في المباحث الأتية.

2. تدهور الوضع الاجتماعي:

إن دراسة الوضع الاجتماعي الجزائريين، وما آل إليه من تدهور وتقهقر يسوقنا في البداية إلى عرض صورة موجزة عن التمايز الفاضح بينهم وبين الأوربيين المترفين، ومن مظاهره استقرار الأوربيين وسط المدينة حيث البنايات الحديثة والشوارع المعبدة، وفضاءات التسلية

(1) L'avenir de Mascara, 16/02/1935, N°450.

(2) جاكر لحسن: المرجع السابق، ص 151.

(3) L'avenir de Mascara, 01/01/1921, N°48.

كالملاعب والساحات، والمسرح البلدي، والحانات، وقاعات السينما والمقاهي، والفنادق. أما الجزائريون فتم عزلهم في أحياء شعبية تفتقر لأدنى شروط الحياة، كالطرق، والماء، والإنارة[1]، مثلما هو الحال في حي باب علي العريق الذي بقيت شوارعه في حالة سيئة، خاصة عند سقوط الأمطار حيث كانت تتحول إلى برك كبيرة يصعب على المرء عبورها[2]. كما شهد الحي نقص كبير في التموين بالمياه، مما جعل سكانه يعانون أزمة عطش حادة، فحسب ما ورد في بعض الإحصائيات أن حصته الإجمالية من الماء لا تزيد عن 116 متر مكعب في اليوم، أي بمعدل 05 لتر للفرد، عكس الأحياء الأوربية التي بلغت حصتها 1120 متر مكعب، وهو ما يعادل 100 لتر للفرد يوميا[3]، وقد تحدث عن هذه الأزمة السيد أرقيس (Argus) اثر تحقيق ميداني قاده للحي سنة 1920 حيث قال:" منذ فترة وسكان باب علي يشتكون بمرارة نقص المياه في أحيائهم ... حيث نجد حوالي 12000 إلى 13000 نسمة يعانون من هذا المشكل بشكل الدائم ... وحتى المدرسة الأهلية الواقعة في شارع "سيدي علي" التي تضم 250 تلميذ، فإنهم لا يجدون فيها الماء لأجل الشرب والاستعمال أثناء فترة الاستراحة..."[4].

وما زاد من معاناتهم أكثر، هو تلوث هذه المياه على قلتها، بسبب اهتراء الخزان المائي، وعدم صلاحياته، وأيضا لوجوده في محيط مملوء بالأوساخ، والفضلات، وجثث الحيوانات، والمياه الراكدة[5]. مما شكل تهديدا مباشرا على صحتهم، بتفشي العديد من الأمراض خاصة حمى التيفويد، التي أدت إلى وفاة الكثير منهم[6].

أما فيما يخص المستوى المعيشي لسكان الدائرة، فنجده متدنيا لدى الأغلبية الساحقة منهم، وهو حال معظم الجزائريين، خاصة سكان الأرياف الذين أصبحوا يعيشون تحت وطأة

(1) Gilbert Meynier: L'Algérie Révélée, Editions el Maarifa, Alger, 2010, P 202.
(2) L'avenir de Mascara, 24/04/1920, N° 12.
(3) Ibid. 17/04/1920. N° 11.
(4) Ibid. 03/04/1920, N° 09.
(5) Le Réveil de Mascara, 20/03/1898, N° 1661.
(6) Ibid.

الفقر والبؤس مما جعلهم في حالة عجز تام، وعرضة لمختلف الأوبئة والأمراض، ويعود ذلك بالأساس إلى السياسة الاستعمارية الفرنسية التي قامت بتجريدهم من ممتلكاتهم، ومنحها للساكنين الجدد من الأوربيين، فتحولوا على إثرها إلى عمال بسطاء، وفي أغلب الأوقات إلى بطالين خاصة بعد ظهور الوسائل الزراعية الحديثة، واستعمالها من طرف المعمرين.

وما يؤكد ذلك، أزمة البطالة الخانقة التي ضربت معسكر عام 1904 بسبب الظروف المناخية السيئة الناتجة عن التساقط المستمر للأمطار، حيث ظل الكثير من العمال الزراعيين خلال الشتاء بدون عمل، مما انعكس سلبا على وضعهم الاجتماعي، وأصبحت ظروفهم المعيشية تنذر بالخطر بعدما اتسعت دائرة الفقر في أوساطهم بشكل رهيب، وقد عبرت عن ذلك إحدى الصحف الاستعمارية بالقول:"... أنه ولمدة طويلة لم يتمكن العمال الزراعيون من القيام بأي عمل في مزارع الكولون، ولم يحدث قط في أي وقت من الأوقات أن وصلت بهم درجة الفقر إلى هذا الحد، مما أثر كثيرا على أسرهم"[1].

وفي ظل الوضع المأساوي السائد، وأمام غياب تام للمؤسسات المحلية ذات الطابع الاجتماعي والديني[2] التي تعطل دورها الخيري الذي كانت تقوم به قبل فترة الاحتلال، أخذت البلدية على عاتقها مهمة التكفل بهم، وذلك بتوزيع مساعدات عينية على الأرامل، والأيتام، وكبار السن وصلت قيمتها إلى 500 فرنك فرنسي. كما أقر مجلسها إدماج العمال العاطلين في ورشات عمل كبرى تم فتحها من أجل إصلاح الطرق الريفية التي دمرتها العواصف الرعدية والسيول، والفيضانات، والتي تسببت في اختفائها في العديد من الأماكن،

---

[1] Le Republican, 24/10/1904, N° 127.

[2] كانت هذه المؤسسات موجودة قبل فترة الاحتلال في جميع المدن والأرياف تقريبا، حيث تعمل على تقديم المساعدات للمحتاجين، والتي كانت تعرف ببيت مال المسلمين، والمتمثلة في الأوقاف، فقد كانت أموالها مخصصة للمباني الدينية، والتعليمية، والاجتماعية، وصيانة المساجد والزوايا، وهي مصدر العلم والتعلم للعلماء والطلبة، كما أنها هي مصرف الفقراء والعجزة والأرامل، غير أن فرنسا قامت بالاستيلاء عليها ومصادرة أملاكها، فالأراضي والعقارات منحت للمغامرين الفرنسيين الذين أقاموا عليها محلات تجارية ومنازل وغيرها، والأموال وجهت لتصبح رواتب للموظفين الفرنسيين. أنظر: أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية 1860 - 1900، ج 1، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2007، ص 544.

وهو ما سيسمح لكل عامل مسؤول عن أسرة بتقاضي راتب 1.50 فرنك فرنسي في اليوم، فيما حُدَّدت أجرة بقية العمال الآخرين بـ: 01 فرنك فرنسي[1].

ومن جهتها قامت جمعية باب عليان[2] بتشكيل لجنة مكونة من ثلاثة أفراد وهم: مصلي سليمان، وقناوي بوجلال، وعدة حنيفي محمد، أوكلت إليهم مهمة جمع الأموال والتبرعات وتوزيعها على الفقراء الجزائريين[3].

غير أنه ينبغي القول، أن الإعانات التي كانت تقدمها الجمعيات الخيرية، وحتى إدارة البلدية في هذه الفترة للجزائريين كانت ضئيلة وغير كافية، كما أنها مست فئة قليلة جدا من سكان المدينة وبعض المراكز الاستيطانية، بينما الأغلبية المنتشرة في القرى والأرياف ظلت محرومة من ذلك، وهذا عكس الأوربيين الذين تلقوا كل العناية والدعم، والمساندة من طرف الإدارة الاستعمارية لإنقاذهم من شبح البطالة والفقر. فخلال نفس السنة وبعد الأزمة التي عرفتها المنطقة تلقى مئات العاطلين عن العمل من أوربيي المدينة المساعدة من الإدارة الاستعمارية والجمعيات الخيرية الناشطة في هذا المجال والتي تمثلت في:

- توزيع وجبات غذائية عليهم وصل عددها إلى 300 وجبة في اليوم[4]، من طرف لجنة الحفلات الخيرية، حيث أنشئت هذه الأخيرة وبإيعاز من رئيس البلدية ما يعرف بالمواقد الاقتصادية (Les Fourneaux économiques)، وهي عبارة عن مطعم جماعي يقع في مبنى البلدية، ويقدم حساء للفقراء الأوربيين بشكل يومي[5].

(1) Le Republican, 17/01/1904, N° 126.
(2) عد إلى تاريخ تأسيس هذه الجمعية ونشاطها في الفصل الثالث المبحث الأول.
(3) Le Republican, 24/01/1904, N° 127.
(4) Ibid.
(5) Ibid. 17/01/1904, N° 126.

- تقديم رئيس البلدية هبات مالية من أموال الإغاثة للأسر الأوربية الفقيرة التي لديها عدد كبير من الأطفال[1]، وإعانات عينية للأرامل، والأيتام، وكبار السن بقيمة 1000 فرنك فرنسي[2].
- فتح ورشة للعاطلين عن العمل وتوظيف العديد منهم، حيث حدد راتب كل عامل مسؤول عن أسرة بـ: 3 فرنك فرنسي في اليوم، أما بقية العمال الآخرين فيتقاضون 2.5 فرنك[3].

والحقيقة أن هذا التمايز الفاضح والمتعمد من طرف الإدارة الاستعمارية في تعاملها مع الفئتين لم يتوقف عند هذا الحد، وإنما كانت كثيرا ما تقوم بإخفاء حقيقة الوضع المزري للجزائريين وتقديم أرقام مغلوطة عن عدد الفقراء أمام مختلف المجالس، ففي سنة 1920 وخلال اجتماع مجلس النواب قدم مفوض الحكومة السيد "غاستون تومسون" (Gaston Thomson) إحصائيات مفصلة عن عدد الفقراء الجزائريين في مختلف دوائر عمالة وهران، حيث أشار في ذلك إلى أن عددهم بلغ في دائرة معسكر 1500 فقير فقط، أما في دائرة وهران فوصل إلى 2000، بينما بلغ في مستغانم 2700، وفي سيدي بلعباس 4600، أما في تلمسان 8300 فقير[4]

طرحت هذه الأرقام تساؤلات عديدة من طرف النواب الحاضرين، كالسيد "رو فريسينينج" (Roux Freissineng) الذي وجه سؤلا مباشرا لمفوض الحكومة "غاستون" يقول فيه:"على أي أساس تم إعداد هذه الإحصائيات؟"، أما النائب جورج بوسنوت (Georges Boussenot) فكان سؤاله على النحو التالي:" من هم المعوزين والفقراء في نظرك؟"[5]. فكان رده على ذلك

(1) Le Republican, N° 127, 24/01/1904.
(2) Ibid. 17/01/1904, N° 126.
(3) Ibid.
(4) J.O.R.F, 24/12/1920, P 3965.
(5) Ibid.

مقتضبا وغير مقنع، حيث قال:" الفقراء هم كل من كانوا يتلقون المساعدة من الإدارة الاستعمارية"[1].

إنّ رّد السيد غاستون على النواب بهذه الطريقة يدل على أنه بعيد كل البعد عن الواقع الذي كان يعيشه الجزائريون، لأن المساعدات التي كانت تقدمها الإدارة الاستعمارية للسكان بواسطة المكاتب الخيرية الإسلامية[2] ضئيلة جدا، وقد لا تكفي الثلث منهم، ففي دائرة معسكر مثلا وخلال سنة 1905 استفادت 278 عائلة فقط من مساعدات عينية ونقدية وصلت قيمتها إلى 5243 فرنك فرنسي[3]، أما في سنة 1906 فلم يتجاوز عدد هذه العائلات المستفيدة من المساعدات 131 أسرة[4]، كما تراوحت قيمة هذه الإعانات في فترة ما بين الحربين من11000 فرنك، إلى 46000 فرنك فرنسي فقط، وهو ما يمكن أن نوضحه من خلال الجدول التالي:

(1) J.O.R.F, 24/12/1920, P 3965.

(2) أنشأت المكاتب الخيرية الإسلامية عام 1857 من طرف وزير الحربية الفرنسي الذي اعترف بتدهور حالة المجتمع المسلم بعد الاستيلاء على أوقافه، ومصادرة أملاكه، والتي كانت تدفع خلال هذه السنة فرنكان فرنسيان شهريا للعائلات المحتاجة، ثم اقترح الوزير صيغ أخرى للمساعدة إلى جانب النقود، منها إنشاء الملاجئ، ومراكز لتعلم الصنائع الفرنسية، ومراكز للتمريض. وخصص لذلك مبلغ 113510 فرنك سنويا. ينظر أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص 545.

(3) E.S.G.A, année 1905, P 102.

(4) Ibid. année 1906, P 89.

جدول (16): حجم المساعدات المقدمة من طرف مكتب الإعانات الإسلامية للسكان الجزائريين بدائرة معسكر[1].

السنوات	قيمة الإعانات (بالفرنك)
1919	11700
1920	11000
1921	12000
1922	18700
1923	17900
1925	16000
1926	16100
1927	17500
1928	22000
1929	29000
1930	43500
1931	30000
1932	36000
1933	36000
1934	37000
1935	46000

المصدر: Exposé de la situation Général de L'Algérie

ومن جهتها فقد شكلت الضرائب عبء ثقيل على سكان المنطقة خاصة الفلاحين الذين ظلوا إلى غاية 1918 مجبرين على تسديد الضريبة العربية بمختلف أنواعها كضريبة الزكاة، والعشور، والحكور، واللزمة، وضرائب أخرى فرضتها الإدارة الاستعمارية عليهم كضريبة المهنة والضرائب على الأملاك، ورسوم البلدية وغيرها. وكان لهذه الازدواجية الضريبية الأثر البالغ على وضعهم الاقتصادي والاجتماعي، حيث وقع العديد منهم في براثين الفقر، وهو ما

[1] E.S.G.A, Années 1919 à 1935.

دفع نواب معسكر في المفوضيات المالية من أمثال بن شنان محمد ولد قدور إلى مطالبة السلطات الفرنسية بتخفيض قيمة الضرائب العربية التي أرهقت كاهلهم، خاصة ضريبة العشور . وهي الضريبة على المحاصيل .، والتي كان يدفع خلالها الفلاحون 88 فرنك عن كل عشرة هكتارات يتم حرثها، أي بمعدل 8.80 فرنك للهكتار الواحد[1].

وفي بداية الثلاثينات تفاقم الوضع أكثر لدى معظم الفلاحين بسبب الظروف الطبيعية الصعبة، كالبَرَد والجفاف، والجراد الذي أصاب منطقة معسكر، حيث تكبدوا جراء ذلك خسائر كبيرة تمثلت في إتلاف محاصيلهم الزراعية. ونظرا لحجم الضياع طالب السيد بن شنان محمد من الإدارة الاستعمارية إعادة النظر في الديون المترتبة عليهم من طرف جمعيات الادخار، كما إلتمس في الوقت ذاته من الحاكم العام إعفاء المزارعين الذين كانوا ضحايا البَرَد من الضرائب[2].

وفي فترة الحرب العالمية الثانية ازدادت أوضاعهم سوءاً حيث عمّ الفقر مختلف القرى والأرياف بسبب ندرة المواد الغذائية، وارتفاع الأسعار، وهو ما دفع الإدارة الاستعمارية إلى اتخاذ الإجراءات التالية:

1. تقنين الغذاء وتوزيع بطاقات الطعام على السكان بداية من سبتمبر 1939 للحصول على حصصهم من المواد الاستهلاكية والملابس[3].
2. تقديم المساعدات الغذائية والملابس للسكان، وكانت الأولوية في ذلك تمنح للمعوزين والعمال الزراعيين العاطلين عن العمل، ومن الأمثلة على ذلك طلب رئيس بلدية معسكر المختلطة شهر أفريل 1942 من المستوطنين والفلاحين الكبار التوجه إلى مقر البلدية وتقديم

(1) Délégations financières Indigènes, session de Mai 1912, Imprimerie Administrative Victor Heintz, Alger, P 117.
(2) D.F.I, session de Mai – juin 1934, Imprimerie Solal, Alger, P 55.
(3) Le Reveil de Mascara, 16/09/1939, N° 3899.

قائمة من اثنين من عمالهم الذين لم يتم استدعائهم للعمل لمدة شهرين لتوزيع عليهم بعض المؤن والأقمشة[1].

3. مراقبة الأسعار ومحاربة الاحتكار، حيث دعى رئيس البلدية التجار إلى ضرورة الالتزام الصارم بالأسعار المحددة من طرف الإدارة الاستعمارية، وهدد المخالفين بمعاقبتهم وفق ما ينص عليه القانون، كما وجه نداء للسكان يدعوهم فيه إلى إبلاغ الشرطة في حالة ما إذا لاحظوا زيادة غير مبررة[2].

خلال شهر جانفي 1940 قامت لجنة مراقبة الأسعار بغلق 14 محل للبقالة في بلدية وادي تاغية وذلك لمدة أربعة أيام بسبب رفع أسعار السلع، تعود إلى كل من: مكاوي الحاج محمد، مكاوي أحمد، وبن ڤيڤي إيلي (Benguigui Elie)، عاشور أحمد، السيدة ڤاغسون يوجين (Garson Eugène)، عجال إبراهيم، شاريت إسحاق (Charbit Isaac)، ويتر الحبيب، عجال بن يحي، بوقوير دحو، غربال الحبيب، لخضر ولد بن عربية، بن ثابت أحمد، شاعو معمر ولد علي. وغلق محل تجاري أخر في مدينة معسكر لمدة 08 أيام يعود للسيد ديفيد شاربيت (David Charbit) الذي كان يبيع كل لتر من الزيت ب: 09 فرنك بدل من 7.60 فرنك[3].

غير أن هذه الإجراءات المتخذة لم تضع حدا لذلك، حيث فرضت السوق السوداء منطقها وظلت الأسعار مرتفعة لا تتماشى وأجور العمال عامة والجزائريين خاصة وهو ما يوضحه الجدول التالي[4]:

(1) Le Reveil de Mascara, 04/04/1942, N° 4046.
(2) Ibid. 02/09/1939, N° 3895.
(3) Ibid. 20/01/1940, N° 3914.
(4) جاكر لحسن: المرجع السابق، ص 201.

جدول (17): أسعار بعض المواد الغذائية في السوق السوداء لسنة 1943 بدائرة معسكر

السلع	الكمية	السعر
السكر	1 كلغ	من 80 إلى 115 فرنك
الزيت	01 لتر	من 150 إلى 175 فرنك
بيض الدجاج	01 قطعة	04 إلى 06 فرنك
لحم الخروف	01 كلغ	من 60 إلى 90 فرنك

يتضح من خلال الجدول أن معظم الأسعار ارتفعت مابين 05% إلى 15% وهو ما جعل المسلمين في معسكر عاجزين عن تلبية حاجيتهم سواء بالنسبة للفئة العاملة أو العاطلة عن العمل، ذلك لأن أجور العمال الزراعيين غير كافية، ولا تتجاوز 18 فرنك في اليوم سنة 1942 وبداية 1943، و55 فرنك بداية سنة 1945[1].

وموازاة مع ذلك، فقد سجلت عملية توزيع المواد الاستهلاكية كالزيت واللحوم والخبز، وحتى القماش والملابس على الجزائريين سنوات 1941، 1942، 1943 نقصا كبيرا، وذلك ليس بفعل الحرب فقط، وإنما للطابع العنصري الذي تميزت به السياسة الاستعمارية، والقائمة على التفرقة بين المسلمين والأوربيين، حيث تشير المصادر الفرنسية أن حصة الفرد الأوربي من الخبز في معسكر سنة 1942 وصلت إلى 400 غرام في اليوم، أما حصة المسلم الجزائري لم تتجاوز 250 غرام[2].

وأكثر من ذلك فقد تعرض السكان المسلمين لمعاملة عنصرية فظيعة تميزت بالغلظة والشدة من طرف الأوربيين، وهو ما يظهر من خلال التصرفات الفضة للسيد ديسور ايمل (Dusser Imile) رئيس بلدية عين فكان تجاه أهالي المنطقة، حيث كان يهددهم باستمرار ويوجه إليهم الشتائم والكلمات النابية[3]، خاصة العمال الزراعيين الذين توعدهم بعدم

(1) جاكر لحسن المرجع نفسه: ص 201.
(2) المرجع نفسه: ص 202.
(3) AWO – 4480 I11- Rapport du Secrétaire Général du Syndicat des ouvriers Agricoles de Mascara- Septembre 1944.

الحصول على حصتهم من الحبوب بسبب انضمامهم لإحدى النقابات الفلاحية[1]، ورفضهم العمل في مزارع الكولون، كما دفعه حقده إلى مطالبة أصحاب المقاهي العربية بغلقها في وقت مبكر[2]، بل وذهب إلى أبعد من ذلك عندما قرر فرض حضر التجّول على السكان في حدود الساعة التاسعة مساءاً[3].

وأمام التجاوزات الخطيرة والأفعال الغير مبررة لرئيس البلدية تجاه السكان خاصة العمال الزراعيين قام السيد مشرم عمار . الأمين العام لنقابة العمال الزراعيين بمعسكر. بإعداد تقرير مفصل عن الوضع وقدمه إلى رئيس نقابات المنتجين الزراعيين لدوائر وهران، والذي قام بدوره إبلاغ كل من عامل عمالة وهران، ورئيس دائرة معسكر عن تمادي هذا الشخص في احتقار وإذلال السكان[4].

غير أن التحقيقات التي أجريت من طرف الشرطة الاستعمارية بمعسكر برئته ورفعت عنه التهم المنسوبة إليه، حيث ورد في أحد تقاريرها ما يلي:" ووفقا للمعلومات التي تم الحصول عليها بشأن هذا الموضوع فإن السيد ديسور ايمل (Dusser Imile) رئيس بلدية عين فكان لم يكن له موقف مناهض ضد العمال الزراعيين، ولم يعاديهم قط سواء قبل أو بعد تأسيس نقابة العمال الزراعيين في عين فكان، ولم نسمع أبدا بتهديد العمال أو إهانتهم بسبب عضويتهم في النقابة..."[5].

والموقف نفسه نلمسه لدى رئيس الدائرة الذي انحاز هو الأخر إلى جانب رئيس البلدية وعلى حساب السكان المسلمين حيث صرح قائلاً:" أجريت تحقيق ولم يتأكد لي أن السيد ديسور وجه شتائم أو تهديدات أو إهانات للعمال الزراعيين، كما أن موقفه لم يكن مناهضا للنقابة الفلاحية"[6].

(1) AWO – 4480 I11- Rapport du Secrétaire de la Section d'Ain-Fekan au Secrétaire Général du Syndicat des ouvriers Agricoles de Mascara- Aout 1944.
(2) AWO - op. Cit, 09/1944.
(3) AWO - op. Cit, Aout 1944.
(4) AWO - op. Cit, 09/1944.
(5) AWO - op. Cit - P.R.G de Mascara – 27/04/1944- 1302.
(6) AWO - 4480 I11- le Sous Préfet de Mascara – 09/10/1944 – 5619.

أما فيما يخص غلق المقاهي العربية عند الساعة 11 ليلا فكان رده على ذلك أن أصحاب المقاهي هم من قرروا غلقها قبل هذا الوقت لعدم وجود الزبائن[1].

وهكذا يبدوا مما سبق أن الوضع الاجتماعي للجزائريين أصبح أكثر تعقيدا خلال هذه الفترة، حيث ارتفعت معدلات البطالة والفقر، وأصبحت المجاعة هاجس يهددهم باستمرار خاصة أثناء الأزمات، ناهيك عن الضرائب والغرامات المفروضة عليهم والتي دفعت الكثير منهم إلى رهن أملاكهم وبيع أراضيهم، وهذا كله إلى جانب معاناتهم من السياسة الاستعمارية القائمة على القمع والاستبداد والتمييز بينهم وبين الأوربيين.

الهجرة وأثارها:

تُجمع المصادر التاريخية التي تناولت موضوع الهجرة في منطقة معسكر خلال الحقبة الاستعمارية على أنها ظهرت بشكل بارز بعد سقوط المدينة في يد الفرنسيين بتاريخ 30 ماي 1841، حيث هاجرها العديد من سكانها الذين لم يبق منهم سوى 2840 شخص من أصل 10 ألاف ساكن[2]، لتتوالى بعدها الهجرات لعائلات معسكرية معروفة بعراقتها في المنطقة كعائلة المشارف، والمهاجة، والدحاحوة، والمراحيون وعائلة المختاريون الأدارسة الذين اتجهوا نحو المغرب الأقصى، واستقروا بالحاضرة فاس[3] بعد انهزام الأمير عبد القادر في معركة طاڤين[4] واستيلاء الجيش الفرنسي على الزمالة، ومن هذه العائلات نذكر:

عائلة العربي المشرفي المسمى "السقاط" الذي هاجر رفقة أسرته في جمادي الثانية 1260هـ/ جوان 1844 إلى فاس[5]، وتذكر المصادر التي تناولت رحلته أنه حطّ الرحال عند أولاد

---

(1) Ibid. 31/10/1944 – N° 6082.

(2) ناصر الدين سعيدوني: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني، المرجع السابق، ص 252.

(3) عبد الحق شرف: العربي بن عبد القادر بن علي المشرفي حياته وأثاره، المرجع السابق، ص 56.

(4) جرت **معركة طاڤين** بنواحي تيارت يوم 16 ربيع الثاني 1259هـ/ 15 ماي 1843م، بعد اكتشاف عاصمة الأمير عبد القادر المتنقلة الزمالة، من طرف المنتصر عمر العيادي أحد العملاء الفرنسيين، وقد اكتسحها الدوق دومال بجيش قوامه ألفين من المشاة وخمسمائة فارس، وخمسمائة من قوات القبائل المتعاونة مع الفرنسيين، فخربها ونهب ما فيها، ولم يكن ـ وقتئذ ـ من حاميتها سوى خمسمائة جندي من قوات الأمير . ينظر محمد بن الأمير: تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والامير عبد القادر، شرح وتعليق ممدوح حقي، الجزء الأول، دار ثالة، الجزائر 2007، ص 502.

(5) عبد الحق شرف: الحسام المشرفي لقطع لسان الساب الجعرفي الناطق بخرفات الجعسوس سيئ الظن الكنسوس، المرجع السابق، ص 16.

سيدي الشيخ الغرابة، وهي قبيلة تقع في الطريق الرابط بين فاس والرباط، غير أن زعيم القبيلة أراد نهب القافلة، فكان على المهاجرين من أجل الحفاظ على ممتلكاتهم دفع مبلغ من المال مقابل السماح لهم بالمرور، وبعد حصول الأخير على ما يريد اصطحب القافلة بنفسه إلى وجدة[1]، ومن هذه المدينة كتب السقاط إلى السلطان مولاي عبد الرحمن يطلب يد العون والمساعدة فبعث إليهم مجموعة من الفرسان حتى دخلوا فاس[2].

من بين الذين اصطحبهم السقاط من عشيرته إلى المغرب أبناء أخيه الأربعة وهم: عبد القادر بن الشيخ المشرفي، والطاهر بن الشيخ المشرفي الذي عاد إلى معسكر مع أخيه بن عبد الله، وسي محمد المشرفي الذي مات في فاس[3].

وكانت عائلات جزائرية أخرى رافقت السقاط في رحلته إلى المغرب من بينها عائلة الأمير عبد القادر، حيث هاجر معه كل من مصطفى بن محي الدين أخ الأمير،و أحمد بن طالب، وعبد القادر بن طالب أبناء عمه. غير أن مصطفى كان أول من غادر المغرب الأقصى وعاد إلى الجزائر ليلتحق بأخيه عبد القادر قبل ترحيله إلى فرنسا، أما أحمد بن طالب فذهب من المغرب إلى سوريا ومن هناك عاد إلى معسكر التي توفي فيها تاركا ثلاثة أبناء، فيما بقي عبد القادر بن طالب بفاس إلى غاية وفاته[4].

كما دلتنا الكتابات التاريخية على أن أهل معسكر الذين استقروا بالمغرب ساهموا في تنشيط التجارة والمهن الحرة فيه، منهم على سبيل المثال:

- عائلة أولاد خليفة التي يعود أصلها إلى الحشم الشراقة، وتتكون من محمد ولد خليفة الذي كان يعمل دباغا، وأخوه الطاهر الذي اشتغل إسكافيا في مدينة فاس[5].
- محمد الميسوم ولد الحاج الميلود، كان يتاجر بالنعال والحايك مع تلمسان، ويذهب إلى هناك كثيرا[1].

---

(1) Mission scientifique du Maroc : Archives Marocaines, Editeur Ernest Leroux, Paris 1907, P47.

(2) عبد الحق شرف: المرجع السابق، ص 18.

(3) Mission scientifique du Maroc : op. Cit, P 47.

(4) Ibid P 48.

(5) Mission scientifique du Maroc : op. Cit, P 84.

- الحاج إدريس بن مغنية من قرية هوارة القريبة من معسكر، صاحب مصنع للصابون في مدينة فاس، وهو مزارع، يمتلك عدة منازل وحدائق [2].
- عمر بن زرواطي ولد محمد الذي عمل في جباية الضرائب ولديه خمسة أبناء أكبرهم عبد القادر كان يعمل نجارا، وثلاثة اختصوا في صناعة الأحذية، أما الأخر فهاجر إلى اسطمبول[3].

ومما يلاحظ أيضا خلال هذه الفترة هجرة العديد من سكان معسكر إلى المشرق، خاصة بعد توجه الأمير إلى سوريا عام 1856، حيث جلب استقراره في دمشق أنظار الجزائريين إليها، وبالأخص المقربين إليه والذين شاركوا في حركته النضالية ضد الاستعمار الفرنسي عن قرب أو بعد[4]، فعند مغادرته لمدينة بورصة التركية إلى سوريا اصطحب معه حوالي 110 شخصا، من بينهم 27 شخصا يكونون أفراد عائلته[5].

كما أشار تقرير صادر عن القنصل الفرنسي بتونس عام 1874 إلى هجرة ألاف الجزائريين نحوها منهم 200 خيمة (أي حوالي 1000 شخص) جاؤوا إليها من معسكر، فيما نزحت البقية من ورقلة ووادي سوف، ووادي ريغ، وتقرت، ومن الجزائر العاصمة ووادي ميزاب[6].

---

(1) Ibid.P 99.
(2) Ibid. P 100.
(3) Ibid. P 102.
(4) عمار هلال: الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام (1847 – 1918)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2007، ص 19
(5) المرجع نفسه.
(6) Kamel Kateb : op. Cit , P158.

وفي مطلع القرن العشرين عرفت معسكر حركة هجرة جديدة نحو الديار الشامية حيث شهدت سنتي 1910 – 1912 نزوح 32 مهاجر نحو سوريا[1]، والجدول التالي يعطينا فكرة بسيطة عن هجرة سكان دائرة معسكر خلال هذه الفترة[2]:

جدول (18): عدد المهاجرين الجزائريين إلى سوريا بين سنتي 1910–1912، وعدد الذين رجعوا منهم بين سنتي 1912 – 1918

دائرة معسكر	عدد المهاجرين[3]	عدد المهاجرين الذين عادوا إلى الوطن
معسكر	09	11
حسين	01	01
فرندة	02	02
دوار سيدي موسى	08	03
دوار بني خنيس	01	01
دوار البحورات	01	01
دوار حجاجة	03	01
دوار بني نسيغ	02	02
سيدي قادة	–	01

المصدر: عمار هلال، الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام (1847 – 1918)

لاشك أن تدفقات المهاجرين نحو البلاد الإسلامية خلال هذه الفترة تحكمت فيها عوامل كثيرة دينية وسياسية، وعسكرية، واقتصادية، واجتماعية. فتاريخيا عاش المجتمع الجزائري بعد الاحتلال الفرنسي وحتى القرن التاسع عشر كله جميع أنواع التقهقر الاجتماعي

(1) مهديد ابراهيم: بعض عناصر التفكير لمقاربة الهجرات الجزائرية المعاصرة مشرقيا ومغربيا(البعد التاريخي والواقع الاجتماعي)، الملتقى الوطني حول الهجرة الجزائرية إبان مرحلة الاحتلال 1830 – 1962، 30-31 أكتوبر 2006، منشورات وزارة المجاهدين 2007، ص 68.

(2) عمار هلال: المرجع السابق، ص 133.

(3) الأعداد المسجلة في الجدول تمثل أرباب العائلات فقط دون احتساب النساء والأطفال الذين هاجروا معهم.

والاقتصادي[1]، حيث أن معظم الهجرات كانت وليدة الفقر والبؤس والبطالة بعد أن استحوذ الأوربيون في الجزائر وبمساندة سلطة الاحتلال على أخصب أراضي الجزائريين ومراعيهم وعقاراتهم[2]، هذا إلى جانب القوانين الاستثنائية المسلطة عليهم وفقدان حريتهم السياسية، مع ثقل الضرائب، وتضييق الخناق على المؤسسات الدينية والأوقاف[3].

ولم تكن الهجرة الخارجية هروبا من التعسف والظلم المسلط على الأهالي فحسب، بل امتدت أسبابها إلى أهداف أخرى مثل الدراسة في ظل سياسة الإقصاء الذي كان يتعرض لها الجزائريون من قبل السلطة الاستعمارية[4]، بحيث أشارت بعض التقارير إلى هجرة العديد من طلبة العلم إلى الجامعات الإسلامية كالقراويين بفاس، والزيتونة بتونس، والأزهر بمصر خلال الثلاثينات والأربعينات لإتمام دراساتهم، كالبعثة العلمية التي أرسلها الشيخ الزموشي إلى الزيتونة عندما كان يشرف على مدرسة التربية والتعليم الباديسية بمعسكر والمكونة من ثلاثة أفراد هم: قايد حسين، بوعبسة حسين، وميلود بوزيان، غير أن الأخير . ميلود بوزيان . تعذر عليه السفر وتراجع عن ذلك.

وتذكر المصادر أنّ الطالبين بعد وصولهما مباشرة إلى الزيتونة وجدا في استقبالهما الشيخ عبد الحميد بن باديس فسألهما عن ثالثهما، فلما عرف سبب غيابه قال لهما:"كان الله ثالثكما"[5].

كما نذكر في هذا الصدد هجرة الشيخ بلهاشمي بن بكار إلى المغرب وأخذ الطريقة الشاذلية والوزانية على يد الشيخ عبد السلام الوزاني بطنجة، وعلى يد مشايخ آخرين، وبعد

(1) مهديد ابراهيم: القطاع الوهراني ما بين 1850 و1919 دراسة حول المجتمع الجزائري الثقافة والهوية الوطنية، المرجع السابق، ص 169.
(2) تركي رابح: الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار، الجزائر، ص ص 51، 52.
(3) مهديد ابراهيم: المرجع السابق، 169.
(4) بلحاج محمد: اتجاهات الهجرة في عمالة وهران، مجلة المواقف، العدد رقم 04، ديسمبر 2009، ص 77.
(5) محمد الحسن الفضلاء: المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر (القطاع الوهراني)، الجزء الثاني، دار غرناطة للنشر والتوزيع، الجزائر 2015، ص 110.

عودته تصدى للتعليم والتدريس في مسجد سيدي على الشريف بمعسكر، وفي زاوية سيدي بن عبد الله وفي الجامع الكبير الذي يقع وسط المدينة ولمدة عشر سنوات[1].

وخلاصة القول أن هجرة سكان معسكر للبلاد الإسلامية لم تقتصر على فئة بعينها بل شملت كل الطبقات الاجتماعية بما في ذلك المثقفين، ورجال الدين، والعلماء، وقد كان لذلك تأثيره الواضح على المنطقة التي شهدت نزيفا رهيبا لنخبها ومشايخها، خاصة بعدما آثر العديد منهم البقاء في المهجر على العودة إلى وطنه، كما عرفت معسكر أيضا هجرات أخرى إلى فرنسا التي اقتصرت على شريحة معينة من الأهالي تمثلت في الكادحين والعمال، وبعض الفئات الاجتماعية.

[1] يحي بوعزيز: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج 02، المرجع السابق، ص 251.

الفصل الثاني
المؤسسات الإسلامية والتعليمية وفاعليتها في الحياة الثقافية بمعسكر 1900 - 1945

الفصل الثاني: المؤسسات الإسلامية والتعليمية وفاعليتها في الحياة الثقافية بمعسكر 1900 – 1945:

تمهيد:

المبحث الأول: المساجد: دورها التعليمي والثقافي

أ- المساجد الرسمية:

1. الجامع الكبير.

2. مسجد عين البيضاء.

3. مسجد سيدي بوسكرين.

4. مسجد سيدي علي أمحمد.

5.مسجد الكرط.

ب- **المساجد الحرة.**

المبحث الثاني: الزوايا ودورها التعليمي:

أ- تعريف الزاوية:

ب- نشاط الزوايا في معسكر:

1. زاوية سيدي بن عبد الله شنتوف الدرقاوية.
2. الزاوية القادرية.
3. زاوية الشيخ سيدي بوعمران.
4. زاوية الزلامطة.
5. زاوية الشيخ أحمد ابن الحبيب بسيدي قادة.
6. زاوية الدراويش الدرقاوية "زاوية الشيخ سي البشير".
7. زاوية مولاي محمد بن البغدادي.
8. زاوية الشيخ نجم الدين سيدي بن يحي الحسني.
9. الزاوية البوتشيشية القادرية.

المبحث الثالث: الكتاتيب القرآنية ونشاطها التعليمي والديني:

المبحث الرابع: واقع التعليم الفرنسي الرسمي:

1. التعليم الفرنسي الرسمي ما بين 1830 – 1900:

2. التعليم الفرنسي الرسمي ما بين (1900 – 1945):

2-1 المرحلة الأولى (1900 – 1925)

2-2 المرحلة الثانية (1925 – 1945)

أ- التعليم الابتدائي.

ب- التعليم المتوسط.

المبحث الخامس: النخبة ومساهمتها في النهضة العلمية والثقافية:

1. الشيخ بكارة بلهاشمي.

2. سعيد الزموشي.

3. البودالي سفير.

4. الحاج أحمد خليل.

5. الطاهر أحمد

خلاصة الفصل:

المؤسسات الدينية والتعليمية وفاعليتها في الحياة الثقافية بمعسكر 1900 – 1945:

من المواضيع التي أسالت حبرا كثيرا، وأخذت حيزا كبيرا في اهتمامات الباحثين في تاريخ الجزائر المعاصر، موضوع التعليم عامة والتعليم العربي الحر بصفة خاصة، على أساس أن هذا النوع الأخير من التعليم قد شهد انحصارا غير مسبوق خلال الفترة الاستعمارية، نتيجة هجرة علمائه، والإستلاء على أوقافه، وتعرض مؤسساته إلى الهدم والتخريب أو الغلق والمصادرة.

ومن بين المدن التي تراجعت حركتها العلمية، وتأثرت كثيرا بذلك مدينة معسكر، بعدما تم ضم بعض مؤسساتها الدينية والتعليمية . بالخصوص المساجد . إلى أملاك الإدارة الفرنسية، وتخريب بعضها الأخر بدعوى بناء الكنيسة أو المرافق أو توسيع الساحات العامة. كما تعطل نشاط الكثير من الزوايا التي كان معظمها موجودا في الأرياف نتيجة مساندتها للأمير عبد القادر في مقاومته ضد الفرنسيين.

ومما زاد الوضع تعقيدا إصدار السلطات الفرنسية ترسانة من القوانين والتشريعات ضيقت بموجبها على نشاط المؤسسات الدينية والتعليمية، وحاولت إعاقة حركة التعليم فيها، كالقانون الصادر بتاريخ 1892/10/18 الذي يمنع الجزائريين من فتح المدرس إلاّ برخصة من الإدارة الفرنسية، ويفرض عليهم عددا معينا من التلاميذ، والذي كان محدودا جدا.

غير أنه لا بد من الإشارة منذ البداية، أن هذه المؤسسات ظلت صامدة في وجه السياسة الاستعمارية، محافظة على مكانتها ودورها في نشر التعليم. فقد أحصت السلطات الفرنسة مطلع القرن العشرين ما يزيد عن 100 مدرسة قرآنية في بلدية معسكر المختلطة لوحدها، وعشرات الزوايا والمساجد الحرة التي كانت منتشرة في أرجاء المدينة والبلديات الأخرى التابعة لها.

وعلى هذا الأساس سنحاول في هذا الفصل إبراز دور هذه المؤسسات في الفترة ما بين 1900 إلى غاية 1945، وجهود علمائها ومشايخها في إحياء اللغة العربية التي هي أساس الدين، وصلة الجزائريين بأمجادهم وأجدادهم، فضلا عن محاربتها للجهل والأمية التي استشرت في المجتمع المعسكري، والدفاع عن خصوصياته الثقافية، وهويته العربية الإسلامية، كما سنعرج فيه على نقطة جوهرية وحساسة تتعلق بالتعليم الفرنسي الرسمي، والذي أرادت فرنسا من خلاله ترسيخ مبادئ الثقافة الفرنسية، ونكران وجود الأمة الجزائرية بخلق طبقة ثقافية تدعوا لذلك.

المبحث الأول: المساجد ودورها التعليمي والثقافي:

شهدت مساجد معسكر حركة علمية وثقافية رائدة طيلة العهد العثماني، وفي الفترة التي سبقت احتلال المدينة من طرف الفرنسيين، حيث كانت إلى جانب دورها الديني المتمثل في أداء الصلوات والشعائر التعبدية، تقوم بوظائف أخرى كتحفيظ القرآن الكريم، وتعليم العلوم الدينية من تفسير، وفقه، وحديث، وعلوم اللغة، كالنحو، والبلاغة وغيرها، كما اهتمت بالوعظ والإرشاد وإصلاح شؤون المسلمين وحل مشاكلهم.

وعلى الرغم من أهميتهما إلا أنه ليس هناك إحصاء لها، وإنما تذكر المصادر بعض المساجد عرضا لجمالها أو لموقعها في المدينة[1]، حيث يقول روزي (Rozet) عنها:" يوجد بمعسكر عدة مساجد مميزة لأناقة هندستها المعمارية"[2]. أما لكليرك (Leclerc) فيخبرنا أنّ مسجد عين البيضاء كان مزارا للسياح الأوربيين الذين أعجبوا ببنائه وفنه المعماري[3]. ومن جهته فإن أدريان بير بروجر (Adrien Ber brugger) الذي رافق كلوزيل في حملته على معسكر فقد أعجب بمسجد مدينة البرج ووصفه بالمسجد الجميل[4]، كما أثار إعجابه جامع معسكر الكبير خاصة هندسته والأضرحة الموجودة بداخله والمصنوعة من الرخام الأسود المزخرف، وكذلك الثريات التي تعلوه[5].

غير أنه وبعد احتلال المدينة من طرف الجنرال بيجو سنة 1841 تعرضت العديد منها إلى الحرق والهدم والتخريب، فلم يبق من مساجدها الثلاثة الكبرى سوى مسجد واحد[6]، بعد تحويل مسجد عين البيضاء الذي كان يؤدي الأمير فيه صلاته إلى مستودع للتجهيزات

---

(1) أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 05، المرجع السابق، ص 103.

(2) Rozet et Carette : Op.cit. P 63.

(3) Ch. Leclerc : inscription Arabes de Mascara (Mosquée d'Ain Beidha), la Revue Africaine, Volume 04, Année 1859-1860, P42.

(4) Adrien Ber brugger : Relation de L'expédition de Mascara, Paris 1836.

(5) Ibid. P 75.

(6) وهو المسجد المسمى حاليا مصطفى بن التهامي.

العسكرية، ومربطا لخيول الصبايحية[1]، كما هدم مسجد سيدي بومعزة الواقع في وسط المدينة، وتم بناء على أنقاضه كنيسة سان بيار الكاثوليكية بتاريخ 25 أوت 1843[2].

لاشك أن ضرب المساجد عقب احتلال المدينة مباشرة أدى إلى تراجع الحركة العلمية فيها، فمعظم الدروس التي كانت تلقن بها توقفت نتيجة هجرة العلماء الذين لم يعد بإمكانهم مواصلة مهمتهم في ظل الظروف الصعبة التي طغى عليها الظلم والبطش وعدم الاستقرار.

والحقيقة أن منع التعليم والتدريس في المساجد وجعلها محل متابعة من طرف الإدارة الاستعمارية، إنما يعود إلى تخوف هذه الأخيرة من الدين الإسلامي الذي اعتبرته عاملا موحدا في مواجهة مخططاتها، ولاعتقادها أيضا أن سبب المقاومة ضدها هو الدور الذي لعبته المساجد والزوايا خاصة بعد مبايعة الأمير عبد القادر في مسجد "سيدي حسان" (المبايعة حاليا) قائدا للجهاد وسلطانا للدولة الجزائرية سنة 1832م[3].

واستمرارا لسياسة الإخضاع والتضييق، قامت الإدارة الاستعمارية بإصدار ترسانة من قوانين وقرارات بشأنها، كالقرار الوزاري الصادر في 30 أبريل 1851، الذي ينص على إحصائها، وإلحاقها بإدارة الشؤون الأهلية، وضبط القائمين عليها والمستخدمين، كالمفتيين والأئمة والمدرسين... وتحديد أجورهم التي أصبحوا يتقاضونها من الخزينة الفرنسية[4].

وقد مسّ هذا القرار أكثر من خَمْسُ مساجدٍ بالمدينة وأحوازها، إلا أنه ينبغي القول أنه رغم وضعها تحت إدارة الشؤون الأهلية وتوجيه نشاطها بما يخدم مصالح الاستعمار، إلا أنها ساهمت إلى حد ما في بعث النهضة العلمية والثقافية مع مطلع القرن العشرين وإلى

---

(1) يحي بوعزيز: المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2009، ص 212.

(2) Louis Abadie, Gilbert Leverone : Mascara de ma Jeunesse 1935-1962, Editions Jacques Gandini 2000, P 49.

(3) جاكر لحسن: المرجع السابق، ص 73.

(4) أوعامري مصطفى: المقاومة السياسية (فلسفة المقاومة) مشروع بحث وطني، المرجع السابق، ص 96.

غاية 1945، منافسة في ذلك بعض المساجد الحرة، وهو ما يمكن توضيحه من خلال الصفحات الآتية.

أ- المساجد الرسمية:

1. الجامع الكبير:

وهو من المساجد العتيقة بالمدينة، شيده الباي الحاج عثمان بن إبراهيم سنة 1160هـ الموافق ل 1747م، وهي سنة توليه بايًا على الإيالة الغربية، ويثبت ذلك اللوحة التذكارية الموجودة داخل بيت الصلاة، التي بها اسمه، وتاريخ بنائه[1]، فيما تذكر مصادر أخرى بأنه شرع في بنائه شهر شعبان عام 1162هـ الموافق ل 1749م[2].

يعد هذا الجامع من المساجد القليلة في معسكر الذي لم تتسرب إليه يد الاستعمار الفرنسي بالطمس والتخريب والهدم أو التحويل، وبقي على حالته الأصلية[3]. ومادام الفرنسيون قد حافظوا عليه ولم تمسه أيديهم بسوء فإنهم وضعوه تحت تصرفهم، حيث صنف بموجب القرار المذكور أعلاه – قرار 30 أفريل 1851- ضمن ثمانية وسبعين مسجدا في الجزائر لتنظيم الحياة الدينية.

وعلى هذا الأساس رتبت الإدارة الفرنسية فيه أئمةً ومدرسين وحزاباً وموظفين وتكلفت بدفع نفقاتهم.

---

[1] مهيريس مبروك: المساجد العثمانية بوهران ومعسكر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2009، ص47.
[2] يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 204
[3] مهيريس مبروك: المرجع السابق، ص 50.

ومن الشيوخ الذين تصدوا للتعليم في هذا الجامع وقاموا بدور هام في تلقين أبناء المسلمين مختلف العلوم الدينية واللغوية الشيخ محمد الدايج الذي عينته الإدارة الفرنسية مدرسا فيه بتاريخ 17 أوت 1899م، ومنحته راتبا سنويا يصل إلى 900 فرنك[1].

زاول الشيخ الدايج مهنة التدريس في هذا الجامع من تاريخ تعيينه وإلى غاية 1922 ملتزما في ذلك كغيره من المدرسين ببرنامج تعليمي يتضمن مواداً إجبارية والأخرى اختيارية. فالمواد الإجبارية تدرس فيها مادة النحو طبقا للأجرُّومية، ولامية الأفعال، وعدد ساعاتها الأسبوعية ثمانية. أما المواد الاختيارية فهي علوم الدين والأدب مثل الفقه على مختصر خليل، والحديث من صحيح البخاري، والتوحيد، إضافة إلى مادة الأدب العربي، وكانت المواد الاختيارية تدرس في الظهيرة وبحجم ساعي لايزيد عن ست ساعات[2].

لكن الشيخ الدايج فيما يظهر من خلال تقارير المفتش ألفريد بيل (Alfred Bell) الذي زاره سنة 1906، وحضر له درسا في الفقه وأخر في النحو لم يلتزم بتنفيذ هذا البرنامج، وكان حسبه لا يحسن طرق التدريس. وفي سنة 1907 اقترح بيل تعويضه بعدما وجّه له انتقادات كثيرة خاصة عندما وجده لا يحتفظ بسجل للحضور، ولا يملك كراسا لإعداد الدروس، ولا يحضر له إلا عدد قليل جدا من التلاميذ قد لا يزيد في بعض الأحيان عن ثلاثة طلبة منهم ابنه، ولا يحظر دروسه موظفو الجامع، وكرر "بيل" اقتراحه بتعويض الشيخ الدايج في تقرير أعده سنة 1910، وتعيين مكانه أحد خريجي المدارس الشرعية الفرنسية، غير أن الشيخ بقي في منصبه إلى غاية 1922[3].

إن المتأمل في الانتقادات التي وجهها المفتش بيل للشيخ الدايج يرى أنها تمحورت حول نقطتين رئيسيتين، الأولى وهي عدم تنفيذه لما هو ملزم به من دروس شأنه في ذلك شأن

(1) أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 05، المرجع السابق، ص 118.
(2) أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 03، المرجع السابق، ص66.
(3) أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 05، المرجع السابق، ص 118.

جميع المدرسين تقريبا، والثانية تتعلق بمسألة حضور الطلبة إلى مجالسه العلمية. أما فيما يخص مستوى الشيخ وكفاءته فلم يتعرض لها المفتش بالنقد عكس تقاريره التي أعدها عن شيوخ ومدرسين أخرين كالشيخ حريزي بوهران الذي قال عنه أنه غير قادر على تدريس النحو للمبتدئين [1]، والشيخ بوثلجة بتلمسان الذي وصفه بمنغلق الفكر قديم الطريقة ضحل المعلومة[2]، وقد يكون تفوقه هذا سببا في بقائه في منصبه أكثر من عقدين من الزمن.

والحق أن الشيخ الدايج كان أحد أعلام المنطقة البارزين، تميز بسعة معارفه وتبحره في العديد من العلوم فكان يلقب من طرف أقرانه من العلماء وطلبته بخليل معسكر وبسيبويه لتضلعه في الفقه واللغة[3]. ويذكره صاحب المرآة الجلية فيقول:" تخرج على يده كثير من الطلبة، وله فقه تام ونحو زائد، وأغلب دروسه كانت في ألفية بن مالك"[4].

خلف الشيخ الدايج في منصبه الشيخ محمد برقيق، وهو من خريجي جامع الأزهر الشريف بمصر، وليست لدينا المعلومات الكافية حوله غير أن تدريسه في جامع معسكر الكبير يدل على أنه كان من الموظفين الرسميين[5]. أخذ عنه العلم العديد من مشايخ المنطقة وعلى أسهم الشيخ عبد القادر بن عبد الله صاحب الزاوية الدرقاوية بباب علي والذي كان يفتخر به ويقول :" أنا شيخي سيدي الحاج محمد برقيق"[6].

وخلال الثلاثينيات كان مدرس الجامع الكبير هو بن أشنهو بن عودة[7]، وهو خريج مدرسة الجزائر الشرعية الفرنسية، ومتحصل على شهادة الدراسات العليا منها[8]، ولعله قد

---

(1) أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص 115.
(2) المرجع نفسه.
(3) الحاج الجيلاني بن عبد الحكم العطافي: المرآة الجلية في ضبط ما تفرق من أولاد سيدي يحي بن صفية وفي التعريف بمشاهير العلماء ورجال المعاهد الصوفية، المصدر السابق، ص506.
(4) المصدر نفسه، ص 391.
(5) أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص 124.
(6) بكارة بلهاشمي: المصدر السابق، ص 140.
(7) اشتغل أيضا مدرسا في مسجد سيدي بلعباس وذلك منذ شهر أوت 1918، حيث كان يلقي درسا للعامة في المسجد، ودرسا للتلاميذ في قاعة الدروس بإحدى المدارس الابتدائية، كما تولى وظيفة كاتب (سكرتير) لرئيس الطريقة التجانية. ينظر: أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص ص 120، 121.
(8) ANOM- 2U14, Demande du la Mouderres de la grande Mosquée, 10/07/1931.

حل محل الشيخ محمد برقيق. كما يذكر بكارة بلهاشمي عن نفسه في أنه تصدى للتعليم في هذا الجامع ما يزيد عن عشر سنين بعد أن درّس في مساجد وزوايا أخرى، حيث يقول:" تصدّيت للتدريس في مسجد سيدي علي الشريف بمعسكر تطوعا نحو عشر سنين، وفي زاوية سيدي بن عبد الله نحو عامين، وفي الجامع الأعظم في معسكر نحو عشر سنين..."[1].

هذا عن بعض المدرسين الذين تصدوا للتعليم، أما فيما يخص بقية أعضاء السلك الديني لهذا الجامع فيتقدمهم المفتون، ثم الأئمة ويليهم عدد أخر من الموظفين كالباش حزابين، والحزابين، والمؤذنين وغيرهم...

فبخصوص منصب الإفتاء الذي يعد أهم منصب ديني فقد تقلده كل من الشيخ موضح بصديق عبد القادر الدحاوي[2] سنة 1912 وبعده المفتي شرقي بن عبد الله سنة 1938، ثم المفتي بكارة بلهاشمي سنة 1941[3].

غير أنه وحسب تقارير الإدارة الاستعمارية، فإن تعيين شرقي بن عبد الله كمفتي للديار المعسكرية لم يلق استحسانًا من طرف بعض الجزائريين خاصة العناصر المرابطية كالشيخ شنتوف عدة المندوب المالي ورئيس الزاوية الدرقاوية الذي عارض ذلك بشدة، بسبب العلاقة التي كانت تجمع بن عبدالله بأعضاء جمعية العلماء المسلمين وعلى رأسهم الشيخ محمد السعيد الزموشي[4].

أما بالنسبة لأئمته وبقية موظفيه فنجد:

---

(1) بكارة بلهاشمي: المصدر السابق، ص 181.

(2) موضح بصديق عبد القادر: من مواليد سنة 1860، وهو أحد أفراد عائلة أولاد سيدي دحو بن زرفة، درس على يد علماء معسكر من أمثال محمد الدايج، ثم سافر لتونس لمواصلة دراسته، تضلع في علوم الفقه والبيان واللغة، تولى القضاء بمحكمة القليعة قرب البليدة،ثم الافتاء بالجامع الكبير إلى غاية 1936. ينظر عتبة بن عتبة الجيلاني بن عبد الحكم العطافي: المصدر السابق، ص 391.

(3) Bulletin officiel du Ministère de L'intérieur, N° 01, Janvier 1925.

(4) A.W.O - 2260.I 12, Centre d'information et d'études, 09/07/1938- N° 339.

- الشيخ بلمختار مصطفى ولد محمد الذي تولى الإمامة فيه سنة 1910، وظل في منصبه مدة 26 سنة، أي حتى سنة 1936[1].

- الشيخ شنتوف محمد بن علي وهو ابن عم شنتوف عدة السالف الذكر، عين إماما بتاريخ 04 أفريل 1936 خلفا للشيخ بلمختار، كان راتبه السنوي حوالي 6800 فرنك[2]. والشيخ شنتوف حسب التقارير الفرنسية كان معلما للقرآن الكريم، ثم حزابا بالجامع الكبير منذ تاريخ 13 جويلية 1918، كما مارس وظيفة باش حزاب بنفس الجامع من نهاية سنة 1923 إلى غاية 1936[3].

- بوشيخي سليمان ولد أحمد: عين حزابا في 28 جانفي 1921، ثم ارتقى إلى باش حزاب بتاريخ 16 ديسمبر 1936، وكان عندئذ طاعنا في السن، عمره 71 سنة تقريبا[4].

- عمار دحو محمد: من مواليد سنة 1906 بمدينة معسكر، اشتغل في بادئ الأمر معلما للقرآن الكريم، ثم حزابا بالجامع الكبير منذ تاريخ 29 ديسمبر 1923[5].

- قاضي بلقاسم ولد عبد القادر: عين هو الأخر في وظيفة حزاب بتاريخ 22 ديسمبر 1941[6].

- بلقاسم سعيد: اشتغل معلما للقرآن الكريم، ثم حزابا بداية من مارس 1944[7].

ولاشك أن هناك العديد ممن تولوا وظائف رسمية في هذا الجامع، لكن يمكن القول أن دورهم الديني والتعليمي لم يخرج عن الإطار الذي حددته لهم إدارة الشؤون الأهلية، فالإمام بقي ملزما بأداء الصلوات والخطب وإلقاء بعض الدروس الدينية التي كانت تحت المراقبة، أما الحزابين والباش حزابين فاقتصر دورهم على قراءة الحزب الراتب، والأحاديث النبوية من الكتب الدينية على مسامع الحضور.

(1) A.N.O.M – 2U18, Rapport du Sous Préfet de Mascara, 02/05/1940.
(2) Ibid. 09/05/1936.
(3) Ibid.
(4) Ibid, 02/05/1940.
(5) A.N.O.M – 2U18, Rapport du Commissaire Central de Mascara, 05/03/1945.
(6) Ibid.
(7) Ibid.14/03/1945.

غير أنه من الأهمية بمكان أن نشير في الأخير، أنّ الجامع الكبير رغم إخضاعه للإدارة الاستعمارية ومراقبة نشاطه، فإنه ساهم في تفعيل الحركة العلمية في معسكر، ولعب دورا كبير في الحفاظ على الموروث الثقافي والديني للمنطقة، خاصة مع وجود مكتبة عامة فيه مفتوحة للطلبة وجميع القراء، تحوي ما يزيد عن 310 من الكتب والدراسات كالتفسير، وشروح الحديث، وكتب الفقه، والشريعة الإسلامية والتاريخ والأدب وغيرها[1]، نذكر منها: كتاب الموافقات للشاطبي، متن السيد خليل، مدونة الإمام مالك، شرح الحدود لابن عرفة، كتاب القوت الأبي طالب المكي، شرح الألغاز لابن هشام، القول المجيد في علم التجويد، نيل الأوطار للشوكاني، شرح الزرقاني على موطأ مالك، الأنوار المحمدية، السوداني على الأجرومية، شرح شواهد التلخيص، مفتاح العلوم، كتاب التهذيب، ميزان الانتظام، رسالة فوائد العياشي، منافع الأغذية، الدُّرر البيضاء، مصباح الحاسب، تاريخ ابن خلدون، تاريخ بن خلكان، فوات الوفيات، تاريخ أعيان القرن الحادي عشر[2].

ونظرا لأهميتها وقيمتها العلمية طالب المفتي موضح بصديق من الإدارة الفرنسية العناية بها وتزويدها بما تحتاجه من كتب، وقد أعد لذلك قائمة من واحد وسبعين عنوانا[3]، منها: صحيح البخاري، سنن بن ماجة، الزرقاني على الموطأ، شرح الجامع الصغير، شرح الأربعين نووية لابن حجر إلخ[4].

---

(1) A.N.O.M – 2U14, Etat des Bibliothèques Annexées Aux Mosquées de L'Arrondissement de Mascara, 16/03/1931.

(2) بشير بلمهدي علي: خزانات المساجد الكبرى في الجزائر في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي –خزانة المسجد الكبير بمعسكر أنموذجا- (معسكر المجتمع والتاريخ) مشروع كتاب جماعي، المرجع السابق، ص 182.

(3) أنظر الملحق رقم: 03

(4) A.N.O.M – 2U14, Liste des Ouvrages nécessaires à la Bibliothèque de la grande Mosquée de Mascara. 11/01/ 1932.

2. مسجد عين البيضاء:

شيده الباي محمد بن عثمان الكبير في الفاتح من ذي القعدة 1195 هـ الموافق ل 19 أكتوبر 1781م[1]، وتشير الكتابات إلى أن بانيه هو المهندس أحمد بن صار مشق التلمساني[2].

اشتهر هذا الجامع بعدة تسميات اقترن بعضها بأحداث تاريخية هامة وقعت في مدينة معسكر. فقد سمي "بجامع عين البيضاء" نسبة إلى العين الموجودة في المنطقة والواقعة فوق أرض يضرب لونها إلى البياض، ومنها اتخذ اسما له[3]، كما يطلق عليه اسم "جامع الباي محمد الكبير" نسبة إلى مؤسسه، ويسمى أيضا "جامع المبايعة" لأنّ فيه تم مبايعة الأمير عبد القادر على الجهاد والمقاومة من طرف زعماء منطقة غريس والحشم[4]، أما تسميته الرابعة هي "جامع سيدي حسن" نسبة إلى قبر الولي الصالح سيدي حسن الذي نقلت السلطات الفرنسية رفاته من مكان غير بعيد من المسجد إلى جواره، وشجعت على تسميته بهذا الاسم حتى يطمس معالم واسم هذا الجامع المزدوج الشرف، الأول ويعود إلى الباي محمد بن عثمان الكبير فاتح وهران ومخلصها من الاحتلال الاسباني، أما الاسم الثاني فيرتبط بالأمير عبد القادر الذي بويع فيه لتولي المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي[5].

استمر الجامع في أداء وظيفته الدينية والتربوية من يوم تأسيسه وإلى غاية احتلال مدينة معسكر من طرف الفرنسيين سنة 1841، حيث تعرض لمحنة الغلق والإهانة والإذلال قرابة

---

(1) يحي بوعزيز: المرجع السابق: ص 210.

(2) Ch. Leclerc : Op.cit. P 43.

(3) سعدية رقاد: المرجع السابق، ص 126.

(4) قرمان عبد القادر: عمران وعمارة مدينة معسكرفي العهد العثماني دراسة أثرية، عمرانية ومعمارية، أطروحة دكتوراه علوم، جامعة الجزائر 02 (2014-2015)، ص 116.

(5) قرمان عبد القادر: المرجع نفسه، ص 117.

سبعين سنة كاملة، بعد أن اتخذه الفرنسيون مربطا لخيول جنود الصبايحية، ومخزنا لعلفهم سنوات طويلة، ثم أجره يهودي يدعى "بن عدي" وجعله متجرا لبيع الحبوب[1].

وحسب الأستاذ بوعزيز فإن هذا اليهودي وأمثاله من اليهود في المدينة حاولوا تحويل المسجد إلى دير لهم، فسعوا لدى السلطات الفرنسية وعرضوا عليها فكرة شرائه لتحقيق مشروعهم، لكن رئيس بلدية معسكر الذي كان يُكَّن عداءاً شديداً لليهود أخبر أعيان المدينة من المسلمين بالأمر، وأشار عليهم بأن يطلبوا من السلطات أن تعيده إليهم وشجعهم على ذلك، فقدّموا طلبهم، وأكثروا من السعي، ووسّطوا ذوي الشّأن، وتم لهم ذلك فاستعادوه وفتحوه في حدود سنة 1910 تقريبا ليؤدي رسالته التعليمية والتربوية[2].

وتفيدنا بعض المصادر أن الشيخ بلهاشمي بن السيد الطيب بن أحمد كان ممن انتصبوا للإمامة والتدريس في هذا المسجد بعد استعادته من الفرنسيين[3]، والشيخ بلهاشمي هو من مواليد سنة 1853 بمعسكر، درس الفقه على يد الحلوي، وجلس لتدريسه في مسجد عين البيضاء، وقد ذكر ذلك الشيخ بكارة بلهاشمي في حاشيته حيث يقول عنه:" الفقيه البركة العابد الزاهد سيدي بلهاشمي بن السيد الطيب بن أحمد، أخذ مختصر خليل الذي هو عمدة مذهب مالك عن الحلوي الفقيه المشهور في غريس، وتولى الإمامة في مسجد عين البيضاء، ودرّس فيه مختصر خليل إلى أن مات عن عمر يناهز الثمانين سنة"[4]. وذلك عام 1935 بعد 36 سنة من الخدمة[5].

---

(1) يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 212.

(2) المرجع نفسه.

(3) وهو ابن محمد بن الهاشمي بن علي بوشنتوف بن سحنون الشارف من عائلة سيدي أحمد بن علي، ولد سنة 1270هـ الموافق ل 1853م، وتوفي حوالي سنة 1350هـ الموافق ل1931م. ينظر بن نعوم صلاح الدين: القطف الداني في مناقب أولاد سيدي أحمد بن علي الثعباني، النشر الجامعي الجديد، الجزائر 2019، ص 66.

(4) بكارة بلهاشمي: المصدر السابق، ص 141.

(5) ANOM- 2U 17, Notice de Renseignements Concernant le nommé : Ettayeb Mohammed auld Belhacheme, 03/02/1938, N° 01.

ولاشك أن مكانة هذا المسجد قد ازدادت بتعيين السيد بلمختار مصطفى ولد محمد سنة 1936، الذي ينحدر من عائلة سيدي قادة بلمختار التي ينتمي إليها الأمير عبد القادر، وتذكر التقارير عنه أنه كان حافظا للقرآن الكريم، ومختصر خليل، وألفية بن مالك، دخل مدرسة تلمسان الشرعية – الفرنسية– وتحصل منها على الشهادة الابتدائية بتاريخ 1890/08/23[1]، وقد شغل عدة وظائف رسمية قبل أن يعين إماما بمسجد عين البيضاء، وهي كالأتي:

- عادل بمحكمة جيرفيل (Géryville) –البيض حاليا– (1891 – 1894).
- عادل بمحكمة باليكاو (تغنيف) (1894 – 1899).
- إمام بمسجد القليعة (1899 – 1906).
- إمام بمسجد غليزان (1906 – 1910).
- إمام بالمسجد الكبير بمعسكر(1910 – 1936).
- وفي الأخير إمام بمسجد عين البيضاء سنة 1936[2].

وفي سنة 1948 كان إمام هذا المسجد هو السيد غاني علي[3] والذي بقي في منصبه إلى غاية الاستقلال[4].

3. مسجد سيدي بوسكرين:

يقع بحي سيدي بوسكرين المتاخم لحي باب علي، يكتنف تاريخه الكثير من الغموض وذلك لقلة المصادر التي تتحدث عنه، فحسب الرسالة المخطوطة المحفوظة فيه تشير على

---

(1) ANOM -2U18 , Notice Signalétique ou 31 Décembre 1945- Commissaire Central de Mascara, Mascara 02/05/1940.

(2) Ibid.

(3) الشيخ غاني علي: هو علي بن عبد الرحمن حفيد الولي الصالح سيدي عبد الرحمن الملقب بـ: "سيدي دحو". ولد سنة 1910 بمدينة معسكر، حفظ القرآن الكريم في الكُتّاب على يد كبار شيوخ المنطقة، عين بأهم مسجد بالمدينة وهو مسجد المبايعة لمكانته العلمية، ومنزلته بين أهله وذويه، كان يقضي وقته بين التدريس والوعظ والإرشاد، وإصلاح ذات البين والإفتاء، كما كان مسجده مزارا لأئمة معسكر وشيوخها. أنظر محمد الجلالي: معسكر ومناقب أئمتها في القرن العشرين، دار ابن خلدون للنشر والتوزيع، الجزائر، ب ت، ص ص 71، 72.

(4) يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 212.

أنه كان زاوية من الزوايا الكبرى بالمنطقة خلال الفترة العثمانية، وتُرجع تاريخ وجودها إلى أواخر القرن التاسع الهجري وبالتحديد سنة 893 هـ[1]. وهذا بخلاف المصادر الفرنسية التي أشارت على أنه كان مسجداً وليس زاويةً، وصنفته كأحد المساجد الرسمية التي كانت تشرف عليها الإدارة الفرنسية في الحقبة الاستعمارية.

وبناءا على ذلك سنحاول من خلال ما جاء في هذه المصادر تغطية جانب هام من تاريخه، وذلك بالوقوف عند الأدوار التي قام بها أئمته الرسميين في الجانب الديني والثقافي، ناهيك عن مرتباتهم التي كانوا يتقاضونها، وتاريخ تعيينهم، وموقف بعض الأعيان منهم.

فحسب الوثائق الفرنسية فإن إمام المسجد ومدرسه في مطلع القرن العشرين هو الخطيب يوسف بن الطاهر، الذي عين في منصبه أواخر الثمانينيات من القرن التاسع عشر، وهو ما نستشفه من تقرير صادر عن الولاية العامة سنة 1901 والذي يشير إلى أنه كان يشتغل إماماً في هذا المسجد منذ 14 سنة[2].

كما جاء في ذات التقرير أن الشيخ الخطيب طلب بزيادة مرتبه الذي كان لا يتعدى 180 فرنك، وهو الطلب الذي لقي استجابة من طرف الوالي العام بعدما أثنى على طريقته في العمل وقام بتشجيعه وزيادة راتبه إلى 300 فرنك[3].

والظاهر أن الشيخ عمّر طويلا في منصبه، حيث بقي يؤم الناس ويلقي دروسه في المسجد إلى غاية وفاته يوم 03 أوت 1931[4]. أما عن خليفته فقد اقترح المفتي موضح عبد القادر بصديق على الإدارة الفرنسية تعيين السيد سفير شعبان بن محمد مكانه، وقد

(1) قرمان عبد القادر: المرجع السابق، ص 160.
(2) ANOM – 2U17, Le Gouverneur Général de L'Algérie 07/02/1901, N°8724.
(3) Ibid.
(4) ANOM – 2U17, Lettre du Muphti Mouadah Abdelkader Ben Seddik au Sous Préfet de Mascara, 04/08/1931.

استجابت السلطات لاقتراح المفتي وتم تعيينه إماما رسميا في مسجد سيدي بوسكرين يوم 10 أكتوبر 1931، براتب سنوي قدره 4200 فرنك[1].

والسيد سفير شعبان هو من مواليد 1884 بمعسكر، تخرج من مدرسة تلمسان الأهلية حاملا الشهادة الابتدائية، اشتغل في القضاء الإسلامي لمدة 14 سنة، تولى خلالها منصب عادل وباش عادل في محكمة المشرية من سنة 1910 إلى 1924، كما عين في وظيفة مساعد خوجة بدائرة معسكر مابين 1925 و1929، ثم خوجة في بلدية معسكر المختلطة من جانفي 1930 إلى أكتوبر 1931[2].

ورغم سجله الحافل وإشادة المفتي والإدارة الفرنسية بمؤهلاته العلمية ووضع ثقتهم فيه، إلاّ أنّ سفير شعبان لم يكن محل إجماع لدى سكان معسكر، حيث تشير التقارير أنّ أعيان المدينة رفضوا تعيينه إماما عليهم بحجة ضعف مستواه، وقدموا عريضة لعامل عمالة وهران[3] يطالبونه فيها بعزله وتعيين مكانه الشيخ بكارة بلهاشمي[4].

كما تلقى عامل العمالة رسالة أخرى مجهولة المصدر مؤرخة بتاريخ 05 جويلية 1935، وجّه فيها صاحبها انتقادا شديدة اللهجة للإمام، والتمس من الإدارة استبداله ووضع إماما أخرا مكانه، ومما جاء فيها:" إنّ المسمى سفير شعبان ... لا يفقه من الفقه الإسلامي شيئا ولا من القرآن غير الصور القصار ... إنّ الذي حملنا على الكتابة لك هو عدم كفاءته للإمامة ... ولهذا ينبغي أن تختار إماما عالما تجعله في موضعه"[5].

---

(1) ANOM – 2U17, Le Gouverneur Général de L'Algérie à Préfet d'Oran, 02/12/1931, N° 1383.

(2) ANOM – 2U17, Rapport du Administrateur de Commune Mixte de Mascara, 26/03/1930.

(3) كَتَبَ العريضة ووقع فيها أزيد من خمسون شخصا يتقدمهم من جاكر محمد، بوجلال محمد، الجيلالي بن عبد الله، بن عمر محمد، خليفة أحمد، ميمون محمد ولد قدور، طيب عبد القادر، بلبڤرة مصطفى بلحمد، بن عبو عبد القادر، درار مختار، سنوسي محمد، الخديم ميلود، بوراس عبد القادر. أنظر: ANOM- 2U17, Sous Préfet de Mascara, 07/12/1931.

(4) Ibid.

(5) A.N.O.M – 2U17, Rapport du Commissaire Central de Mascara, 05/07/1935, N° 287.

لكنه وعلى الرغم من مطالبة الأعيان بعزله وتعويضه وإلحاحهم على ذلك، إلا أن الإدارة الفرنسية تمسكت به، وبقي السيد سفير شعبان يحظى بثقتها ويمارس مهامه الدينية والتعليمية المخولة له إلى غاية وفاته بتاريخ 17 نوفمبر 1937[1].

أما بخصوص خليفته فتشير التقارير أن المنصب بعد شغوره أصبح محل منافسة بين العديد من الشيوخ، حيث ترشح له كل من:

- لكحل محمد ولد قدور الذي كان يشتغل حزابا في الجامع الكبير.
- قاسمي دحو ولد عبد القادر وهو طالب قرآن في معسكر ينتسب للطريقة الدرقاوية.
- شنتوف مختار ولد عبد القادر وهو أيضا طالب قرآن ومقدم للطريقة الدرقاوية، وشقيق شنتوف عدة المندوب المالي[2].
- الدايجي الجيلالي الذي كان يشتغل حزابا في الجامع الكبير[3].
- لبوخ محمد طالب قرآن مقيم في عين السلطان بحي باب علي[4].

وحسب ذات التقارير فإن الإدارة الاستعمارية استغنت عن جميع الأسماء التي ترشحت لهذا المنصب بدعوى أن هناك من هم أفضل منهم، وعينت للإمامة في هذا المسجد الشيخ الهاشمي عبد القادر بن علي المعروف بالوجدي وذلك بتاريخ 05 جويلية 1938[5]. والشيخ الوجدي هو من ذرية الولي الصالح سيدي أحمد بن علي، أخذ العلوم عن أئمة وجدة ونواحيها له اشتراك في الفقه والنحو والبيان[6]. تولى التدريس والإمامة

---

(1) ANOM- 2U17, Rapport du Sous Préfet de Mascara, 26/01/1938.
(2) Ibid.
(3) ANOM- 2U17, Le Gouverneur Général de L'Algérie à Préfet d'Oran, 29/12/1937, N° 952.
(4) Ibid. 11/12/1937, N° 9449.
(5) ANOM- 2U17, Notice Signalétique ou 31 Décembre 1945- Commissaire Central de Mascara- Mascara 05/09/1945.
(6) الحاج الجيلاني بن عبد الحكم العطافي: المصدر السابق، ص 392.

وخطبة الجمعة مدة طويلة في مسجد سيدي بوسكرين وانتفع به خلق كثير، توفي سنة 1945 عن عمر يناهز الثمانين سنة[1].

أما بخصوص خليفته فتفيدنا المصادر أنّ إمامه ومدرسه هو الشيخ شنتوف المختار ولد عبد القادر الذي عين في منصبه بتاريخ 15 ديسمبر 1946[2]، والشيخ شنتوف هو من مواليد 18 ماي 1911، ينتمي إلى أسرة مرابطية ذات نفوذ ديني وسياسي، والده عبد القادر بن عبد الله، وأمه فاطمة بنت محمد الدايجي الذي كان يشتغل مدرسا في الجامع الكبير، حفظ القرآن الكريم ودرس علوم الدين بزاوية سيدي خليل بمعسكر[3]، ثم تصدى للتدريس منذ سنة 1935 بمسجد الزيتونة وفي زاوية جده سيدي عبد الله شنتوف[4].

أما عن نشاطه فلا نعلم عنه الكثير، سوى أنه اعتكف لتدريس طلبته القرآن الكريم وعلوم اللغة والفقه في المسجد والمراكز الدينية الأخرى التي كان يشرف عليها، حيث يقول عنه الأستاذ الجلالي محمد أنه:" نظم أوقات عمله، الصبيحة خصصها لطلبة العلم والظهيرة كذلك وهذا بالزاوية، أما الوعظ والإرشاد فخصص له وقتا ما بين المغرب والعشاء"[5].

4. مسجد سيدي علي أمحمد:

يقع في حي سيدي علي أمحمد العتيق، ويصنف ضمن المساجد الرسمية التي تشرف عليها الإدارة الفرنسية، تولى شؤونه الدينية والتعليمية خلال الفترة الاستعمارية العديد من المشايخ والعلماء منهم الشيخ عبد القادر بن محمد المتوفي سنة 1920، والشيخ دحو

(1) بكارة بلهاشمي: المصدر السابق، ص 141.
(2)ANOM- 2U 18, Lettre de Bekara Ahmed au Préfet d'Oran, 17/06/1947.
(3) ANOM- 2U 17, Notice de Renseignements Concernant le nommé : Chentouf MoKhtar ould Abdelkader, 03/02/1938, N° 01.
(4) بن نعوم صلاح الدين: المرجع السابق: ص 64.
(5) جيلالي محمد: معسكر ومناقب أئمتها في القرن العشرين، دار بن خلدون للنشر والتوزيع، تلمسان (الجزائر)، ص 65.

قاسمي التقاري[1] الذي يعد من أعيان مدينة معسكر وعلمائها الكبار، والذي عين إماما فيه بتاريخ 01 جويلية 1938[2]، وكان له الأثر البالغ في تطور حركة التعليم والوعظ والإرشاد سواء في هذا الجامع أو في زاوية الشيخ بهلول بوعمران التي كان يدرس بها القرآن الكريم.

5.مسجد الكرط:

يحمل اسم القرية التي يتواجد فيها، والتي تقع على بعد 4 كيلومتر عن مدينة معسكر، تاريخ تأسيسه غير معروف، لكن يرجح أنه تأسس خلال القرن الثامن الهجري، وأن بانيه هو الولي الصالح سيدي يوسف بن عيسى المدفون بجواره[3].

اكتسب المسجد شهرة عظيمة خلال العهد العثماني كونه أن عددا كبيرا من العلماء والمشايخ والفقهاء تعلموا فيه القرآن الكريم ودرسوا به، ومن أشهرهم العائلة المشرفية[4].

ونظرا لأهميته ودوره الفعال في نشر العلم والثقافة قام محمد بن عثمان الكبير بترميمه وتوسيعه في أواخر القرن القرن 18م، وهو ما يزال على ذلك البناء إلى يومنا هذا[5].

وخلال العهد الاستعماري أصبح المسجد يعاني جدب علمي كبير نتيجة هجرة العديد من العلماء والمدرسين إلى الخارج وعلى رأسهم أسرة المشارف التي هاجرت إلى المغرب، واقتصر دوره على تأدية الفروض الدينية وبعض الدروس التي كان يقدمها أئمته الرسميين.

---

(1) من مواليد سنة 1878 بفروحة التابعة لبلدية معسكر المختلطة، ودرس على يد العديد من علماء المنطقة كالشيخ الدائجي والشيخ الوجدي، والشيخ بوعمران البهلولي، توفي سنة 1961. أنظر الحاج الجيلاني بن عبد الحكم العطافي: المصدر السابق، ص 393.

(2) ANOM- 2U 18, Notice Signalétique au 31 Décembre 1945- Commissaire Central de Mascara- Mascara 05/03/1945.

(3) قرمان عبد القادر: المؤسسات الدينية والتعليمية بمعسكر ودورها في كتابة التاريخ الوطني خلال العهد العثماني، مجلة أثار، العدد 15، السنة 2016، ص 80.

(4) طاعة سعد: الدور العلمي لزوايا ومساجد معسكر خلال الفترة الأخيرة من الحكم العثماني، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية، المجلد السادس، العدد 10 ديسمبر 2019، ص 35.

(5) قرمان عبد القادر: المرجع السابق، ص 81.

ومن الذين أشرفوا عليه خلال هذه الفترة الشيخ طالب محمد بن أحمد الندرومي[1]، وقد عين فيه بتاريخ 9 مارس 1944[2]، لكنه على ما يبدوا لم يعمر فيه طويلا حيث تشير بعض تقارير الإدارة الاستعمارية أنه بعد مرور ثمانية أشهر من تعيينه طلب من الإدارة الفرنسية تحويله إلى تلمسان وبالضبط إلى مسجد سيدي إبراهيم مكان الشيخ مولاي أحمد مزيان المُتوفَى، أو بمسجد عين دوز الذي يتواجد في نواحي المدينة حيث يعيش جميع أفراد عائلته بما في ذلك زوجته وأطفاله الخمسة[3].

كان هذا عرضًا وجيزا عن مساجد معسكر الرسمية التي كانت تشرف عليها الإدارة وعن أئمتها وموظفيها والرواتب التي كانوا يتقاضونها من ميزانية الدولة الفرنسية. غير أن الدراسة بشأنها لا تكتمل لدينا إلاّ بالحديث ولو بإيجاز عن المساجد الحرة التي أدت رسالتها الدينية والتعليمية بجد، وكانت أكثر نشاطا وحيوية في تعليم الصغار والكبار القرآن الكريم، واللغة العربية، والفقه ونحو ذلك.

ب- المساجد الحرة

- مسجد الزيتونة الكائن بشارع احمد بن حسان في حي باب علي حيث شهد حركة تعليمية كبيرة في عهد الشيخ عبد الوهاب ولد أحمد المدعو الشيخ "محمد بلڤرد"[4]، الذي كانت بداية تدريسه للقرآن الكريم، وتحفيظه للأجيال بكُتاب قرب ضريخ سيدي بن يخلف

---

[1] من مواليد 15 ماي 1909 بجبالة بلدية ندرومة المختلطة.أنظر:
ANOM- 2U18, Rapport du Commissaire Central de Mascara, 18/04/1944.

[2] Ibid.

[3] ANOM- 2U18, Demande de mutation à un autre poste formulée par une Imam de la mosquée d'El Karth, 17/10/1944.

[4] الشيخ محمد بلڤرد من مواليد 1888/12/10، ينتمي إلى عرش سيدي بن يخلف، حفظ القرآن الكريم على يد أبيه، وأعاد حفظه على يد الشيخ البشير بمدينة سيدي بلعباس، وبعد عودته إلى معسكر التحق بزاوية سيدي بوعمران التي تلقى فيها قدرا من العلوم اعتنق فيها الطريقة القادرية، ليشد بعدها الرحال نحو العطاف حيث تلقى مبادئ الفقه والتصوف على يد الشيخ المشرفي، وهذا قبل أن يرحل إلى زاوية سيدي عدة بتهرت مواصلا تعليمه وتوجهه الصوفي. أنظر: بوكعبر تقي الدين: المجموع الميسر لمدونة الأنساب والتراجم بفضاء الراشدية معسكر، ط 01، دار السادة المالكية، المدية (الجزائر) 2022، ص ص 242، 243.

وسط ذويه وأهله، ثم بكتاب بدوار أولاد بن داهة الواقع على بعد 07 كلم غرب مدينة معسكر، ليتوجه بعد ذلك إلى كتاب ببلدة الزلامطة[1].

وفي سنة 1920 استقر به المطاف في مسجد الزيتونة بمعسكر، وبقي فيه إلى غاية وفاته سنة 1953 يستقبل الطلبة الوافدين من كل حدب وصوب، وقد ذاع صيته حتى أصبح مسجده لا يتسع لكل الوافدين، فأصبح يدرس بنظام الأفواج، فكلما أجيز فوج وغادر عوضه فوج أخر حتى تداول على المسجد مئات الطلبة[2].

ولا يفوتنا القول أن المسجد خلال هذه الفترة كان يفتقر لمصادر التموين مثله مثل بقية المساجد الحرة الأخرى، وهو ما اضطر الطلبة إلى الاعتماد على التسول (الميجود)، حيث يتوزع الطلاب بالتناوب على نواحي المدينة والقرى لجلب الغداء والعشاء، بالإضافة إلى ما يجود عيه بعض المحسنين[3].

- مسجد ولد القاضي يقع في شارع سيدي علي الشريف بحي باب علي، والمعروف أيضا بمسجد سي لزرق نسبة لإمامه.
- مسجد أولاد شارف تأسس في حدود 1920، ويقع في حي سيدي بوسكرين.
- مسجد بن نعوم: تأسس في حدود 1930 بشارع سيدي علي الشريف في حي باب علي[4]. امامه هو الشيخ محمد بن نعوم الذي درّس فيه القرآن الكريم والنحو والتفسير، وأقام المناظرات والدراسات في أمور الدين[5].
- مسجد سيدي علي الشريف: من أئمته ومدرسيه الحاج عبد القادر ولد أحمد المتوفي في 19 ماي 1924، والشيخ بكارة بلهاشمي الذي عينه المفتي موضح عبد القادر خلفا له كونه كان ملازما فيه لتدريس العلم للطلبة[6].

---

(1) بوكعبر تقي الدين: المرجع لسابق، ص 243.
(2) المرجع نفسه، ص 244.
(3) المرجع نفسه.
(4) جاكر لحسن: المرجع لسابق، ص74.
(5) جيلالي محمد: المرجع السابق، ص 43.
(6) ANOM- 2U14, Lettre du Muphti Mouadah Abdelkader Ben Seddik à Sous Préfet de Mascara, 26/05/1924.

- مسجد تغنيف: يعد من المساجد الحرة، شُيّد سنة 1918 بتغنيف الواقعة على بعد عشرون كيلومتر من مدينة معسكر، تولى شؤونه الدينية والتعليمية الشيخ عبد القادر بن مصطفى بن فريحة[1]، وهو من العلماء المشهورين يعود نسبه إلى ذرية الولي الصالح سيدي أحمد بن علي[2]، حيث كان قبل أن يلتحق بهذا المسجد صاحب مدرسة أسسها بمقر سكناه بغريس، يدرس فيها تلاميذته الفقه وعلوم الدين، وينفق عليهم من ماله الخاص، وقد ظل على ذلك نحو ثلاثين سنة حتى تخرج على يده ما يزيد عن أربعمائة طالب، وفي ذلك يقول عنه الشيخ بكارة بلهاشمي:" أنه كان ممن أعطاه الله مالا فأتلفه في وجهه، وأعطاه علما فثبته في صدور الرجال"[3]. ثم نقل الشيخ نشاطه التعليمي من غريس إلى جامع تغنيف، حيث تولى أيضا الخطابة والإمامة مدة عشرين سنة[4]، وبقي على ذلك إلى غاية وفاته شهر ماي 1945 عن عمر يناهز التسعين سنة[5].

وفي الأخير لا يسعنا إلاّ أن نؤكد أنّ مساجد معسكر على الرغم من انحصار عددها مقارنة عما كانت عليه في الفترة العثمانية– ومراقبة نشاطها من طرف الإدارة الفرنسية خاصة المساجد الرسمية التي كانت خاضعة لها، إلا أنها استطاعت أن تضيء حجب الجهل الذي أفشاه الاستعمار، خاصة بوجود العديد من المشايخ الأئمة والمدرسين الذين كان لهم الأثر الكبير نشر الثقافة العربية الإسلامية من خلال تعليم القرآن الكريم واللغة العربية ومختلف العلوم الدينية.

(1) بن نعوم صلاح الدين: المرجع السابق: ص 108.
(2) الحاج الجيلاني بن عبد الحكم العطافي: المرجع السابق، ص 505.
(3) بكارة بلهاشمي: المصدر السابق، ص 141.
(4) المصدر نفسه.
(5) الحاج الجيلاني بن عبد الحكم العطافي: المرجع السابق، ص 505.

المبحث الثاني: الزوايا ودورها التعليمي:

يشيد الباحثون والمختصون في تاريخ الجزائر الثقافي بالدور البارز الذي قامت به الزوايا في مجال التعليم خلال الفترة الاستعمارية، حيث كان لهذه المؤسسات الدينية مساهمة عظيمة لا تقل أهمية عن مساهمات المساجد والمدرس والمعاهد الموجودة آنذاك، خاصة إذا علمنا أن هذه الزوايا انتشرت انتشارا واسعا في مختلف الأرياف والمدن، وعمّت كل جهات الوطن تقريبا. ففي مدينة معسكر ونواحيها توجد قائمة طويلة بلغت حسب بعض الإحصائيات الصادرة سنة 1839 اثني عشرة زاوية كبرى تسعة منها داخل المدينة وثلاثة في الضواحي[1]، ساهمت جميعها في نشر التعليم بمختلف أنواعه والتصدي للجهل والأمية خلال الفترة الاستعمارية.

وقبل التطرق إلى دورها التعليمي ومساهمتها في الحياة العلمية والثقافية بالمدينة وأحوازها رأينا من المفيد تحديد مفهوم الزوايا.

أ- تعريف الزاوية:

الزاوية كما جاء في موجز دائرة المعارف الإسلامية هي:" مجموعة من الأبنية ذات طابع ديني، تتكون من غرفة للصلاة بها محراب، وضريح لأحد المرابطين، أو وَلِيٌّ من الأشراف تعلوه قبّة، وغرفة قصرت على تلاوة القرآن، ومدرسة لتحفيظ القرآن، ثم غرفًا مخصصة لضيوف الزاوية والحجّاج والمسافرين والطلبة، ويلحق بالزّاوية عادة مقبرة تشمل قبور أولئك الذين تركوا وصية في حياتهم بأن يدفنوا فيها"[2].

(1) أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 05، المرجع السابق، ص 152.
(2) م.ت. هوتسما، ت.و. أونولد، وأخرون، موجز دائرة المعارف الإسلامية، المجلد السابع عشر، تحقيق إبراهيم زكي خورشيد، أحمد الشنتناوي وآخرون، مركز الشارقة للإبداع الفكري (الإمارات)، 1998،ص 5240.

ويمكن تعريفها أيضا بأنها:" مدرسة دينية، ودار لضيافة الأغراب، وتعتبر مراكز لمشايخ الطرق الصوفّية، مخصّصة للعلم، والثقافة العربية الإسلامية، في مراحل الدراسة[1]. وحسب الأستاذ صلاح مؤيد العقبي أنها:" سميت بذلك لأن الذين فكروا في بنائها أول مرة من المتصوفة، اختاروا الانزواء بمكانها، والابتعاد عن صخب العمران، وضجيجه طلبا للهدوء والسكينة، اللذين يساعدان على التأمل والرياضة الروحية، ويناسبان جو الذكر والعبادة، وهي من الوظائف الأساسية التي وجدت من أجلها الزاوية"[2].

وتنقسم الزوايا في عمومها إلى ثلاثة أقسام:

1. القسم الأول: الزاوية البسيطة وهي عبارة عن مجموعة من الأبنية المتلازمة، منها غرف مبيت للطلبة، ومنها غرف للتدريس، والمكتبة والجامع، ثم المرافق اللازمة وتكون الأراضي التي حولها حبسا عليها في الغالب تتعيش منها.
2. القسم الثاني: وهو الزاوية التي تبنى حول ضريح لأحد المرابطين، أو وَلِيُ من الأشراف تعلوه قبة.
3. القسم الثالث: الزاوية التي يقيمها ولي ويعيش وسط طلبته ومريديه الذين يتلقون الطريقة على يديه وعرفت تلك الزاوية بالزاوية الطرقية، لأنها تقوم أساسا على طريقة صوفية معينة، وتعتمد في منهجها التعليمي على حفظ القرآن الكريم والفقه والتفسير والحديث، وتزيد على ذلك بتدريس علم التصوف، وتقام فيها حلقات الذكر[3].

لقد قامت الزوايا بأدوار جليلة سجلها لها التاريخ في شتى جوانب الحياة الدينية والثقافية، والاجتماعية، والسياسية كذلك، نوجزها في:

---

[1] تركي رابح: التعليم القومي والشخصية الجزائرية 1931 – 1956، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 02، 1981، ص 237.

[2] صلاح مؤيد العقبي: الطرق الصوفية والزوايا في الجزائر تاريخها ونشاطها، دار البراق، لبنان، 2002، ص 301.

[3] عبد المنعم القاسمي الحسيني: زاوية الهامل مسيرة قرن من العطاء والجهاد 1862 – 1962، درار خليل القاسمي للنشر والتوزيع، الجزائر 2009، ص 131.

- تحفيظ القرآن الكريم للصغار والكبار ونشره بصورة مكثفة ومتواصلة في الأجيال الإسلامية المتعاقبة، وهو ما ساعد على حمايته من النسيان الضياع والاندثار[1].
- تلقين مختلف العلوم الدينية واللغوية لروادها، وتسهيل ذلك لهم بما توفره من وسائل الإقامة والعيش[2].
- نشر الإسلام في المواطن والأصقاع البعيدة التي لم يصل إليها، خاصة الأقاليم الصحراوية النائية، أي أنها أتمت الفتح الإسلامي بعد توقفه، كما فعلت السنوسية والتيجانية والقادرية.
- عملت على إنهاء الفوارق بين الفئات الاجتماعية المختلفة، فقربت بين الفقراء والأغنياء، والعلماء والأميين، والشرفاء وغيرهم وجمعتهم في بوتقة واحدة[3]، كما كانت قبلة للناس لطرح قضاياهم وملاذا يلجأون إليها وقت الشدائد[4].
- محافظتها على التراث العلمي والفكري، حيث كانت بمثابة مخازن ودواوين للكتب والمخطوطات العلمية في مختلف أنواع العلوم والمعارف، وذلك بفعل اهتمام شيوخها وطلابها بالنسخ للكتب والتأليف والجمع والشراء وما إلى ذلك من وسائل الاقتناء.
- مشاركة شيوخها وطلابها ومريديها مشاركة فعالة في الثورات والمقاومات ضد نظم الحكم الطاغية والمستبدة سواء منها المحلية أو الأجنبية (القادرية والرحمانية والسنوسية ضد الاستعمار الفرنسي...)[5].

وجملة القول أن الزوايا في الجزائر ظلت وإلى غاية السنوات الأولى من الاحتلال الفرنسي مصدر للعلم، والهداية، وحامية الدين والصلاح، ومنبع اليقظة، والنهضة، وعون للإصلاح ومنبت لثورات عديدة على ظلم الحكام وعلى الغزاة الأجانب[6].

ب- نشاط الزوايا في معسكر:

---

(1) يحي بوعزيز: موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، الجزء الأول، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 236.

(2) عبد المنعم القاسمي الحسيني: المرجع السابق، ص 132.

(3) يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 237.

(4) الطاهر بونابي: التصوف في الجزائر خلال القرنين 6و7 الهجريين/12و13 الميلاديين (نشأته – تياراته - دوره الاجتماعي والثقافي والفكري والسياسي)، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2004، ص 227.

(5) يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 237.

(6) عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى (1931 – 1945) المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار، الجزائر 1996، ص 193.

من المعروف تاريخيا أن معسكر كانت من بين الحواضر العلمية الكبرى خلال العهد العثماني حيث اشتهرت بكثرة مؤسساتها التعليمية والدينية خاصة الزوايا التي انتشرت في كامل أرجائها. وقد كانت هذه الزوايا عامرة بطلاب العلم الذين جاؤوها من أنحاء مختلفة، إذ يقول بشأنها صاحب حاشية رياض النزهة:" وقد كثرت الرحلة إليها لطلب العلم (يقصد معسكر) مابين القرن العاشر والحادي عشر والثاني عشر الهجري لكثرة تأسيس الزوايا، كزاوية سيدي محمد بن يحي السليماني، وزاوية عبد الله بن عبد الرزاق الإدريسي، وزاوية الشيخ سيدي محمد المشرفي الإدريسي، وزاوية سيدي عبد القادر بن مختار الإدريسي، وزاوية سيدي عبد الرحمن المحمودي الإدريسي المكنى "دحو"، وزاوية سيدي محمد الأعرج السليماني، وزاوية سيدي محي الدين بن مصطفى الإدريسي، وزاوية سيدي سحنون بن أحمد الحسيني"[1].

والجدير بالذكر، أن الكثير من هذه الزوايا واصلت نشاطها خلال الفترة الاستعمارية رغم القوانين والقرارات التعسفية الصادرة في حقها، والتي أطلقت العنان لأيادي المستعمرين وسمحت لهم بأن يعبثوا وينهبوا أملاكها بدون قيد، وبلا حدود مثلما حدث لزاوية القيطنة.

وحسب بعض المصادر أن مدينة معسكر لوحدها كان بها سنة 1882م حوالي 07 زوايا وعشرة (10) مقدمون و370 مريداً (الإخوان)، وكانت هذه الزوايا تابعة لكل من الطريقة القادرية، والشاذلية، والعيساوية، والطيبية، والزيانية، والتجانية، والرحمانية. أما بلدية معسكر المختلطة فوجدت بها ثمانية زوايا، واثنان وعشرون (22) مقدما، و1154 مريدا، كانت تابعة هي الأخرى للطريقة القادرية، والشاذلية، والعيساوية، والطيبية، والزيانية، والحنصالية، والرحمانية، والسنوسية، كما عرفت بلدية كاشرو المختلطة وجود 06 زوايا، و06 مقدمون، و541 من الأتباع[2] منتمين إلى كل من الطريقة القادرية، والشاذلية، والعيساوية، والطيبية، الزيانية، والرحمانية. ويمكن توضيح ذلك أكثر من خلال الجدول التالي الذي يبين عدد الزوايا والمقدمين والإخوان المنتسبين لكل طريقة من هذه الطرق الدينية[3].

---

(1) بكارة بلهاشمي: المصدر السابق، ص ص 34، 35.

(2) Louis Rinn : Marabouts et Khouans Etude sir l'Islam en Algérie, Imprimeur de L'académie, ALGER, 1884, P 542.

(3) Ibid.

جدول (19): عدد الطرق الدينية والزوايا والمقدمين والأتباع بمعسكر سنة 1882

المنطقة	الطريقة الدينية	الزاوايا	المقدمين	المريدين
بلدية معسكر الكاملة الصلاحيات	القادرية	01	03	80
	الشاذلية	01	02	60
	العيساوية	01	01	40
	الطيبية	01	01	50
	الزيانية	01	01	60
	التيجانية	01	01	30
	الرحمانية	01	01	50
المجموع	**07**	**07**	**10**	**370**
بلدية معسكر المختلطة	القادرية	01	05	418
	الشاذلية	01	05	281
	العيساوية	01	01	06
	الطيبية	01	01	108
	الزيانية	01	05	231
	الحنصالية	01	03	20
	الرحمانية	01	01	65
	السنوسية	01	01	25
المجموع	**08**	**08**	**22**	**1154**
بلدية كاشروا المختلطة	القادرية	01	01	189
	الشاذلية	01	01	133
	العيساوية	01	01	29
	الطيبية	01	01	20
	الزيانية	01	01	70
	الرحمانية	01	01	100
المجموع	**06**	**06**	**06**	**541**

إن ما يهمنا في هذا الجدول هو الزوايا التي عرفت انتشارا واسعا لها بمعسكر، حيث بلغ عددها حسب لويس رين **(L. Rinn)** واحد وعشرون زاوية نهاية القرن التاسع عشر. ورغم أننا نجدها كانت تختلف عن بعضها البعض من حيث الانتماء الطرقي، بحيث كان لكل زاوية طريقتها الخاصة، فإنها كانت تؤدي رسالة ثقافية وروحية واحدة، كما كانت تعرف باسم مؤسسها أو شيخها. وعليه سنحاول أن نتعرض بشيء من التفصيل لأهم هذه الزوايا من حيث تاريخ تأسيسها ونشاطها في ميدان التعليم، وذكر شيوخها وأسماء بعض المتخرجين منها من الأعلام الذين كان لهم نشاط كبير في مجالات العلم والثقافة، ومنها نذكر:

1. زاوية سيدي بن عبد الله شنتوف الدرقاوية:

تعد من أهم الزوايا بمعسكر خلال العهد الاستعماري، تأسست سنة 1305 هـ/ 1887م، بحي باب علي بمدينة معسكر من طرف الشيخ سيدي بن عبد الله بن عبد القادر شنتوف[1]، الذي يعود نسبه إلى ذرية سيدي أحمد بن علي المعروف في منطقة غريس[2].

والشيخ بن عبد الله من مواليد سنة 1825م ببلدة ماوسة قرب مدينة معسكر[3]، تلقى العلم بمسقط رأسه ثم انتقل إلى بلدة سيف، فحفظ القرآن على يد الشيخ بن البكاي، وأجاده على يد الفقيه الشيخ مصطفى بن طيب بآل العيد، ثم انتقل إلى المحمدية لمواصلة مسيرته العلمية فأتقن الفقه والفرائض على يد العلامة الشيخ الحاج أحمد بن المداح، كما أخذ النحو والأدب من الشيخ حسن بن شرقي المختار أحد أقارب الأمير عبد القادر، ومن

---

(1) يذكر في ديوانه " الحلل الفردوسية في نظم القطب الغريسية" أن نسبه يعود إلى البيت الحسيني ـ فيعرف نفسه بأنه الشيخ بن عبد الله الحسيني بن محمد بن على بن محمد الهاشمي بن علي ـ الملقب بـ" أبي شنتوف" ـ بن سحنون بن أحمد بن محمد بن أحمد ـ الملقب بـ" الثعبان" بن علي بن عيسى بن أبي القاسم بن أحمد بن محمد العسكري بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بن علي بن الحسين السبط بن البتول الطاهرة بنت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنظر عتبة بن عتبة الجيلاني بن عبد الحكم العطافي: المرجع السابق، ص 389.

(2) صلاح مؤيد العقبي: المرجع السابق، ص 486.

(3) بن نعوم صلاح الدين: المرجع السابق، ص 59.

شيوخه أيضا ابن عمه أبو محمد الطيب الحبيب بن العلامة مصطفى الوجدي الذي قرأ عليه عدة كتب من معقول وبديع وبيان[1].

اتجه بعد ذلك للتصوف، فأخذ في التنقل والسياحة من بلدة سرات القريبة من وهران، إلى بلدة عمي موسى (غليزان)، إلى واد شلف بحثا عن ضالته، إلى أن اتصل بالشيخ علي لقرع بن محمد صاحب زاوية الدراويش ببلدة غريس وأخذ عنه الطريقة الدرقاوية الشاذلية[2]، ثم رحل مع شيخه الأخير إلى الشيخ سيدي عدة بن غلام الله بتيارت، فكان له الفتح المبين على يد هذا الشيخ [3]،

وبعد عودة الشيخ ابن عبد الله إلى معسكر أظهر دعوته للإصلاح والتربية وأسس زاويته في حي باب علي العتيق وذلك عندما قرب السبعين سنة من عمره، فنال مكانة هامة واحتراما كبيرا، حيث ذاع صيته في كثير من الجهات كالبرج، والقلعة، وغليزان، وعمي موسى[4]، وتيارت[5].

أقام الشيخ بن عبد الله في زاويته ثمانية أعوام يدرس مختلف العلوم من فقه ونحو وتوحيد وتصوف لطلبته ومريديه، ومن بين الكتب التي قرأها عليهم كتاب الصلاة من مختصر خليل، والمكودي على أَلْفِيَةُ بن مالك في النحو، والصغرى للسنوسي في التوحيد، وصحيح البخاري في الحديث، بالإضافة إلى كتب عديدة في التصوف[6]. وقد تخرج على يده الكثير من الطلبة والمريدين، أبرزهم ابنه عبد القادر شنتوف، وشقيقه الشيخ العربي

---

(1) بن نعوم صلاح الدين: المرجع السابق، ص ص 58، 59.

(2) الطريقة الدرقاوية طريقة صوفية متفرعة عن الشاذلية ظهرت في المغرب الأقصى، وأول من دعا إلى تعاليمها هو "الشريف إدريس" المسمى على بن عبد الرحمن الفاسي المدعو الجمل من جماعة العمرانيين الذين استوطنوا في شمال غرب مدينة فاس، والتي أسس بها زاوية، وقبيل وفاته نقل التعاليم الروحية لتلاميذه "مولاي العربي الدرقاوي" (1159 هـ - 1239هـ / 1737 – 1823م)، ورغم أن العربي الدرقاوي كان مؤسس الطريقة ومنظمها إلاّ أنها تنسب إلى أحد أسلافه وهو أبو عبد الله محمد بن يوسف الملقب بأبي درقة. ينظر بونقاب مختار: الطريقة الدرقاوية بالجزائر، الحوار المتوسطي، العدد 11-12 مارس 2016، ص 372.

(3) صلاح مؤيد العقبي: المرجع السابق، ص 486.

(4) عمي موسى بلدة تقع في الجهة الغربية للجزائر وهي تابعة حاليا لولاية غليزان.

(5) بكارة بلهاشمي: المصدر السابق، ص 161.

(6) بن نعوم صلاح الدين: المرجع السابق، ص 59.

شنتوف، والشيخ عبد القادر بن الحاج أحمد المعسكري دفين غليزان، والشيخ الحاج احمد بن المولود، والشيخ العلامة محمد بن الجيلاني الحسني العمراني الذي عليه مزارة قرب قلعة بني راشد، ومن مريديه الشيخ الحاج البشير بن حوى الخلفاوي[1].

وبعد وفاته عام 1895م[2]، تولى أمر الزاوية ولده الشيخ عبد القادر بن عبد الله مدَّةً تزيد عن ثمانية وعشرون سنة، فقام بعمارتها من إرشاد لعباد الله وتدريس للعلوم ولا سيما درس التفسير التي كان مواظبا عليه[3]، ودرس الحديث الشريف للبخاري والموطأ. كما عكف على تدريس كتاب المواهب اللدونية بالمنح المحمدية، وكتب التصوف. يقول عنه الشيخ بكارة بلهاشمي أنه كان :"مرشدا بحاله ومقاله، ومعلما بأقواله وأفعاله"[4]. كان يحضر دروسه جماعة من أعيان علماء معسكر كالشيخ محمد بن الدايج، والشيخ البشير بن الحسين، والشيخ بلهاشمي بن الطيب، والشيخ بكارة بلهاشمي، وشقيقه الشيخ العربي بن عبد الله[5]. توفي رحمه الله ليلة الأربعاء 29 ذي القعدة 1341هـ الموافق لـ 10 جويلية 1923م[6] عن سن جاوز السبعين سنة، فعمّر الزاوية من بعده أخوه الشيخ الحاج العربي بن عبد الله فقام بأمرها وسار على حسب ما كان عليه شقيقه من إرشاد وتدريس إلى غاية وفاته يوم 29 شعبان 1348هـ الموافق لـ 29 جانفي 1930م[7].

تولى مشيخة الزاوية الدرقاوية بعد وفاة الشيخ الحاج العربي بن عبد الله ابن أخيه الشيخ شنتوف عدة[8]، ثم بعده شقيقه شنتوف المختار والذي انتصب للتدريس علوم الدين واللّغة العربية مع الشيخ بكارة بلهاشمي[9]، ثم خلفه الشيخ بوشنتوف ابن الشيخ الحاج

---

(1) بن نعوم صلاح الدين: المرجع السابق، ص 59.
(2) توفي رحمه الله ليلة الاثنين 10 ربيع الأول 1313 هـ الموافق 30 أوت 1895م.
(3) عتبة بن عتبة الجيلاني بن عبد الحكم العطافي: المصدر السابق، ص 389.
(4) بكارة بلهاشمي: المصدر السابق، ص 161.
(5) المصدر نفسه، ص 170.
(6) عتبة بن عتبة الجيلاني بن عبد الحكم العطافي: المصدر السابق، ص 389.
(7) المصدر نفسه، ص ص 389، 390.
(8) بكارة بلهاشمي: المصدر السابق، ص 161.
(9) A.N.O.M – 2U 17, Notice de Renseignements Concernant le nommé : Chentouf MoKhtar ould Abdelkader, 03/02/1938, N° 01.

العربي بن عبد الله [1]، والذي واصل تدريس علوم الدين بها إلى أن توفي سنة 1965[2].

اهتم مشايخ الزاوية إلى جانب نشاطهم الديني والعلمي باقتناء الكتب حتى شكلوا مكتبة غنية ضمّت أمهات الكتب في التفسير والفقه والتصوف والتوحيد، واللغة والنحو، والتي أصبحت مراجع للطلبة والمدرسين لتحضير دروسهم نذكر منها: نُسخ القرآن الكريم، مختصر خليل، المكودي على الألفية، الصُغرى للسنوسي، صحيح البخاري، مختصر صحيح مسلم للنووي... الخ، هذا فضلا عن الكتب التي ألفها بعض مشايخها، منها ثلاثة عشر تأليفا للشيخ بن عبد الله شنتوف معظمها في علوم القوم، ككتاب "حادي العشاق ومثير الأشواق في الصلاة على صاحب البراق"، وكتاب "فتوح أكمام الزهر في تشبيه الصوفية بأهل بدر"، وله تأليف في العقائد التوحيدية سماه "العروى الوثقى"[3]، كما كان لابنه الشيخ العربي شنتوف أربع تآليف على الأقل، أبرزها: "الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى الحجاز"، "نور الإنسان في الرحلة إلى الغوث بتلمسان"، "رسالة تعطير الأنفاس لإخواننا من أهل فاس"، "العقد الصحيح المنتظم في العقيدة"، هذا دون احتساب القصائد من المراثي والمدائح، كذا الرسائل الصوفية والفتاوى وغيرها[4].

2. الزاوية القادرية بمدينة معسكر:

تعتبر من أهم الزوايا في مدينة معسكر تأسست في حدود سنة 1910 بالحي العتيق باب علي في مبنى يعود ملكيته للشيخ شنتوف عدة، والذي منحه لمريدي الطريقة القادرية لتأسيس زاويتهم[5].

عرفت الزاوية شهرة واسعة في عهد الشيخ بن نعوم محمد بن مصطفى الذي عين مقدما عليها في ثلاثينيات القرن العشرين، حيث كان يقصدها الصغير والكبير لحفظ القرآن الكريم وعلوم اللغة والدين حتى وصل عدد طلابها إلى 200 طالب[1].

---

[1] بكارة بلهاشمي: المصدر السابق، ص 161.
[2] بن نعوم صلاح الدين: المرجع السابق، ص 65.
[3] المرجع نفسه، ص ص 60، 61.
[4] المرجع نفسه، ص 63.
[5] A.N.O.M – 2U 06, Commissaire Central de Mascara, 22/04/1939, N° 569.

والشيخ محمد بن نعوم هو من نسل الولي الصالح سيد أحمد بن علي، ولد سنة 1902م بغريس قرب مدينة معسكر، تتلمذ على يد شيوخ كبار حفّظوه القرآن الكريم ثم لقّنوه علوم الدين رفقة مجموعة من الطلبة منهم محمد الثابتي وإمام المسجد الكبير سي الهاشمي، وقد استمر بالنبوغ في علم النحو والصرف فتمكن من الألفية لابن مالك والأجرومية حفظا وفهما، كما تمكن من الفقه خاصة الفقه المالكي[2].

والجدير بالذكر أنّ الشيخ محمد بن نعوم منذ توليه شؤون الزاوية أولى عناية خاصة بها، إذ حرص على إعمارها وتجهيزها بما تحتاجه من مستلزمات الراحة للطلبة كالأفرشة، والمأكل، والمبيت وغيرها، وهو ما تشير إليه أحد الرسائل التي وجهها الشيخ بن نعوم إلى كل من عامل عمالة وهران، ومدير الشؤون الأهلية يطلب منهما تزويد الزاوية بالسجاد حيث جاء فيها:" نحن المسمى بن نعوم سي محمد بن مصطفى رئيس الزاوية القادرية والإمام بها والمدرس بها تطوعا، وجميع من انتسب إلى الزاوية القادرية بمعسكر من الإخوان ما يزيد عن مائتي تلميذ وكلهم يتعلمون بالزاوية المذكورة ويُحَصَّلون فيها. أطلب منكم هدية متمثلة في الزرابي للزاوية لأنها مخصوصة من الفراش وأن جميع التلاميذ يطلبون منك أن لا تخيبوا طلبهم هذا ...لأنهم يتعلمون أمور دينهم بهيئة خسيسة، يعني الجلوس على التراب ..."[3].

غير أنّ الإدارة الاستعمارية قابلت هذا الطلب برفض بسبب التقرير الذي رفعه محافظ شرطة معسكر إلى عامل العمالة، والذي ادعى فيه أنّ الزاوية لا ينقصها شيء لأن الشيخ شنتوف عدة قد أتاح لأتباعها مبنى مجاني مجهز بكل الوسائل اللازمة ومفروش بشكل جيد[4].

بالإضافة إلى ذلك، فقد حمل تقرير محافظ الشرطة عبارة جعلتنا نستوقف عندها ونحسبها من الأسباب الرئيسة التي كانت وراء هذا الرفض وهي كالأتي:" ... في حالة ما إذا

---

(1) A.N.O.M – 2U 06, Lettre du Benaoum Mohamed Ben Mostefa à Préfet d'Oran, 30/03/1939.

(2) الجيلالي محمد: المرجع السابق، ص 41.

(3) A.N.O.M – 2U 06, Op.cit. 30/03/1939.

(4) A.N.O.M – 2U 06, Commissaire Central de Mascara, 22/04/1939, N° 569.

أظهر المعلم اتجاها معينا فلن يتم منح أي شكل من أشكال الإعانات"[1]. وهي إشارة ضمنية خُصّ بها مقدم الزاوية "الشيخ بن نعوم محمد" لأن الأخير كان ينتمي للتيار الإصلاحي في معسكر، وهو التيار الغير مرغوب فيه من طرف الإدارة الاستعمارية.

ومن هنا يلاحظ المرء الصعوبات التي كان يواجهها التعليم العربي الحر سواء في الزوايا، أو في المساجد، أو الكتاتيب القرآنية بسبب نقص الموارد ومصادر التموين، بعدما كان يتغذى في السابق من أموال الأوقاف الخيرية، التي كانت تعتبر المصدر الرئيسي للتكفل بالطلبة ودفع أجور المدرسين وصيانة مختلف هذه المؤسسات، وتجهيزها بما تحتاجه من أغراض.

3. زاوية الشيخ سيدي بوعمران:

أسسها الشيخ عبد القادر بن محمد الصغير البهلولي الخليفي[2] حوالي سنة 1820 بحي سيد علي أمحمد بدعوة من الشيخ سيدي عدة غلام الله، شيخ الطريقة الدرقاوية في تيارت[3]. غير أنها تعرضت للهدم والتخريب سنة 1843[4] من طرف سلطات الاحتلال الفرنسي الذين بنوا على أنقاضها السجن المدني الذي مازال موجودا إلى يومنا هذا، فقام الشيخ بنقل مكان زاويته إلى شارع عين السلطان بحي باب علي أين توجد الآن وواصل نشاطه فيها إلى غاية وفاته سنة 1887 [5].

يعتبر الشيخ عبد القادر بن محمد البهلولي من العلماء الأفاضل في حاضرة معسكر بلغ درجة عليا من التصوف والتربية الروحية، وكانت له اليد الطولى في الفقه والنحو وغير

---

(1) Ibid.

(2) الشيخ عبد القادر بن محمد الصغير البهلولي الخليفي عالم صوفي ولد أوائل القرن التاسع عشر، تتلمذ وأخذ الطريقة الشاذلية على يد الشيخ عدة غلام الله، وبعد وفاته اتصل بالشيخ الموسوم (أو الميسوم) دفين قصر البخاري وأخذ عنه، ثم بعد وفاته أخذ عن الشيخ المشرقي دفين العطاف. ويقول بن عبد الحكم في مرآته أن زاويته كانت فرع من فروع زاوية الحاج بن شرقي. أنظر بوكعبر تقي الدين: تفسير سورة الفاتحة للشيخ أبي رأس الناصري المعسكري من خلال مخطوط الإبريز والإكسير في علم التفسير، دار ألفا للوثائق، الجزائر 2021، ص 83.

(3) جاكر لحسن: نشاط جمعية المسلمين الجزائريين في مدينة معسكر 1931 – 1956، المرجع السابق، ص 70.

(4) في حين يذكر الأستاذ جاكر لحسن أن هدمها وتخريبها كان في سنة 1847م. أنظر جاكر لحسن: المرجع نفسه، ص 70.

(5) صلاح مؤيد العقبي: المرجع السابق، ص 492.

ذلك من العلوم، أخذ الطريقة الدرقاوية الشاذلية على يد عدة مشايخ منهم الشيخ محمد بن أحمد بثنية الأحد[1].

وبعد وفاته خلفه ابنه الشيخ بوعمران البهلولي[2]على رأس الزاوية والتي تحمل اسمه إلى اليوم[3]. وعرفت الزاوية في عهده شهرة كبيرة بعد أن عمّرها بالعلم والقرآن الكريم، حيث دَرَّس فيها النحو بحاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية بن مالك، وقطر الندى، والأصول بالورقات للحطاب، والجامع الصغير في الحديث، إضافة إلى رسالة ابن أبي زيد القيرواني وابن عاشر في الفقه[4].

كما انتصب للتدريس بهذه الزاوية إلى جانب الشيخ بوعمران صفوة علماء مدينة معسكر آنذاك ومنهم: الشيخ بدايج، والشيخ عبد القادر بصديق، والشيخ عبد القادر الوجدي، والشيخ عبد القادر بن عبو، والشيخ عبد القادر بن عبد الله، والشيخ الحاج العربي بن عبد الله[5].

ولا شك أنّ انتقاء مثل هؤلاء العلماء للتدريس بزاوية أبي عمران، ساهم في تخريج أئمة وفقهاء وقامات علمية كبيرة، تركوا بصماتهم واضحة في الحياة الدينية والثقافية والعلمية نذكر منهم: الشيخ قادة بوزيان الزلماطي الذي التحق بها سنة 1909م، ودرس على يد مشايخها القرآن الكريم، ومختلف علوم الدين من فقه وتفسير وحديث[6]، ثم انتقل منها إلى فاس، ثم إلى تونس، ليعود بعدها إلى مسقط رأسه الزلامطة ويتولى شؤون زاويتهم فيها[7]، وأيضا الشيخ دحو قاسمي التقاري الذي درّس فيها القرآن الكريم كمتطوع قبل أن يتولى

---

(1) عتبة بن عتبة الجيلاني بن عبد الحكم العطافي: المصدر السابق، ص310.

(2) الشيخ بوعمران البهلولي هو من مواليد سنة 1859م بمعسكر، تربى في بيئة علمية دينية صوفية محض، إذ وجد في والده مدداً لا ينضب ومعين لا ينفذ، فحفّظه القرآن الكريم، وعلمه أصول اللغة العربية، والفقه، والتفسير، ومبادئ المنطق، ثم بعث به إلى تلمسان لمواصلة دراسته، فتكفل به القاضي شعيب، وسجله بالمدرسة الخلدونية، التي تتلمذ فيها على يد كل من الشيخ مولاي إدريس، والشيخ بن حرشا، والشيخ البغدادي، والشيخ المجاهري، وبعد وفاة والده سنة 1887، عاد إلى مدينة معسكر وتولى شؤون زاوية أبيه. أنظر جيلالي محمد: المرجع السابق، ص 37.

(3) صلاح مؤيد العقبي: المرجع السابق، ص 493.

(4) بوكعبر تقي الدين: المرجع السابق، ص 80.

(5) صلاح مؤيد العقبي: المرجع السابق، ص 493.

(6) جيلالي جلول: المرجع السابق، ص79

(7) عتبة بن عتبة الجيلاني بن عبد الحكم العطافي: المصدر السابق، ص 306.

الإمامة في مسجد سيد علي أمحمد شهر جويلية 1938[1]، والشيخ عدة بن عبد القادر، والشيخ محمد الثابتي[2].

والجدير بالذكر أنّ الزاوية كان لها فروع عديدة نذكر منها زواية الشيخ الحاج محمد الزلماطي الواقعة شرق مدينة معسكر . والتي سيأتي الحديث عنها لاحقا .، وزاوية الشيخ أمحمد البهلولي بدوار البهاليل شمال مدينة البرج . أما عن المريدين والأتباع فيذكر صاحب كتاب "الطرق الصوفية" أن عددهم كثير ويتواجدون في معسكر وخارجها كغريس وضواحيها، والزلامطة والبهاليل بالبرج وأصهارهم، وأصدقائهم مع طريق تيارت، وأولاد سيدي أمحمد بن خالد قرب تخمارت، وأولاد خالد، والفرشة، والفوادي، الأحرار قرب عين الحديد، وفي فرندة، والكرمس بتيارت[3].

وقبل أن نختم الحديث عن هذه الزاوية يجب نذكر دورها في الثورة التحريرية، حيث يقول الأستاذ مؤيد صالح العقبي أن شيخها أبا عمران وبعض طلبته كانت لهم مشاركة فعالة في معركة الجهاد مما جعلهم محل متابعة من طرف السلطات الفرنسية التي أصدرت أحكاما بالإعدام في حق البعض منهم، كما قدمت الزاوية عدداً لا يستهان به من الشهداء من بينهم: غلال زين العابدين، تسنين محمد، عيشوبة محمد، مسلم محمد، بوشكارة الحبيب، بهلول بلجيلالي، بوفادن المختار، بوزيان بن عمر، الزاوي محمد، رحمهم الله جميعا وطيب ثراهم[4].

4. زاوية الزلامطة:

(1) A.N.O.M – 2U18, Notice Signalétique au 31 Décembre 1945- Commissaire Central de Mascara- Mascara 05 Mars 1945.

(2) بوكعبر تقي الدين: المرجع السابق، ص 80.
(3) صلاح مؤيد العقبي: المرجع السابق، ص 494
(4) صلاح مؤيد العقبي: المرجع نفسه، ص 494

تقع بقرية الزلامطة التي تبعد بإثنان وثلاثون كيلومتر تقريبا عن مدينة معسكر، أسسها الحاج محمد عزايز بإذن من شيخه الحاج محمد الشرقي[1] شيخ الطريقة الدرقاوية الشاذلية بالعطاف، حيث أقام فيها مدرسة للقرآن الكريم ومدرسة لتدريس الفقه والنحو، ورتب فيها مُدّرسين لتدريس هذه العلوم [2].

والشيخ محمد عزايز من تلاميذ الشيخ عبد القادر بن محمد الصغير البهلولي صاحب الزاوية البوعمرانية في معسكر، ولما مات شيخه صار مصاحباً ومحباً لابنه الشيخ أبا عمران البهلولي، كما كان محمد عزايز تلميذا لشيوخ مشهورين في زمانه مثل الشيخ محمد بن أحمد صاحب المقام المعلوم قرب ثنية الحد، والشيخ الحاج ابن الشرقي[3].

وبعد وفاته سنة 1934م خلفه ابنه الشيخ عبد القادر بن الصغير وهو أحد تلاميذ العلامة الحاج قدور بن العروسي[4]، والذي توفي هو الأخر بعد والده بأربعين يوما، فعمرها بعده أخوه ابن الشرقي[5].

تولى مشيخة الزاوية فيما بعد الشيخ قادة بوزيان الزلماطي[6] الذي كان من العلماء والفقهاء الأجلاء المشهود لهم بالعلم والاستقامة والصلاح، وقد عرفت الزاوية في عهده ازدهارا

---

(1) الشيخ محمد الشرقي: هو الحاج ابن الشرقي العطافي داراً الإدريسي نسباً، صاحب زاوية العطاف ورئيس الصوفية في وقته، ولد 1239 هجرية، حفظ القرآن الكريم ببلدته "العطاف" على يد الشيخ ابن العربي. وقد نشأ الشيخ ابن الشرقي منذ صغره على الخلق الحسن والعبادة، كما أخذ الطريقة الشاذلية عن الشيخ سيدي عدة بن غلام الله بواسطة مقدمه الشيخ محمد البعبيدي، وعن الشيخ الموسوم صاحب قصر البخاري، وعن الشيخ محمد بن أحمد باندات بثنية الأحد، اشتغل بواجب الطريقة وقضى عمره بالتدريس في زاويته فانتفع به خلق كثير. أنظر الهاشمي بن بكار: المصدر السابق، ص 162.

(2) عتبة بن عتبة الجيلاني بن عبد الحكم العطافي: المصدر السابق، ص 386.

(3) المصدر نفسه، ص ص 386، 387.

(4) الشيخ قدور بن العروسي: عالم فاضل وفقه مربي ولد سنة 1878 بدوار العرايسية التابع لبلدية البرج قرب معسكر، حفظ القرآن برواية ورش، كما أخذ الفقه علي يد الشيخ البشير بن الحسين ببرج ولد المخفي، ثم سافر بعدها إلى زاوية العطاف ودرس بها الفقه والنحو والصرف وعلم الكلام والبيان والميزان وغير ذلك من العلوم، ولما أجيز انتقل إلى الزلامطة وتولى التدريس بزاويتها، ثم رجع إلى قبيلته وأسس مدرسة علمية، فدرّس بها وتخرج على يده الكثير من الطلبة. أنظر عتبة بن عتبة الجيلاني بن عبد الحكم العطافي: المصدر السابق، ص ص 415، 416.

(5) المصدر نفسه، ص ص 186، 187.

(6) الشيخ قادة بوزيان الزلماطي من مواليد سنة 1896م بقرية المحايد بلدية الزلامطة، حفظ القرآن الكريم وبعض المتون في الفقه واللغة على يد والده الشيخ بوزيان، وفي سنة 1909م انتقل إلى زاوية الشيخ بوعمران البهلولي بمعسكر لمواصلة تعليمه، فقرأ فيها الفقه والتفسير والحديث، وفي سنة 1912 انتقل للتعلم على يد مفتي مدينة معسكر الشيخ موضح بن الصديق عبد القادر، وربما كان ذلك بالمسجد الكبير الذي كان يمارس فيه الشيخ موضح مهنة التدريس والإفتاء معا، وبعد

ونشاطا كبيرا حيث كان يدرّس بها القرآن الكريم ومختلف الفنون والعلوم كالتفسير والحديث واللغة [1] مما جعل طلاب العلم يقصدونها من جميع الجهات للأخذ عنه والاستفادة منه، يقول عنه السيد أحمد جلول البدوي وهو أحد المعاصرين له:" أنّ الشيخ قادة بوزيان الزلماطي كان علامة عصره في اللغة والتفسير والحديث والوعظ والجدل والكلام، وقد جلس للتدريس والوعظ في الزاوية والطلبة محيطون به، ... فكان يحضر مع طلبته العلماء والأعيان ... لسماع مواعظه التي بلغت شهرتها في ذلك العهد مبلغا عظيما"[2].

تخرج على يده جل أبناء منطقته، إضافة إلى العديد من فقهاء وأئمة معسكر منهم: الشيخ العربي بوعمران، والشيخ علي غاني إمام مسجد المبايعة، وأخوه دحو غاني، والعلامة الشيخ محمد الثابتي[3].

بالإضافة إلى نشاطها التعليمي كانت للزاوية نشاط اجتماعي يتمثل في مساعدة الفقراء والمساكين، وإيواء العجزة وعابري السبيل، كما كانت قبلة للمتخاصمين من أجل فض نزاعاتهم، وهو ما يؤكده الأستاذ جيلالي جلول في "النفيس" بقوله:" ... تبين لي أن زاوية الزلامطة قامت بأعمال جليلة حيث صانت الشريعة الإسلامية وساعدت الفقراء وأطعمت الجائعين... ومنعت المواطنين المتخاصمين من اللجوء إلى المحاكم الفرنسية، فكانت المحكمة هي زاوية الزلامطة، حيث كان الشيخ الحاج قادة بوزيان القاضي بين المسلمين المتخاصمين فيحل المنازعات ويسوي الخلافات بالمصلحة والتسامح"[4].

أن أخذ عن شيوخ معسكر المشهورين سافر طلبا للعلم إلى القرويين بمدينة فاس والتي مكث بها 04 سنوات، ثم انتقل منها إلى الزيتونة بتونس والتي بقي بها 05 سنوات ليعود بعد هذه الرحلة العلمية الطويلة إلى مسقط رأسه الزلامطة ويتولى شؤون زاويتها إلى غاية سنة 1957 وهي السنة التي قامت فيها السلطات الاستعمارية بتخريب الزاوية وغلقها وإتلاف جزء كبير من المخطوطات والكتب المتواجدة في خزانتها، فاضطر الشيخ قادة الزلماطي إلى الانتقال لمدينة وهران وأسس زاوية أخرى هناك والتي لم تنجوا هي الأخرى من المضايقات الإدارة الفرنسية. توفي رحمه الله في جانفي 1965 بمدينة وهران ودفن بروضة أجداده ببلدية الزلامطة. أنظر: بوكعبر تقي الدين: المرجع السابق، ص ص 72، 73. وجيلالي جلول: المرجع السابق، ص 79، 80.

[1] جيلالي جلول: المرجع السابق، ص 81.

[2] جيلالي جلول: المرجع نفسه، ص ص 82، 83.

[3] بوكعبر تقي الدين: المرجع السابق، ص 73.

[4] جيلالي جلول: المرجع السابق، ص 76.

فضلا عن ذلك، فقد ساهمت الزاوية مساهمة فعالة في دعم ثورة التحرير الكبرى، حيث تحولت إلى ملجأ للثوار والمجاهدين، وقام شيخها آنذاك بدور هام في شحذ نفوس الشباب وإلهاب الروح الوطنية فيهم للالتحاق بها، وهو ما جعلها محل احترام وتقدير من قبل مسؤولي الثورة بالمنطقة، كما كان الشيخ قادة بوزيان في اتصال مع كبار قادتها مثل مصطفى اسطنبولي والشيخ عيشوبة، وشارك بطلب منهم في كتابة الرسائل واصدر الفتوى في بعض المسائل المتعلقة بها، وفي سنة 1957 انكشف أمره للسلطات الفرنسية ففرّ إلى وهران، حينها قامت القوات الفرنسية بغلق الزاوية، وتشريد طلبتها، وإتلاف كنوزها من المخطوطات والتآليف[1].

5. زاوية الشيخ أحمد ابن الحبيب بسيدي قادة:

أسسها الشيخ أحمد بن الحبيب بن يحي الملقب "سي القليل" في ببلدة سيدي قادة الواقعة على بعد عشرين كيلومتر من مدينة معسكر، وهي تنتمي إلى الطريقة القادرية التي عرفت انتشارا واسعا في منطقة معسكر[2].

وتذكر المصادر أن الشيخ أحمد بن الحبيب هو سليل أسرة شريفة من أبيه وأمه، يتصل نسبه بالحسن بن علي – رضى الله عنهما– وفاطمة بنت رسول الله – صلى الله عليه وسلم[3]– وهو من مواليد سنة 1860 بدوار المنايحية التابع لبلدة سيدي قادة، حفظ القرآن في سن مبكر بمسقط رأسه على يد طُلْبَة من بلدة تفيلالت بالمغرب الأقصى فأتقنه غاية الإتقان، ثم أضاف له بعض المتون والقصائد الشعرية. انتقل بعدها إلى مدينة البرج فتتلمذ على يد

---

(1) بوكعبر تقي الدين: المرجع السابق، ص 74.

(2) أرشيف مديرية الشؤون الدينية والأوقاف لولاية معسكر- مصلحة الإرشاد الأوقاف والزكاة، ملف الزوايا، زاوية الشيخ أحمد ابن الحبيب، رقم جرد الوثيقة 2020/11.

(3) ذكر ابن عبد الحكم العطافي نسبه على النسق التالي:" هو أحمد بن الحبيب بن عبد القادر بن يحي بن عبد القادر بن عبد القادر بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر المعروف بـ"قادة" بن أحمد بن المختار بن عبد القادر بن أحمد ابن خدة وهي مرضعته بن امحمد ابن عبد القوي بن علي ابن أحمد بن عبد القوي بن خالد بن يوسف بن أحمد بن بشار بن محمد بن مسعود بن طاوس بن يعقوب بن عبد القوي بن أحمد بن ادريس بن ادريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وفاطمة الزهراء رضي الله عنها بنت رسول الله صلى عليه وسلم. أنظر الجيلاني بن عبد الحكم العطافي: المصدر السابق، ص 419.

الشيخ المختار بلعروسي، الذي أخذ عنه العلوم الدينية واللغوية[1]، ومن البرج توجه "سي القليل" إلى زاوية العطاف لمتابعة دراسته فأتقن فيها الفقه، والنحو، وعلم الكلام على يد شيخها الجيلاني بن عبد الحكم العطافي، ولما أجيز عاد إلى بلدته سيدي قادة وقام بتأسيس زاويته التي عمرها بالعلم والقرآن الكريم[2]، حيث درّس طلبته التفسير والفقه وعلم الفرائض واللغة، كما كان يلقنهم الورد في طريقة الشيخ عبد القادر الجيلاني[3].

تخرج على يده الكثير من الطلبة منهم الشيخ الجيلالي بن طاهر، الشيخ بوشنتوف ولد الشيخ أرماص، الشيخ محمد الثابتي، الشيخ بومدين بن فريحة، الشيخ بن دوبة، والشيخ الجيلالي بن عمار، والشيخ عبد القادر شايب الذراع[4].

ظل الشيخ أحمد بن الحبيب مدرسا ومرشدا وواعظا بزاويته إلى غاية وفاته في 27 ديسمبر 1960[5].

6. زاوية الدراويش الدرقاوية "زاوية الشيخ سي البشير":

تأسست الزاوية في عهد الأمير عبد القادر (حوالي سنة 1840م)، على يد الشيخ علي بن محمد بن السنوسي الأعرج بن الهاشمي المدعو "الشيخ علي الأقرع"، من أحفاد الولي الصالح سيد أحمد بن علي الغريسي الثعباني الحسيني، الجد الجامع للعرش[6].

والشيخ سيدي علي بن محمد، هو من أعيان القرن 19م، أخذ الطريقة الدرقاوية الشاذلية عن شيخه سيدي عدة بن غلام الله البوعبدلي بزاويته الكائنة بتيارت[1]، وصفه ابن عمه العلّامة محمد ثابتي السحنوني بشيخ الواصلين [2].

---

(1) جيلالي جلول: الشيخ سيدي أحمد بن الحبيب بن يحي، جريدة الجزائري، العدد 96، بتاريخ 08 ماي 2000، ص 11.
(2) الجيلاني بن عبد الحكم العطافي: المصدر السابق، ص 419.
(3) المصدر نفسه ص 388.
(4) جيلالي جلول: المرجع السابق، ص 11.
(5) المرجع نفسه.
(6) أ.م.ش.د.ل.م – زاوية الدراويش الدرقاوية، رقم جرد الوثيقة 2020/04.

تقع زاويتة ضمن مجال غريس الشراقة حسب التقسيم الجغرافي لتلك الفترة، في المكان المسمى أولاد سيدي عبد الله بدوار الدراويش التابع لبلدة تغنيف الواقعة في الجنوب الشرقي لولاية معسكر [3].

تداول على مشيختها أحفاد مؤسسها الشيخ علي الأقرع، بداية من ابنه الشيخ عبد القادر، ثم الشيخ مصطفى بن عبد القادر، ثم الشيخ أحمد بن العربي بن عبد القادر، ثم ابنه الشيخ سي البشير سلطاني. علما أن الزاوية توقف نشاطها لبعض الوقت لما مات الشيخ أحمد بن العربي بن عبد القادر، ليستأنف فيما بعد ابنه الشيخ سي البشير سلطاني[4] مشيختها حيث سهر على عمارتها الاهتمام بها[5].

لم تخرج زاوية الدراويش عن الخط الذي رسمته الزوايا العلمية لنفسها منذ عهد مؤسسها الأول الشيخ علي بن محمد بن السنوسي وإلى غاية وفاة شيخها سي البشير سلطاني سنة 2003م، فقد قامت بأدوار كثيرة وفي مجالات مختلفة، دينية وتربوية وتعليمية واجتماعية.

- **دورها الديني والتعليمي:**

تعتبر الزاوية مركزا دينيا وعلميا بامتياز، فهي مسجد للمصلين، ومدرسة للمتعلمين، ومأوى للطلبة المسافرين، ألقى شيوخها ومعلميها دروسا في الفقه (مختصر خليل، والرسالة لأبي زيد القيرواني)، وعلوم القرآن الكريم، والعقيدة الأشعرية (جوهرة التوحيد)، والنحو، وهذا بعد الهدف الأول وهو تحفيظ القرآن الكريم ، تخرّج منها فقهاء وأئمة، ارتقى بعضهم للمشيخة كالعلامة الشيخ بن عبد الله بن عبد القادر شنتوف، صاحب الزاوية الدرقاوية الشنتوفية

(1) مقابلة شخصية مع محمد بن نعوم "مقدم الزاوية وأمين مكتبتها في عهد الشيخ سي البشير سلطاني" في بيته، يوم الثلاثاء 08 جوان 2021.

(2) محمد ثابتي، شجرة نسب أولاد سيدي احمد بن علي، مخطوط بخزانة السيد أحمد ثابتي، معسكر، ل 24 وجه/ 24 ظ.

(3) أ.م.ش.د.ل.م – زاوية الدراويش الدرقاوية، المرجع السابق.

(4) الشيخ البشير سلطاني هو من مواليد 1926/12/10 بتغنيف، درس القرآن الكريم والضروري من علوم الدين على يد والده، كما أخذ الفقه عن الشيخ محي الدين بن الطيب، وعلوم اللغة عن الشيخ البشير الثابتي والموطأ وعلوم الحديث عن الشيخ علي بن الجيلالي، وجميعهم من مشاييخ المنطقة. أنظر أرشيف مديرية الشؤون الدينية والأوقاف لولاية معسكر، حياة البشير سلطاني، 2003/09/06، الوثيقة رقم 857.

(5) محمد بن نعوم، الشهادة السابقة.

بمعسكر، الذي أخذ الطريقة الدرقاوية الشاذلية على يد مؤسس الزاوية الشيخ علي لقرع بن محمد[1].

- **دورها الاجتماعي:**

اشتهرت الزاوية في الوسط المعسكري بدورها الاجتماعي الكبير، خاصة في الصلح بين المتخاصمين، وقد عُرف بذلك الشيخ سي البشير، الذي شهد له الجميع بفك الخصومات بالحكمة والموعظة الحسنة، وكان له من التقدير والاحترام والجاه ما جعل الكل يُجيب رسالته ويقبل وصيته ورأيه.

من جانب آخر، كان دور الزاوية الاجتماعي يتمثل أيضا في مساعدة المحتاجين وعابري السبيل، وعقد الأنكحة والمعاملات...الخ[2].

7. زاوية مولاي محمد بن البغدادي:

قام بتأسيس هذه الزاوية الشيخ مولاي عبد القادر بمنطقة مجاهر (حجاج) في عهد دولة الأمير عبد القادر، وكانت تدرس القرآن الكريم وعلومه والسنة النبوية الشريفة، وفي فترة الاحتلال الفرنسي حولها ابنه مولاي محمد بن البغدادي إلى ناحية تاخمارت، وبالضبط في المنطقة المسماة وادي العبد، وواصلت نشاطها التعليمي التربوي كما كانت في أول أمرها، ثم نُقل مقرها مرة أخرى إلى دوار سيدي عبد الجبار ببلدة وادي الأبطال جنوب معسكر[3].

تعاقب على مشيخة الزاوية وإدارتها أحفاد المؤسس، وهم كالتالي: مولاي محمد بن البغدادي ثم مولاي الحاج بن محمد حتى الاستقلال، ثم خلفه ابنه السيد مولاي بن شريف

(1) أ.م.ش.د.ل.م – زاوية الدراويش الدرقاوية، المرجع السابق.
(2) م.ش.د.ل.م – زاوية الدراويش الدرقاوية، المرجع السابق.
(3) أ.م.ش.د.ل.م – زاوية مولاي محمد بن البغدادي، رقم جرد الوثيقة .IGPI/12/2020

ابن الحاج حتى مطلع القرن الحالي، ساهم هؤلاء المشايخ في تخريج عدة دفعات من حفظة القرآن الكريم من معسكر ومن المناطق المجاورة كسعيدة ومستغانم[1].

8. زاوية الشيخ نجم الدين سيدي بن يحي الحسني:

توجد هذه الزاوية في دوار أولاد سيدي عبد الله بالمحاميد التابع لبلدة الحشم الواقعة على بعد 30 كيلومتر جنوب مدينة معسكر، وقد أسسها الشيخ نجم الدين سيدي بن يحي سنة 1850، وهو من تلاميذ الشيخ سيدي عدة بن غلام الله والذي أخذ عنه الطريقة الدرقاوية الشاذلية[2].

وبعد وفاته سنة 1293هـ/ 1875م تكفل بها ابنه الشيخ إبراهيم، ثم من بعده الشيخ المرسلي ابن الشيخ إبراهيم، ثم الشيخ محمد بن نابي.

وقد أسست الزاوية ككل الزوايا لتحفيظ القرآن وتدريس العلوم الدينية واللغوية لأبناء المنطقة وما جاورها من القرى والدواوير، بالإضافة إلى ما كانت تقدمه من خدمات اجتماعية كمساعدة الفقراء والمحتاجين، والفصل في الخصومات التي تقع بين الناس، كما كانت كذلك مركزا للمجاهدين خلال الثورة التحريرية[3].

9. الزاوية البوتشيشية القادرية:

تأسست الزاوية البوتشيشية في نهاية القرن التاسع عشر بدوار الطيايبة التابع لبلدة المامونية القريبة من مدينة معسكر، وهي تنتمي للطريقة القادرية. أسسها الشيخ محمد الصوفي الحسني بإذن من شيخه بومدين بن منور بوتشيشي، الذي أصبحت تنسب إليه[4].

---

(1) المرجع نفسه.
(2) أ.م.ش.د.ل.م – زاوية نجم الدين سيدي بن يحي، رقم جرد الوثيقة 2020./05
(3) المرجع نفسه.
(4) أ.م.ش.د.ل.م – زاوية البوتشيشية، رقم جرد الوثيقة 2020/07.

وحسب بعض الروايات فإن الشيخ بومدين بوتشيش هو من كان يشرف عليها، وبعد وفاته سنة 1955 تم تعيين الشيخ محمد السوفي . كان طالبا عنده الشيخ بومدين بوتشيش ومن المقربين له . مقدما على الزاوية، فقام بتسيير شؤونها على أكمل وجه، حيث كان يُدرِّس بها القرآن الكريم والفقه وأصول الدين، وتخرج على يده الكثير من الطلبة منهم الشيخ أحمد قشيش.

ومما يجدر ذكره أن زاوية الطيايبة البوتشيشية كان لها فرع بالمحمدية، أطلق عليه اسم الزاوية الشقرانية، وقد أسسها الشيخ محمد الصوفي أثناء زيارته للمدينة، والتي أوكل شؤونها للشيخ أحمد قشيش بعد أن نصبه مقدما عليها[1].

إلى جانب هذه الزوايا التي ذكرناها نجد زوايا أخرى لا تقل أهمية عن سابقتها، حيث تورد لنا الوثائق الفرنسية نماذج عن بعضها والتي كانت منتشرة في أنحاء بلدية كاشرو المختلطة، كزاوية سيدي عبد الرحيم في البرج، وزاوية سيدي عبد الجبار في واد حداد، وزاوية سيدي عبد الرزاق في المحاميد، وزاوية سيدي قادة بلمختار في نسمط[2] وغيرها من الزوايا التي تطول القائمة بسردها.

وفي الأخير يتضح لنا مما سبق ذكره، أن الزوايا بمعسكر في مجملها قامت بدور هام في الحفاظ على الهوية والشخصية الوطنية وثوابتها الأساسية: الدين، واللغة، كما أثمرت جهودها تكوين أجيال عديدة من المتنورين المحافظين، حيث يكفيها فخرا أنها وفرت لمساجد وجوامع معسكر خيرة الحفاظ لكتاب الله العزيز، وخيرة الأئمة الذين تصدوا للإمامة والتدريس بها. كما دفعت بعدد كبير منهم إلى مواصلة دراستهم بالمعاهد والجامعات الكبرى في الوطن العربي، كالزيتونة بتونس، والقرويين بفاس، والأزهر الشريف بمصر، وببلاد الحجاز.

---

(1) أ. أ.م.ش.د.ل.م – زاوية البوتشيشية، المرجع السابق.

(2) A.N.O.M – 16 H 74, Op.cit. 04/01/1936 – N°51.

المبحث الثالث: الكتاتيب القرآنية ونشاطها التعليمي والديني:

تعتبر المدارس القرآنية إحدى المؤسسات التعليمية التي تنتمي إلى منظومة التعليم الديني والشرعي[1]، وقد ظلت لفترات زمنية طويلة الحلقة الأولى والأساسية التي ينهل منها الطالب في بداية مشواره مبادئ القراءة والكتابة، وحفظ القرآن الكريم[2].

تُعرف هذه المدارس بالكتاتيب أيضا وهي عبارة عن قاعات صغيرة تابعة للمساجد أو الزوايا، أو غرفٍ من منزل، أو بناية مستقلة حوّلها أصحابها إلى مدرسة (كُتّاب)[3]. أثاثها مكون من حصير مصنوع من الحلفاء أو الدوم، ومجموعة من الألواح الخشبية، وأقلام من القصب، وكمية من الصلصال والصمغ، وجرار للماء، ومجموعة مصاحف، وبعض الكتب الفقهية، وكتب النحو والصرف والسير ونحوها[4].

وقد عرفت الكتاتيب انتشارا واسعا في كامل مدن وقرى الجزائر، حيث لا يكاد يخلوا منها شارع، أو حي، أو قرية، كما شهدت إقبالا كبيرا عليها، حيث كان يؤمها معظم الأطفال تقريبا[5] الذين تتراوح أعمارهم مابين السادسة والرابع عشرة سنة[6].

أما فيما يتعلق بآليات وطرق التدريس المنتهجة فيها، فهي منقسمة إلى مرحلتين رئيسيتين. المرحلة الأولى يتعلم فيها الأطفال الحروف الهجائية ويتوجب عليهم كتابتها على اللوح، مع تحفيظهم بعض الصور القصار كسورة الفاتحة، والإخلاص، والكوثر بالترديد الجماعي بعد سماعها من المُعلم. لينتقل بعدها التلاميذ إلى المرحلة الثانية والتي يعتمدون

(1) عصامي سكينة: آليات ومناهج تعليم الكتاتيب بالجريد التونسي، مجلة البحوث التاريخية، المجلد الثاني، العدد الأول، ص 114.

(2) صبحي حسان: العقيدة التربوية الاستعمارية الفرنسية في الجزائر 1830 – 1962، دار أنوار المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر 2013، ص 261

(3) صبحي حسان: المرجع نفسه.

(4) الطالب عبد الرحمن بن أحمد: الكتاتيب القرآنية بندرومة من 1900 إلى 1977، ديوان المطبوعات الجامعية 1983، ص 17.

(5) الطالب عبد الرحمن بن أحمد: المرجع نفسه، ص 18

(6) أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي (1830 – 1954)، ج01، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي 1998، ص 278.

فيها على أنفسهم في كتابة وحفظ السور حتى يأتون على كل سور القرآن الكريم وأحزابه، ويقوم المعلم في هذه المرحلة بتعليمهم المبادئ الأولية في الفقه والتوحيد بالإضافة إلى الحساب[1].

ولابأس أن نقدم مثالا عن ذلك، حيث يورد لنا بولسكي (Polsky) وصفا حيا لطريقة التعليم داخل أحد الكتاتيب التي زارها فيقول:" إنّ حصة الحفظ (يقصد تعليم القرآن) تجري في مدرسة صغيرة مفتوحة على الشارع. الأرض مغطاة بالحصير والتلاميذ يجلسون عليها متربعين. ويقف المؤدب وسطهم بعصا في يده. وللتلاميذ ألواح خشبية يكتبون عليها بأقلام مبراة من القصب. وهم يكتبون من إملاء المؤدب. وبعد أن يطلع المؤدب على ما كتبوا، يقرؤون جميعا بصوت عال. إن هناك الكثير من الضجيج في هذه المكاتب (يعني أصوات الأطفال وهم يقرؤون). وقلّما يفقد المؤدب صبره، وقلّما يستعمل العصا، وله شخصية مهابة، والتلاميذ غالبا ما يظهرون الحماس والاهتمام... إن هناك علاقة متينة وثقة متبادلة بين المؤدب والتلاميذ... وعلاقة والود والاحترام بين المؤدب والتلميذ تستمر مدى الحياة ولا تنتهي بالخروج من المدرسة"[2].

وللإشارة، فإن هذه المؤسسات رغم بدائيتها ومحدودية طرق التدريس فيها، إلا أنها احتلت مكانة هامة ومرموقة لدى الجزائريين، لما قدمته من أعمال جليلة في خدمة لاالدين الإسلامي، وحماية اللغة العربية من الاندثار، والتصدي لآفة الأمية،لا لا فقد كانت تثقف وتربي الأطفال على قواعد الإسلام وعلى نمط اجتماعي محدد، من خلال تحفيظهم للقرآن الكريم الذي هو أساس الثقافة الإسلامية. وتعليمهم مبادئ العلوم والقراءة

(1) بلال ريم: الدور التربوي للمؤسسات الدينية قبل وبعد الاستعمار الفرنسي، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، العدد الثاني، جوان 2012، ص 157.
(2) أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 03، المرجع السابق، ص 41.

والكتابة حتى تحفظ لسانهم من العجمنة، وهي أيضا تساهم في إعطاء الطفل رصيدا من المعارف التي تساعده على شق طريقه في المجتمع بعد خروجه منها[1].

ونظرا لأهميتها ودورها الكبير في تعليم الناشئة، فقد قام مسلمي معسكر بالاهتمام بها وتأسيس العديد منها، حيث أصبحت المدينة وضواحيها تعج بمثل هذا النوع من المؤسسات. فلا نكاد نجد زاوية أو مسجد بدون كُتّاب ومعلم لتعليم الصبيان القرآن الكريم ومبادئ القراءة والكتابة، ناهيك عن المدارس القرآنية التي كانت تابعة لبعض الأسر، والتي كانت تحمل إسم الشخص أو العائلة التي أنشأتها. ومن الكتاتيب التي انتشرت في المدينة نذكر:

- مدرسة الشيخ سرير الحاج عبد الرحمن، مقرها شارع التجارة بحي باب علي، افتتحت سنة 1917 وضمت ثلاثين تلميذا، اشتملت هذه المدرسة على حجرتين، ونافذة، ومدخلين.
- مدرسة الشيخ غداب أحمد، افتتحت عام 1911، كانت تقع بالشارع الكبير (الأمير عبد القادر) بحي باب علي، ثم حولت إلى بيت عائلة قاضي بشارع بن عمر سنة 1917، ضمت حوالي 18 تلميذا من أبناء الحي.
- مدرسة تابعة لعائلة بن شنان، وتقع بشارع التجارة، تأسست في جوان 1916 تحت إشراف الشيخ مقدم عبد القادر ولد محمد[2].
- مدرسة معاشو محمد ولد الموفق، توجد هي الأخرى في شارع بن عمر بحي باب علي، افتتحت أبوابها للطلبة شهر مارس 1932 بعد حصول صاحبها على رخصة من الإدارة الفرنسية، والتي طالبته فيها بالامتثال لجميع الالتزامات التي يحددها المرسوم المتعلق بفتح المدارس الخاصة الصادر في 18 أكتوبر 1892، أهمها:

1. أن تستقبل المدرسة سبعة طلاب فقط.
2. أن يكون عمر الطلاب في سن الدراسة.
3. أن تكون ساعات التدريس خارج أوقات الدراسة في المدارس العامة[3].

---

(1) أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 01، المرجع السابق، ص 279.
(2) جاكر لحسن: الحركة الوطنية الجزائرية .... المرجع السابق، ص ص 76 - 77.
(3) A.N.O.M -2U17, Rapport Préfet d'Oran, 02/03/1926, N°445.

- مدرسة فريمهدي بن زرقة، تأسست في جانفي 1932 بشارع سيدي علي الشريف في حي باب علي، وتذكر تقارير الأرشيف الفرنسي أن مؤسسها – فريمهدي بن زرقة– من مواليد دوار المحاميد التابع لبلدية كاشرو المختلطة، وقد انتقل إلى معسكر سنة 1926 حيث أقام في حي "باب علي" العتيق، وهناك قدم طلبا للإدارة الاستعمارية بفتح مدرسة قرآنية يعلم فيها الأطفال الصغار القرآن الكريم، وحسب ذات التقارير فإن الإدارة وافقت على طلبه ومنحته رخصة لذلك بالتاريخ المذكور أعلاه[1].
- مدرسة لعائلة عزوط الواقعة بشارع الخوارزمي بحي باب على، تأسست في حدود 1937 واستمرت إلى غاية 1962، كان يُدّرس الطلبة ويؤم الناس فيها الشيخ عبد القادر حبالي المدعو بن حبالي، وقد تردد عليها العديد من الشيوخ منهم الشيخ الورغي الحاج محمد، ومن تلاميذتها العربي مقايز، والشيخ الجيلالي موفق الذي أمّ الناس فيها أيضا. حولت بعد الاستقلال إلى مكتب للمنظمة المدنية لجبهة التحرير الوطني[2].
- مدرسة الشيخ بدوي دحو المدعو بلعبيد الدّحاوي[3]، تقع بشارع بن سينا (وادي اللوز سابقا)، تعد من أهم المدارس القرآنية بالمدينة، حيث ضمت طلبة القرآن من كل جهات الغرب الجزائري وحتى من الجنوب المغربي، وهذا ابتداء من سنة 1942، وقد تخرج منها ما يزيد عن 500 طالب[4].
- مدرسة الشيخ إدريس بلمختار[5]، تعرف بمدرسة "236نا ندح"، وهو اسم صاحبها، وصفه الأستاذ محمد الجلاّلي بالعلامة التقي البارع، كان طلبته يحترمونه ويوقرونه، ومن ميزاته أنه كان قبل صلاة الفجر يذهب إلى بيوت طُلاّبه ويطلبهم من أوليائهم ويصطحبهم معه إلى الكُتّاب مصطفين خلفه حتى يصلوا إلى المسجد، فيصلي

---

(1) A.W.O – Boite 4064, Rapport de Sous Préfet du Mascara à Préfet d'Oran, 29/01/1932, N° 593.

(2) شهادة الأستاذ عزوط محمد إبن صاحب المدرسة القرآنية، تاريخ المقابلة 27 فيفري 2019، الساعة الحادية عشرة وثلاثون دقيقة.

(3) الشيخ بدوي دحو من مواليد سنة 1889 بمعسكر ينتهي نسبه إلى جده عبد الرحمن (سيدي دحو)، وهو ابن أخ الشيخ دحو البدوي أحد أعلام المنطقة. حفظ القرآن الكريم في مسقط رأسه "معسكر" ثم انتقل إلى المغرب الأقصى فتعلم على يد مشايخه العلوم الدينية، وقبل أن يعود إلى معسكر قام بالتدريس في المغرب مدة عشر سنوات كاملة، وبعد عودته أسس مسجدا ومدرسة قرآنية حملت اسمه. أنظر جلالي محمد: المرجع السابق، ص 39، .40

(4) جلالي محمد: المرجع نفسه، ص 40.

(5) الشيخ إدريس بلمختار من مواليد سنة 1850 بمعسكر، والمتوفى بها يوم 27 نوفمبر 1931.أنظر: جلالي محمد: المرجع السابق، ص 62.

الجميع صلاة الفجر جماعة وهو إمامهم، وبعد ذلك تبدأ الدراسة حتى الساعة العاشرة صباحا، ويستأنف بعد الظهر حتى العصر، وبعد العصر حتى المغرب. وقد تخرج على يده عدد كبير من الطلبة الذين قاموا بدورهم تعليم القرآن الكريم، منهم الشيخ الأخضر الزنبي، والشيخ أحمد الجلاّلي بلجلالات[1].

إضافة إلى هذه المدارس قرآنية الخاصة، فقد عرفت المدينة وجود مدارس وكتاتيب أخرى كانت تابعة للمساجد والزوايا ككُتّاب الجامع الكبير، ومسجد المبايعة، وكُتّاب مسجد سيدي علي أمحمد، وكُتّاب مسجد الزيتونة، وكُتّاب زاوية الشيخ بوعمران، والزاوية القادرية، والزاوية الدرقاوية، والتجانية وغيرها، فكلها مساجد وزوايا أولت اهتماما بالغا بتعليم القرآن الكريم وتحفيظه.

غير أن الملاحظة التي يمكن أن يبديها المرء بخصوص هذه الكتاتيب هي تواجد معظمها في حي باب علي، فكل شوارعه تقريبا كان يوجد بها كُتّاب أو أكثر مثلما هو الحال في شارع التجارة (الخوارزمي حاليا)، والشارع الكبير (الأمير عبد القادر حاليا)، وشارع سيدي علي الشريف، شارع سيدي أحمد بن حسان، ولا غرابة في ذلك إذا علمنا أن الحي كان يحمل بين جنباته شيوخ وعلماء أجلاء ينتمون إلى عائلات علمية ودينية عريقة، مثل عائلة الشيخ شنتوف، وعائلة بن بكار، وعائلة بن نعوم، وعائلة جلالي، وعائلة عبد الوهاب ولد أحمد (عائلة بلقرد)، وعائلة بن حواء وغيرهم كثير.

لم يقتصر وجود المدارس القرآنية (الكُتّاب) على المدينة فحسب، بل كانت منتشرة في كافة بلديات ودواوير معسكر، خاصة بلدية معسكر المختلطة التي ضمت عدد كبير منها، قدرت حسب الوثائق الصادرة عن الأرشيف الفرنسي سنة 1903 بحوالي 102 مدرسة مرخصة وغير مرخصة، وما يزيد عن 861 تلميذ. وهو ما سنسعى إلى توضيحه من الجدول التالي:

[1] المرجع نفسه، ص ص 62، 63.

جدول (20): يوضح انتشار المدارس القرآنية في بلدية معسكر المختلطة خلال سنة 1903[1]:

اسم الدوار أو البلدية	أسماء المدارس الخاصة الإسلامية	أسماء المدرسين	عدد الطلبة	تاريخ منح رخصة فتح المدرسة
الفراڤيق	لا تحمل اسم	شعالة الحبيب ولد عبد القادر	09	1901
	//	رقيبة عبد الله ولد الحاج	04	//
	//	بن شنان دحو ولد محي الدين	05	//
	//	البشير أحمد بن حبيب	08	//
	//	مداح محمد ولد عبد القادر	14	منذ 20 سنة
	//	مغربي أحمد بن أحمد	06	1902
	//	معروف عبد القادر بن جلول	06	1901

[1] A.W.O – 4064 – Etat des écoles privées musulmanes tenues par des Maitres indigènes dans le commune Mixte de Mascara – L'Administrateur, Mascara le 27 Juin 1903.

عين فكان	//	عجال عبد القادر بن محمد	08	1901
	//	بوزبوجة بن جلول	10	//
	//	العربي بلحسين	03	1901
قرجوم	//	دراوي محمد بن محمد	09	1902
	//	قنيش علي بن عبد القادر	08	1896
	//	عابد أحمد بن محمد	08	1899
	//	درعي الهاشمي بن الحاج	07	1887
	//	درار أحمد بن أحمد بن عمار	06	1882
	//	قريش أحمد بن أحمد بن بشير	08	1892
	//	شقرون حبيب بن أحمد	10	1902
	//	صبري جلول بن علي	02	1902
	//	زرار علي بوزيان	07	1892
	//	مغربي أحمد بن عبد السلام	07	1893
	//	مغربي فضيل بن عبد السلام	13	//
	//	محمد بن علي	08	1902
سيدي بوحنيفية	//	تميمي علي بن مختار	06	تنشط بدون رخصة منذ فترة طويلة
	//	بولنوار عبد القادر ولد الحاج	10	//

	//	بوشط محمد ولد بلعسل	11	//
	//	بوسطلة الميلود بن الحاج	04	//
	//	حسني بوبكر بومدين	05	//
	//	حميميدي لخضر بن حنفية	06	//
	//	بلڤ محمد بن عاشور	07	//
	//	بوجلال عبد السلام	06	//
	//	طنجي أحمد بن جيلالي	03	//
	//	جفال محمد بن عبد القادر	.	//
	//	غردين محمد بن أحمد	15	//
	//	شايب الذراع عبد القادر بلهاشمي	08	//
	//	بن جابر محمد بن بومدين	08	//
القيطنة	//	طويل محمد بن أحمد	09	تنشط بدون رخصة
	//	بوشنتوف محمد بن عدة	04	//
	//	بن صواق أحمد بن صوان	10	//
	//	جلال الحاج ولد قادة	05	//
	//	بن داهة عبد القادر	12	//

		بن محمد		
	//	مرابط بوعلام ولد بوعلام	03	//
	//	بلزرڤ مصطفى	05	//
	//	صدمي دحو	04	//
	//	بن عطية الطاهر بلخير	11	//
	//	بونجار محمد بن مصطفى	12	//
	//	بصايم عبد القادر بن الحبيب	10	//
	//	زياني بن صالح بن الحاج	20	//
	//	منين الطاهر بن زماعشي	10	//
	//	بوشنتوف بن رحماني	12	//
البنيان	//	نجار محي الدين بن علي	07	//
	//	بورملة علي بن يحي	08	//
	//	شنوي بن يحي بن أحمد	12	//
	//	شرقي قدور بن محمد	05	//
	//	هيشور عبد القادر بن عربي	06	//
	//	مكاوي صحراوي بلمكي	05	//

	//	غريب على بن محمد	17	//
	//	بربار أحمد بلعربي	02	//
	//	شارف قدور بن يحي	15	//
	//	ڤورارياًحمد بن مختار	05	//
	//	شارف	02	//
	//	خدير الحبيب بن ويس	02	//
	//	بوجمعة بوجمعة بن موسى	04	//
فروحة	زاوية	بن ثابت عبد القادر بن عبد القادر	10	//
	زاوية	منقور عبد القادر ولد محمد	15	//
	مدرسة سيدي المداني	يقاش عبد القادر بن محمد	10	//
	//	مراحي عبد القادر بن محمد	10	//
حجاجة	لا تحمل اسم	فيلالي بوشعيب بن عربي	16	//
زلاڤة	//	لعمش جبور بومدين	10	بدون رخصة منذ 03 سنوات
	//	عبد المجيب أحمد بن محي الدين	16	بدون رخصة منذ 04 سنوات
	//	كبير قادة بن نكروف	05	بدون رخصة منذ 06 سنوات
ملغيز	//	جديري الحاج	06	بدون رخصة

		مصطفى بوزيد		
	//	لزرڤ قدور بن دحو	02	//
بني نسيغ	//	جياد محمد بن محمد	20	بدون رخصة منذ سنتين
سيدي بن موسى	//	سنوسي عبد القادر	06	بدون رخصة
		بوزبوجة محمد بن جيلالي	08	//
		يخو عبد القادر	05	//
		ماحي ميلود بن أحمد	04	//
سيدي دحو	قبة سيدي دحو	رويعي مختار بن محي الدين	17	//
	//	حساين الحاج مصطفى	12	//
	//	دريني بن الشيخ بن عمار	14	//
	//	محمد الجيلالي	05	1901
	//	قدور بن محمد	03	1902
بني خنيس		شاطبي محمد بن سنوسي	06	بدون رخصة
		بلاني دحو بن على	08	//
ماقضة		مراكشي عبد القادر بن ديدة	02	1901
		هزيل الحبيب بن محمد	02	1901
		مازوني محمد بن أحمد	03	1901
		بودربالة محي الدين	04	1901

		الهواري		
البحورات		محمد بن علي	04	بدون رخصة ويشتغل منذ فترة طويلة
أولاد السعيد		حميدي محمد ولد الميلود	08	//
عين الدفلة		بوطالب بن عبد القادر	04	1901
		عمار قدور بلحاج	05	1899
		لحسن بن محمد	09	1900
ماوسة		شرقي محمد بن شرقي	22	بدون رخصة منذ 1901
		عبد الرحمن بن أحمد	08	بدون رخصة منذ 1900
		تامي محمد بن عبد القادر	18	بدون رخصة منذ 1901
		الحاج أحمد مصطفى بن عبد القادر	05	بدون رخصة منذ 1883
سجرارة		ويس الطاهر ولد الجيلالي	12	بدون رخصة
		سماير حمادوش بن عمار	11	//
		بودية محمد بن معمر	13	//
		مدرس محمد بن شيخ	06	//
		خلال محمد بن قدور	10	//
		مخلوفي الحاج البشير بن جيلالي	08	//

		درار علي بن محي الدين	07	//

وفي قراءة سريعة للجدول أعلاه يمكن استنتاج بعض الملاحظات أهمها:

1. انتشار الكتاتيب في جميع قرى ودواوير المنطقة، وهذا يدل على الحرص الشديد للسكان على تعليم أبنائهم القرآن الكريم واللغة العربية باعتبارهما المكون الأساسي للشخصية الجزائرية الإسلامية، ونواة هامة للمقاومة الثقافية، كما يؤكد على التصدي لسياسة التجهيل التي كانت ترمي إليها الإدارة الاستعمارية.
2. صمود بعض المدارس واستمرارها في أداء وظيفتها التعليمية لأكثر من عقدين من الزمن رغم المضايقات والرقابة الشديدة المفروضة عليها من السلطات الفرنسية، نذكر منها على سبيل المثال مدرسة سي مداح محمد ولد عبد القادر بدوار الفراقيف والتي يزيد عمرها عن 20 سنة، ومدرسة الحاج أحمد مصطفى بن عبد القادر بماوسة وعمرها 20 سنة أيضا، ومدرسة درار أحمد بن أحمد بن عمار بدوار قرجوم والتي يعود تاريخ تأسيسها إلى 1882.
3. وجود عدد كبير من المدارس الغير مرخصة، والتي كانت في نظر الإدارة الاستعمارية تنشط بشكل غير قانوني، حيث فاقت نسبتها 75% من مجموع المدارس الموجودة في بلدية معسكر المختلطة. ويعود ذلك بالأساس إلى رفض الإدارة الفرنسية تسليم أصحابها رخصا لفتحها للحد من توسعها وانتشارها وإبطال مفعولها.
4. التفاوت في عدد التلاميذ من كُتّاب لأخر، حيث نجدهم في بعض الكتاتيب لا يزيد عن تلميذين (02) فقط، فيما يصل العدد في بعضها الأخر إلى أكثر من عشرون تلميذا، ويمكن أن نربط علاقة هذا التفاوت بمساحة وحجم هذه الكتاتيب، فالبعض منها يقع في حُجَرة صغيرة تكون طاقة استعابها أقل من تلك التي تتكون من غرفة كبيرة أو غرفتين.

كما يعود ضعف الإقبال على المدارس القرآنية إلى الإجراءات التي اتخذتها الإدارة الاستعمارية. ففي سنة 1859 أصدرت الحكومة العامة مرسوما يقضى بتحديد عدد

الكتاتيب والتلاميذ الملتحقين بها وذلك بهدف تقليص نشاط التعليم العربي الحر، وتحويل تلاميذ هذه الكتاتيب إلى المدارس العربية الفرنسية.

5. وجود عائلات اشتهرت بالتعليم القرآني، على غرار أسرة مغربي التي كان لها مدارس في ڤرجوم والفراڤيف. ونخص بالذكر "مغربي أحمد بن عبد السلام" الذي أشرف على مدرسة بدوار ڤرجوم مكونة من سبعة (07) طلبة، وشقيقيه "مغربي فضيل بن عبد السلام" الذي كان يدير هو الأخر مدرسة بنفس الدوار تحوي ثلاثة عشرة (13) طالبا، وابن عمهما "مغربي أحمد بن أحمد" القائم على مدرسة بدوار الفراڤيف تضم ستة (06) طلاب.
6. تمركز المدارس القرآنية بشكل كبير في أربع مناطق رئيسية وهي: القيطنة (14 مدرسة)، بوحنيفية (13 مدرسة)، البنيان (13 مدرسة)، قرجوم (12مدرسة). في حين نجد دواوير أخرى مثل البحورات وحجاجة وبني نسيغ التي كانت لا تضم إلاّ مدرسة واحدة.

وخلاصة القول فإن هذه الكتاتيب رغم بدائيتها والحالة التي كانت عليها، إلاّ أنها لعبت دورا أساسيا في تحفيظ القرآن الكريم ونشره وتعميمه بين أبناء المنطقة، وتعليم مبادئ اللغة العربية وترسيخها لدى الناشئة، فهي بذلك تعتبر شكلا من أشكال المقاومة الثقافية ضد الجهل والأمية وشيوع الثقافة الفرنسية. كما تعد مرحلة هامة تسمح للطالب الالتحاق بالمساجد الكبرى والمعاهد لاستكمال دراسته في شتى العلوم الدينية اللغوية.

المبحث الرابع: واقع التعليم الفرنسي الرسمي :

المقصود بالتعليم الفرنسي هو التعليم الذي كانت تشرف عليه الإدارة الفرنسية سواء كان باللّغة الفرنسية أو العربية أو باللّغتين معا، وسواء كان تعليما منفصلا بين أبناء المستوطنين وأبناء الجزائريين أو مندمجا.

وقبل الحديث عن تفاصيله وحيثياته في معسكر في الفترة ما بين (1900–1945) رأينا من المفيد التطرق إلى التطورات التي شهدها هذا النوع التعليم في القرن التاسع عشر، لإعطاء هذا الموضوع الهام والحساس حقه من الدراسة، وأيضا حتى تستكمل الصورة لدينا وتتضح أبعاد السياسة التعليمية الفرنسية وأهدافها.

1. التعليم الفرنسي الرسمي ما بين 1830 – 1900:

تفيد الدراسات التي أعدت بشأن التعليم الفرنسي الرسمي بأن الإدارة الفرنسية في بداية الاحتلال لم تقم بأي جهد يُذكر لتعليم الجزائريين سواء في مدينة معسكر بعد احتلالها سنة 1841، أو في المدن الجزائرية أخرى، باستثناء العاصمة التي أنشأت فيها سنة 1836 المدرسة الحضرية – الفرنسية للحضر من سكان مدينة الجزائر[1]، والتي استقبلت عند افتتاحها ستون تلميذا حسب تقرير وزير الحربية الفرنسي[2].

وقد ظل الوضع على ما هو عليه، إلى غاية تولي الجمهوريين الحكم في فرنسا سنة 1848 بقيادة لويس نابليون الذي سمح بتنظيم تعليم خاص بالأهالي في جميع مستوياته، ووضعه كبديل للتعليم العربي الحر، فجاءت بذلك فكرة تأسست المدارس "العربية – الفرنسية".

(1) أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 03، المرجع السابق، ص 284.

(2) Mourice Poulard : L'Enseignement Pour les Indigène en Algérie, Imprimerie Administrative Gojossou, Alger 1910, P 84.

أُنشئت هذه المدارس بموجب المرسوم الرئاسي الصادر بتاريخ 14 جويلية 1850، بناءً على تقرير وزير الحربية الموجه إلى رئيس الجمهورية. حيث نص المرسوم على إنشاء عشر مدارس ابتدائية ست منها للذكور أربع للإناث في كل من الجزائر العاصمة، ووهران، وعنابة، وقسنطينة، ومستغانم، والبليدة[1]. كما أعطى المرسوم الحق للحاكم العام بتأسيس مدارس مماثلة في مدن أخرى عندما يرى ذلك ضروريا[2].

وبناءً على ذلك تم بناء مدرسة عربية فرنسية في معسكر سنة 1866، بعد موافقة وتصويت المجلس البلدي برئاسة رئيس البلدية ليون لافاي (Leon Lafaye) والمحافظ المدني على مشروعها سنة 1855، ثم المجلس العام سنة 1859. وقد قدرت تكلفة إنجازها بـ: 6060 فرنك[3].

والجدير بالذكر أن مدرسة معسكر كانت مثلها مثل بقية المدارس العربية الفرنسة الأخرى يؤطَّرها معلمان أحدهما فرنسي والذي يشغل منصب مدير المدرسة في نفس الوقت، والأخر جزائري مساعدا له، يعينان من طرف الوالي العام باقتراح من عامل العمالة. أما برنامج التدريس فيها فيتألف من ثلاث مواد رئيسية هي اللّغة العربية، واللّغة الفرنسية، والحساب باللّغة الفرنسية[4].

وحسب بعض الدراسات فإن المدرسة كانت تضم ثلاثون تلميذا عند افتتاحها [5]، وهو عدد ضئيل جدا مقارنة بعدد الأطفال من سكان معسكر الذين هم في سن الدراسة، كما أن عدد هؤلاء على قلتهم أخذ يتراجع إلى أن أصبح 15 تلميذا في أكتوبر 1871[6]، ويعود ذلك

---

(1) عبد القادر حلوش: سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر 2010، ص 50.

(2) Mourice Poulard : Op.cit. P 87.

(3) جاكر لحسن: المرجع السابق، ص 63.

(4) عبد القادر حلوش: المرجع السابق، ص 51.

(5) جاكر لحسن: المرجع السابق، ص 63.

(6) Conseil Général d'Oran, Exposé du Préfet (Rapports sur les divers services), Oran 1872, P12.

بالأساس إلى رفض الجزائريين التعليم الفرنسي خوفا من تجريدهم من هويتهم العربية الإسلامية وإدماجهم وربطهم بمصير الأمة الفرنسية.

كما تفيدنا والوثائق الأرشيفية الفرنسية على قيام السلطات المحلية ببناء مدرسة "عربية – فرنسية" أخرى بدوار البرج التابع لبلدية كاشرو المختلطة سنة 1885، بتكلفة قدرها 20 ألف فرنك[1]. غير أن بناء هذه المدرسة تزامن مع صدور مرسوم 30 أكتوبر 1886 الذي يقضي بإلغاء المدارس العربية – الفرنسية[2] بدعوى أنها مهجورة وغير مُتردد عليها، وأنها لا تؤدي خدمات مفيدة، ولكونها أيضا تشكل عبئا ماديا ثقيلا على البلديات[3].

وهكذا يبدوا مما سبق أن المدارس العربية الفرنسية بمعسكر لم تقدم أي إضافة في ميدان التعليم للجزائريين، فبغض النظر إلى العدد القليل جدا من التلاميذ الذين التحقوا بها، فإننا قد نجد معظمهم من العائلات النافذة أو المقربة للإدارة الاستعمارية وذلك حسب تعبير أبو القاسم سعد الله الذي يقول:" لا تحسبن أنّ هذا التعليم كان مفتوحا للجميع فالديمقراطية لم تكن معروفة. والتعليم إنما أنشئ لخدمة اللغة الفرنسية في البلاد. ولم يكن من مصلحة الفرنسيين أن يفتحوا المدرسة الابتدائية المحدودة لكل الأطفال الأبرياء... لذلك فإن التعليم هنا كان مفتوحا فقط لأبناء الأعيان والعائلات التي خدمت فرنسا أو التي تتعامل معها. أما العائلات التي حاربتها أو تلك المجهولة فلا مكان لأطفالها في المدارس العربية – الفرنسية"[4].

وفي الوقت الذي ضيقت فيه السلطات الفرنسية على الجزائريين وحرمتهم من التعليم، قامت بفتح عدة مدارس لأبناء الأوربيين بمدينة معسكر، كان أبرزها مدرسة ألكسندر الثالث

---

(1) L'indépendant de Mascara, 21/06/1885, N° 105.

(2) رابح دبي: السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر ودور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الرد عليها (1830 – 1962) دراسة نظرية تحليلية، أطروحة دكتوراه في علوم التربية، قسم علم النفس وعلوم التربية والأرطفونيا، جامعة الجزائر 02، 2010، ص 59.

(3) عبد القادر حلوش: المرجع السابق، ص 130.

(4) أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص 337.

للبنين (مدرسة بوسيف المختار حاليا) التي افتتحت سنة 1874، ومدرسة البنات (مدرسة بكارة بلهاشمي حاليا) التي تم افتتاحها في 01 أكتوبر 1894[1].

كما أنشئت مدارس مماثلة في ضواحي المدينة والمراكز الاستيطانية الأخرى، مثلما هو موضح في الجدول التالي[2]:

الجدول (21): يوضح أهم المدارس الابتدائية في معسكر قبل سنة 1900.

المراكز الاستطانية	المدارس الابتدائية	سنة التأسيس
سانت هيبوليت (المامونية)	مدرسة مختلطة	1872
عين فارس	مدرسة مختلطة	1879
عين فكان	مدرسة البنين	1873
	مدرسة البنات	/
ديبلينو (حسين)	مدرسة البنين	1858
	مدرسة البنات	1891
فروحة	مدرسة مختلطة	1875
ماوسة	مدرسة مختلطة	1877
مطمور	مدرسة مختلطة	1884
تيارفيل (غريس)	مدرسة البنين	1879
	مدرسة البنات	/
تيزي	مدرسة مختلطة	1884

المصدر: A.W.O – Boite AP 114 à 123

(1) Conseil Supérieur de Gouvernement, Procès-verbaux des délibération et Expoe de la Situation Générale de l'Algérie (situation de l'enseignement en Algérie Pour L'année Scolaire 1894 – 1895) , Session de Mare 1896, P 41.

(2) A.W.O – AP 114 à 123, Annuaire de l'Education Nationale du Département d'Oran (Ap 122), Année 1954.

من خلال قراءتنا للجدول أعلاه يتضح مدى حرص السلطات الاستعمارية بمعسكر على خدمة التعليم الفرنسي الموجه لأبناء الجالية الأوربية، وذلك ببناء مدارس لهم في معظم المراكز الإستطانية على الرغم من قلتهم فيها. فحسب الإحصائيات الرسمية فإن عددهم كان لا يزيد عن 100 أوربي في الكثير من هذه المراكز نهاية السبعينات من القرن التاسع عشر، كفروحة مثلا التي كان يقطنها 90 أوربي فقط سنة 1874[1]، وماوسة 85 ساكن أوربي خلال نفس السنة[2]، تيارفيل (غريس) 67 ساكن أوربي فقط، وعين فارس71 عائلة أوربية[3].

وعلى أية حال فإن الفرنسيين خلال هذه الفترة استمروا في تطبيق سياستهم التعليمية الرامية إلى تعليم أبنائهم وتوفير جميع الشروط الضرورية لهم على حساب الجزائريين الذين ظلت نسبتهم في المدارس الفرنسية جد ضعيفة. مما دفع بهم إلى التمسك بالتعليم العربي الحر الذي استطاع أن يمنحهم قدر معين من المعارف الدينية واللغوية.

2. التعليم الفرنسي الرسمي ما بين (1900 – 1945):

لقد مر التعليم الفرنسي الرسمي بمعسكر خلال هذه الفترة بمرحلتين رئيسيتين المرحلة الأولى من 1900 إلى 1925، والمرحلة الثانية تمتد من 1925 إلى غاية 1945.

- **المرحلة الأولى (1900 – 1925):**

في الواقع أن هذه المرحلة كانت شبيهة بالمرحلة التي قبلها، حيث ظل التعليم الابتدائي الموجه للجزائريين من أبناء معسكر خلال هذه الفترة شبه معدوم، ويعود ذلك إلى عدم وجود مدرسة ابتدائية خاصة بهم، ورفض السلطات العمومية استقبالهم في المدارس الفرنسية –

(1) M. Nouvion : Situation au 31 Décembre 1878 du département d'Oran au point de Vue de la Colonisation des Nouveaux Villages de la constitution de la Propriété chez les Indignes, Imprimerie Heintz, Artus, Oran 1879, P 50.
(2) Ibid. P 52.
(3) Ibid. P 57.

باستثناء فئة قليلة منهم – بحجة الاكتضاض، أوعدم تلقيهم التلقيح، وقلة نظافتهم، وسوء أخلاقهم[1]. حسب زعمهم ..

كما ظلت خطوات التقدم في مجال التعليم بطيئة جدا بسبب العراقيل التي كان يضعها مسؤولو الإدارة ورؤساء البلديات، وهو ما يظهر من خلال تماطل السلطات المحلية في بناء مدرسة أهلية في حي باب علي، خاصة إذا علمنا أن مشروع المدرسة الأهلية قد تمت الموافقة عليه من طرف المجلس البلدي مع بداية سنة 1897[2]، لكن ذلك لم يتجسد إلاّ بعد عام 1925[3].

وهنا ينبغي الإشارة إلى أن المجلس البلدي وعلى رأسه رئيس البلدية[4] لم يبد أي اهتمام بشأن ترقية التعليم الجزائري بالرغم من وجود مراسيم سابقة كمرسوم 1883، ومرسوم 1887 تجبر إدارة البلديات على بناء مدارس ابتدائية للأهالي، وتؤكد على إجبارية التعليم وإلزاميته[5].

ظل الإهمال المتعمد من طرف السلطات الفرنسية هو السمة البارزة لهذه المرحلة. فخلال زيارة الحاكم العام لمدينة معسكر سنة 1913 استغل المستشار البلدي السيد بن عبورة فرصة وجوده وقدم له مجموعة من المطالب تخص التعليم والانتخابات وأمور أخرى، لكن الحاكم العام تجاهلها وردّ عليه رداً غير لائق قال فيه:" عليكم بتثقيف أنفسكم وعندما يكون لديكم ثقافتنا وعقليتنا سنقوم بإنصافكم"[6].

([1]) le Progrés de Mascara – 19/10/1901, N° 750.
[2] Journal Général, 23/02/1897- N° 1277.
[3] A.W.O, Boite AP 114 à 123, Op.cit. P 22.
[4] من أبرز الشخصيات التي تولت رئاسة البلدية خلال هذه الفترة لويس مارتين (Louis Martin) الذي شغل هذا المنصب ما بين (1912 – 1929).
[5] Maurice Poulard : Op.cit. PP 100, 101.
[6] le Temps : 17/05/1913 – N°18061.

ولا شك أن هذا الخطاب التمييزي العنصري الذي صدر من أعلى مستوى قد أثار حفيظة الجزائريين من أبناء معسكر الذين احتجوا بشدة على هذه التصريحات في الصحافة الفرنسية، حيث علّق أحدهم على ذلك في جريدة (le Temps) قائلا:" إن هذا الخطاب يا سيدي يجعلنا غير محترمين ويحرجنا كثيرا ... يجب أن تعلم بأننا ندفع الضرائب بشكل مبالغ فيه، والبلدية لديها ميزانية قدرها 400 ألف فرنك، وسنكون ممتنين لها إذا حصلنا على حصتنا من ذلك، لكن يبدوا أن هذا لن يكون ممكنا إلاّ عندما نصبح على قدر كبير من التعليم والثقافة. ولكن أين نتعلم؟ هل تعلم كم يوجد من مدرسة في حي باب علي الذي يبلغ عدد سكانه 11000 نسمة؟ لا يوجد أية مدرسة، ومنذ عشرين سنة والبلدية ترفض بناء مدرسة في الحي"[1].

بالإضافة إلى ذلك نشرت الجريدة مقالا أخر لأحد الأوربيين بتاريخ 03 جوان 1913، ينتقد فيه تصريحات الحاكم العام ويقول أن هذا الأخير اختار الوقت الخطأ والمكان الخطأ لدعوة الجزائريين إلى التعلم قبل المطالبة بحقوقهم، وكيف يقومون بذلك وهم لا يملكون مدرسة خاصة بهم؟ وحتى المدارس الأوربية المتواجدة في المدينة خصصت قسمين فقط للتلاميذ الجزائريين الذين يتطلب منهم الأمر قطع مسافة طويلة مشيا على الأقدام للوصول إليها[2].

وعلى أيه حال فإن الفرنسيين استمروا في إهمال التعليم الخاص بالجزائريين وجعلوه يسير بخطى بطيئة جدا عكس ما كان عليه التعليم الأوربي، وهو ما يمكن أن نوضحه من خلال بعض الأرقام والإحصائيات والتي تكشف لنا عن الفرق الشاسع في عدد الناجحين في امتحان شهادة الدراسات الابتدائية لكل من الأوربيين والجزائريين بمختلف المدارس الابتدائية المتواجدة في دائرة معسكر.

---

(1) le Temps : 17/05/1913 – N°18061.
(2) Ibid. 03/06/1913 – N°18062.

الجدول (22): يبين عدد التلاميذ الناجحين في شهادة الدراسات الابتدائية من الأوربيين والجزائريين في مدارس دائرة معسكر لسنة 1910 [1].

المدرسة	عدد التلاميذ الناجحين	الجزائريين	الأوربيين
مدرسة ألكسندر الثالث للبنين (معسكر)	16	03	13
مدرسة البايلك للبنين (معسكر)	06	03	03
مدرسة جان دارك الخاصة للبنين (معسكر)	05	00	05
مدرسة البنات بمعسكر	23	02	21
مدرسة خاصة للبنات (معسكر)	01	00	01
مدرسة تيزي للبنين	03	00	03
مدرسة تيارفيل للبنين	02	01	01
مدرسة تيارفيل للبنات	01	00	01
مدرسة واد تاغية للبنين	01	01	00
مدرسة وادي تاغية للبنات	01	00	01
مدرسة سانت أندري (خصيبية) للبنين	03	01	02
مدرسة عين فكان للبنين	01	00	01
مدرسة سونيس (خلوية) للبنين	01	00	01
مدرسة أوزيس لوديك للبنين	04	00	04
مدرسة أوزيس لوديك للبنات	02	01	01
مدرسة (Mercier Lacombe)	07	00	07
مدرسة مطمور المختلطة	03	00	03
مدرسة البرج للبنات	01	00	01
مدرسة ماوسة للبنات	01	00	01
مدرسة وادي تاغية للبنات	01	00	01

[1] Le Réveil de Mascara, 25/06/1910, N° 2533.

مدرسة باليكاو (تغنيف) للبنات	02	01	01
مدرسة خاصة مرسيه لاكومب (Marcier Lacoube)	01	00	01
المجموع	**86**	**13**	**73**

يلاحظ من خلال الجدول أن عدد الجزائريين الذكور الناجحين في شهادة الدراسات الابتدائية ضعيف جدا يصل إلى 10 تلاميذ من مجموع الناجحين (86 تلميذ) بنسبة تقدر بـ: 11%، أما الإناث فكانت نسبتهم أضعف بكثير حيث لم تتجاوز 03% من مجموع الناجحين، وهو ما يؤكد مرة أخرى بأن حظ الجزائريين في الدراسة كان ضئيل ولا يتناسب إطلاقا مع تطور عدد السكان وعدد الأطفال الذين هم في سن الدراسة رغم وجود أكثر من 20 مدرسة ابتدائية في دائرة معسكر خلال هذه الفترة.

- **المرحلة الثانية (1925 – 1945):**

عرفت هذه المرحلة وجود نوعين من التعليم الخاص بالجزائريين هما التعليم الإبتدائي والتعليم المتوسط.

أ. التعليم الابتدائي:

تمثل هذه المرحلة الانطلاقة الفعلية للتعليم الابتدائي الأهلي في مدينة معسكر، حيث شهدت المنطقة ولأول مرة فتح مدرستين ابتدائيتين أهليتين في حي باب علي، الأولى للبنين سنة 1925، والثانية للبنات عام 1937[1]، وهو ما سمح بالتحاق عدد معتبر من التلاميذ الجزائريين بهاتين المدرستين، حيث تشير الإحصائيات الفرنسية أن عددهم في مدرسة البنين وصل إلى 350 تلميذ في ثلاثينيات القرن العشرين، ليقفز بعدها إلى 800 تلميذ سنة 1954[2]، أما البنات فبلغ عددهن خلال هذه السنة 525 تلميذة[3].

(1) A.W.O - AP 114 à 123, Op.cit. P 22.
(2) اعتمدنا على إحصائيات سنة 1954 لعدم تمكننا من الحصول على معلومات وإحصائيات شاملة تخص فترة الدراسة .
(3) A.W.O - AP 114 à 123, Op.cit. P 22.

غير أنه يجب القول، أنّ نوع التعليم في هذه المدارس لم يرق إلى مستوى التعليم في المدارس الفرنسية التي كان نظامها التعليمي يتماشى مع القوانين والمناهج المعتمدة في الميتروبول، عكس المدارس الأهلية التي كانت برامجها التعليمية تعتمد أساسا على المبادئ الأولية للغة الفرنسية، وبعض مبادئ الحساب، وعلى الجانب التطبيقي والحرفي والفلاحي في موادها[1] بهدف خلق يد عاملة ذات مهارة لتلبية حاجة الاستعمار المادية[2].

وفضلا عن ذلك، فقد كانت ظروف التمدرس صعبة للغاية بالنسبة للجزائريين، خاصة إذا علمنا أنّ عدد تلاميذ القسم الواحد بمدرسة البنين كان يزيد عن 45 تلميذ[3]، وأنّ غالبيتهم كانوا يعانون الفقر والحرمان، مما دفع بالكثير منهم إلى مغادرة الدراسة في سن مبكرة بسبب عجز الآباء وعدم قدرتهم على تغطية نفقاتهم.

وفي ظل استمرار الوضع على ما هو عليه، قامت إدارة المدرسة سنة 1929 بالإعلان عن حملة لجمع التبرعات لاقتناء ما يحتاجه التلاميذ من لوازم مدرسية وملابس شتوية. وقد لاقت هذه الحملة استحسانا كبيرا من طرف سكان المدينة، حيث ساهم فيها أزيد من 100 شخص من الجزائريين والأوربيين على السواء، في مقدمتهم رئيس بلدية معسكر السيد لويس مارتان (Louis Martin) الذي تبرع بمبلغ 1200 فرنك[4]، والسيد بن عبورة عضو المجلس البلدي بـ: 100 فرنك، والمحامي شكال علي بـ: 100 فرنك، ومونتيرا محي الدين عضو المجلس العام بـ: 50 فرنك، والشيخ شنتوف عدة مقدم الزاوية الدرقاوية بـ: 30 فرنك،

(1) حلوش عبد القادر: المرجع السابق، ص 175.
(2) زياني فاتح: الواقع الاجتماعي والثقافي للمستوطنين الأوربيين في الجزائر (1871 – 1945) وأثره على الأهالي المسلمين، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الأثار، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2020، ص 401.
(3) www.sophyaproductions.com: Mascara C'tait hier .. Avant 1962, Mas/M1, 965.
(4) Le Réveil de Mascara, 07/12/1929, N° 3381.

ومحافظ شرطة معسكر بمبلغ 20 فرنك، والكثير من التجار والملاك والحرفيين والأطباء والموظفين المعروفين على مستوى المدينة[1].

لكن يبقى التساؤل المطروح، هل تكفي هذه المبادرات لتغير واقع التعليم الأهلي وحل جميع مشاكله؟ بطبيعة الحال لا!، فقد استمرت معاناة التلاميذ مع الفقر والاكتظاظ داخل الأقسام، وانعدام شروط النظافة والصحة، والتسرب المدرسي، بل والأكثر من ذلك عدم التحاق الكثير منهم بمقاعد الدراسة، وهو ما اعترف به المندوب المالي السيد باسكال موزيلي (Pascal Muselli) في إحدى جلسات المفوضيات المالية المنعقدة بتاريخ 26 أكتوبر 1932، حيث قال :" ... يجب بذل جهد كبير لأن العديد من الأطفال لا يحصلون على التعليم الذي يستحقونه، لأنهم لا يجدون مكانا لهم في المدارس والدليل على ذلك هو دائرة معسكر التي أتشرف بتمثيلها، حيث نرى للأسف العديد من الأطفال يتجولون في الشوارع ولا يمكن للمدارس الحالية استقبالهم"[2].

وإذا كان هذا هو واقع التعليم بالنسبة للجزائريين في معسكر، فإن الأمر يختلف كليا بالنسبة للأوربيين، فالتعليم الموجه لهم كان متطورا يتماشى ورح العصر، ولم يعرف أية صعوبة، لا مادية، ولا إدارية، ولا مالية، فالميزانية متوفرة دائما سواء من طرف الحكومة العامة، أو من البلدية، ويظهر ذلك جليا في افتتاح هياكل تعليمية جديدة، أضيفت إلى تلك الموجودة سابقا كالمدرسة الابتدائية العليا للبنات (1918)، والمدرسة الابتدائية العليا للبنين (1927)، ومدرسة البايلك للبنات، ودار للحضانة (Ecole Maternelles) في حي العرقوب (1936) وغيرها[3].

(1) Le Réveil de Mascara, 30/11/1929, N° 3380
(2) G.G.A, Assemblées financières Algériennes, Octobre 1932, P 686.
(3) Le Réveil de Mascara, 30/11/1929, N° 3380

ب. التعليم الإعدادي:

يندرج هذا الطور ضمن المرحلة الثانية من التعليم الفرنسي الرسمي، تدوم فترة الدراسة فيه مدة أربع سنوات يتلقى خلالها التلاميذ برنامجا تعليميا عاما وتقنيا يؤهلهم إلى اجتياز امتحان الأهلية أو ما يعرف بـ:" شهادة التعليم الابتدائي العليا"، كما يسمح لهم أيضا بالتسجيل في مسابقة الدخول إلى مدرسة المعلمين.

وبإلقاء نظرة على هذا النوع من التعليم في معسكر نجد أن المدينة كانت وإلى غاية مطلع القرن العشرين لا تتوفر على مؤسسة تعليمية خاصة بهذا الطور، وهو ما حرم الكثير من أبناء المنطقة من استكمال دراستهم، كما أجبر العديد من العائلات الأوربية على إرسال أبنائهم إلى دائرة سيدي بلعباس لمتابعة دراستهم بمدرستها الابتدائية العليا[1].

وقد ظل الوضع على حاله إلى غاية إقدام السلطات الفرنسية على فتح مدرسة ابتدائية عليا للبنات (E.P.S) للبنات سنة 1918[2]، وأخرى للبنين سنة 1927[3]، وهو ما ساهم في ارتفاع عدد التلاميذ المتمدرسين في هذا الطور بشكل ملحوظ حيث تشير الإحصائيات المسجلة سنة 1927 إلى أنّ العدد الإجمالي للتلاميذ بلغ 217 تلميذ منهم 138 تلميذة بمدرسة البنات و79 تلميذ بمدرسة البنين[4]، وقد ارتفع هذا العدد ليصل سنة 1935 إلى 680 متمدرسا منهم 370 تلميذةً و310 تلميذاً[5].

غير أنه يجب القول أنّ عدد التلاميذ الجزائريين كان قليل جدا اقتصر على أبناء العائلات الكبيرة والبورجوازية التي تتكون من الأعيان والقواد والتجار والملاك، وكذلك من أبناء الموظفين لدى الإدارة الفرنسية. وهو ما سنوضحه أكثر من خلال الجدول:

---

(1) Le Progrès de Mascara, 17/11/1908, N° 1161.

(2) جاكر لحسن: المرجع السابق، ص 65.

(3) L'Afrique du Nord, 10/09/1927, N° 332.

(4) Exposé de la situation Générale de Algérie, les année 1927, PP 364, 365.

(5) Ibid.

الجدول (23): يوضح عدد التلاميذ الأوربيين والجزائريين والإسرائليين من البنين والبنات في المدارس الابتدائية العليا بمعسكر ما بين (1928 – 1935)

السنوات	المدرسة الابتدائية العليا للبنين				المدرسة الابتدائية العليا للبنات				المجموع العام
	أوربيين	جزائريين	إسرائيليين	المجموع	فرنسيات	جزائريات	إسرائيليات	المجموع	
1928	56	14	30	**109**	113	/	49	**162**	**271**
1929	111	18	/	**129**	186	/	/	**186**	**310**
1930	118	30	/	**148**	218	/	/	**218**	**366**
1931	112	32	/	**144**	229	/	/	**229**	**373**
1932	112	34	/	**146**	249	/	/	**249**	**395**
1933	137	29	/	**166**	270	02	/	**272**	**438**
1934	279	45	/	**324**	378	01	/	**379**	**703**
1935	244	66	/	**310**	365	05	/	**370**	**680**

من خلال الأرقام المقدمة في الجدول يتبين لنا الفرق الشاسع بين عدد التلاميذ الأوربيين والجزائريين. فالنسبة للذكور كان عدد الأوربيين سنة 1934 يفوق ست مرات عدد الجزائريين الذين لم تتجاوز نسبتهم 13 %، وهي نسبة ضعيفة جدا إذا ما قارنا ذلك بتعداد سكان دائرة معسكر الذي بلغ خلال هذه السنة 114 ألف جزائري، مقابل 23 ألف أوربي فقط.

إن هذه المعطيات الإحصائية تؤكد أمرين هامين: الأمر الأول، هو أن هذه المرحلة من التعليم كانت صعبة الوصول إليها بالنسبة للجزائريين بسبب ظروفهم المادية والاجتماعية فالتعليم في هذا الطور لم يكن مجاني. والأمر الثاني هو أن هذا النوع من التعليم كان موجها لفئة قليلة من الجزائريين، وهي الفئة المحسوبة على الإدارة الفرنسية تعليها وترقيتها.

أما بخصوص البنات فإن نسب الجزائريات تكاد تنعدمن حيث بلغت أعلى نسبة لهن 1.3% فقط سنة 1935. ويمكن أن نبرر ذلك بالإهمال المتعمد من طرف الإدارة الفرنسية التي درست جيدا الخصائص السيسيولوجية للمجتمع الجزائري وتوصلت حقيقة مفادها أن المرأة تعتبر حجر الزاوية للأسرة الجزائرية، وتعليمها سيساهم في اعدد جيل معادي للاستعمار[1].

ومن جهة أخرى فإن عزوف البنات عن الالتحاق بهذه المدارس يعود إلى امتناع الأولياء عن إرسالهن إلى المدرسة الفرنسية بحكم العادات والتقاليد التي تحمي المرأة من القيم الغربية، الغريبة عن مجتمعها[2].

وختاما يمكن القول أن التعليم الفرنسي الرسمي في معسكر لم يكن يتماشى مع متطلبات الجزائريين، لا من حيث العدد الذي ظل ضئيلا جدا، ولا من حيث والوسائل والإمكانيات، فمجموع ما ظهر من المدارس الأهلية لم يتعد ربع المدارس الفرنسية بالمنطقة. كما أن وجودها اقتصر على نطاق جغرافي محدود انحصر في المدينة وبعض المراكز الاستيطانية الكبرى، وإلى جانب هذا كله فإن غالبية الجزائريين الذين التحقوا بهذه المدارس كانوا يغادرونها في سن مبكرة ولا يمكنهم بأي حال مواصلة دراستهم في الأطوار اللاحقة نظرا لظروفهم المادية والاجتماعية الصعبة، وعدم سماح الإدارة الفرنسية لهم بذلك.

---

[1] رابح دبي: المرجع السابق، ص 94.
[2] جاكر لحسن: المرجع السابق، ص ص 66، 67.

المبحث الخامس: النخبة ومساهمتها في النهضة العلمية والثقافية:

كخطوة منهجية واستكمالا لما جاء في مباحث هذا الفصل سنقوم في هذه الصفحات الموالية بتسليط الضوء على بعض عناصر النخبة التي قادت حركة النهضة في معسكر في مطلع القرن العشرين وإلى غاية بداية عقد الأربعينيات، وسيقتصر بحثنا على نماذج من هذه النخبة التي حوت العلماء والمفتيين الرسميين، وبعض رجال الإصلاح التابعين لجمعية العلماء المسلمين، والأساتذة، والصحفيين خريجي المدارس الفرنسية.

إنّ هذه النخبة وإن تعددت مشاربها الفكرية وتوجهاها الإيديولوجية إلا أنها ساهمت جميعها في رفع حجب الجهل والتخلف الذي ضرب أطنابه عقود من الزمن في المجتمع المعسكري، وقامت بإحياء اللغة العربية التي أوشكت على الاندثار والثقافة العربية الإسلامية، وبث الوعي الوطني وترسيخه في نفوس الجزائريين. ومن هذه العناصر التي كانت تزخر بها مدينة معسكر نذكر:

1. الشيخ بكارة بلهاشمي:

هو الشيخ محمد بلهاشمي بن أبي بكر بن عبد القادر بن بكار، مفتي حاضرة معسكر، ورئيس الجمعية الدينية والمدّرس بها[1]، يتصل نسبه بالشيخ سيدي أحمد بن علي الثعباني صاحب المزارة المعروفة بمزارة سيدي أحمد بن علي في إقليم الراشدية قرب معسكر[2].

ولد بكارة بلهاشمي سنة 1900[3] في ضواحي بلدة غريس، حفظ القرآن الكريم كاملا في أول شبابه على يد والده الشيخ أبو بكر بن عبد القادر بن بكار[4]، ثم تاقت نفسه لتحصيل العلوم فانتقل إلى مدرسة الشرفاء بالجامع الأعظم ببلدة سيف، لصاحبها علي بن البشير،

---

(1) صالح مؤيد العقبي: المرجع السابق، ص 726.
(2) بكارة بالهاشمي: المصدر السابق، ص 176.
(3) الجيلالي محمد: المرجع السابق، ص 46.
(4) بكارة بالهاشمي: المصدر السابق، ص 176.

ولما جاوز الأربع سنين بالمدرسة المذكورة كتب له أستاذه الشيخ الحاج المنور إجازة الإذن والشهادة بالنجاح في العلوم التي برع فيها[1] وذلك بتاريخ 01 ماي 1921، بعدما حفظ متن الأجرومية والألفية في علم النحو، ولامية الأفعال في الصرف، ومتن الجوهر المكنون في علم البلاغة، ومتن أبي سعيد في الفلك، ومتن السنوسية ومتن الجوهرة في علم التوحيد، ومختصر خليل في فقه الإمام مالك، وبعض ورقات إمام الحرمين في الأصول، وبعض متن الخزرجية في علم العروض وغيرها[2].

وبعد تخرجه مكث في هذه المدرسة المعمورة خمس سنوات أخرى، ينوب فيها عن شيخه في الصلاة بالجماعة، وفي خطبة الجمعة، ويحضر دروسه ويلقي دروسا معه للطلبة[3]، ليرجع بعدها إلى مسقط رأسه في غريس، فلازم دروس ابن عمه الشيخ عبد القادر بن عبد الله صاحب الزاوية الدرقاوية في حي باب علي بمعسكر. وكان الشيخ المذكور يلقي دروسا في تفسير القرآن الكريم وفي الحديث الشريف للبخاري والموطأ[4]، كما أخذ ورد الطريقة الطيبية الوزانية الشاذلية[5] وهي طريقة أجدده عن الشيخ مولاي علي بن الشيخ عبد السلام الوزاني نزيل طنجة، الذي أذن له بتلقين أورادها، ثم جددها على يد بن أخيه الشيخ مولاي الطيب بن الشيخ مولاي العربي رئيس زاوية وزان[6].

تصدى الشيخ بكارة بلهاشمي للتعليم والتدريس في مسجد سيدي على الشريف بمعسكر عشر سنين، وفي زاوية سيدي بن عبد الله الدرقاوية عامين، وفي الجامع الأعظم عشر سنين

---

(1) صلاح الدين بن نعوم: المرجع السابق، ص 67

(2) بكارة بالهاشمي: المصدر السابق، ص ص 176، 177.

(3) المصدر نفسه، ص 179.

(4) المصدر نفسه، ص 180.

(5) الطريقة الطيبية: هي فرع من فروع الطريقة الشاذلية، ظهرت أصول هذه الطريقة في وزان بالمغرب الأقصى، كان مؤسسها هو الشيخ: " عبد الله الشريف" المتوفى سنة 1089م، تولها من بعده ابنه الثاني، ثم أخوه الطيب الذي ظل على الزاوية من 1127 إلى 1181. وفي عهد هذا الأخير (الشيخ الطيب) ازدهرت الزاوية ازدهارا عظيما. ومنذ ذلك الحين أصبحت تعرف (بالطيبية)، وقد دخلت تعاليمها إلى الجزائر على عهد مؤسسها الأول عبد الله الشريف وانتشرت في مناطق كثيرة من الغرب الجزائري. ينظر أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 01، ط01، دار الغرب الإسلامي بيروت (لبنان)، 1998، ص ص 515، 516.

(6) صالح مؤيد العقبي: المرجع السابق، ص 728.

وهو الذي أدخل عليه إصلاحات وتوسيعات كثيرة. فزاد في مساحة قاعة الصلاة ما يقرب من الثلث[1]، كما تولى منصب الإفتاء مع خطبة الجمعة، والإشراف على المساجد في دائرة معسكر، وأخيرا شيخ الجماعة الإسلامية[2].

اشتغل بكارة بلهاشمي بالتأليف، ففضلا عن أثاره العلمية من فتاوى ونوازل وغيرها ترك الشيخ أربع مؤلفات هي:

1. كتاب مجموع النسب والحسب والتاريخ والفضائل والأدب، المطبوع سنة 1961 بمطبعة بن خلدون في تلمسان، جمع فيه الشيخ المفتي أربع كتب هي: كتاب حاشية رياض النزهة على نسمات رياح الجنة وهو من تأليفه، وكتاب السلسلة الوافية والياقوتة الصافية للإمام أحمد بن محمد العشماوي، وكتاب القول الأعم في أنساب قبائل الحشم للعلامة الشيخ الطيب بن مختار القداوي، وكتاب شرح منظومة بغية الطالب للشيخ موسى بن عيسى التجيني الغريسي[3].
2. كتاب رفع الإشكال والمرا في حكم غرس العنب وبيعه لمن يعصره خمرا: وهي رسالة فقهية كتبها الشيخ المفتي بطلب من بن عمه الشيخ الحاج العربي بن عبد الله الدرقاوي، جمع فيها معظم الأقوال الفقهية على المذاهب الأربعة حول حكم الجزائريين الذين يبيعون العنب للأوربيين لتحويله إلى خمر[4].
3. كتاب بلوغ الأمل في أدلة ما جرى به العمل: خصصه للرد على المخالفين من الجزائريين للمذهب المالكي، والعقيدة الأشعرية.
4. كتاب عبرة الناظر في تاريخ الجزائر: تطرق فيه إلى الخلاف الحاصل بين التيار الصوفي المرابطي الذي ينتمي إليه، والتيار الإصلاحي الممثل في جمعية العلماء المسلمين

---

(1) يحي بوعزيز: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج 02، المرجع السابق، ص 251.
(2) بكارة بلهاشمي: المصدر السابق، ص 181.
(3) يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 251.
(4) بكارة بلهاشمي: المصدر السابق، ص 181.

الجزائريين، حيث وجه إليه انتقادا لاذعا لهذا الأخير، ووصف أصحابه بالعلماء المتطرفيين[1]. توفي الشيخ بكارة بلهاشمي رحمه الله يوم 24 أفريل 1970[2].

2. سعيد الزموشي:

من رجال العلم والدين، وأحد الأعضاء البارزين في جمعية العلماء المسلمين، ولد في الرابع مارس 1904 بالعين البيضاء التابعة حاليا لأم البواقي[3]، والده هو محمد الزموشي الذي كان يعمل تاجرا وفلاحا في نفس الوقت، وأمه السيدة تركي رحمونة. نشأ في بيت متواضع ككل الجزائريين مع أربعة من إخوته (الطاهر، وسكينة، وزهور، وعائشة)، أدخله أبوه الكُتَّاب فحفظ القرآن الكريم كاملا في سن الثالثة عشرة[4]، كما أخذ مبادئ العلوم على يد علماء وفقهاء المنطقة[5].

طمحت نفسه إلى الاستزادة في العلم فهاجر إلى تونس وانظم إلى الجامعة الزيتونية، فأخذ ينهل من مناهل العلم الصافية على يد أساتذة أجلاء إلى أن تحصل على شهادة التطويع بجدارة سنة 1928، ثم عاد إلى الجزائر يحمل زادا وافرا من العلوم والمعارف[6]. ليشتغل بالتدريس بمسقط رأسه مدّةً، ثم التحق بعدها بناءا على طلب الشيخ عبد الحميد بن باديس بالجامع الأخضر بقسنطينة[7]، وأخذ يُدرَّس فيه النحو والصرف، والفقه والتوحيد[8].

وفي سنة 1932 كلفه الشيخ ابن باديس بمهمة التعليم والإصلاح في مدينة معسكر، وهي المهمة التي سيضطلع بها الشيخ الزموشي لقرابة عقد من الزمن حيث تمتد من 1932 إلى

---

(1) بكارة بلهاشمي: المصدر السابق، ص ص 186، 187.
(2) جلالي محمد: المرجع السابق، ص 46.
(3) عبد الله مقلاتي: خريجو معهد عبد الحميد بن باديس بقسنطينة ودورهم في الثورة التحريرية، دار العلم والمعرفة، الجزائر 2013، ص 97.
(4) منور الصم : مذكرات المجاهد منور الصم، مطبعة برج بوعروج، الجزائر، ص 98.
(5) سمير سمراد: البطل الغيور محمد سعيد الزموشي الصائغي، (1904م – 1960م)، مجلة الإصلاح، السنة الثانية، العدد 10، رجب/شعبان 1429 هـ الموافق ل جويلية/أوت 2008، ص 64.
(6) سمير سمراد: المرجع نفسه، ص64.
(7) منور الصم : المرجع السابق، ص 98.
(8) أحمد حماني: الصراع بين السنة والبدعة أو القصة الكاملة للسطو بالإمام الرئيس عبد الحميد بن باديس، ج 02، دار البعث للنشر، بدون سنة، ص 288.

غاية 1941. وحسب الأستاذ محمد القورصو فإن تعيينه كمصلح ومرشد وإمام في معسكر يعود إلى عدة اعتبارات منها النفوذ القوي للزوايا والطرق الصوفية في المنطقة، وشدة ارتباط السكان بها، وتحالف بعض شيوخها مع الإدارة الاستعمارية، الأمر الذي آثار مخاوف الشيخ ابن باديس وجعله يقدر المخاطر التي ستلتحق بجمعية العلماء المسلمين في هذه الناحية إذا لم تثبت فيها أسس إصلاحية متينة[1].

استقر الشيخ الزموشي بمدينة معسكر في منزل يقع في حي باب علي سنة 1932، فالتف حوله بعض الأعيان الذين أعجبوا به واقتنعوا برسالة الإصلاح التي جاء بها، فأحاطوه بالعناية اللازمة والرعاية الكافية، فطلب المصاهرة منهم، فكان له ما أراد، وتزوج من السيدة خيرة عبد المومن بنت أحد رجال الإصلاح بمعسكر وهو الحاج الطاهر عبد المومن فأنجب له ثلاثة بنات وولدين وهم فتيحة وصليحة وخديجة وجمال الدين ومنير[2].

والجدير بالذكر أن الشيخ الزموشي قام في بادئ الأمر بإلقاء دروس اللغة العربية بنادي الشبيبة الأدبية المسلمة[3]، ثم بمدرسة التربية والتعليم التي ساهمت في تأسيسها وتجهيزها كوكبة من الأعيان نذكر منهم: الحاج الطاهر عبد المومن، والحاج أحمد بن الخليل، ومحمد الشريف، وبن مغنية لخضر، مسلم عيسى، جاكر قدور، والحاج قايد، والملياني بن يخلف، والشيخ المفتي موضح بصديق عبد القادر، وكسال أحمد، وصم عبد القادر وجيد المجادي غيرهم ...[4].

---

(1) محمد القورصو: تأسيس ونشاط جمعية المسلمين الجزائريين في عمالة وهران 1931 – 1935، رسالة الدراسات المعمقة في التاريخ، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، جوان 1977، ص 48.

(2) منور الصم : المرجع السابق، ص 100.

(3) خالد بوهند: الشيخ محمد سعيد الزموشي حياته الدينية والسياسية 1904 - 1960، ط 01، دار رشاد للطباعة والنشر، الجزائر 2018، ص 30.

(4) منور الصم : المرجع السابق، ص 99.

تتلمذ على يده العديد من طلاب العلم الذين كان لهم الأثر البالغ فيما بعد في مسار النضال الوطني والثورة التحريرية المباركة نذكر منهم: مكيوي مأمون [1]، مصطفى اسطنبولي[2]، قايد حسين[3]، جاكر بن عومر، حبيبي الميلود، طفراوي عبد الرحمن، بن سفير البشير الخ[4].

أما عن كفاءته في التدريس فتذكر بعض المصادر أنه كان يتمتع بقدرة على تبسيط المعلومات الصعبة، والتقرب من تلاميذته، والنزول إلى مكانتهم، ثم السمو بهم إلى أعماق العلم والمعرفة[5]، فاستطاع بذلك خلق حركية علمية وثقافية رائدة في معسكر، فمنذ قدومه إلى المدينة ومباشرته للتعليم فيها أصبح مقر نادي الشبيبة الأهلية ثم مدرسة التربية والتعليم فيما بعد يستقبلان المئات من التلاميذ والشباب والكهول[6].

---

[1] ولد مكيوي مأمون سنة 1919 في دوار سيدي دحو الواقع على بعد بضع كيلومترات من مدينة معسكر، حفظ بعض من القرآن الكريم بالكُتاب التابع لمسجد الزيتونة بحي باب علي، ولمّا بلغ ثمانية أعوام من عمره التحق بالمدرسة الابتدائية الأهلية الفرنسية الكائنة بنفس الحي، وفي سنة 1931 التحق بالمدرسة الإصلاحية الباديسية بمعسكر، وبعد ست سنوات من الدراسة بهذه المدرسة برزت مواهبه وفاق أقرانه فعينه مديرها الشيخ سعيد الزموشي معلما على الصغار فيها، وفي سنة 1932 تحصل على الشهادة الابتدائية من المدرسة الفرنسية، كما التحق بعدها بالمدرسة الإسلامية العليا بتلمسان والتي قضى بها ثلاثة سنوات غير أنه طرد منها نتيجة مشاركته في إضراب أعلنه طلبة المعهد، وبعد سنتين سمح له أن يرشح نفسه في امتحان المدرسين فحصل على الشهادة رغم العراقيل التي واجهته، وبدءا من 1946/10/01 عمل مدرسا في ثانويات فرندة، ثنية الحد، عين تموشنت، ومعسكر، وعند اندلاع الثورة انخرط في جيش التحرير يوم 1957/07/03، وقد عين ضابطا قبل أن يصبح رائدا للناحية الخامسة في الولاية الخامسة، استشهد يوم 1958/01/28 في إحدى المعارك بمنطقة تيرسين قرب سعيدة. أنظر: محمد الحسن الفضلاء: من أعلام الإصلاح في الجزائر، ج 03، دار هومة، الجزائر 2002، ص ص 223، 224.

[2] مصطفى اسطمبولي: من مواليد 1930/03/13 بمعسكر من عائلة شريفة، اشتغل في التجارة، ناضل في صفوف حزب الشعب، تعرض للإعتقال والسجن في 1943 لتنظيمه لمظاهرة بمعسكر، سعى إلى السفر لفلسطين إلا أن السلطة البريطانية على الحدود منعته من بلوغ هدفه، وعند عودته إلى معسكر (فبراير 1948) شارك في الحملة الانتخابية مع ح.إ.ح.د، أين كان يشتغل منصب أمين عام الخلية. أنظر: جلالي بلوفة عبد القادر: حركة انتصار الحريات الديمقراطية: الخروج من النفق من اكتشاف المنظمة الخاصة إلى اندلاع الثورة التحريرية (1950 – 1954) عمالة وهران، ط 01، دار الألمعية للنشر والتوزيع، الجزائر 2011، ص 115.

[3] سنتطرق إلى شخصية قايد حسين بشكل مفصل في الفصل الثالث، وذلك ضمن المبحث الثاني الذي سنتناول فيه نشاط الكشافة الإسلامية الجزائرية بمعسكر.

[4] منور الصم : المرجع السابق، ص ص 99، 100.

[5] جاكر لحسن: نشاط جمعية العلماء المسلمين في معسكر 1931 – 1956، المرجع السابق، ص 100.

[6] سمير سمراد: المرجع السابق، ص 68.

ومن جهة أخرى، وعلى الرغم من المهام المتعددة الموكلة إليه، إلا أن الشيخ الزموشي استطاع التواصل مع بعض الطرقيين والتأثير فيهم[1] خاصة أتباع زاوية الشيخ بن عبد الله الدرقاوية الكائنة بحي باب علي والتي كان يشرف عليها الشيخ شنتوف عدة[2].

أما عن نشاطه في صفوف جمعية العلماء المسلمين فكان الشيخ الزموشي كغيره من أنصارها يسعى إلى نشر مبادئ الإصلاح ويدعوا الناس إلى الالتزام بتعاليم الإسلام من خلال الخطب التي كان يلقيها في المناسبات، كما كان له الفضل في إرسال وفود من الطلاب إلى تونس، وحث أولياء التلاميذ على أن يرسلوا أبنائهم إلى المدارس ليتعلموا اللغة العربية، وهذا ما جعل التقارير الرسمية الفرنسية تقول بشأنه:" إن هذا المفكر المسلم عامل مكَّد، وخليفة شديد الحماس يسعى لتحرير الأهالي من كافة الوصايات الممارسة ضدهم"[3].

وبطبيعة الحال فإن جهوده التعليمية والدعوية جلبت له الكثير من المتاعب من طرف الإدارة الاستعمارية التي قامت سنة 1939 بمنعه من التدريس بحجة نشاطه المتنامي واتصاله بقادة جمعية العلماء بالجزائر العاصمة[4]. لكن الأخير واصل التدريس رغم قرار المنع مما دفع بالإدارة الاستعمارية هذه المرة بغلق المدرسة وفصل التلاميذ عنها ونفيه إلى الحرّاش بالجزائر العاصمة، ووضعه تحت الإقامة الجبرية[5].

في سنة 1943 حلّ الشيخ السعيد الزموشي بوهران[6] كمعتمد لجمعية العلماء المسلمين وكمدير على مدرسة الفلاح القديمة، وهي مدرسة تابعة لجمعية الفلاح التهذيبية التي تأسست

---

(1) تذكر بعض المصادر أنه كانت تجمعه لقاءات عديدة برجال الزوايا، يحاورهم فيها ويتناقش معهم حول الشؤون الدينية والاجتماعية والوطنية، وكان جداله معهم بالتي هي أحسن، فنال رضا أكثرهم واحترام أغلبيتهم. أنظر منور الصم : المصدر السابق، ص 104.

(2) خالد بوهند: المرجع السابق، ص 32.

(3) محمد القورصو: المرجع السابق، ص 50.

(4) A.W.O - BP 201, (1937 – 1939), 07/09/1939, N° 327.

(5) سمير سمراد: المرجع السابق، ص 68.

(6) بعد حلوله بوهران استقر الزموشي مع عائلته في مسكن صغير داخل مدرسة الفلاح، لينتقل بعدها إلى مسكن أخر في شارع الباي إبراهيم بالمدينة الجديدة وفيه ولد ابنه منير سنة 1945، وابنته خديجة سنة 1951، وبعد ذلك سكن الشيخ وعائلته في حي مديوني بوهران. أنظر: منور الصم : المصدر السابق، ص 101.

في 05 مارس سنة 1937[1]، وبمجيئه إلى هذه المدرسة أعطى الشيخ الزموشي ديناميكية أكبر، حيث دأبت المدرسة على الاحتفال بالتاريخ الإسلامي المجيد، وبالمناسبات الدينية، كالاحتفاء بغزوة بدر الكبرى، والمولد النبوي الشريف ...إلخ[2]. كما شهدت المدرسة إقبالا متزايدا عليها من قبل التلاميذ حتى ضاقت وأصبحت لا تتسع لهم فتجهت أنظار القائمين عليها إلى بناء مدرسة أخرى كبيرة وعصرية في شكلها وفي برامجها التعليمية[3]، وبالفعل تم تدشين مدرسة الفلاح الجديدة في 10 أوت 1952[4].

ونظير جهوده التربوية والتعليمية عين سنة 1950 من طرف هيئة التدريس التابعة لجمعية العلماء المسلمين مفتشا عاما لمدارس التربية والتعليم الإصلاحية في عمالة وهران[5]، وقد استمر الشيخ الزموشي في منصب التفتيش لغاية صائفة 1954، ليعوض بعدها بالشيخ عبد القادر الياجوري[6]. ومن زيارته التفتيشية تلك التي قادته إلى مدينة معسكر في 27 مارس 1953 لتفتيش مدرسة الشارع الكبير، وتفقد أشغال بناء المدرسة الجديدة . التي ستحمل اسم مدرسة الأمير عبد القادر بعد افتتاحها .، كما اغتنم فرصة تواجده بمعسكر وألقى خطبتي الجمعة بمسجد الإصلاح التي حضرها جمع من المصلين قدر عددهم بـ: 200 مصلي[7].

---

[1] خالد بوهند: المرجع السابق، ص ص 43، 44.

[2] خالد بوهند: المرجع نفسه ص 45.

[3] منور الصم : المرجع السابق، ص

[4] إلى جانب تأسيس مدرسة الفلاح الجديدة أسس الزموشي مدرسة التربية والتعليم بحي الحمري، ومدرسة الحياة بحي قمبيطة، ومدرسة المجد بسيدي الهواري، ومدرسة الإرشاد بحي مديوني، ومدرسة التوحيد بالمرسى الكبير. أنظر: سمير سمراد: المرجع السابق، ص 69.

[5] بلعربي عمر: أعلام الحركة الإصلاحية بالغرب الجزائري – دراسة في السير والمواقف – أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، السنة الجامعية 1439/1438 – 2018/2017، ص 172.

[6] ولد الشيخ عبد القادر الياجوري عام 1912 ببلدة قمار بواد سوف، درس بمسقط رأسه ثم التحق عام 1925 بجامع الزيتونة حيث قضى تسع سنوات في نهل مختلف العلوم الشرعية، وبعد عودته إلى الوطن انخرط في الحركة التعليمية حيث عين مدرسا بقمار، ثم بالبياضة بوادي سوف، كما اختير ليكون مدرسا بمعهد ابن باديس، انخرط في صفوف جبهة = =التحرير، وقدم عدة خدمات سرية لصالح الثورة ولما اكتشفت الإدارة الفرنسية سره اعتقلته في معسكر يوم 29 مارس 1956، تعرض للتعذيب والاعتقال سنوات طويلة ولم يفرج عنه إلا بعد سنة 1962، وبعد الاستقلال عين أستاذا ثانويا إلى أن تقاعد عام 1977، توفي يوم 12 أوت 1991. أنظر: عبد الله مقلاتي: المرجع السابق، ص ص 100، 101.

[7] خالد بوهند: المرجع السابق، ص 66.

أما عن موقفه من الثورة فتشير معظم الكتابات التاريخية أنه تحمّس لها وقام بدعمها ونصرتها، حيث يذكر الباحث محمد بلحاج أن الشيخ الزموشي انضم إلى جبهة التحرير والوطني في وقت مبكر، وكان مكلفا من طرفها بجمع التبرعات والاستعلامات بمنطقة وهران، ولما اكتشفت الدوائر الاستعمارية ذلك قامت باعتقاله في 05 سبتمبر 1956، ليطلق سراحه في 25 سبتمبر من نفس السنة، وقد تعرض في السجن إلى التعذيب [1]، وبعدها قررت جبهة التحرير الوطني ترحيله إلى المغرب خوفا من اغتياله، وفي وجدة واصل نشاطه الكفاحي، حيث عمل مرشدا ومعلما[2] إلى أن توفي في 13 سبتمبر 1960 بعد صراع طويل مع مرض السكري عن عمر ناهز ست وخمسين سنة[3].

3. البودالي سفير:

يعتبر من الشخصيات الأدبية والفنية البارزة في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية وبعد الاستقلال، ولد بتاريخ 13 جانفي 1908 بمدينة سعيدة في عائلة كبيرة محافظة ومتدينة، وذات علم[4]، تعود أصوله إلى عائلة السوافرية التي قدمت من تونس واستقرت في معسكر بحي باب علي العتيق، كان والده معلما في المدرسة الابتدائية[5].

تلقى تعليمه الابتدائي في إحدى المدارس الفرنسية بسعيدة في الفترة ما بين 1914 إلى 1918 (فترة الحرب العالمية الأولى)، وفي عام 1924 التحق بمدرسة المعلمين ببوزريعة في الجزائر العاصمة، والتي تخرج منها سنة 1929، ومن بين زملائه في الدراسة بهذه المدرسة الأديب الفرنسي إيمانويل روبلي(Emmanuel Roblès)، ومولود فرعون[6].

---

(1) المرجع نفسه، ص 91.
(2) عبد الله مقلاتي: المرجع السابق، ص 98.
(3) خالد بوهند: المرجع السابق، ص 93.
(4) Abdelkader Bendameche : les grandes figures de l’art Musical Algérien, Tome 01, ENAG Editions – Alger 2008, P 95.
(5) Abdelkader Bendameche : Op.cit. P 95.
(6) Abdelkader Bendameche : Florilège ou l’œuvre réunie d’EL-Boudali Safir, ENAG Editions – Alger 2008, P12.

قادته جديته ونتائجه الدراسية الجيدة إلى المشاركة في مسابقة القبول للدخول إلى المدرسة العليا بسانت كلو (Sante - Cloud) بفرنسا، لكنه أخفق في ذلك رغم حصوله على علامة جيدة قدرت بـ: 20/17، وكان حسب المشرفين على هذه المسابقة يحتاج إلى نصف نقطة فقط[1].

والحقيقة أن العائق الوحيد الذي حال دون نجاحه في هذه المسابقة يعود إلى أسباب تمييزية وعنصرية بحت، فالمدرسة لم تكن مفتوحة أمام كل الجزائريين بل للمتجنسين فقط، وإلى الأوربيين بطبيعة الحال[2].

وفي صيف 1929 استقر البودالي سفير في مدينة معسكر، حيث عين شهر نوفمبر من هذه السنة أستاذا للغة العربية في مدرستها الابتدائية العليا (ثانوية جمال الدين الأفغاني حاليا) وذلك إلى غاية أبريل 1941، ليتم نقله خلال هذه السنة إلى مدرسة أورليانفيل (Orléans ville) . شلف حاليا. كما سيقوم بالتدريس في أواخر عام 1942 وبداية سنة 1943 في المدرسة الحديثة "المجاهر" بمستغانم كأستاذ للغة العربية أيضا[3].

إلى جانب نشاطه التعليمي انخرط البودالي سفير في عدة نوادي وجمعيات منها "نادي الشبيبة الأدبية الأهلية" الذي انظم إليه في مطلع ثلاثينيات القرن العشرين حيث أصبح نائبا للرئيس، كما أنه أصبح يتمتع بالعضوية في النقابة الوطنية للمعلمين[4]، ومن جهته قام البودالي بتمثيل مدينة معسكر في المؤتمر الإسلامي بصفته عضوا بارزا في نادي الشبيبة الأدبية الأهلية الموالية لجمعية المسلمين الجزائريين، بمعية الشيخ محمد سعيد الزموشي عضو الجمعية والمعلم الحر، ودحو شكال نائب رئيس البلدية المكلف بالشؤون الأهلية والعضو في شعبة الجمعية بمعسكر[5]، وبتاريخ 28 مارس 1938 قام إلى جانب عناصر

---

(1) Ibid.
(2) Ibid.
(3) Abdelkader Bendameche : Florilège ou l'œuvre réunie d'EL-Boudali Safir, Op.cit. P12.
(4) محمد القورصو: المرجع السابق، ص 74.
(5) خالد بوهند: المرجع السابق، ص ص 37، 38.

من النخبة في المدينة من أمثال ملياني عبد الحليم، وبلبقرة محمد الصغير، وبوزيان عبد القادر، بتأسيس فوج كشفي والذي أصبح نائب رئيسه[1].

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الصدد، أنه قام أيضا إلى جانب صديقه محمود بن كريتلي بتأسيس نادي أدبي في مستغانم يجمع الأدباء ورجال العلم والثقافة، ويقوم بتنظيم الندوات والمحاضرات[2].

والظاهر أن سفير قد ترك بصماته واضحة في مختلف الجمعيات والنوادي الثقافية والهيئات السياسية التي انضم إليها، التي كانت تصب في مجملها في إيقاظ الوعي الوطني، وتبيين حقيقة الاستعمار من خلال نشاطاته المتعددة خاصة المحاضرات التي كان يلقيها بين الفَيْنة والأخرى، ومثال ذلك إلقائه لمحاضرة بنادي الشبيبة الأدبية الأهلية بتاريخ 09 ماي 1936 بعنوان "الشباب الجزائري المسلم"[3]، ومحاضرة نفسها ألقاها شهر جوان 1936 بالمسرح البلدي بمستغانم، تطرق فيها إلى الدور الذي ينبغي للشاب المسلم أن يقوم به لتغيير واقعه[4]، هذا إلى جانب المحاضرة التي ألقاها في مؤتمر غليزان المنعقد بتاريخ 09 أوت 1934 والتي انتقد فيها بشدة كتابات لويس برتران[5] (Louis Bertrand) المعادية للإسلام، والتي كانت في مجملها تدعوا إلى تنصير الأمة الجزائرية المسلمة[6].

إلى جانب سلسلة محاضراته التي ألقاها في بعض مدن الجزائر، كتب البودالي سفير عدة مقالات دافع من خلالها عن الهوية العربية الإسلامية، وردّ فيها على لويس برتران (Louis Bertrand) وافتراءاته بخصوص الإسلام والمسلمين، منها مقال بعنوان "لويس برتران

---

(1) L'Echo d'Oran, 01/04/1938, N° 24665.
(2) Abdelkader Bendameche : Op.cit. P 13.
(3) جاكر لحسن: المرجع السابق، ص 122.
(4) Le Progrès de Mostaganem, 04/06/1936 – N° 34.
(5) لويس برتراند روائي وكاتب فرنسي، درّس في الجزائر من سنة 1881 إلى عام 1900 له عدة دراسات أهمها: "الحكم المسيحي أيام الشرق والغرب"، و"قبل الاسلام" ودراسة أخرى بعنوان "السراب الشرقي" وأيضا "القديس أغسطين". ينظر: Abdelkader Bendameche : Florilège ou l'œuvre réunie d'EL-Boudali Safir, Op.cit. 18
(6) l'Africain, 19/08/1934 – N° 231.

أمام الجزائر"، نشره في مجلة "أوفالاك" (Ofalac) بتاريخ 01 أكتوبر 1948، ومقال ثاني تحت عنوان "لويس برتران ونظرة المسلمين إليه" نشره أيضا في مجلة "أوفالاك" (Ofalac) بتاريخ 10 نوفمبر 1949[1].

بالإضافة إلى نشاطه السياسي والجمعوي أولى سفير البودالي اهتماما خاصا بالصحافة حيث كان يشجع الناس على الاشتراك فيها لما لها من أهمية في توعية الشباب وتثقيفهم، وتبرز هذه العناية في مرافقته لمسؤولي الصحافة الإصلاحية الذين يزورون معسكر من أمثال الأمين العمودي الذي روج لجريدته "لاديفانس" (La Défense) بعد زيارته للمدينة يوم 19 أبريل 1936[2]. كما أبان على قدرته في الكتابة الصحفية حيث نشر عدة مقالات ثقافية وفنية في جريدة (l'Echo d'Oran) وجريدة "أوران ريبيبليكان" (Oran Republican)، منها تلك التي كتبها عن العروض المسرحية التي قدمها محي الدين بشتارزي في بعض مسارح الغرب الجزائري[3].

وفي المجال الأدبي أكسبته علاقاته المتينة مع كتاب وأدباء معروفين من أمثال إيمانويل روبلي(Emmanuel Roblès)، وغابريال أوديسيو (Gabriel Audissio)، ألبير كامو(Albert Camus)، ومحمد ديب، ومولود فرعون، إلى الإشترك معهم في تأسيس العديد من مجلات أدبية وثقافية منها: مجلة ريفاج (Rivage)[4]، ومجلة سيمون (Simoun)[5] مجلة فورج(Forge)، ، ومجلة سوليل (Soleil)...إلخ[6].

---

(1) Abdelkader Bendameche : Op.cit. 18.

(2) جاكر لحسن: المرجع السابق، ص 115.

(3) Abdelkader Bendameche : les grandes figures de l'art Musical Algérien, Op.cit. P 96.

(4) مجلة ريفاج (Rivage): مجلة أدبية ظهرت سنة 1940، جمعت مجموعة من الكتاب الفرنسيين والجزائريين المشهورين من أمثال ألبير كامو (Albert Camus)، وإيمانويل روبليس(Emmanuel Roblès)، وجول روي (Jules Roy)، وأرماند جويبرت(Armand Guibert)، وكان سفير بودالي عضوا في هيئة تحرير هذه المجلة.

(5) مجلة سيمون (Simoun): مجلة أدبية وفنية أسسها جون ميشال جوير (Jean Michel Guird) عام 1952 واستمرت في الصدور إلى غاية 1961، وكثيرا ما كان البودالي سفير يساهم في إثراء هذه المجلة بإبداعاته الأدبية من ناحية، وبالتعبير عن حالة الجزائريين من ناحية أخرى.
ينظر: Abdelkader Bendameche : Florilège ou l'œuvre réunie d'EL-Boudali Safir, Op.cit, P 21.

(6) Abdelkader Bendameche : les grandes figures de l'art Musical Algérien, Op.cit. P 99.

إنّ أهم ما يميز حياته كذلك هو تعيينه في إذاعة الجزائر سنة 1943 كنائب للمشرف على البث الإذاعي الخاص بالجزائريين، ليعين في أبريل 1945 مديرا فنيا لبرامج اللغة العربية والأمازيغية بهذه الإذاعة.

وفي سياق مهامه بالإذاعة قام سفير بإنشاء ثلاثة فرق موسيقية، الأولى ذات طابع أندلسي مكونة من 30 موسيقيا وضعها تحت إشراف الشيخ محمد فخارجي وشقيقه عبد الرزاق، والثانية ذات طابع شعبي بقيادة الشيخ الحاج محمد العنقى وهي مؤلفة من 20 موسيقيا، أما الفرقة الثالثة فهي فرقة موسيقية حديثة مكونة من 17 موسيقيا، وضع على رأسها مصطفى اسكندراني[1].

وقد استمر البودالي سفير في إسهاماته وأعماله ذات الطابع التعليمي والثقافي بعد استقلال الجزائر، حيث عين سنة 1969 مستشارا بوزارة التربية الوطنية، وهي مهنته الأولى ومهنة والده، كما عام شغل في عام 1971 منصب مستشار في الشركة الوطنية للنشر والتوزيع (SNED)[2].

وفي سنة 1987 غادر الجزائر باتجاه باريس، ليستقر هناك بشكل دائم مع عائلته إلى غاية وفاته بتاريخ 04 جوان 1999 عن عمر يناهز 91 عاما[3].

4. الحاج أحمد خليل:

رائد الإصلاح في معسكر، معروف بين عامة الناس "ببخليل"، من ذرية الولي الصالح سيدي أحمد بن علي، التي ينتمي إليها عدة شخصيات وطنية، ودينية مثل الشيخ الهاشمي بن بكار مفتي الديار المعسكرية، والأستاذ الطاهر أحمد رئيس الاتحاد الديمقراطي للبيان

(1) Abdelkader Bendameche : Florilège ou l'œuvre réunie d'EL-Boudali Safir, Op.cit, P 15.
(2) Abdelkader Bendameche : Op.cit, P 30.
(3) Ibid. P 31.

الجزائري – فرع معسكر –، وشنتوف عدة عضو الوفود المالية والمجلس الجزائري في عهد الاحتلال الفرنسي.

ولد الحاج أحمد خليل سنة 1870م بدوار سيدي أحمد بن علي التابع لبلدية ماوسة، والذي يبعد بـ 08 كلم عن معسكر. توفي والده وهو في سن الرابعة من عمره، فتكفل به جده الشيخ شنتوف المختار الذي رباه، ووجّهه توجيها علميا وأخلاقيا، حيث سافر به إلى تلمسان التي تلقى بها مبادئ القراءة، وحفظ القرآن الكريم بإحدى مدارسها[1].

لقد كان طلبه للعلم بتلمسان أثر كبير في مستقبل حياته الثقافية والسياسية، ففي هذه المدينة تشبع الشيخ خليل بالفكر الإصلاحي، وبعودته إلى مسقط رأسه معسكر فتح متجرا لبيع الزرابي، والجلود، والأواني النحاسية، مما مكنه من جمع ثروة هامة شارك بها في خدمة التعليم العربي الحر الذي كانت تشرف عليه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين[2].

إلى جانب ذلك، شارك الشيخ أحمد خليل مع مجموعة من المثقفين في تأسيس نادي إصلاحي سنة 1927، سُمَّي "بنادي الشبيبة الأدبية الأهلية" والذي كان يشرف على تسييره مكتب مكون من أحدى عشر عضوا نذكر من بينهم: قرمالة عبد القادر (مستشار بلدي متقاعد)، محمد سفير (مترجم لدى محكمة معسكر)، والبودالي سفير (معلم بالمدرسة الابتدائية العليا)، بوعبسة عبد القادر، وعدة حنيفي عبد القادر (عضوين في المجلس البلدي)، ومختار بن عبورة وغيرهم من المثقفين، أما رئاسة النادي فأسندت إلى حصية محمد (مترجم رسمي)[3].

والجدير بالذكر أن الشيخ خليل اتخذ من هذا النادي أداة لتقديم الدعم للشيخ محمد سعيد الزموشي لأداء مهمة التدريس، وتحقيق مشروعه الإصلاحي عند قدومه إلى معسكر في

(1) جاكر لحسن: الشيخ أحمد خليل رائد الحركة الإصلاحية في معسكر، مجلة الواحات للبحوث والدراسات التاريخية، العدد 21، جانفي 2014. ص 90.
(2) جاكر لحسن: نشاط جمعية العلماء المسلمين في معسكر 1931 – 1956، المرجع السابق، ص 109.
(3) محمد القورصو: المرجع السابق، ص 73.

أواخر سنة 1932، كما تكفل أيضا بالتلاميذ وقدم لهم كل الدعم خاصة أولئك الذين جاؤوا من ضواحي المدينة من أمثال دلاي محمد المعروف بالشيخ السنوسي الذي قدم من بلدة تغنيف، وأخذ يستفيد من النظام الداخلي والإقامة الكاملة[1].

كما تبين لنا وثائق الأرشيف الفرنسي أن دعمه للتعليم العربي الحر لم يقتصر على معسكر فحسب، بل تعداه إلى مناطق وبلدات أخرى، منها على سبيل المثال بلدة سان لو (Saint Leu) – بطيوة حاليا – التي زارها بتاريخ 22 أكتوبر 1937 والتقى فيها بالشيخ المهدي البوعبدلي، والسيد عنان أحمد عون لدى محكمة أرزيو، واتفق معهم على إنشاء مدرسة قرآنية باديسية بهذه المدينة[2].

وما يلاحظ في نشاط الشيخ خليل أيضا اهتمامه بالصحافة باعتبارها وسيلة هامة في توعية الشعب وتثقيفه، خاصة الصحافة الإصلاحية التي اشترك في بعض صحفها مثل جريدة "الشهاب" وجريدة "الدفاع" الصادرة بالغة الفرنسية لصاحبها محمد الأمين العمودي. هذا إلى جانب قيامه بدور المرسل والموزع لبعض الجرائد كجريدة "الجحيم" التي صدرت سنة 1933 بالجزائر العاصمة[3].

أما بخصوص إسهاماته السياسية، فتفيدنا بعض المصادر أن الشيخ بن خليل كان مؤيدا لمطالب المؤتمر الإسلامي الذي انعقد بتاريخ 07 أوت 1936 من طرف تيارات الحركة الوطنية الجزائرية، كما أشاد بمطالبه، وحرص على تحقيقها على أرض الواقع وذلك من خلال مشاركته في تشكيل لجنة محلية للمؤتمر برئاسة مجمد السعيد الزموشي[4].

وبتاريخ 15 أكتوبر 1936 قام الشيخ خليل إلى جانب الشيخ الزموشي وبعض رواد الإصلاح في معسكر باستقبال وفد المؤتمر الإسلامي المتكون من الشيخين ابن باديس

(1) جاكر لحسن: الشيخ أحمد خليل رائد الحركة الإصلاحية في معسكر، المرجع السابق، ص 91.
(2) ANOM - 9H46 – L'Administrateur Adjoint du Oran, 27/10/1937, N°17988.
(3) جاكر لحسن: المرجع السابق، ص 93.
(4) Oran Républicain, 15/04/1937, N°854.

والإبراهيمي، والأستاذين الأمين العمودي وبوشامة، لشرح مبادئ وأهداف المؤتمر الإسلامي للجماهير المسلمة، وخلال اجتماعه بإحدى قاعات المدينة التي امتلأت عن أخرها تقدم الشيخ أحمد خليل وألقى كلمة موجزة بالعامية، ثم تلاه الشيخ سعيد الزموشي الذي ألقى كلمة ترحيب وتعريف بالحاضرين، وبعدها أعطيت الكلمة لأعضاء الوفد على التوالي[1]:

أعضاء الوفد	عنوان المداخلة
الأستاذ العمودي	مهمة الوفد وتقديم أعضائه
الأستاذ بن حاج	أعمال الوفد في باريس
الشيخ البشير الإبراهيمي	العلماء والمؤتمر
الشيخ عبد الحميد بن باديس	المؤتمر يتسع لطوائف الأمة كلها
الأستاذ بوشامة	نظام اللجان

وتجدر الإشارة أن الحاج أحمد خليل ظل ينشط في مجال الإصلاح إلى غاية اعتقاله في أفريل 1941 بأمر من عامل عمالة وهران، ووضعه في معتقل جنين بورزق القريب من مدينة عين الصفراء، وذلك بتهمة إعادة تشكيل حزب سياسي – يساري – مع البودالي سفير وبعض العناصر الوطنية الأخرى[2]. لكن يجب القول هنا أن اعتقاله لا يعود إلى التهم المنسوبة إليه، وإنما ترجع إلى الحملة التي شنتها الإدارة الاستعمارية على أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وهو عضو منهم، بعد رفضهم تأييد فرنسا في الحرب العالمية الثانية ضد ألمانيا النازية.

غير أنّ الحاج أحمد خليل وبعد خروجه من المعتقل سنة 1943 أصبحت حالته الصحية متدهورة جدا، وقد أدى ذلك إلى وفاته بتاريخ 04 ماي 1944، وأقيمت جنازته في اليوم التالي وبحضور العديد من الشخصيات الدينية والسياسية المعروفة نذكر منها الشيخ شنتوف عدة (المندوب المالي ورئيس الزاوية الدرقاوية بمعسكر)، الباشاغا بن شيحة بوسيف

(1) البصائر: الجمعة 14 شعبان 1355 هـ الموافق لـ 30 أكتوبر 1936، العدد 41، ص 03 و06.
(2) AWO. BP - 201, (1941 – 1945) l'Activité indigène dans le Département d'Oran, 30/04/1941, N° 127.

(المندوب المالي)، حمدات حاج المختار (المستشار العام في سعيدة)، لعلو محمد (مستشار عام بسيدي بلعباس)، وكذلك الشيخ سعيد الزموشي الذي جاء من وهران، وتم قراءة البردة في جنازته رغم معارضة أقاربه لذلك[1].

5. طاهر أحمد:

هو طاهر أحمد بن محمد المدعو "بطاهر" عند أهل مدينة معسكر[2]، ولد في 14 مارس 1905، من أسرة محافظة يعود نسبها إلى عرش "سيدي أحمد بن علي"، أمه بكارة فاطمة ابنة بوبكر[3]، وخاله هو الشيخ بكارة بلهاشمي شيخ الراشدية في وقته، ومفتي حاضرة معسكر[4].

التحق طاهر أحمد منذ صغره بأحد كتّاب المدينة المتواجد في مقر إقامته بحي باب علي، وفيه حفظ بعضا من القرآن الكريم، ومبادئ القراءة والكتابة، ليلتحق بعدها بالمدرسة الابتدائية الأهلية الفرنسية في المدينة، والتي حاز فيها على الشهادة الابتدائية بامتياز، مما سمح له باجتياز امتحان القبول للالتحاق بمدرسة تلمسان الفرنكو إسلامية بتاريخ 27 جوان 1919 [5].

وفي هذه المرحلة من الدراسة تمكن من إثبات جدارته وتفوقه مرة أخرى، بحصوله على المرتبة الأولى طيلة السنوات الأربع التي قضاها بين جدران مدرسة تلمسان، وهو ما أهّله

---

[1] AWO. BP – 201, Op.cit, 31/05/1944, N° 187.

[2] أحمد طاهر: بن قنون شاعر شعبي من سهل غريس، تقديم أحمد مولاي دلاي، دار الأرقم، الجزائر 2014، ص 14.

[3] سعد طاعة : نضال أحمد طاهر أمين عام حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري بمعسكر 1946 – 1956، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 13، العدد 02/ 2022، ص 178.

[4] صلاح الدين بن نعوم: المرجع السابق، ص 67.

[5] Le Réveil de Mascara, 05/07/1919, N° 2832.

للالتحاق بمدرسة المعلمين ببوزريعة بالجزائر العاصمة سنة 1923[1] التي تحصل فيها على شهادة الدراسات العليا في اللغة والأدب الغربي، ليعين بعد تخرجه أستاذا في اللّغة العربية بمدرسة ريني باسي (RENE BASSET) "ثانوية زروقي حاليا"[2] الواقعة بمدينة مستغانم، وبعد فترة من ذلك انتقل إلى مسقط رأسه معسكر التي اشتغل فيها أستاذا بالمدرسة الابتدائية العليا للبنين (ثانوية جمال الدين الأفغاني حاليا) طيلة فترة الأربعينيات[3].

وفضلا عن نشاطه التعليمي الرسمي قام طاهر أحمد بدور هام في الحياة السياسية، إذْ بدأ نشاطه في الظهور مع منتصف ثلاثينيات القرن العشرين لمّا أصبح عضوا مكلفا بالدعاية في لجنة المؤتمر الإسلامي، مما سمح له بالاحتكاك بشيوخ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وقادة حزب الشعب الجزائري[4]، وخلال الحرب العالمية الثانية نشط في إطار جبهة أحباب البيان والحرية، لينخرط بعد نهاية الحرب في حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري (شعبة معسكر) ويُعيّن عضوا في مكتبه السياسي[5]، وقد برز دوره بشكل ملحوظ خلال هذه الفترة في كل الانتخابات التي جرت ما بين 1946 – 1954 في مدينة معسكر[6].

وعند اندلاع الثورة لم يتردد طاهر أحمد لحظة واحدة في الانضمام إليها لاستكمال مسيرته النضالية، مما أدى إلى اعتقاله من طرف السلطات الفرنسية وإيداعه السجن، وبخروجه منه سنة 1959 هاجر إلى المغرب الأقصى، ومن هناك واصل نضاله في صفوف جبهة التحرير[7]، كما اشتغل في ذات الوقت

---

(1) Ibid. 07/07/1923, N° 3042.

(2) أحمد طاهر: المرجع السابق، ص 14.
(3) سعد طاعة : المرجع السابق، ص 178.
(4) المرجع نفسه، ص 178.
(5) أحمد طاهر: المرجع السابق، ص 14.
(6) سعد طاعة : المرجع السابق، ص 178.
(7) المرجع نفسه.

بالتدريس[1]. وبعد الاستقلال عاد إلى مسقط رأسه معسكر، وانضم مجددا إلى سلك التعليم، ليُعيّن في منصب مدير "ثانوية جمال الدين الأفغاني"، ولمّا تقاعد انتقل إلى مدينة وهران التي استقر فيها إلى غاية وفاته يوم 11 نوفمبر 1981[2].

وبهذا العرض المتواضع يتضح لنا الدّور الذي قامت به النخبة في الوسط الديني والثقافي والفكري المعسكري، فقد كانت لهذه الفئة جهود متميزة في مجال التربية والتعليم، ومساهمات موفقة في إصلاح وتطوير المجتمع، كل من موقعه سواء كان ذلك من المساجد أوالزوايا أوالكتاتيب أوحتى من المدارس الرسمية.

والحقيقة أنّ هذه الجهود في مجال التربية والتعليم تحتاج إلى مزيد من البحث والدراسة، وما قمنا به لم يكن سوى مساهمة بسيطة، تم من خلالها إظهار جانب ضئيل مما كانت تقدمه المؤسسات الاسلامية والتعليمة من علوم ومعارف لكافة عناصر المجتمع.

---

(1) أحمد طاهر: المرجع السابق، ص 15.

(2) المرجع نفسه، ص ص 14، 15.

الفصل الثالث

الجمعيات والنوادي الثقافية والفنية والرياضية بين الفعل الثقافي والبعد السياسي

الفصل الثالث: الجمعيات والنوادي الثقافية والفنية والرياضية بين الفعل الثقافي والبعد السياسي

تمهيد:

المبحث الأول: الجمعيات والنوادي مابين 1900 – 1930:

1. جمعية البابا علَّية.
2. الجمعية الدينية الإسلامية (Association Cultuelle Musulman).
3. المولودية المعسكرية.
4. الجمعية الأخوية.
5. النادي الإسلامي لكرة القدم (F C M).
6. نادي غالية معسكر.
7. نادي الشبيبة الأدبية الأهلية.

المبحث الثاني: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

1. ظروف تأسيس شعبة الجمعية.
2. تأسيس شعبة جمعية العلماء المسلمين.
3. نشاط الجمعية:
   - النشاط الإصلاحي والتربوي والثقافي.
   - النشاط التعليمي.
   - النشاط السياسي.
4. موقف الإدارة الفرنسية من نشاط الجمعية.

المبحث الثالث: الكشافة الإسلامية:

تمهيد.

1. تأسيس الفروع الكشفية.
   - فوج الإقدام.
   - فوج أشبال الكشافة الإسلامية.
   - فوج السلام.

- فوج الشهاب.
- فوج الوداد.
- فوج الرشاد.

2. من رواد كشافة معسكر

- قايد حسين.
- مداح قدور.
- بلقور حمزة.

3. النشاط الكشفي: محليا وجهويا ووطنيا:

3-1 النشاط محلي:

أ. الثقافي والتربوي.

ب.دورها السياسي.

3-2 النشاط الجهوي والوطني

المبحث الرابع: الجمعيات والمؤسسات الثقافية والإعلامية الفرنسية:

تمهيد:

1. الجمعية الفنية (Association Artistique).

2. النشاط الكشفي الفرنسي.

3. المسرح الفرنسي.

4. الصحافة الكولونيالية.

- جريدة لوريفاي دي مسكرا (Le Réveil de Mascara).
- جريدة لانديباند دي مسكرا (L'indépendant de Mascara).
- جريدة لوبروڤري (Le Progrès).
- جريدة لوبتي مسكاريان (Le Petit Mascarien).
- جريدة لوريبيبليكان (Le Republican).
- جريدة مسكرا . سيثير (Mascara - Cythére).
- ليبرتي دي مسكرا (La Liberté de Mascara).

تمهيد:

تأثرت البيئة الثقافية في معسكر كثيرا بعد عملية الاحتلال، فالطبقة المثقفة التي حوت العلماء، والقضاة، والمفتيين، والأئمة، ورجال الدين كادت أن تختفي نتيجة تهجير بعضها والتضييق على بعضها الأخر. ومما زاد الأمور تعقيدا تعطل نشاط المدارس، والمساجد، والزوايا، والمؤسسات التعليمية، وما بقي موجودا منها لم يجد إقبالا من طرف الجزائريين إما بسبب الجهل الذي استشرى في كافة الأوساط الاجتماعية أو بسبب طبيعة التعليم نفسه الذي عرف انحطاطا وتدهورا كبيرا[1].

غير أنه، ومع نهاية القرن التاسع عشر بدأت الأوضاع الثقافية تتغير تدريجيا نتيجة تطلع المجتمع المحلي نحو التّعلم، وبذل جهود حثيثة للمحافظة على دينه وهويته العربية الإسلامية، وهو ما سيظهر بشكل واضح مع مطلع القرن العشرين . وأثناءه . إذ يؤكد لنا الأستاذ مهديد إبراهيم بناءا على ما جاء في وثائق الأرشيف الفرنسي مدى هذا الطموح والهدف الحضاري والتربوي المتمثل في تحفيظ القرآن الكريم، وإحياء اللغة العربية ونشرها على نطاق واسع نتيجة بعث نشاط المؤسسات التربوية والتعليمية في مختلف أرجاء دائرة معسكر، فحسب الإحصائيات الفرنسية لسنة 1903 فإنه تم فتح ما لا يقل عن 199 مدرسة (مرخصة وغير مرخصة)، وتسجيل ما يزيد عن 1500 طالب بها[2].

الدائرة	عدد المدارس المرخصة	عدد التلاميذتها	عدد المدارس الغير مرخصة	عدد تلاميذتها	المجموع العام	
					المدارس	التلاميذ
معسكر	24	201	175	1305	199	1509

(1) محمد القورصو: المرجع السابق، ص 16.
(2) إبراهيم مهديد: المثقفون الجزائريون في عمالة وهران خلال الحقبة الكولونيالية الأولى 1850 – 1912، منشورات دار الأديب، الجزائر 2006، ص 17.

كما أفادت تقارير أخرى إلى ارتفاع نسب المدارس وازدياد عدد التلاميذ في معسكر والعمالة الغربية ككل في الفترة ما بين 1907 و1914[1]، فضلا عن صمود بعض الزوايا والمساجد والتي ظلت ذات نشاط كبير داخل المدينة، والتي نذكر منها:

- زاوية سيدي بن عبد الله شنتوف الدرقاوية الشاذلية التي اشتهرت طيلة الفترة الاستعمارية بتدريس مختلف العلوم من تفسير، وفقه، وحديث، ونحو، وتوحيد، وتصوف للطلبة والمريدين خاصة في عهد عبد القادر بن عبد الله، وأخوه العربي بن عبد الله شنتوف.
- الزاوية القادرية التي حضيت في عهد مقدمها الشيخ محمد بن نعوم بن مصطفى بسمعة طيبة أوساط طلاب العلم، حيث كان يقصدها الصغير والكبير لحفظ القرآن الكريم وعلوم اللغة والدين، حتى وصل عددهم نهاية الثلاثينيات حوالي 200 طالباً.
- زاوية الشيخ بوعمران البهلولي والتي كانت قلعة من قلاع العلم والثقافة بمعسكر، انتصب للتدريس بها إلى جانب شيخها بوعمران صفوة علماء مدينة معسكر، كالشيخ محمد الدايج، والشيخ عبد القادر الوجدي، والشيخ الحاج بن عبد الله شنتوف.
- مسجد الزيتونة: عرف هو الأخر نشاطا علميا واسعا في عهد الشيخ عبد الوهاب ولد أحمد المدعو "الشيخ محمد بلقرد" منذ تنصيبه فيه سنة 1920، وإلى غاية وفاته سنة 1953[2].

كما تجدر الإشارة إلى ارتباط الحياة الثقافية في معسكر خلال النصف الأول من القرن العشرين بنشاط الجمعيات والنوادي الثقافية، فقد كان لهذه الأخيرة دور كبير في تنوير الشباب وتعليمهم وتقديم يد المساعدة لسكان المنطقة في المجالات الثقافية والاجتماعية والخيرية، والمتمعن في نشاطها يرى بأنها كانت أحد أسلحة الجزائريين للمقاومة الثقافية وذلك بمساهمتها في غرس بذور النهضة الفكرية ونشر الوعي السياسي. وهو ما سنسعى إلى توضيحه من خلال صفحات هذا الفصل.

---

(1) ابراهيم مهديد: المرجع السابق، ص 18.

(2) تطرقنا بإسهاب إلى النشاط التعليمي والثقافي لهذه المؤسسات في الفصل الثاني.

المبحث الأول: الجمعيات والنوادي مابين 1900 – 1930:

1. جمعية البابا علَّية:

جمعية فنّية ورياضية تأسست شهر جويلية 1903 بحي "باب علي" العتيق من طرف السّيد مصلى سليمان (ملازم متقاعد) وبعض شباب الحي[1]. تهدف إلى تنمية قدرات الجزائريين في الموسيقى ورياضة المبارزة والجمباز[2]، كما تهدف أيضا إلى إثارة اهتمام الشباب الجزائري باحتفالات الفرنسيين ومشاركتهم في أعيادهم الوطنية[3].

ضم مكتبها أعضاء شرفيون فرنسيين وجزائريين يتقدمهم رئيس بلدية معسكر لويس جيرو (Louis Giraud)، والمحامي أرنست فينسي (Ernest Vinci)، والسيد بوعلام ولد دحمان، وعدة حنيفي محمد[4].

أما مجلسها الإداري فتشكّل من مصلى سليمان (رئيس للجمعية)، وقناوي بوجلال (نائب أول)، وقاسي محمد بن علي (نائب ثاني)، بن عبورة مختار (أمين عام)، قرمالة عبد الرحيم (أمين المال)، تجيني مختار (أمين الأرشّيف)، عبد القادر الحاج علي[5] (أمين المكتبة)، بالإضافة إلى خمس أعضاء مستشارين وهم السّادة: عكروم محمد، لزرق ولد جلول، عفيفي الحاج، وأيضا عدة حنيفي محمد، وبوعلام ولد دحمان[6].

---

(1) Le Progrès de Mascara, 01/08/1903, N°892.
(2) Journal Officiel de la République Française, 29/03/1904, N°88.
(3) Le Républicain de Mascara, 30/08/1903, N° 107.
(4) Le Progrès de Mascara, 01/08/1903, N°892.
(5) سبق لعبد القادر الحاج علي الإقامة في معسكر لعدة سنوات قبل انتقاله إلى فرنسا، ليؤسس هناك حزب نجم شمال إفريقيا مع مصالي الحاج عام 1926.
(6) Le Progrès de Mascara, 01/08/1903, N°892.

والجدير بالذّكر، أنّ تأسيسها أثار ضجّة كبيرة في أوساط الجزائريين، الذين شنّوا حملة عليها مطالبين بحلّها واستقالة جميع أعضائها، كون نشاطها الموسيقي والفني يتعارض مع تعاليم الدّين الإسلامي، ومع مبادّئ وقيّم المجتمع الجزائري[1].

كما عارضها اليهود أيضّا، وحاولوا منع تأسيسها مثلما فعلوا ذلك من قبل مع الجمعية المعسكرية الفرنسية للموسيقى مطلع سنة 1903، وبشأن هذا الاعتّراض كتبت جريدة الجمهوري (Le Républicain) الصادرة بمعسكر والمناهضة لليهود في عددها الصّادر بتاريخ 30 أوت 1903 ما يلي:" إنّ اليهود ولسان حالهم الرّسمي يحاولون منع ظهور هذه الجمعية المسمّاة "البابا علية" والتي قاموا بالتّهجم عليها مثلما فعلوا ذلك من قبل عندما تم إنشاء الجمعية المعسكرية (La Mascaréenne). إن غرضهم هو القضاء على الإبداع والفنون الجميلة"[2].

وعلى أية حال فإنّ موقف الجزائريين الرافض لتأسيس هذه الجمعية إنما كان نابعا من العاطفة الدينية التي تقتضي من المسلم الابتعاد عن الأمور المحرمة شرعا أو التي بها شبهة صونا لدينه وأخلاقه من جهة، وحمايةً لمجتمعه من التدليس من جهة ثانية. أما موقف اليهود منها فلا يبرره إلاّ شيء واحد وهو حقد وكره هذه الطائفة للجزائريين والتي ما فتئت أن استعلت عليهم بعد تجنسها بالجنسية الفرنسية التي أقرّها قانون كريميو 1870.

وعلى خلاف ذلك فقد لقيت الجمعية التشجيع والدعم من الإدارة الفرنسية، ففي الاجتماع التأسيسي الذي انعقد في مقر البلدية قدّم رئيسها السيد لويس جيرو (Louis Giraud) وأعضاء مجلسه مبلغا ماليا بقيمة 250 فرنك لشراء الأزياء والآلات الموسيقية، كما قاموا بتوفير بعض الوسائل والمعدات الرياضية لممارسة رياضة الجمباز والمبارزة[3].

(1) Le Républicain, 30/08/1903, N° 107.
(2) Ibid.
(3) Le Républicain, 30/08/1903, N° 107.

وعقب تأسيسها مباشرة أصبحت الجمعية تضم خمسون عضوا ليرتفع عددهم بعد أشهر قليلة من ذلك إلى مئة عضو، منقسمين بين فروعها الثلاث، فرع العزف والموسيقى، فرع رياضة الجمباز، وفرع المبارزة[1].

أما فيما يتعلق بنشاطاتها الفنية، فقد أقامت الجمعية أول حفل لها في الثالث من شهر أوت – أيام قليلة بعد تأسيسها – في ساحة لافونتان بحي باب علي[2] (ابن خلدون حاليا)، والتي قامت خلاله بعزف بعض الموصولات والقطع الموسيقية أمام الحضور، كما عزفت مقطوعات موسيقية أخرى أمام منزل السيد جيرو (Giraud) والسيد فينسي (Vinci) الرئيسين الشرفيين للجمعية[3].

ومن أنشطة الجمعية الأخرى، أنْ شاركت بنجاح في المهرجان السنوي الذي نظم في معسكر يوم 03 سبتمبر 1903 إلى جانب عدة فرق موسيقية فرنسية، كفرقة البوق والطبول للفيف الأجنبي، والفرقة الموسيقية التابعة لرجال الإطفاء، وفرقة العزف لجيش القناصة الأوربية[4].

وفي 21 نوفمبر 1903 نظمت الجمعية أمسية فنّية بالمسرح البلدي، حضرها عدد من المسؤولين ورؤساء الجمعيات الأخرى على غرار رئيس البلدية جيرو وبعض المستشارين. قدمت فيها فرقة العزف والموسيقى وصلات غنائية متنوعة أثارت إعجاب الحضور[5].

غير أنّ نشاطها سرعان ما تراجع سنة 1904، فلم نسجل لها سوى حفلتين فقط، الأولى نظمتها في حي "باب علي" شهر جويلية[1]، والثانية أقامتها بسان هيبوليت (Saint-Hippolyte) –المامونية– في شهر أوت من نفس السنة[2].

---

(1) Ibid.
(2) Le Progrès de Mascara, 01/08/1903, N° 892.
(3) Le Républicain, 09/08/1903, N° 104.
(4) Le Réveil de Mascara, 20/08/1903, N° 2176.
(5) Le Réveil de Mascara, 07/11/1903, N° 2186.

2. الجمعية الدينية الإسلامية (Association Cultuelle Musulmane):

جمعية دينية تأسست شهر نوفمبر 1909، ساهم في تأسيسها مستشارين ونواب، ورجال الدّين، وبعض التّجار والملاّكين، وهم على التّوالي: الرئيس: بن شنان قدور (مستشار عام)، نائب الرئيس الأول: بالعماري مختار (مستشار بلدي، تاجر ومالك)، نائب الرئيس الثاني: بوصور الطيب بن سوداني (تاجر ومالك)، أمين المال: عدة حنيفي الحاج عثمان (مستشار بلدي، تاجر ومالك)، نائب أمين المال: خليل الحاج أحمد بن خليل (تاجر ومالك)، الأمين العام: بن يخو قادة بن دحو (كاتب لدى محامي، ومالك)، مساعد الأمين العام: ڤرمالة عبد القادر بن عمار (مدرس، ومالك)، أما الأعضاء المستشارون فهم: بن يخو محي الدين (مفتي)، دايج محمد بن دايج (مدرس بالجامع الكبير)، الطيب الهاشمي بن طيب (إمام)، ڤايدي ميلود ولد مزيان (تاجر)، بوڤطاية بن يحي بن سليمان (تاجر)، موضح بن صديق عبد القادر (مالك)، بن سفير محمود ولد بلعيد (خوجة)، عدة حنيفي أحمد ولد حنيفي (مالك)[3].

تهدف الجمعية إلى العناية بالمساجد والمؤسسات الدينية الأخرى، وتفعيل دورها الديني والتعليمي، خاصة تلك التي توقف نشاطها بعد الاحتلال، ولا نستبعد في هذا الصّدد أن يكون أعضاء الجمعية هم من طالبوا السلطات الاستعمارية باستعادة مسجد المبايعة (أو ما يعرف بمسجد سيدي حسان) الذي استولى عليه الفرنسيون بعد احتلال المدينة سنة 1841، واتخذوه مربطا لخيول جنود الصبايحية ومخزنا لعلفهم، ثم أجّروه فيما بعد لأحد اليهود الذي حوّله إلى متجّر لبيع الحبوب. وحسب الأستاذ بوعزيز فإن هؤلاء الأعيان استطاعوا

(1) Ibid. 11/07/1904, N° 2429.
(2) Le Républicain, 07/08/1904, N° 166.
(3) Le Réveil de Mascara, 27/11/1909, N° 2503.

استرداده في حدود سنة 1910، وفتحوه من جديد ليؤدي رسالته الدينية والتعليمية، والتربوية[1].

ومن المهام الأخرى التي اضطلعت بها الجمعية العمل على صيانة وترميم المؤسسات الدينية التي أصابها البلى والتلف في بعض أجزائها، بجمع الأموال والتبرعات من الجزائريين أو بطلب المساعدة من الإدارة الفرنسية لإصلاحها، وكمثال على ذلك مطالبة رئيسها بن شنان قدور الذي كان وقتها مستشارا ماليا من أعضاء المفوضية المالية في جلستها المنعقدة 30 ماي 1924 إعادة سقف المسجد الكبير الذي أصبح في حالة سيئة لدرجة أنه أصبح من الصعب أداء الشعائر التعبدية فيه خلال الأيام الممطرة[2].

3. المولودية المعسكرية

جمعية ثقافية وخيرية، تأسست في 03 جوان 1910، وصُرَّح بها في الجريدة الرسمية في 15 سبتمبر 1910، مقرها الرئيسي حي باب علي[3]. تهدف إلى إحياء المناسبات والأعياد الدينية والموسمية الخاصة بالجزائريين، وتقديم المساعدات والمعونات للفقراء والمعوزين والمحتاجين[4].

تشكل مكتبها الإداري من بن هونة دحو ولد معروف رئيسا، ومرزوق إبراهيم بن عيسى، ووزير محمد بن أحمد نائبا للرئيس، وميموني أحمد بن يحي أمينا عاما، وملال محمد ولد الحاج أحمد أمينا للمال.

---

(1) يحي بوعزيز: المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، المرجع السابق، ص212.
(2) G.G.L, Assemblées Financières Algériennes, session ordinaire de Mai – Juin, 1924, IMP Nord Africaines, 1924, P 79.
(3) J.O.R.F, 15/09/1910, N° 251.
(4) Le Progrès de Mascara, 13/08/1910, N° 1254.

بينما المستشارون فهم: والي عبد القادر ولد قويدر، بن سكرية محمد ولد دحمان، خيثري محمد ولد عبد القادر، ناصر محمد بن محمد، نواري محمد ولد الحاج أحمد، قلوزي محمد ولد علي، قميد أحمد ولد قدور[1].

وتجدر الإشارة، إلى أنّ مكتبها الإداري عرف تغييرات طفيفة سنة 1914 وذلك بتعيين السيد بن عبورة مختار رئيسا شرفيا، والسيد بوعرقوب بلعربي رئيسا لها خلفا لرئيسها المستقيل أحمد تونسي بوجليل[2] الذي يحتمل أنه عين في هذا المنصب خلفا لرئيسها الأول بن هونة دحو ولد معروف.

ومن الأنشطة التي قدّمتها الجمعية، تنظيمها لعدة مهرجانات وحفلات، نذكر منها على سبيل المثال المهرجان الثقافي والفني الكبير الذي نظم في حي "باب علي" في الفترة مابين 15 إلى 25 فيفري 1913، بمناسبة وعدة سيدي محمد الميلود التي كانت تقام سنويا، التي تعرف بوعدة (Poudre)[3].

4. الجمعية الأخوية:

جمعية خيرية ثقافية تأسست في 25 جويلية 1911 بمبادرة من الشباب المعسكري المسلم، وصُرَّح بها في الجريدة الرّسمية يوم 12 أوت 1911[4]، مقرها شارع الجنوب بحي باب علي[5]، تهدف إلى مساعدة التلاميذ الجزائريين الفقراء الذين يدرسون في المدارس الفرنسية، وتقديم الإعانات للعائلات الجزائرية المعوزة، كما تسعى إلى نشر اللّغة والثقافة الفرنسية في الأوساط العربية، ومحاربة التعصّب والأفكار الرجعية التي تعيق ذلك[6].

(1) Le Progrès de Mascara, 13/08/1910, N° 1254.
(2) Le Réveil de Mascara, 18/04/1914, N° 2729.
(3) Ibid. 15/02/1913. N° 2668.
(4) J.O.R.F,12/08/1911, N° 217.
(5) Le Rappel Algérienne, 06/10/1911, N° 359.
(6) La Mutualité Algérienne, 25/12/1911, N° 58.

تشكل مجلسها الإداري لأول مرة من الأعضاء الآتية أسماؤهم: الرئيس: قرمالة عبد القادر (معلم بمعسكر)، نائبا الرئيس: بن عبورة مختار (كاتب لدى موثق)، وشبرو محمد (معلم بواد تاغية)، الأمين العام: مانو محمد (مالك)، نائب الأمين العام: شكال دحو (موظف)، أمين المال: عدة حنيفي بوجلال (تاجر)، مساعد أمين المال: بوعبسة عبد القادر (تاجر).

أما المستشارون فهم: بن داني الحبيب (مالك)، ملياني بشير (تاجر)، خلافات محمد (كاتب عدل)، بركان عبد القادر (كاتب عدل)، بن يخو بوعلام (كاتب لدى موثق)، عدة حنيفي عبد القادر (تاجر)، لكحل مختار (مالك)، طيبي مداح (صاحب مقهى)[1].

وبعد تشكيل مكتبها الإداري وانتخاب رئيسها على النحو السالف الذكر قدّم أعضائها قانونها الأساسي إلى السلطات الفرنسية، فصادقت عليه، وقد اشتمل هذا القانون على خمسة عشرة مادة، تضمنت مادته الأولى والثانية أهداف الجمعية التي ذكرناها آنفا، أما مادته الرابعة فحددت صفة الأعضاء المنخرطين والتي قسمتهم إلى ثلاثة أقسام وهم:

-الأعضاء الجزائريون النشيطون الذين يدفعون اشتراكا شهريا بقيمة 0.50 فرنك.
- الأعضاء الشرفيون الأوربيون والجزائريون الذين يبلغ اشتراكهم السنوي 10 فرنكات.
- الأعضاء المحسنون الذين يتعين عليهم دفع مبلغ لا يقل عن 20 فرنك أو تقديم تبرع عيني معادل.

أما المادة الخامسة، فحدّدت الآليات التي يتم بها عزل المنخرطين في الجمعية، موضحة أنّ العزل لا يكون إلاّ بوجود سبب فعلي، كما نصّت على ضرورة استدعاء المعني للمجلس والسّماع لتبريراته قبل أن يتم اتخاذ أي إجراء في حقة.

(1) Le Réveil de Mascara, 12/08/1911. N° 2592.

ومن جهة أخرى ألزمت المادة السادسة منه الأعضاء الراغبين في الانسحاب بتسديد الاشتراكات المترتبة عليهم، واعتبرت المنخرطين الذين تأخروا عن تسديد اشتركاتهم لمدة ثلاثة أشهر معزولين آليا.

كما أكّدت المادة السابعة من قانون الجمعية على ضرورة تجديد مجلس إدارتها كل سنة عن طريق الانتخاب، وفي حال تساوي الأصوات بين مترشحين أو أكثر تعلن النتائج لصالح أكبر سناً. أما في حالة وفاة أو استقالة عضو أو أكثر من هيئتها الإدارية فإنه يتم عقد جمعية عامة في غضون شهر كحد أقصى لتعويضهم.

أما بخصوص الموارد المالية للجمعية فنصّت المادة العاشرة منه أنه يتم تحصيلها من ثلاثة مصادر رئيسية وهي:

- مساهمات الأعضاء المنخرطين والشرفيين.
- تبرعات أعضائها المحسنين، والإعانات المقدمة من الأشخاص المتعاطفين معها.
- عائدات الحفلات التي تنشطها الجمعية.

وتوضح المادة الحادية عشر طريقة صرف هذه الأموال والتي يتم توزيعها على النحو التالي:

- تغطية نفقات المكتب.
- شراء اللوازم والأدوات المدرسية والملابس للأطفال المتمدرسين.
- تقديم مساعدات لبعض الأسر المحتاجة.
- تخصيص جزء من الأموال لتنظيم الحفلات والمهرجانات.

كما تمنع المادة الثالثة منعا باتا أعضاء الجمعية من الخوض في المسائل السياسية والدينية سواء في الاجتماعات العامة أو الخاصة[1].

)1(La Mutualité Algérienne, 25/12/1911, N° 58.

وتجسيدا لما جاء في المادة الأولى من قانونها الأساسي والقاضية بتقديم إعانات ومساعدات للمحتاجين، قام رئيس الجمعية السيد قرمالة عبد القادر وأعضاء مكتبها بتوزيع مساعدات غذائية على مئة أسرة معسكرية محتاجة في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان 1329 هـ الموافق لسنة 1911، اشتملت هذه المساعدات على 100 كيلوغرام من اللّحوم، و200 كيلو غرام من السميد، و50 لترا من الزيت[1].

وفي شهر أكتوبر من نفس السنة اجتمع أعضاء مكتبها مرة أخرى بمقرها الكائن في شارع الجنوب بحي باب علي، وصوتوا على إعانة مالية لشراء أدوات مدرسية للتلاميذ الجزائريين المعوزين. كما اتفقوا بالإجماع على فتح دورة تعليمية للكبار من السكان الجزائريين، وأيضا التحضير لعقد ندوات ومؤتمرات يتم من خلالها التعريف بالفكر الغربي والحضارة الفرنسية في الأوساط العربية[2].

ولا غرابة في أن نرى هذه الجمعية تدعوا إلى الاندماج الثقافي، ذلك لأن معظم أعضائها كانوا من خرجي المدارس الفرنسية ومتشبعين بالثقافة الغربية، كما كان أغلبهم موظفين رسميين في الإدارة والمؤسسات التعليمية الفرنسية.

كما تجدر الإشارة في هذا الصدد إلى استجابة أعضائها لدعوة الدكتور أبو القاسم بن التهامي رئيس الجمعية التوفيقية[3] المتواجد مقرها بمدينة الجزائر لتشكيل لجنة مصغرة تهدف إلى التنسيق والتواصل فيما بينهما. عين في رئاستها الشرفية عدة حنيفي عثمان (مستشار بلدي)، أما مجلسها فتشكل من: الرئيس عدة حنيفي بوجلال، نائب الرئيس مْهُر ميلود، أمين المال: عدة حنيفي عبد القادر، الأمين العام: بركاني عبد القادر، أما

(1) Le Réveil de Mascara, 23/09/1911, N° 2598.
(2) Le Rappel Algérienne, 06/10/1911, N° 359.
(3) جمعية أدبية خيرية علمية تأسست عام 1908 بالجزائر العاصمة، ثم أعاد النخبة تنظيمها عام 1911، ترأسها الدكتور أبو القاسم بن التهامي، هدفت إلى جمع الجزائريين الراغبين في تثقيف أنفسهم وتطوير أفكارهم ومعارفهم العلمية والاجتماعية، استقطبت أكثر من مائتي عضو خلال سنة واحدة منهم بعض الشباب المتجنس بالجنسية الفرنسية، والمتخرج من المدارس الفرنسية مثل "الشريف بن حبيلس"، "ومحمد صوالح"، "وابن التهامي"، انظم إليها بعض المثقفين بالعربية. ومن نشاطاتها إلقاء المحاضرات، وتدريس اللّغة العربية والرياضيات، وتقديم بعض الألعاب، وتأسيس عدة فروع تابعة في مختلف أنحاء الجزائر. أنظر: محمد ڤن: الجمعيات والنوادي الثقافية في مدينة الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي 1930 – 1954، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 02، السنة الدراسية 2016 – 2017، ص 207، 208.

المستشارون فهم: قرمالة عبد القادر، بن عبورة مختار، بن يخو بوعلام، ملياني بشير، بن داني الحبيب، بوعبسة عبد القادر، شكال حو.

وبعد هذا الاتفاق الموقع شهر مارس 1912، صرحت الجمعية على الفور بدفع مبلغ اكتتاب قدره 50 فرنكا، وقام رئيسها الشرفي عدة حنيفي عثمان بالتبرع بنفس المبلغ[1].

5. النادي الإسلامي لكرة القدم (F C M):

أول نادي رياضي جزائري يحمل اسم "إسلامي" في عهد الاستعمار الفرنسي، وذلك للتعبير عن الهوية العربية الإسلامية، وللتمييز بينه وبين الفرق الرياضية الفرنسية، تأسس شهر جانفي 1913 من طرف بعض الشباب المسلم في المنطقة وعلى رأسهم عبد القادر بن معمر (الرئيس الشرفي للنادي)، ونائبه قدور بن سماعين، وقائد الفريق مصطفى شاريو[2]. حلته فرنسا عام 1924 بسبب تسميته "الإسلامي" التي كانت تحمل مدلولا دينيا مرتبطا بالهوية، كما كانت هذه الكلمة لوحدها كافية لانتشار الوعي في أوساط الجزائريين، وهنا يجدر بنا القول أّن كرة القدم خلال تلك الحقبة لم تكن لعبة الهدف منها تمضية الوقت أو الفوز بالبطولات وتحقيق الإنجازات بل تعدتها لأكثر من ذلك إذ كانت هوية ووسيلة لإثبات الذات، وهذا ما جعل العديد من الأندية الجزائرية تحمل هذه التسمية على غرار النادي الإسلامي الجزائري، النادي الإسلامي الوهراني، النادي الإسلامي البليدي، والنادي الرياضي الإسلامي القسنطيني، وكذلك مولودية قسنطينة، ومولودية الجزائر اللتان سميتا نفسهما بذلك تيمنا بمولد النبي صلى الله عليه وسلم.

6. نادي غالية معسكر:

(1) L'Echo d'Oran, 27/03/1912, N° 14691.
(2) L'Echo sportif de L'Oranie, 10/10/1913, N° 136.

تأسس هذا النادي بتاريخ 26 جوان 1925، وهو ما يزال ينشط إلى غاية اليوم، تشكل مكتبه الإداري من الرئيس: دي هارو فرانسوا (De Haro François) – الذي كان يشتغل دهانا–، نائب الرئيس: بن عودة عبد القادر(مالك)، الأمين العام: لكحل عبد الكريم (كاتب لدى موثق)، مساعد الأمين العام: ڤوال دحو (موظف في بنك)، أمين المال: شلالي مختار (دهان)، نائب أمين المال: مانو الجيلالي (كاتب لدى موثق).

المساعدون: بركان عبد القادر (كاتب لدى موثق)، عدة حنيفي بلعيد (تاجر)، بلاسكو فرانسوا (Blasco François) – بناء –، عدة حنيفي عبد القادر (تاجر)، ماركاز جوزيف (Marquez Joseph) – بناء –، حاجو مصطفى (تاجر)، باسكال باربارِيزي (Pascal Barbarisi) – بناء –.

أما لجنة كرة القدم للنادي فتشكلت من: الرئيس عڤار قدور، والأعضاء: كاليكست مينيو (Calixte Munios)، لكحل عبد الكريم، شلالي مختار، بوكحيلة بلميلود، عدة حنيفي بشير. فيما عُيّن ڤوال دحو رئيسا للفريق، وبوكحيلة بلميلود مديرا رياضيا للنادي[1].

وقد تزامن تأسيس النادي مع ظهور أندية جزائرية عريقة مثل النادي الرياضي القسنطيني الذي ظهر سنة 1926، وقبله فريق مولودية الجزائر الذي كان يحمل اسم المولودية الإسلامية الشعبية الذي تأسس في 07 أوت 1921.

وبغض النظر عن المقابلات التي كان يجريها النادي سواءً محليا أو جهويا، فإنّ لقاءاته مع الفرق الأوربية خاصة الفريق المحلي الفرنسي المسمى (L'avant-garde Sportive Mascaréenne) كانت تأخذ طابع النّدية، وانتصار الغالية فيها كان بمثابة انتصار على الاستعمار. ويمكن أن نستشهد في ذلك بما يرويه أحد المعاصرين لهذه الفترة والذي يقول في هذا الصدد:" كنا نذهب أيام العطل إلى الملاعب، فكنا نشجع ونساند فريقنا المحلي، فريق غالي معسكر، فكنا نبتهج بانتصاراته على الفريق الفرنسي، وكنا نعتبر ذلك تحديا

(1) Le Réveil de Mascara,18/07/1925, N° 3149.

وحربا على فرنسا، وأذكر مرة أنّ غالي معسكر انتصر على الفريق المحلي الفرنسي A.G.S.M، وكان الصراع قويا إلى درجة أنّ رئيس بلدية معسكر الفرنسي رفض أن يجري اللّقاء في مدينة معسكر، واضطرّ المنظمون للانتقال إلى ملعب مدينة وهران (Montréal)، "ملعب بوعقل حاليا"، وانتصر الفريق المعسكري وتمت الأفراح في معسكر وانخذل الفرنسيون أمام الجزائريين وكأنهم كانوا في حرب وخرجوا منها منهزمين، حيث كان لهذا الانتصار أبعادا رياضية واجتماعية وسياسية"[1].

وهكذا يبدو جليا أن رياضة كرة القدم أخذت مسارا أخر، حيث أصبحت بالنسبة للجزائريين وسيطة قوية لنقل توجهاتهم الهوياتية وتثبيتها مما جعل المقابلات الرياضية بينهم وبين الفرق أوربية أحيانا تأخذ طابع المواجهات العنيفة سواء في الملعب أو على مستوى المدرجات، وهو ما طرح مشاكل للسلطات الفرنسية التي سعت لحلها بشكل أو بأخر، وقد صرّح بذلك الجنرال جيرو (Giraud) ذاته الذي كان قائدا للقسم العسكري لمدينة وهران قائلا بوضوح:" لا بد أن تكون الرياضة الرباط الذي يسمح بتوحيد الفرنسيين والمسلمين حول الرغبة ذاتها المتمثلة في الفوز وفي الطموحات النبيلة، وذلك بالقضاء على كل صراع ديني أو عرقي"[2] .

7. نادي الشبيبة الأدبية الأهلية:

يعد أهم نادي ثقافي وتربوي وعلمي بمعسكر، تأسس بتاريخ 17 جويلية 1927، من طرف بعض المثقفين الشباب، تألف مجلسه الإداري من إحدى عشر عضوا، وهم كالتالي[3]:

الأعضاء	المهام

[1] منور الصم: المرجع السابق، ص ص 46، 47.
[2] ديدييه راي: زمن التعليمات أو التناقضات كرة القدم الكولونيالية في الجزائر (1928 – 1945)، تر محمد داود، مجلة انسانيات، العدد 35، السنة 2006، ص04.
[3] Le Réveil de Mascara, 23/07/1927- N° 3253.

حصية محمد	رئيسا
سفير خالد	نائبا للرئيس
طاهر أحمد	أمينا عاما
سفير محمد	نائبا للأمين العام
بن لولو صالح	أمينا للمال
قاضي حنيفي أحمد	أمين المكتبة
بن سفير محمود	عضوا
شرقي بلقاسم	عضوا
صبان عمار	عضوا
دايج جيلالي	عضوا
عبد المومن الحاج الطاهر	عضوا

كما ضمّ النّادي رؤساء شرفيون كانوا يتشكّلون من قضاة ومفتيين وعلماء الدين الرسميين كالشّيخ محمد الدّايج (مدرس بالجّامع الكبير)، والمفتي موضّح عبد القادر بن صديق، والشيخ الحاج بن عبو سي الطيب بن الهاشمي، القاضي الحاج مصطفى بن جبار، والقاضي الإباضي بمعسكر مصري الحاج السعيد، والشيخ بكارة بلهاشمي إمام بالمسجد الكبير بمعسكر[1].

ولعلّه من المفيد، أن نشيد بالدّعم الذّي قدّمه هؤلاء العلماء والأعيان للنادي في بداية تأسيسه، وبالأخص الشيخ محمد بن دايج والشيخ بكارة بلهاشمي اللّذان حضرا للاجتماع التأسيسي وشاركا إلى جانب أعضائه في مناقشة قانونه الأساسي مستغلين في ذلك خبرتهم وتجربتهم في هذا المجال، والشيخ شنتوف الحاج العربي شيخ الزاوية الدرقاوية الذي قام بتزويد الأعضاء الشباب بالوسائل المادية اللازمة لبدء مشاريعهم[2].

(1) Le Réveil de Mascara, 23/07/1927- N° 3253.
(2) Ibid.

أما بخصوص أهدافه، فقد حدّدها أعضائه خلال اجتماعهم التأسيسي في هدفين رئيسيين. الأول: يتمثل في الحفاظ على العلاقات الودّية والرّوابط الفكرية القائمة بين شباب معسكر وتعزيزها، أما الثاني: فيصبّوا إلى نشر التّعليم والثّقافة العربية وتطويرهما باستغلال جميع الوسائل المتاحة (الدّروس، المحاضرات، المؤتمرات...)[1].

ولا شّك أنّ أعضاء النادي كانوا حريصين على تحقيق هذه الأهداف رغم قلة إمكانياته المادّية، ويظهر ذلك في دعوة رئيسه الشباب المعسكري للانخراط فيه والتفاعل مع نشاطاته الأدبية والفنية، كما يتجلى ذلك أيضا في تقديم يد العون للطلاب الجزائريين ومساعدة المتفوقين منهم للالتحاق بمدرسة تلمسان الفرنكو إسلامية[2].

وتماشيا مع أهدافه المتقاربة مع توجهات الحركة الإصلاحية قدّم النّادي دعما كبيرا لأعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ففي سنة 1932 وبعد حلول الزموشي بمعسكر فتح أعضائه مقرهم له والمتواجد بشارع الغزالي في حي باب علي لإلقاء دروس في اللّغة العربية، كما تقدموا سنة 1934 بطلب للسلطات الفرنسية لافتتاح مدرسة قرآنية، يُعلَّم فيها الوافد الجديد القرآن الكريم ولغتهم الأصلية، لكن الطلب قوبل بالرّفض من طرف الإدارة الاستعمارية[3]، فأعيد الطلب مرة ثانية فاستجابت لهم الحكومة العامة ووافقت عليه في 16 نوفمبر 1935[4].

وبعد ثلاثة سنوات من النشاط تم غلق المدرسة القرآنية من طرف عامل العمالة بحجة انتساب الزّموشي لجمعية العلماء المسلمين والدّعاية لصالحها، وعلى اثر ذلك قام بعض المستشارين البلديين وفي مقدمتهم نائب رئيس البلدية السيد شكّال علي . الذي كان عضوا

(1) Le Réveil de Mascara, 23/07/1927- N° 3253.
(2) L'Echo d'Alger 16/11/1928, N° 6978.
(3) خالد بوهند: الشيخ محمد سعيد الزموشي حياته الدينية والسياسية، المرجع السابق، ص 30.
(4) Mohammed EL Korso : Politique et Religion en Algérie le cas de l'association des Ulémas Musulmans Algériens en Oranie 1931 – 1945, T1 Thèse d'Histoire, Pris VII 1989, P212.

في النادي . بالتدخل لدى السلطات المحلية، فتم منح ترخيص مؤقت يسمح لنادي الشّبيبة الأدبية الأهلية بفتح المدرسة القرآنية من جديد، لكن لمدة ستة أشهر فقط[1].

فضلا عن ذلك، فقد بذل أعضّاء النّادي سنة 1939 جهودا كبيرة لبناء مدرسة جديدة للتّعليم العربي الحر على نمط مدرسة دار الحديث بتلمسان، ومدرسة الفلاح بوهران، فقاموا بشراء قطعة أرض وشرعوا في عملية البناء لكن المدرسة لم تكن بالحجم الذي كانت عليه مدرستي تلمسان ووهران لقلة المصادر المالية[2].

ولا مناص من القول أنّ النادي كان بمثابة بوتقة للإصلاح في المدينة، خاصة بعدما نجح في استقطاب أعضاء الجمعية والعمل إلى جانبهم من أجل تحقيق أهدافهم الرامية إلى إحياء اللّغة العربية، وتعزيز الوازع الديني لسكان المنطقة، وترسيخ الهوية والثقافة العربية الإسلامية بين مختلف فئات المجتمع المعسكري.

بالإضافة إلى ذلك، فقد قام النادي بتنظيم العديد من التظاهرات الثقافية والنشاطات الفنية بعضها كان فرديا، والبعض الأخر كان بالتنسيق مع جمعيات ونوادي جهوية ووطنية، كتنظيمه إلى جانب جمعية الطلاب المسلمين لشمال إفريقيا[3] تظاهرة أدبية وفنية بالمسرح البلدي لمعسكر يوم 18 أفريل 1933[4] والتي عرفت إلقاء محاضرتين باللّغة العربية، الأولى قدّمها الطّالب عبد السّلام الذي ينتمي إلى جمعية طلبة شمال إفريقيا، تطرّق فيها إلى دور اللّغة العربية وأهميتها، والثانية ألقاها الطّالب ياسين وهو أيضا من طلبة الجمعية،

---

(1) Mohammed EL Korso : Op.cit. P212.

(2) A.W.O - Bp – 201, (1937 – 1939), 03/03/1939, N° 127.

(3) ظهرت رسميا عام 1918 بمدينة الجزائر تحت اسم ودادية التلاميذ المسلمين بإفريقيا الشمالية في الجزائر، صرح بها في الجريدة الرسمية بتاريخ 1919/04/15، تشكل مكتبها الإداري في البداية من السيد بلقاسم بن حبيلس "طالب في كلية الحقوق" رئيسا، والهادي بن سماية "طالب في كلية العلوم" نائب للرئيس، والطالب أخضاري إسماعيل أمينا عاما، والجيلالي بن طاسي "طالب في كلية الطب" نائبا له، وعليوة مداني "طالب في كلية الطب" أمينا للمال، ومنصوري عبد الله "طالب في كلية الطب" مسؤولا عن الأرشيف، كان هدف الجمعية تمتين روابط المودة والتضامن بين طلبة شمال إفريقيا، وتشجيع شباب البلاد المغاربية على استكمال دراساتهم بفرنسا، وتسهيل إقامتهم بها بمنحهم إعانات وقروض. أنظر: محمد ڤن: المرجع السابق، ص 209، 210.

(4) Le Réveil de Mascara, 15/04/1933, N° 3553.

والتي عرّف فيها بحياة الشيخ محمد عبده وإنجازاته[1]. كما عرفت التظاهرة عرض مسرحيتين من تنشيط كل من الفنان محي الدّين بشتارزي[2]، ورشيد قسنطيني[3]، والفنانة ليلى لبّاس وآخرون ... العرض الأول بعنوان: "عالم الفلك المرتجل" والعرض الثاني بعنوان: "القصائد السحرية"، وقد تخلل العرضين رقصات، وأغاني، وسكاتشات[4].

وتجدر الإشارة إلى أنّ التظاهرة حضرها شخصيات أوربية وجزائرية بارزة كبسكال ميزلي (المندوب المالي)، وشاسان (Chassaing) المتصرف الإداري الممثل عن رئيس الدّائرة، ومونتيرا محي الدّين (المستشار العام)، والسّيد مصطفى باشا (رئيس جمعية الطلاب المسلمين لشمال إفريقيا)، والبودالي سفير (أستاذ اللّغة العربية بالمدرسة الابتدائية العليا)، وبن عبورة مختار وعدة حنيفي بوجلال (المستشارين البلديين)[5]. ولا يفوتنا القول أنّ مداخيل الحفل التي جمعها النّادي خصّصها للطّلاب المحتاجين لتغطية نفقاتهم الدّراسية[6].

وإثراءً لتظاهراته الثّقافية ونشاطاته الفنّية حرص النادّي على تنظيم ندوات ومحاضرات متنوعة باللّغتين العربية والفرنسية، تناولت مواضيع مختلفة تاريخية وثقافية واجتماعية، نشطها نخبة من الأساتذة والأدباء ورجال الفكر والثقافة، على غرار الأستاذ سفير البودالي

---

(1) Le Réveil de Mascara, 22/04/1933, N° 3554.

(2) محي الدين باش تار زي: (1897 – 1986) مخرج ومؤلف مسرحي جزئري. بدأ حياته حزابا في الجامع الجديد بالعاصمة سنة 1915، وقد ساعده حفظ القرآن الكريم على طلاقة لسانه وصفاء صوته، ترك أكثر من مئة مسرحية مثلت كلها على خشبة المسرح أو في الإذاعة، كما عمل باش تارزي في مجال الغناء الطرب أيضا، وفي الإذاعة ثم التلفزة، ومن الجمعيات التي عمل فيها جمعية (المطربية) التي أدارها أكثر من عشرين سنة، كما نشط في الجمعية (الفخارجية) للموسيقى، وجمع بين الأغاني الدينية والوطنية، وعاصر الأحداث العالمية، وثورة نوفمبر، وعهد الإستقلال، عاش إلى أن كتب مذكراته، سجل فيها نشاطه ونشاط جيله منذ الحرب العالمية الأولى: أنظر: أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي 1830 – 1954، ج 08، درار الغرب الإسلامي، ط01، بيروت، لبنان، 1998، ص 451.

(3) رشيد قسنطيني: اسمه الحقيقي رشيد بلخضر، وهو من مواليد العاصمة سنة 1887، تلقى تعليمه الابتدائي في مدرسة محمد البليدي بالقصبة، كان محبا للموسيقى وحفلات الطرب فشارك في نشاط الأوبرا بالعاصمة، وكان من الضاربين على القيثارة. وكان مع علالو وباش تارزي ودحمون وجلول باش جراح يمثلون كوكبة "الفن الأهلي" من تمثيل وموسيقى وغناء ابتداء من العشرينيات. عاش رشيد حياة الحرمان التي كان عليها الشعب مثل البطالة والفقر والقهر والجهل فتأثر بكل ذلك وعالج في موضوعاته هذه القضايا بأسلوب ساخر دون أن يهاجم الاستعمار مباشرة. توفي سنة 1944 . أنظر أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص ص 450، 451. وأيضا نفس المرجع، ج05، ص 423..

(4) Le Réveil de Mascara, 15/04/1933, N° 3553.

(5) Ibid. 22/04/1933, N° 3554.

(6) Ibid.

الذي ألقى محاضرة يوم 09 ماي 1936 بعنوان "الشّاب الجزائري المسلم"[1]، وكذلك السيد برنار ليقاش (Bernard Lecache) رئيس الرابطة العالمية ضد العنصرية الذي ألقى هو الأخر محاضرة بتاريخ 01 أفريل 1937 تطرق فيها إلى الخلافات الموجودة بين فئات المجتمع الجزائري والآليات الواجب إتباعها لمنع إثارة الكراهية العنصرية خاصة بين المسلمين واليهود[2].

كما خاض نادي الشبيبة الأدبية الأهلية في بعض القضايا والمسائل السياسية، ولعل من أهمها تأييد عناصره لفرنسا في حربها ضد ألمانيا، حيث أرسلوا بشأن ذلك برقية إلى الحاكم العام جاء فيها:" يعلن أعضاء نادي الشبيبة الأدبية عن تأييدهم لفرنسا التي يرتبطون بها ارتبطا وثيقا لأكثر من قرن من الوجود، كما يعلنون كذلك أنهم يحاربون الهتلرية والشيوعية، وأنهم سيواصلون كفاحهم ضدها بكل الوسائل المتاحة"[3]. ولإثبات تأييدهم ومؤزرتهم لفرنسا أعلنوا عن تأجيل جميع نشاطاتهم الثقافية حتى نهاية الحرب وتحقيق النصر النهائي على النازية الألمانية[4].

ولا غرابة من اتخاذ النادي لهذا الموقف، لأنّ معظم أعضائه كانوا قريبين من الإدارة الاستعمارية. فحسب وثائق الأرشيف الفرنسي أنّ مكتبه الذي أعيد انتخابه سنة 1939 كان يتشكل في غالبيته من مستشارين بلديين، وأساتذة ومعلمين في المدارس الرسمية الفرنسية ومترجمين ...، وهو ما يمكن توضيحه من خلال الجدول الأتي[5]:

(1) Le Réveil de Mascara, 22/04/1933, N° 3554.
(2) Ibid.03/04/1937, N° 3764.
(3) Ibid.27/01/1940, N° 3915.
(4) Ibid.
(5) A.W.O – 4473 – I 5, 24/08/1939, N° 426.

اللّقب والاسم	الوظيفة	العضوية في النادي
قرمالة عبد القادر	مستشار بلدي	الرئيس
البودالي سفير	أستاذ بالمدرسة الابتدائية العليا	نائب الرئيس
عبد القادر بوعبسة	مستشار بلدي	نائب ثاني
بوشيخي عبد القادر	مستشار بلدي	أمين المال
بركان عبد القادر	/	مساعد أمين المال
سفير محمد	مترجم لدى المحكمة	كاتب عام
مسلم عيسى	مالك	عضو
عدة حنيفي بوجلال	مستشار بلدي	عضو
ملياني بن يخلف	مستشار بلدي	عضو
خليل الحاج أحمد	مالك	عضو
بن مغنية لخضر	مالك	عضو

ومما يجدر بنا قوله في الأخير أنّ نادي الشبيبة الأدبية الأهلية الذي حمل مشعل الثقافة العربية الإسلامية، ولواء الإصلاح إلى جانب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين نجح في ضم الكثير من الشباب والكهول إليه والذين بلغ عددهم سنة 1935 حوالي 200 منخرطاً[1]. كما نجح في التأثير على عناصر ذات ثقافة مزدوجة تنتمي إلى تيارات سياسية، كتيار النّخبة والنّواب الذي كان يمثله كل من قرمالة عبد القادر، وبوعبسة عبد القادر، وعدة حنيفي بوجلال وغيرهم[2]،

(1) Oran Matin 09/07/1936.
(2) A.W.O – 4475 – I 5, Rapport du Commissaire de Police de la ville de Mascara ou Sous Préfet de l'arrondissement de Mascara, 13/08/1937, N° 5119.

المبحث الثاني: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

1. ظروف تأسيس شعبة الجمعية:

على اثر إنشاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بتاريخ 05 ماي 1931 قام مؤسسها ابن باديس بحملة دعائية واسعة أراد من خلالها التعريف بالجمعية ومقاصدها[1]. هذه الحملة التي كان لها صدى كبير في منطقة معسكر، ازداد تأثيرها وصار واضحا بعد زيارة ابن باديس للمدينة شهر أوت 1932 رفقة الشيخ محمد الصادق الجندرلي[2]. ومن السادة أعيان مدينة معسكر الذين أعجبوا برسالته واقتنعوا بها الحاج أحمد خليل، وعبد المومن الطاهر، ولخضر بن مغنية، وڤايد طاهر، وجاكر قدور، وبن يخلف المليانى، وأحمد كسال[3]، وغيرهم ممن سنأتي على ذكرهم في حديثنا عن نشاطها.

ولعله من الأهمية بما كان أن نشير إلى هذه الزيارة التي جاءت في إطار جولته التي قادته إلى بعض مدن العمالة الغربية، باعتبارها العامل الأبرز في فتح مكتب الجمعية بمعسكر.

فحسب الصحافة الإصلاحية فإنّ ابن باديس استهل زيارته بالجامع الكبير، وكان يقوم بذلك دائما عندما يزور المدن في سائر القطر الجزائري لغرض لفت نظر الجزائريين إلى

---

(1) علي مرّاد: الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر من 1925 إلى 1940، تر محمد يحياتن، دار الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر 2007، ص 167.

(2) جاءت هذه الزيارة في ظل ظروف خاصة غلب عليها طابع الصراع العقائدي الذي احتدم بين عناصر جمعية العلماء المسلمين والطرقيين بعد إعادة انتخاب المجلس الإداري للجمعية في 1932/05/23 والذي أصبح يتكون من رجال الإصلاح فقط، إثر انسحاب بعض الطرقيين منه كعمر إسماعيل ومولود الحافظي، الأمر الذي جعل ابن الشيخ بن باديس يخشى فقدان الجمعية لعناصرها الجدد المكتسبة أثناء رحلته الأولى عام 1931، هذا إلى جانب خوفه من تفاقم الوضع واستغلال ذلك من طرف الإدارة الاستعمارية لضرب الجمعية. مما جعله يشرع في جولة لبعض مدن العمالة الغربية لمهادنة الضمائر ورأب الصّدع بين الجمعية ومن تخلى عنها من رجال الزوايا، وقد شملت هذه الرحلة تسع عشرة مدينة = وقرية وهي: أفلو، السوڤر، تيارت، فرندة، سعيدة، معسكر، البيض، وهران، سيق، سيدي بلعباس، تموشنت، تلمسان، مغنية، الغزوات، أرزيو، بريقو (المحمدية)، مستغانم، زاوية الشيخ بن طكوك، غيليزان. أنظر: محمد القورصو، المرجع السابق: ص ص 25، 26.

(3) منور الصم: المرجع السابق، ص ص 98، 99.

حرمة المسجد وأهميته في الإسلام[1]، ثم اتجه بعدها لمقابلة المسؤولين الفرنسيين في المدينة، ولعّل الهدف من هذا اللقاء هو تحاشي ابن باديس العراقيل التي يمكن أن تضعها له الإدارة الفرنسية أثناء جولته، ثم عاد بعدها إلى المسجد وألقى درسا على مسامع الحضور، حث فيه حسب "الشهاب" على التمسك بالفضائل والابتعاد عن الرذائل، وبين حقيقة الدّين الذي بمعرفته يكمل الإنسان في إسلامه وإنسانيته، كما حث السكان على التآلف والتعاون فيما بينهم[2].

كما استغل ابن باديس فرصة هذا اللقاء وعرّف الحاضرين بالجمعية ومقاصدها حسبما هو مبين في قانونها الأساسي، ولخص لهم وصايا الجمعية في ثلاث كلمات هي: تعلموا – تحابوا – تسامحوا، ثم بيّن لهم أن الجمعية للجميع، وأنها ليست ضد أحد لا الزوايا ولا لغيرها وأن غرضها هو نشر العلم والفضيلة بين الجميع[3].

ومما تجدر الإشارة إليه، أن التّجمع حضره جمع غفير من سكان المدينة بما فيهم المرابطين وشيوخ الزوايا والأئمة الرسميين والمفتيين[4] كالشيخ موضح بن صديق عبد القادر مفتي الديار المعسكرية، والشيخ قادة بوزيان الزلماطي الذي ألقى قصيدة شعرية امتدح فيها الشيخ ابن باديس. ومما ورد فيها:

يا إمام العصر مهلا يا سليل أكرمينا

أيها الأستاذ عفوا منك نرجوا مبينا

---

(1) الشهاب: المجلد الثامن، السنة الثامنة 1350 – 1351 هـ/ 1932م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص 402.

(2) الشهاب: المصدر السابق، ص ص 402، 403.

(3) عمار طالبي: ابن باديس حياته وأثاره، الجزء الثاني، المجلد الثاني، ط 03، الشركة الجزائرية، الجزائر 1997م، ص 318.

(4) فيما ذهب محمد القورصو بالقول أنه على الرغم من حفاوة للشيخ عبد الحميد بن باديس، إلا أن أهل المدينة انقسموا قسمين: الأول يرى في الشيخ عبد الحميد بن باديس العدو الذي لا يجب أن تقام له دعوة في المدينة، أما الثاني فيرى فيه القدوة والقائد الذي يجب أن يتبع. أنظر محمد القورصو: تأسيس ونشاط جمعية العلماء في عمالة وهران، المرجع السابق، ص 29.

جئتنا تشفي جشوما أظنها الدهر يسقينا

مرحبا أهلا وسهلا يا إمام العالمين[1]

وخلاصة القول أنّ زيارة ابن باديس لمعسكر اعتبرت لدى البعض الانطلاقة الفعلية للنشاط الإصلاحي في المدينة لما حققته من نتائج تمثلت في:

- تعين ابن باديس للشيخ محمد سعيد الزموشي على رأس الحركة الإصلاحية بمعسكر، والذي يعتبر الشخصية الثانية للإصلاح في القطاع الوهراني بعد الشيخ البشير الإبراهيمي، حيث بقي فيها مدرسا وواعظا ومرشدا إلى غاية الحرب العالمية الثانية[2].
- تأسيس شعبة لجمعية العلماء المسلمين ومدرسة حرة في أواخر سنة 1932، تضم أربعة أقسام، وكان أول من بدأ يقوم بالنشاط التعليمي فيها هو الشيخ سعيد الزموشي[3].
- استقطاب الشيخ محمد سعيد الزموشي العديد من أتباع الشيخ شنتوف عدة الذين يمثلون الطريقة الدرقاوية وضمهم إلى الحركة الإصلاحية[4].
- ازدهار الإصلاح بالمدينة في سنوات الثلاثينيات، واحتلالها المركز الثاني بعد تلمسان، إلاّ أنّ هذه المكانة ستتراجع تدريجيا مع بداية سنة 1940[5].

2. تأسيس شعبة جمعية العلماء المسلمين:

تشير بعض المصادر إلى أنّ معسكر كانت من المدن الأولى التي استجابت لنداء الإصلاح، حيث تم فتح شعبة للجمعية بها أواخر سنة 1932 تزأسها الحاج أحمد خليل، وتولى أمانتها العامة الشيخ سعيد الزموشي الذي كان له دور كبير في الحياة الثقافية

---

(1) تقي الدين بوكعبر: تفسير سورة الفاتحة للشيخ أبي رأس الناصري المعسكري من خلال مخطوط الإبريز والإكسير عي علم التفسير، المرجع السابق، ص ص 75، 76.

(2) Mohammed EL Korso : Politique et Religion en Algérie le cas de l'association des Ulémas Musulmans Algériens en Oranie 1931 – 1945, T2 Thèse d'Histoire, Pris VII 1989, P 169.

(3) محمد الحسن فضلاء: المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر، ج 02، دار غرناطة للنشر والتوزيع، الجزائر 2014، ص 109.

(4) Mohammed EL Korso : Op.cit. P 169.

(5) Ibid. P357.

والتعليمية بالمدينة. وقد كتب عن ذلك الشيخ محمد حسن الفضلاء في كتابه "المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر" فقال:" بدأت الحركة الإصلاحية تغزوا المدن والقرى يحدوها صوت العلماء في كل الأفاق ... فاستجاب لنداء الجمعية مصلحو معسكر ... وكان أول من بدأ يدير الحركة الإصلاحية والتعليمية فيها هو الأستاذ سعيد الزموشي الذي كان مديرا لمدرستها (الحرة) ومعلما بها ومرشدا بناديها ومسجدها"[1].

ولعل من العوامل الرئيسية التي ساهمت في بلورة الفكر الإصلاحي وترسيخ مبادئه بالمنطقة، هو الدور الكبير الذي قام به نادي الشبيبة الأدبية الأهلية منذ تأسيسة عام 1927، حيث كان هذا النادي المنبر الأكثر فعالية في نشر الأفكار الإصلاحية والتربوية والتعليمية في أوساط الشباب، والتي استطاع نقلها إليهم عن طريق المحاضرات والندوات الفكرية والأدبية، والمهرجانات والحفلات الدينية[2].

ومن جهتها فقد عملت البرجوازية المحلية المتحمسة للإصلاح هي الأخرى على إرساء أسسه ونشر مبادئه في المدينة وخارجها، ومن أبرز الشخصيات التي كان لها دور في ذلك الحاج قايد الطاهر . تاجر القماش والمنسوجات في حي باب علي . الذي غرس الفكر الإصلاحي الباديسي في معسكر مطلع الثلاثينيات بعد تأثره بالجو الثقافي والحركة الإصلاحية بتلمسان التي كان يذهب إليها للتجارة (كان يشتري السجاد والزرابي منها)[3]، والحاج أحمد خليل رائد الإصلاح في معسكر الذي ساهم في تأسيس شعبة الجمعية وتجهيز مدرستها التي ضمت شتات أبناء وبنات المنطقة بغية تعليمهم وتثقيفهم[4].

يضاف إلى هذه العوامل زيارة الشيخ عبد الحميد ابن باديس لمعسكر والتي ذكرناها آنفا، والتي كانت العامل الأبرز في تشكيل مكتب الجمعية.

---

[1] محمد الحسن فضلاء: المرجع السابق، ص 109.

[2] Mohammed EL Korso : Op.cit. P209

[3] Ibid. P 427.

[4] البصائر: السنة الثالثة، العدد 111، 28 صفر 1357هـ الموافق لـ 29 أفريل 1938، ص ص 04، 05.

أما بخصوص مجلسها الإداري فقد تشكل من سبع عشرة عضوا، وهم على النحو التالي[1]:

الأعضاء	المهام
الشيخ الحاج أحمد خليل	رئيسا
عدة حنيفي بوجلال	نائب الرئيس
الشيخ سعيد الزموشي	كاتب
قرمالة عبد القادر	نائب الكاتب
عبد القادر بوعبسة	أمين المال
دحو شكال	عضو
لخضر بن مغنية	عضو
بوشيخي الحاج الطاهر	عضو
قايد طاهر	عضو
علاب سليمان	عضو
بوجلاب بن زواوبي	عضو
هشماوي سنوسي	عضو
بن باهي محمد	عضو
بودربال عبد القادر	عضو
سعيد محمد	عضو
بن علي بن مغنية	عضو
مسلم عيسى	عضو

إن ما يلفت النظر في قائمة الأعضاء التي شكلت مكتب الجمعية، هو وجود شخصيات بارزة تنتمي إلى تيارات وأحزاب سياسية أخرى وفي مقدمتها التيار الإدماجي الذي كان يمثله كل من شكال دحو، وقرمالة عبد القادر، عدة حنيفي بوجلال، وبوعبسة عبد القادر.

[1] عبد الكريم بوصفصاف: المرجع السابق: ص ص 401، 402.

والحق أن وجود مثل هذه العناصر في الجمعية قد أعطى دفعا قويا لنشاطها، وقدّم لها الإضافة المرجوة من خلال تدخل أفرادها لدى الإدارة الاستعمارية لمنحها رخصا للتعليم بمدرستها الحرة ومسجدها، والسماح لها بإقامة التجمعات والاحتفالات الدينية والثقافية.

3. نشاط الجمعية:

عرفت معسكر كغيرها من مدن الجزائر حضورا قويا وفعالا لجمعية العلماء المسلمين، التي استطاعت منذ أول يوم من تأسيسها حجز مكان لها بين مختلف التيارات الدينية والسياسية الموجودة في المنطقة. كما برز تأثيرها واضحا في نشاطها الذي شمل مختلف الجوانب الدينية والثقافية والتعليمية والسياسية.

إنّ المتتبع لنشاط شعبة الجمعية خلال فترة الثلاثينيات والأربعينيات يرى بوضوح أن أعضائها لم يتركوا وسيلة أتيحت لهم للعمل بها لتحقيق أهدافهم الإصلاحية والتعليمية إلاّ وقاموا بتوظيفها، مع الاعتماد أساسا على ثلاثة وسائل رئيسية وهي المسجد والمدرسة والنادي.

فالمسجد كان لإلقاء دروس الوعظ والإرشاد، وتحفيظ القرآن الكريم للصغار، والمدرسة التي باشرت نشاطها في نهاية 1932 كانت لتربية وتعليم النشء الجديد المعارف والعلوم ذات الصلة بالثقافة العربية الإسلامية، أما النادي الذي كان ممثلا في "نادي الشبيبة الأدبية الأهلية" فكان للتوعية والتوجيه الوطني بالخطب والمحاضرات، والندوات، والنشاطات المختلفة كالمسراحيات والتظاهرات الدينية والثقافية.

كما استعانت شعبة الجمعية بوسائل أخرى أوجدتها وفرضتها إرادة العمل والتضحية، واقتضتها الظروف والتحديات ومن ذلك مقابلة المسؤولين الفرنسيين لتذليل العقبات

والصعوبات التي كانت تعترض مسارها الإصلاحي والتعليمي، والمشاركة في التجمعات واللقاءات التي نظمتها الأحزاب والتيارات السياسية الجزائرية محليا، وجهويا، ووطنيا.

وسنعرض الآن بشيء من التفصيل لهذا النشاط والذي يمكن أن نقسمه إلى:

- **النشاط الإصلاحي والتربوي والثقافي:**

لم يكن نشر الوعي الديني والثقافي في المجتمع المعسكري بالأمر السهل أو الهين، نظرا استفحال ظاهرة الجهل والأمية في أوساطه وانتشار البدع والخرافات والشعوذة بين غالبية أفراده[1]، هذا إلى جانب وجود نفوذ قوي للتيار المرابطي بالمنطقة والذي وقف نداً خصيما للجمعية[2].

إن هذا الواقع الديني والثقافي الذي فرض نفسه عقودا من الزمن، دفع بالشيخ سعيد الزموشي وبعض رجال الإصلاح ممن تبنوا الفكر الباديسي إلى إحداث حركة دينية وثقافية في الأمة المعسكرية بمختلف شرائحها الاجتماعية تجلت مظاهرها في تقديم الزموشي لدروس الوعظ والإرشاد للكبار في كل من نادي الشبيبة الأدبية الأهلية، ومسجد الإصلاح طيلة ثلاثينيات القرن العشرين تقريبا[3].

ومما تجدر الإشارة إليه، أنّ دروس الزموشي اقتصرت في البداية على عدد قليل من المتعاطفين والمنتمين للإصلاح، لكن بفضل مؤهلاته وكفاءته العلمية والتربوية، وتسامحه الديني والفكري استطاع أن يجذب إليه عددا كبيرا من الناس[4]، بما فيهم بعض أتباع الطرق المرابطية العديدة في المنطقة، كأتباع زاوية الشيخ شنتوف عدة الدرقاوية. وأمام هذا

(1) الصم منور: المرجع السابق، ص 96.
(2) Mohammed EL Korso : Politique et Religion en Algérie le cas de l'association des Ulémas Musulmans Algériens en Oranie 1931 – 1945, T1 Op.cit, P 200.
(3) Ibid. P 209.
(4) Mohammed EL Korso : T 02, Op.cit. P 168.

النجاح الديني والتعليمي الباهر والمزعج في آن واحد بالنسبة للإدارة الاستعمارية لم تتردد هذه الأخير في مراقبته والتضييق عليه لإعاقة نشاطه [1].

كما علينا أن نشير في هذا الصّدد إلى الزيارات التي قام بها بعض رجال الإصلاح للمدينة، والأثر التي تركته في نفوس السكان، منها زيارة الشيخ البشير الإبراهيمي سنة 1934 حيث قام الأخير بإلقاء ثلاث محاضرات بنادي الشباب الأدبي حضرها جمهور غفير [2].

أما بخصوص الجانب الثقافي فقد كان للأناشيد الدينية والوطنية والنشاط المسرحي مكانة أساسية في عمل الجمعية، فهي إحدى الوسائل التي كانت تسعى من خلالها إلى نشر توجهاتها السياسية والإصلاحية والثقافية. هذه الأناشيد والتمثيليات المسرحية التي دارت موضوعاتها حول طلب العلم، وحب الوطن وواجب التضحية من أجله لطرد الاستعمار واستعادة مجد الأجداد كانت تهدف أيضا إلى نشر الفضيلة بين الجزائريين وحثهم على السلوك الاجتماعي المستقيم والابتعاد عن الخمر والميسر والسرقة والغش وغيرها من الآفات الاجتماعية التي أصابت المجتمع[3].

ومن جملة العروض والتمثيليات التي قدمتها شعبة الجمعية بمدرسة التربية والتعليم مسرحية بعنوان "العلم والجهل"، والتي حضرها حوالي 550 شخص من سكان مدينة معسكر بما فيهم بعض النسوة. وكان العرض الذي يظهر من خلال عنوانه ذو طابع ثقافي قد حمل في طياته مفردات وأفكارا سياسية حركت عواطف الجمهور منها: الشباب، الأمل، الوطن، الغربة، العدالة، فقر المجتمع في بلد غني، وأخرى أخلاقية كاحترام الغير والذات، والوفاء بالوعد. وقد دارت فصول المسرحية حول امرأتان الأولى جزائرية متعلمة في المشرق

[1] مهديد ابراهيم: الحركة الوطنية الجزائرية في القطاع الوهراني فيما بين الحربين العالميتين 1919 – 1939 النهضة والصراع السياسي، دار القدس العربي، وهران 2015، ص 110.
[2] خالد مرزوق، المختار بن عامر: مسيرة الحركة الإصلاحية بتلمسان أثار ومواقف (1907 – 1931 – 1956)، دار زمورة للنشر والتوزيع، الجزائر 2013، ص ص 147، 148.
[3] الصم منور: المرجع السابق، ص 94.

قامت بزيارة أختها في الجزائر فوجدتها تئن تحت وطأة الجهل والأمية، فحاولت إبراز لها أهمية العلم في الحياة، والدور الذي يتوجب على المرأة المعلمة أن تقوم به في المجتمع، وقد لاقت هذه المسرحية نجاحا كبيرا لذا تقرر عرضها مرة أخرى بمدرسة الفلاح بوهران [1].

- **النشاط التعليمي:**

أولت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عناية خاصة بمسألة التعليم العربي الحر، وألزمت نفسها من البداية على إخراجه من دائرته الضيقة المحدودة إلى دائرة أوسع ليشمل عدد أكبر من الجزائريين، فباشرت في تأسيس المدارس العربية الحرة على النمط الحديث[2].

كانت هذه المدارس في مجملها تقريبا مدارس ابتدائية، خلال مرحلة الدراسة، وقد ظهرت أول الأمر في قسنطينة بتأسيس الشيخ عبد الحميد بن باديس لمدرسة التربية والتعليم سنة 1930[3]، ليتم تعميمها وتوسيع نطاقها في جميع أرجاء الوطن، فشملت بذلك قرى ومدن كثيرة منها معسكر التي افتتح فيها أعضاء نادي الشبيبة الأدبية الأهلية مدرسة إصلاحية حرة سنة 1932، في محل تم استئجاره من صاحبه، وأدخلوا عليه بعض الإصلاحات والتنظيمات، فأصبح يتكون من أربعة أقسام[4].

---

[1] بختاوي خديجة: النشاط السياسي لجمعية العلماء المسلمين في عمالة وهران مابين 1949 – 1954، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية والمتوسطية، المجلد السابع، العدد الأول، جوان 2021، ص 472، 473.

[2] جريدة البصائر: السنة الثانية، العدد 61، 1937/04/02.

[3] عبد الرشيد زروقة: جهاد بن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر (1913 – 1940)، ط 01، دار الشهاب بيروت (لبنان) 1999، ص 113.

[4] محمد الحسن الفضلاء: المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر، الجزء الثاني، دار غرناطة للنشر والتوزيع، الجزائر 2014، ص 109.

تقع المدرسة بشارع عين السلطان (أبو القاسم حاليا) في حي باب علي، غير بعيد عن ضريح الشيخ أبي رأس الناصري[1]، وكان أول من أشرف على إدارتها الشيخ السعيد الزموشي، الذي عين مديرا عليها، ومعلما فيها، وإماما بمسجدها القريب منها[2].

وحسب المصادر الفرنسية فإنّ المدرسة أصبحت تضم نهاية سنة 1934 حوالي خمسة وسبعين (75) تلميذاً، تتراوح أعمارهم ما بين سبعِ سنوات وإثني عشرة سنة، يؤطرهم طاقم تربوي مكون من الشيخ سعيد الزموشي، ومعلم متقاعد له لقب فرنسي، ومترجم متخرج من المدرسة الرسمية الفرنسية. أمّا فيما يتعلق بمصادر التموين فإنّ المدرسة كانت تتلقى الدّعم من التّجار في المدينة، ومن طرف أولياء التّلاميذ الذين كانوا يدفعون اشتراكا شهريا قدره عشرون (20) فرنكا لكل فرد منهم[3].

ومن الجدير بالذّكر أنّ المدرسة عكفت منذ سنة 1934 على إرسال طلبتها المتفوقين علميا إلى الزيتونة لإكمال دراساتهم العليا بجامعها، فكانت أولى هذه البعثات التي أرسلت إلى تونس تتألف من ثلاثة أفراد وهم: الحسين قايد، والحسين بوعبسة، وبوزيان مولود، وعقب وصولهم وجدوا الشيخ عبد الحميد بن باديس في استقبالهم هناك، والذي تفاجأ بوجود اثنين منهم فقط (الحسين قايد والحسين بوعبسة)، فسألهما عن ثالثهما؟ فأجاباه بأن الرفيق الثالث قد تخلف لعذر قاهر. والغريب في الأمر أن العضوين الباقيين لم يكملا دراستهما أيضا. وأخرهما الحسين قايد الذي حصل على الشهادة الأهلية بالزيتونة، وتابع التعليم الثانوي سنتين فقط ثم انقطع وعاد إلى معسكر واشتغل بالتجارة[4].

كما تجدر الإشارة إلى أن المدرسة استطاعت من خلال نشاط معلمها الشيخ السعيد الزموشي الدؤوب والمتواصل أن تجذب إليها أفواجا عديدة من التلاميذ، وهو ما جعل

---

[1] جاكر لحسن: مدرسة معسكر للتربية والتعليم ودورها في تطوير التعليم العربي 1932- 1956، مجلة عصور الجديدة، العدد الخامس، 1433هـ، 2012م، ص 268.

[2] محمد الحسن الفضلاء: المرجع السابق، ص 109.

[3] Mohammed EL Korso : T 01, Op.cit. P 211.

[4] محمد الحسن الفضلاء: المرجع السابق، ص 110.

أعضاء نادي الشبيبة الأهلية المقربين إلى الإصلاحيين يشيدون بذلك، ويقومون سنة 1939 ببناء مدرسة جديدة في شارع الأمير عبد القادر بحي باب علي[1]. كانت هذه المدرسة أكثر ملائمة للتدريس من سابقاتها وذلك لتوفرها على ثلاث قاعات كبرى، وساحتين، ومسجد، ومكتبين أحدهما للمدير والأخر لاستقبال التلاميذ[2]. وبشأن تأسيسها يقول الأستاذ محمد الحسن الفضلاء:" أنه وبمجرد تأسيس شعبة جمعية العلماء المسلمين في معسكر– يقصد تجديد مكتب الجمعية – التي ترأسها حسين قايد أحد أعضاء البعثة الزيتونية، اشترت هذه الأخيرة أرضا تتربع عليها دار قديمة، فهدمتها عن أخرها وأقامت عليها مسجدا أطلقت عليه اسم "الإصلاح" وأنشأت بجانبه أقسام للتعليم"[3].

أما فيما يتعلق بنشاط المدرسة خلال هذه الفترة فيمكن القول أنه كان جد محدود، نظرا لظروف الحرب العالمية الثانية، وإبعاد سعيد الزموشي إلى مدينة عين البيضاء عام 1940، وتعرض رجال الإصلاح من أمثال الحاج أحمد خليل، وعبد المومن الطاهر إلى النفي والسجن في جنين بورزق بصحراء عمالة وهران[4].

وحسب تقارير الشرطة الفرنسية فإن توقيف الزموشي ومنعه من التدريس يرجع إلى خوف الإدارة الاستعمارية من نشاطه المتنامي، وإلى تلقينه مجموعة من الدروس الدينية بشكل مكثف لتلاميذ المدرسة الإصلاحية بمعسكر[5]، وهو ما كانت تخشى منه الإدارة بحجة أن هذه الدروس كانت تبث مبادئ الفكر السلفي الوهابي وتدعوا في ذات الوقت إلى مقاطعة كل ما له صلة بفرنسا.

---

(1) A.W.O, BP 201 (1937 – 1939), L'activité indigène dans le département d'Oran, 03/03/1939, N° 127.

(2) جاكر لحسن: المرجع السابق، ص 268.

(3) محمد الحسن الفضلاء: المرجع السابق، ص 110.

(4) جاكر لحسن: المرجع السابق، ص 268.

(5) A.N.O.M – 16 H 74, Commissaire Central de Police de Mascara au Sous Préfet de Mascara, 21/12/1939, N° 11379.

كما أصدر رئيس الدائرة أمرا يقضي بغلق المدرسة بحجة أن المعلمين فيها يعملون بدون رخصة، وهو ما أثار حفيظة رجال الإصلاح بمعسكر، الذين استنكروا القرار واعتبروا هذا الإجراء تعسفا في حق التعليم العربي الحر، فكان ردهم على ذلك أنهم ينتمون لجمعية العلماء المسلمين وهذه الأخيرة لها الحق في التعليم والإشراف عليه كما ورد في قانونها الأساسي الذي صادقت عليه الحكومة دون اعتراض. لكن هذه الردود لم تجد آذان صاغية وظلت المدرسة مغلقة إلى غاية سنة 1941 وهي السنة التي قام فيها قايد الحسين "رئيس شعبة الجمعية" بفتحها من جديد[1].

ولا شك أن غلق المدرسة بقرار إداري صادر من طرف السلطات الفرنسية ثم إعادة فتحها سنة 1941 أثر على حركة التعليم خلال هذه الفترة، حيث تشير المصادر الفرنسية إلى أن ذلك كان سببا في تخلي العديد من التلاميذ عن الدراسة. وهو ما يمكن أن نبينه من خلال الجدول التالي الذي يوضح لنا الفروق العددية بينهم وبين عدد تلاميذ بعض المدارس الإصلاحية في المقاطعة الغربية لسنة 1943[2].

جدول (26): يوضح عدد التلاميذ والمعلمين في المدارس الحرة بالمقاطعة الغربية:

المدينة	عدد التلاميذ	عدد المعلمين
تلمسان	800	05
وهران	120	03
عين تموشنت	110	03
مغنية	100	03
سيدي بلعباس	100	01
معسكر	**50**	**02**

(1) محمد الحسن الفضلاء: المرجع السابق، ص 111.

(2) A.W.O, BP 201, Op.cit. 30/04/1943, N° 149.

يقدم لنا الجدول صورة واضحة عن الوضع الذي آل إليه التعليم العربي الحر في مدرسة معسكر الإصلاحية، حيث تُظهر الأرقام الواردة فيه الفروق الكبيرة بين عدد تلميذتها وبقية تلاميذ مدارس المقاطعة الغربية، والتي وصلت في أغلبها إلى أكثر من 50%. والحقيقة أن ذلك لا يعود فقط إلى الصعوبات والعراقيل التي نصبتها الإدارة الفرنسية لتعطيل نشاطها، وإنما يعود أيضا إلى افتقاد المدرسة إلى شخصية فذّة بحجم الشيخ السعيد الزموشي الذي كان له وزنه وتأثيره عند الجزائريين.

وببقاء الوضع على حاله، قام الشيخ الزموشي الذي كان يشتغل حينها إماما بمسجد الفلاح في وهران، ومدرسا بمعهدها بزيارة إلى المدينة نهاية سنة 1944 والتي دامت أسبوعين كاملين، حيث عبّر خلالها عن قلقه الشديد لما آلت إليه المدرسة الإصلاحية. كما دعا في نفس الوقت رجال الإصلاح والقائمين عليها إلى تكثيف الجهود لتجاوز تلك العقبات والعمل على تطوير نشاطها[1].

وبالفعل فقد وجدت دعوة الزموشي صدى واسع لدى السكان، حيث تم جمع مبلغ 134000 فرنك[2] لفائدة المدرسة الذي شهدت انطلاقة جديدة في الفترة مابين 1945 إلى 1956، حيث تعتبر هذه المرحلة حاسمة وهامة في نشر التعليم العربي الحر، وذلك بازدياد عدد الطلاب والمعلمين[3]، لدرجة أنه استلزم الأمر بناء مدرسة جديدة بتاريخ 17 أكتوبر 1953 أطلق عليها اسم مدرسة الأمير عبد القادر[4] .

وصفوة القول فإن المتتبع لنشاط مدرسة التربية والتعليم بمعسكر ومساهماتها العلمية والتربوية، يجد أنها قامت بدور كبير إلى جانب زوايا وكتاتيب ومساجد المنطقة في النهوض بالتعليم العربي الحر، والحفاظ مقومات الشخصية الوطنية والعربية الإسلامية،

---

(1) A.W.O, BP 201, Op.cit. 30/12/1944, N° 677.
(2) Ibid.
(3) Ibid. 31/05/1945 –N° 167.
(4) محمد الحسن الفضلاء: المرجع السابق، ص 112.

والتصدي في نفس الوقت للسياسة الاستعمارية الرامية إلى تجهيل الجزائريين، وهذا كله رغم قلة الإمكانيات من جهة والصعوبات والعراقيل التي نصبتها لها الإدارة الفرنسية من جهة ثانية، خاصة ما تعلق منها بالتوقفات والاعتقالات التي طالت معلميها خلال فترة الحرب العالمية الثانية.

- **النشاط السياسي:**

أما فيما يتعلق بالجانب السياسي لدى مصلحي معسكر، والذي كان يوازي نشاطهم الإصلاحي والثقافي فيمكن لمسه بمشاركتهم رسميا وبفعالية في أشغال المؤتمر الإسلامي الجزائري (Le Congrès Musulman Algérien). كما يظهر ذلك أيضا من خلال موقفهم من مشروع بلوم فيوليت الإصلاحي، ومن تأييدهم من عدمه لفرنسا في الحرب العالمية الثانية.

ففيما يخص علاقة شعبة معسكر بالمؤتمر الإسلامي، والدور الذي لعبته فيه، ارتئينا أولا إعطاء فكرة مختصرة عن هذا التجمع الكبير والهام الذي دعا إليه الشيخ عبد الحميد ابن باديس على صفحات جريدة الدفاع – لسان حال جمعية العلماء المسلمين– في عددها الصّادر يوم 03 جانفي 1936[1]، ومما جاء في دعوته:" أنّ على رجال السياسة الجزائريين والعلماء والنواب والقضاة المسلمين والأساتذة والمدرسين الإدلاء برأيهم في تحديد النظام السياسي للمسلمين الجزائريين وذلك بانعقاد مؤتمر ضروري وعاجل، سواء في العاصمة أو في مكان أخر يجري فيه نقاش واسع يستهدف من جهة نظر السياسة البحث في مصير ستة ملايين خلق، يُعتبرون فرنسيين، حينا، لكن دون أن يتمتعوا بالحقوق اللازمة لهذه الصفة، ويعاملون حينا أخر كأجانب في وطنهم"[2].

[1] عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطوّر الحركة الوطنيّة الجزائرية 1931 – 1945، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر 2009، ص 234.
[2] مهديد ابراهيم: المرجع السابق، ص 178.

وبتاريخ 07 جون 1936 انعقد المؤتمر الإسلامي بالعاصمة، حضره ابن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وابن جلول رئيس فدرالية المنتخبين المسلمين الجزائريين (فرع قسنطينة)، واستجاب له النواب في بقية الوطن، والعلماء الإصلاحيين والإشتراكيين والشيوعيين، وحتى المحاربين القدامى والشباب والفلاحين وبعض المرابطين، باستثناء النجم الذي كان ما يزال إلى ذلك الحين مقرا ونشاطا في فرنسا[1].

ومن الجدير بالذكر أنّ السعيد الزموشي قد مثّل مدينة معسكر في هذا المؤتمر بصفته عضوا في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ومعلم حر في مدرستها الإبتدائية، بمعية البودالي سفير أستاذ اللّغة العربية بالمدرسة الإبتدائية العليا الفرنسية بمعسكر، والعضو البارز في نادي الشبيبة الأدبية الأهلية الموالي لجمعية العلماء المسلمين، والمستشار دحو شكال نائب رئيس البلدية المكلف بالشؤون الأهلية والعضو في شعبة الجمعية بمعسكر[2].

وكانت النقطة التي التف حولها المؤتمرون هي مشروع موريس فيوليت المتمثل في منح الجنسية الفرنسية لبعض المثقفين الجزائريين بدون التخلي عن أحوالهم الدينية (التجنس)، واحترام حقوق الجزائريين الآخرين في العيش بروح القرآن ونصوص، وإلغاء قانون الأهالي الذي كان مطلب الجزائريين منذ سنَّه في نهاية القرن التاسع عشر[3]. أما مطالب العلماء في هذا المؤتمر فهي حسب الشهاب منقسمة إلى قسمين مطالب فردية تناولها الشيخ عبد الحميد ابن باديس باسمه الخاص تضمنت حق المساواة في المجالس النيابية، وإلغاء المعاملات الخاصة مثل قانون الأهالي، والمطالبة بتخفيض مدة الخدمة العسكرية للجزائريين، ومطالب أخرى قدمها باسم جمعية العلماء أبرزها: جعل اللغة العربية لغة رسمية ثانية إلى جانب اللّغة الفرنسية، وفصل الدّين الإسلامي عن الدولة ونشره بواسطة

---

(1) خالد بوهند: النخب الجزائرية دراسة تاريخية واجتماعية 1892 – 1942، دار القدس العربي، وهران 2015، ص 329.

(2) خالد بوهند: الشيخ محمد سعيد الزموشي حياته الدينية والسياسية، المرجع السابق، ص ص 37، 38.

(3) أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج 03، المرجع السابق، ص ص 153، 154.

مؤسساته، وإنشاء جمعيات دينية تأخذ على عاتقها مهمة الإشراف على المساجد، وإدخال إصلاحات على التعليم الديني، وعلى المدارس الدينية التي يتخرج منها رجال القضاء الإسلامي[1].

وللتعريف بمطالب المؤتمر قامت لجنة معسكر بعقد تجمع شعبي كبير بتاريخ 02 جويلية 1936، احتضنته القاعة الكبرى لسينما أولمبيا، حضره أكثر من 1500 شخص، وشاركت فيه مختلف التشكيلات السياسية والجمعيات المحلية، كما حضرته شخصيات محلية، وأخرى جهوية كالسيد بوشامة عبد الرحمن، وقاضي محمد العضوان في لجنة تلمسان والمندوبان عن لجنة المؤتمر الإسلامي بالعمالة الغربية[2].

وخلال الاجتماع تناول الكلمة السّيد بوشامة عبد الرحمن الذي قدّم عرضاً شاملا عن مطالب مؤتمر 07 جوان، أما السيد قاضي فقد دعى في كلمته الحاضرين إلى ضرورة الوحدة لافتكاك المطالب التي جاء بها المؤتمر من الحكومة الفرنسية. وفي نهاية التجمع طالب السيد بوشامة الجمعيات والأحزاب المحلية إلى الإسراع في تأسيس لجان فرعية في جميع أنحاء الدائرة[3].

وفي نفس السياق دائما، قام وفد المؤتمر الإسلامي المتكون من الشيخين عبد الحميد ابن باديس والبشير الإبراهيمي، والأستاذ الأمين العمودي، وبوشامة عبد الرحمن، وابن الحاج بزيارة لمدينة معسكر يوم 15 أكتوبر 1936، حيث كان في استقبالهم كل من الشيخ السعيد الزموشي، والحاج أحمد خليل[4].

---

[1] مجلة الشهاب: المجلد الثاني عشر، الجزء الرابع، جويلية 1936، ص 210.

[2] Le Réveil de Mascara, 11/07/1936, N° 3726.

[3] Ibid.

[4] البصائر، العدد 41، 30 أكتوبر 1936م، ص 03 – 06.

قام الوفد بعقد اجتماع في مكان لم يفصح عنه، ويبدوا أنه كان متواضعا، وقد امتلأ عن أخره[1]، حيث زاد عدد الحضور عن 2000 شخص. افتتح الجلسة الحاج أحمد خليل، ثم الشيخ السعيد الزموشي الذي تلى خطابا ضمنه الترحيب والتعريف بالوفد[2]، ثم أعطى الكلمة للأستاذ الأمين العمودي الذي حدّد في عرض موجز شخصية المؤتمر وأهدافه ومهمته، ليتولى الكلمة بعده السيد بالحاج الذي استهل حديثه بالشّرح لأعمال الوفد بباريس، كما عبر عن امتنانه لحكومة الجبهة الشعبية التي سهلت مهمة الوفد. أمّا الشّيخين ابن باديس والإبراهيمي فقد حثّ في كلمتهما الحضور على مواصلة الجهود لتحقيق المطالب التي جاء بها مؤتمر 07 جوان[3].

وفي نهاية أشغاله صادق المؤتمرون على نص برقية بعثوا بها إلى رئيس الوزراء ليون بلوم، والتي جددوا من خلالها ثقتهم فيه، وفي حكومة الجبهة الشعبية، كما طالبوه بضرورة تحقيق مطالب ميثاق المؤتمر الإسلامي[4].

ومن جانب أخر، فقد كان لرجال الإصلاح بمعسكر دور كبير على مستوى العمالة، ويظهر ذلك من خلال المشاركة الفعالة للشيخ الزموشي على مستوى لجان الفرعية للمؤتمر عبر القطاع الوهراني لإعداد التقارير عن الوضع العام في الجزائر لتقديمها إلى اللجنة البرلمانية التي قادها السيناتور "لاغروزيلييز" أثناء زيارته إلى عمالة وهران[5].

والجدير ذكره أيضا، هو تبني مؤتمر العمالة المنعقد في 23 ماي 1937 ببريقو (المحمدية)[6] لبرنامج التقارير التي تقدمت بها كل من لجنة تلمسان حيث يتواجد الشيخ

---

(1) خالد بوهند: المرجع السابق، ص 39.
(2) البصائر، العدد السابق، ص 06.
(3) Le Réveil de Mascara, 17/10/1936, N° 3740.
(4) Ibid.
(5) خالد بوهند: المرجع السابق، ص 39.
(6) حضر المؤتمر حوالي 2000 شخصا و180 مندوبا من مختلف أنحاء العمالة يترأسهم كل من بوشامة عبد الرحمن الأمين العام للمؤتمر في الغرب والشيخ البشير الإبراهيمي، ولالوت أمحمد (من سيدي بلعباس)، ومعبد شارف من (بريقو)، بدراني أعمر (من تيارت)، وباديس محمد (تلمسان)، وقدور بلقايم (وهران)، والشيخ الزهراوي (وهران)، =

البشير الإبراهيمي، وبخاصة تقرير لجنة معسكر حيث يتواجد الشيخ سعيد الزموشي. هذا التقرير الأخير كان له الأثر الكبير على محتوى مطالب القطاع الوهراني النهائية، إذ أشار بدقة إلى حالة الفقر التي تسيطر على مجموع السكان، كما دافع عن وضعية العمال الزراعيين وعن الفلاحين المثقلين بالديون، وعن عمال المدن الذين لم يستفيدوا من القوانين الاجتماعية التي قررتها حكومة الجبهة الشعبية، وعن الموظفين في الأخير[1].

كما تجدر الإشارة إلى أن سفير بودالي هو الأخر كان له دور في هذا المؤتمر حيث ألقى خطابا عرض فيه للحديث عن المؤتمر الإسلامي وموقفه من الجبهة الشعبية في الماضي والحاضر وما ينبغي أن يكون عليه في المستقبل[2].

إن مؤتمر بريڤو الذي ظهرت فيه بصمة لجنة معسكر واضحة خرج في الأخير بعدة اقتراحات منها مطالبة اللجان بتنظيم مهرجانات في سائر مدن العمالة الغربية يوم 06 جوان 1937 وجعل من هذا اليوم يوم عيد للجزائريين، كما يتوجب عليهم (أي اللّجان) في اليوم الموالي (07 جوان) إرسال برقيات إلى السلطات العليا تطالبهم فيها بتعجيل مطالب المؤتمر وبالأخص مشروع بلوم فيوليت[3] الذي حمل آمالهم[4].

وإن كان الجميع قد وافق على هذا المقترح فإن الحاج أحمد خليل كان له رأي أخر، حيث قام خطيبا أمام الحضور وقال:" إنّ يوم 07 جوان ينبغي في نظري أن يُجعل يوم

= بالإضافة إلى الشيخ الزموشي وسفير البودالي من معسكر، وقد ركّز الاجتماع على طبيعة العلاقات بين المؤتمر الإسلامي والجبهة الشعبية. أنظر مهديد إبراهيم: المرجع السابق، ص 244.

(1) مهديد ابراهيم: المرجع السابق، ص 238.

(2) البصائر، العدد 71، الجمعة 09 ربيع الثاني 1354 هـ الموافق لـ 18 جوان 1937م، ص06.

(3) ينص مشروع بلوم فيوليت على ممارسة النخبة المسلمة الحقوق السياسية الممنوحة للمواطنين الفرنسيين دون أن يترتب على ذلك تغيير في أحوالهم الشخصية، أو حقوقهم المدنية. وتشمل هذه الفئة الموظفين، وحملة الشهادات، وحملة الأوسمة، وحملة أوسمة الشرف الفرنسي، وحملة الشهادات الابتدائية، والمتزوجين مع الفرنسيات. أنظر: أحمد الخطيب: حزب الشعب الجزائري، ج 01، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986، ص 193.

(4) البصائر، العدد السابق.

حزن وأسف عميق لأنّ الذي يفرح إنما هو المتحصل على شيء في يده". والحقيقة أنّ قوله هذا وإن كان المجلس لم يوافق عليه إلاّ أنه ترك تأثيرا بالغاً في الرأي العام[1].

ومهما يكن من أمر، فإنّ معظم اللّجان التزمت بالقرار ونظمت احتفالات بتاريخ 07 جوان في معظم مدن العمالة، وهو ما يمكن أن نوضحه من خلال الجدول التالي[2]:

المكان	عدد الحضور من الجزائريين	عدد سكان المنطقة
معسكر	1000	16000
فرندة	80	3100
وهران	3000	43000
أرزيو	من 90 إلى 100	600
بريڤو (الحمدية)	250	2500
سان دوني (سيڤ)	مجهول	800
مستغانم	1200	18600
تيارت	200	11000
غليزان	100	1800
بلعباس	200	20000
تلمسان	250	16000
بني صاف	200	3600
نمور (الغزوات)	250	12000
سبدو	20	750
مغنية	مجهول	3000

(1) البصائر، العدد السابق.

(2) A.W.O, BP 201, (1937 – 1939) Op.cit. 10/07/1937 – N° 110.

كما تم إرسال عدد من البرقيات باسم المؤتمر الإسلامي في كل من سان كلو (قديل)، تلاغ، باليكاو (تغنيف)، بعد أن تعذر على لجانها عقد اجتماعات بالتاريخ المذكور أنفا، وفي نهايتها أعربت جميع اللجان على تجديد الثقة في حكومة الجبهة الشعبية، مع مطالبتها بالتعجيل بالوفاء بوعودها التي تأخرت نوعا ما[1].

أما بخصوص لجنة معسكر التي كانت تتشكل غالبيتها من الإصلاحيين فقد نظمت كما هو مبين في الجدول أعلاه تظاهرة بساحة لافونتان (La Fontaine) –ابن خلدون حاليا– حضرها جمع كبير من أهالي المدينة بلغ عددهم حوالي 1000 شخص، تخللتها مداخلات عديدة أهمها مداخلة الشيخ الزموشي التي تناولت مطالب السكان الجزائريين وقضاياهم[2]. هذا الأخير سيترأس أيضا اجتماع لجنة مقاطعة وهران الذي انعقد بمعسكر في 20 جوان 1937 بهدف وضع مشروع تحديد المطالب الذي سيقدم إلى الاجتماع المقرر عقده في الجزائر العاصمة في الفترة مابين 09 إلى 11 جويلية 1937[3].

والجدير ذكره أنّ اجتماع العاصمة الذي تمسك بمطالب المؤتمر الأول قد خرج بقرارات أخرى منها تشكل لجنة تنفيذية برئاسة بشير عبد الوهاب مستشار البليدة، ضمت 46 عضوا كان من ضمنها الشيخ السعيد الزموشي، والتي ستعمل على تجنيد الشباب للإنخراط في المؤتمر، وتنسيق الجهود بين اللّجان المحلية[4]، هذا إلى جانب مطالبة أعضاء المؤتمر من الشعب الجزائري أن يظل يقظا، ومن النواب الجزائريين أن يستقيلوا جماعيا إذا لم يوفق البرلمان على مشروع بلوم فيوليت[5].

---

(1) A.W.O, BP 201, Op.cit.

(2) خالد بوهند: المرجع السابق، ص 41.

(3) Mohammed EL Korso : T 01, Op.cit. P 270.

(4) خالد بوهند: المرجع السابق، ص 41.

(5) أحمد الخطيب: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985، ص 249.

الحقيقة أنه لم يمض من عمر هذا التنظيم الإسلامي سوى فترة قصيرة حتى بدأ اليأس يدّب في نفوس بعض رجاله بسبب سقوط حكومة الجبهة الشعبية، وعدم تمكن عناصره من تحقيق مطالبهم نتيجة تماطل الإدارة الفرنسية في الرد عليها.

غير أنه يمكن القول في الأخير أنّ هذا المؤتمر يعتبر من الأحداث الهامة التي برزت فيها توجّه شعبة جمعية العلماء بمعسكر نحو السياسة بمشاركتها إلى جانب الأحزاب والهيئات والشخصيات السياسية اجتماعاتها وقراراتها بشكل علني وصريح.

كما أنّ هناك موقف سياسي أخر سجلته شعبة الجمعية في نهاية الثلاثينيات وهو رفضها تأييد فرنسا في الحرب العالمية الثانية، حيث قام الشيخ الزموشي، والحاج أحمد خليل، وبوعلام بن يخو بحملة دعائية واسعة ضد تجنيد الشباب المعسكري في الحرب العالمية الثانية[1]، وهو ما سيدفع السلطات الفرنسية إلى اتخاذ إجراءات قمعية ضد هذه العناصر والتي سنأتي على ذكرها في المبحث الموالي.

4. موقف الإدارة الفرنسية من نشاط الجمعية:

اتخذت الإدارة الفرنسية إجراءات عديدة في حق شعبة الجمعية بمعسكر، لإفشال مخططاتها الإصلاحية والتربوية، وإحباط مشاريعها الثقافية المختلفة، خاصة ما تعلق منها بنشاطها التعليمي سواء المسجدي منه أو المدرسي، كما أصدرت أحكاما وعقوبات في حق رجالها تقضي بمتابعهم وتغريمهم وسجنهم ونفيهم نتيجة مواقفهم السياسية. ويمكن أن نشير إلى ذلك إجمالا من خلال إصدار رئيس الدائرة في سنة 1938 قرارا يقضي بغلق المدرسة القرآنية الواقعة بشارع عين السلطان بحي باب علي، وذلك على خلفية تصريح الشيخ سعيد الزموشي بأنه ينتسب لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ويعمل لصالحها، وظلت المدرسة القرآنية على ذلك الحال إلى غاية تدخل نائب رئيس الدائرة السيد شكال علي لدى عامل

(1) Mohammed EL Korso : T 01, Op.cit. P 270.

عمالة وهران، وهو ما سمح باستئناف نشاطها من جديد بعد منحه ترخيصا مؤقتا مدة صلاحيته ستة أشهر فقط[1].

كما يكشف لنا الأستاذ بوهند خالد بناءا على ما ورد في تقارير الأرشيف الفرنسي أن الحاكم العام للجزائر أمر في رسالة وجهها إلى عامل عمالة وهران سنة 1939 بمنع الشيخ الزموشي من التعليم في المدينة، ووضع حد لنشاطه، جاء فيها:" عليك بإعطاء تعليمات إلى نائب عامل العمالة بدائرة معسكر قصد إخطار الشيخ الزموشي أنه إذا استمر في إعطاء دروس بدون رخصة بأنه سيتابع قضائيا وإداريا"[2].

غير أنّ الشيخ الزموشي استمر في مزاولة نشاطه التعليمي خفيةً بمقر النادي الأدبي كل يوم من الساعة السابعة والنصف إلى الثامنة صباحا، ومن الساعة الرابعة إلى الثامنة مساءا، وخوفا من الاعتقال لم يعد يتردد على هذا النادي سوى تسع تلاميذ يدخلون من الباب الخلفي بدلا من الباب الرئيسي حتى يسهل عليهم التفرق في حالة تعرض النادي إلى المداهمة من طرف الشرطة[3].

فضلا عن ذلك، فقد أصدرت الإدارة الاستعمارية سنة 1941 قرارا أخر يقضي بغلق المدرسة الابتدائية وفصل التلاميذ عنها، كما نصّ أيضا على نفي الشيخ السعيد الزموشي إلى الحراش بالجزائر العاصمة أين فرضت عليه الإقامة الجبرية، لكن الغلق لم يستمر طويلا بفعل المساعي الحميدة التي قام بها مصلحو معسكر من جهة، ومساعي جمعية العلماء من جهة أخرى، فَسُمِح باستئناف التّعليم في مدرسة معسكر، لكن الشّيخ الزّموشي

(1) Mohammed EL Korso : T 01, Op.cit. PP 210-211.

(2) خالد بوهند: المرجع السابق، ص 34.

(3) المرجع نفسه، ص ص 34، 35.

لم يُسْمح له بالعودة إليها[1]، فقررت إدارة التّدريس التّابعة لجمعية العلماء المسلمين بتعيينه بإحدى مدارسها بمدينة تبسة التي درّس بها مدة سنة كاملة[2].

وخلال نفس السنة (1941) أصدرت الإدارة الفرنسية أحكام بالسجن على بعض أعضاء الحركة الإصلاحية بحجة الدعاية لألمانيا في الحرب العالمية الثانية وتشكيل حزب سياسي يساري، ومن الشخصيات التي طالتها إجراءات الاعتقال الحاج أحمد خليل الذي ألقي عليه القبض بتاريخ 21 أفريل 1941 وتم ووضعه في معتقل جنين بورزڤ القريب من مدينة عين الصفراء[3].

(1) سمير سمراد: المرجع السابق، ص 68.
(2) منور الصم : المرجع السابق، ص 100.
(3) AWO. BP 201 ,(1941 – 1945), 30/04/1941, N° 127.

المبحث الثالث: الكشافة الإسلامية:

تمهيد:

تأسست الكشافة الإسلامية الجزائرية في سياق تاريخي هام اتسم بحدوث نهضة وطنية، تجلت مظاهرها في ظهور أحزاب سياسية، وجمعيات وطنية خلال الفترة الممتدة من 1930 إلى 1939. والمتأمل في مسيرتها النضّالية والدّور البارز الذي قامت به في الجانب التربوي والثقافي والسياسي يرى بوضوح أنّ دورها لا يقل أهمية عن النشاط الذي كانت تخوضه تلك الأحزاب والجمعيات والنوادي من أجل تنمية الحس الوطني، والدفاع عن ثوابت الأمة ومقوماتها من كل المحاولات الرامية إلى طمس هُويتها وشخصيتها العربية الإسلامية.

انطلاقا من ذلك، سنحاول في هذا المبحث تتبع السيرورة التاريخية للتنظيمات الكشفية في معسكر ونضالها الوطني، وذلك بالوقوف عند أفواجها وأهم روادها والنشاطات التي قامت بها محليا، وجهويا، ووطنيا.

1. تأسيس الفروع الكشفية:

شهدت معسكر كغيرها من مدن العمالة الغربية تأسيس العديد من الفروع الكشفية خلال الثلاثينيات، والأربعينيات من القرن الماضي، حيث أشارت تقارير الإدارة الفرنسية إلى أن ميلاد أول فوج بها يعود إلى شهر أفريل 1937، وهو بذلك يعتبر أقدم الفروع الكشفية في المقاطعة الغربية[1] إلى جانب كل من فوج الفلاح بمستغانم (أكتوبر 1937) وفوج النجاح بوهران (نوفمبر 1937)[2].

)1(AWO – 4063 – I14 - CIE Oran – 03.01.1942 - 01.

(2) جيلالي بلوفة عبد القادر: الحركة الاستقلالية في عمالة وهران خلال الحرب العالمية الثانية 1939-1945، دار نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع (قسنطينة)، الجزئر، 2013، ص131.

وحسب ذات التقارير، فإن هذا الفوج لم يعمر طويلا، فسرعان ما تم حله وتوقيف نشاطه من طرف الإدارة الاستعمارية بسبب ارتباطه بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين[1].

وبطبيعة الحال فإنّ هذا القرار لم يمنع النّخبة في المدينة لإعادة بعث النشاط الكشفي من جديد، حيث قام أعضائها بعقد جمعية عامة بتاريخ 27 مارس 1938 بمقر دار البلدية. أسفرت عن تشكيل فوج ثاني للكشافة الإسلامية، تكونت لجنته من:

رؤساء شرفيون وهم:

الحاكم العام للجزائر: جورج لوبو (Georges Le Beau)، رئيس بلدية معسكر: بسكال ميزلي (Pascal Muselli)، رئيس دائرة معسكر: مويلات (Mouillat)، الجنرال كلوي (Clouet)، الآغا بن عبورة، المندوب المالي: شنتوف عدة، المستشار المالي: العيشوبي، شكال دحو، شرقي، وقسطنطين (Constantin)، ولشريت (Lacheret).

أما مكتبه الإداري فتشكل من:

- **الرئيس:** جيلبرت دي هارو (Gilbert DE Haro)
- **نائب الرئيس:** سفير البودالي
- **الأمين العام:** بلبقرة محمد الصغير.
- **مساعد الأمين العام:** ملياني عبد الحليم.
- **أمين المال:** بوزيان عبد القادر.
- **نائب أمين المال:** العيادي مختار.
- **نائب أمين المال ثاني:** لعرج دحو.

المستشارون: بوحجر عبد القادر، وليد الحاج دحو، لومي بشير، سفير عباس، بن باهي محمد، هدفي عبد القادر، مورايس جول (Morales Jules)[1] غير أن الفوج تعرض للحل هو الآخر وتم توقيف نشاطه بسرعة[2].

---

(1) AWO – 4063 – I14, 03.01.1942 - 01.

ومما تجدر الإشارة إليه، أنّ لجنته لم تكن جزائرية خالصة، فقد ضمت في تركيبتها عناصر أجنبية كالسيد جيلبرت دي هارو – الرسام والكاتب الفرنسي، والمهتم بنشاط الشبان المسلمين – وهو الذي سيتولى فيما بعد رئاسة فوج الإقدام عند تأسيسه سنة 1941[3].

وقد طرح وجود مثل هذه العناصر الأجنبية كاجيلبرت دي هارو، وأمثاله في الأفواج الكشفية الإسلامية خلافا بين الباحثين، فمنهم من يرى أن الإدارة الاستعمارية هي من أمرت بضمهم إلى تلك الأفواج بهدف التجسس عليها، ومراقبة نشاطها ومعرفة ميولها وإيديولوجية أعضائها[4]. فيما ذهب آخرون بالقول: إنَّ وجودهم فيها كان بدعوة من الجزائريين لأنه يخدم الحركة الكشفية أكثر خاصة في الحصول على الاعتماد، وتفادي المضايقات من طرف السلطات العمومية المدنية والعسكرية[5].

ومهما يكن من أمر فإن الإدارة الاستعمارية تخوفت كثيرا من نشاط الأفواج الكشفية المتنامي، مما دفع بالحاكم العام الفرنسي إلى إصدار تعليمة بتاريخ 20 جوان 1941 يلزم فيها حكام العمالات بإنشاء "لجان وقاية" للكشافة الإسلامية على مستوى المقاطعات الثلاث وضم بعض الفرنسيين إلى هذه الأفواج لمراقبة نشاطها[6].

فوج الإقدام: رغم ظروف الحرب العالمية الثانية والتضييق الذي مارسته الإدارة الاستعمارية على الأحزاب والجمعيات إلا أن ذلك لم يثن من عزيمة الجزائريين من بعث النشاط الكشفي من جديد، حيث قامت بعض العناصر النشطة في المدينة شهر ماي

---

(1) Le Réveil de Mascara, 02/04/1938, N° 3817.

)2(AWO – 4063 – I14 - Rapport du Sous Préfet de Mascara - 01.06.1941, N° 217.

)3(Ibid - 03 .01.1942 , N° 01.

(4) علوان أمال: دور الحركة الكشفية الإسلامية في نشاط الحركة الوطنية الجزائرية بالغرب الجزائري مابين 1936 و1954، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008، ص 16.

(5) من بينهم جاكر لحسن. أنظر الحركة الوطنية ... ص 131.

(6) علوان أمال: المرجع السابق، ص 42.

1941 بتأسيس فوج "الإقدام"[1]، وألحقته بفدرالية الكشافة الإسلامية الجزائرية[2]. تشكلت لجنته العاملة من:

- **الرئيس:** جيلبرت دي هارو (Gilbert DE Haro)
- **الأمين العام:** عثمان دحو
- **مساعد الأمين العام:** ملياني عبد الحليم.
- **أمين المال:** سفير عبد القادر.
- **مساعد أمين المال:** كرويشة بوعلام[3].

ضم الفوج العديد من العناصر الإصلاحية، كعثمان دحو، وملياني عبد الحليم، وسفير عبد القادر. أما عدد أعضائه فكان آنذاك لا يزيد عن عشرين كشافا معظمهم من تلاميذ المدارس وبعض الحرفيين[4]، ليرتفع بعدها بشهر إلى ثلاثين كشافا[5].

فوج أشبال الكشافة الإسلامية: أسسه مصطفى اسطنبولي في جويلية 1941 حيث تكونت لجنته من مصطفى اسطنبولي، قاسمي عبد القادر، عيسى حمو، عطار الجيلالي، وقايد ميلود، لكن الإدارة الاستعمارية قامت بحله بعد 48 ساعة من تأسيسه[6].

---

(1) تزامن تأسيس فوج الإقدام مع قيام السلطات الفرنسية بإلقاء القبض على رائد الكشافة الإسلامية الجزائرية ومؤسسها القائد الفّذ محمد بوراس، وذلك في أوائل ماي 1941 متهمة إيّاه بالتواطؤ مع الألمان (تسريب وثائق سرية للنازيين)، فقامت بحبسه واستنطاقه وتعذيبه، ثم إعدامه رميا بالرصاص يوم 27 ماي 1941 في ساحة عسكرية بحسين داي في العاصمة، فكان بذلك أول شهيد وطني يعدم في الحرب العالمية الثانية، وأول ضحية للكشافة الإسلامية الجزائرية. أنظر: بوعمران الشيخ ومحمد جيجلي: الكشافة الاسلامية الجزائرية (1935 – 1955)، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، طبعة خاصة، الجزائر 2008، ص 220.

(2) تأسست فدرالية الكشافة الإسلامية الجزائرية خلال الاجتماع الذي عقده نخبة من الكشفيين الجزائريين أيام 27 – 28 – 29 جويلية 1939 بالحراش في (العاصمة) بقيادة محمد بوراس، بهدف جمع شتات الجمعيات والأفواج الكشفية المحلية، توحيد برامجها ونشاطاتها توجهاتها في اتجاه وطني واحد.أنظر محمد الصالح رمضان، تاريخ الكشافة الإسلامية الجزائرية، مجلة الثقافة، العدد 70، بتاريخ 01 أوت 1982، ص ص 61، 62.

(3) AWO - 4063 – I14, CIE Oran - 20.05.1941, N° 173.

(4) Ibid.

(5) Ibid – 4063 – I14- Rapport du Commissaire de Police de la Ville de Mascara au Sous Préfet de l'arrondissement de Mascara - 15.09.194, N° 3658.

(6) AWO - 4063 – I14, 15/09/194, N° 3658

فوج السلام: بعد حل "الإقدام" أعطت الإدارة الاستعمارية اعتمادا جديدا وسريعا لفوج أخر باسم "السلام"[1] وذلك في نوفمبر 1943، ضم في صفوفه عناصر فرنسية وإسرائيلية لتفادي المضايقات من قبل سلطات الاحتلال، غير أن ذلك لم يشفع له بالبقاء طويلا فسرعان ما تم حله[2].

فوج الشهاب: بعد أن سمحت الإدارة الاستعمارية ببعث النشاط الكشفي من جديد، قام بلقور حمزة بتأسيس فوج "الشهاب" في 20 جانفي 1944، حيث تشكلت لجنته الأولى من:

الرئيس: بلقور حمزة

نائب الرئيس: سفير أحمد.

الكاتب العام: ملياني عبد الحليم.

أمين المال: سفير عبد القادر[3].

يعود سبب سماح الإدارة الاستعمارية للجزائريين بتشكيل هذا فوج إلى تخوفها من الدعاية التي قام بها الحزب الشيوعي الجزائري في أوساط الكشافة الإسلامية بعد حل "الإقدام" سعيا منه إلى ضمهم إليه. حيث ورد في تقرير أرسله رئيس دائرة معسكر إلى عامل عمالة وهران بخصوص ذلك ما يلي:" أعتقد أننا يمكن أن نثق فيه – يقصد رئيس الفوج بلقور حمزة – والسماح للتجمع الجديد بأن يعيد تشكيل نفسه. يبدو لي أن هذا الذي يجب أن يحدث الآن لأن الحزب الشيوعي يقوم حاليا بدعاية نشيطة في صفوف الشباب

(1) جيلالي بلوفة عبد القادر: المرجع السابق، ص 104.

(2) بن داهة عدة: مساهمة الفرق الكشفية بمعسكر في جهود الحركة الوطنية الجزائرية، محاضرة ألقيت في الندوة الوطنية الموسومة ب: دور الحركة الكشفية في المسار النظالي للحركة الوطنية وثورة التحرير الجزائرية، المنظمة من طرف مخبر البحوث الاجتماعية والإنسانية، جامعة معسكر، الثلاثاء 17 أفريل 2018.

(3) AWO – 4063 – I14 - Rapport du Commissaire Principal de la Police des Renseignements généraux – Mascara - 20.01.1944, N° 442.

المسلم، ومن الشبه المؤكد أنه إذا لم يتم الموافقة على تأسيس الشهاب، فإن هؤلاء الشباب الذين يجب أن يكونوا جزءا منه سينظمون إلى هذا التيار"[1].

ومن الأمثلة التي توضح ذلك، قيام الأمين العام للحزب الشيوعي بوزيري محمود بتعيين ملياني عبد الحليم على رأس الخلية الشيوعية رقم 01 في حي باب علي، لكن الأخير رفض ذلك، وصرّح في رسالة وجهها إليه أنه لم ينتم قط إلى حزب سياسي، ولن ينتمي إليه على الإطلاق[2].

وخوفا من قيام الفوج بنشاط سياسي، أو مظاهرات معادية لفرنسا على غرار ما قام به فوج الإقدام سابقا، قام رئيس الدائرة باستدعاء بلقور حمزة إلى مكتبه في أول يوم من تأسيسه (20 جانفي 1944) وقدم له توصيات بهذا الشأن، مطالبا إياه بضرورة الالتزام بالقانون الأساسي للكشافة الإسلامية[3].

وفي شهر أكتوبر 1944 منحت الإدارة ترخيصا لهذا الفوج يسمح له بالنشاط، وعقد التظاهرات دون إذن أو تفويض مسبق منها، بعد أن تم إدراجه في فئة المجموعات الرياضية والشبانية المسموح لها بذلك (حسب ما هو منصوص عليه في قانون الجمعيات المعدل في 20 نوفمبر 1943)، وقد ورد بشأن ذلك مايلي:" يندرج هذا الفوج في فئة المجموعات الرياضية والشبانية المستثناة من الإذن المسبق ... لذلك يتعين علينا الترخيص له بعقد اجتماعاته، وسنتركه يعمل بحرية شريطة أن لا يكون نشاطه ذو طابع سياسي"[4].

مما لا شك فيه أنّ هذا القرار الذي اتخذته الإدارة أرادت من ورائه توطيد صلتها بأعضاء الفوج، واستقطابهم إليها لقطع الطريق أمام العناصر اليسارية التي كانت تقوم بدعاية نشيطة في أوساطهم.

(1) AWO – 4063 – I14 - 20.01.1944, N° 442.
(2) Ibid - 22.01.1944, N° 18.
(3) Ibid - Rapport du Sous Préfet de Mascara - 20.01.1944 - 23.
(4) AWO – 4063 – I14 – 26/01/1944, N° 657.

وفي ماي 1947 أعيد تشكيل مكتبه من جديد الذي أصبح يتكون من ثلاثة رؤساء شرفيون وهم شكال علي، وبن باهي محمد، وعبد المؤمن طاهر.

الرئيس الفعلي: بلقور حمزة.

نائبا الرئيس: قايد حسين، وعقار قدور.

أمين المال: غلال عبد القادر.

الكاتب: شنيني عثمان.[1]

فوج الوداد: تأسس فوج "الوداد" بمدينة بوحنيفية في أفريل 1944 من طرف بودربالة الجيلالي[2]، وحسبما جاء في تقارير الإدارة الاستعمارية فإن طلبه الخاص بإنشاء فوج كشفي والانضمام إلى فدرالية الكشافة الإسلامية والذي يعود إلى تاريخ 29 جويلية 1943 تم رفضه من المتصرف الإداري لبلدية معسكر المختلطة[3]، بحجة أن عناصر فوج الوداد غير كافية. إلاّ أن تقارير أخرى أشارت أن سبب الرفض يعود إلى عدم ثقة السلطة الفرنسية فيه[4].

وفي شهر أفريل 1944 وافقت الإدارة الاستعمارية على تأسيس فوج الوداد، بعد أن ضمت بعض العناصر الأجنبية إلى لجنته العاملة حتى تضمن عدم وجود أي نشاط سياسي داخل المجموعة، وقد تكونت هذه اللجنة من:

الرئيس: لوران مارسيل (LAURENT Marcel) .

---

(1) جاكر لحسن: الحركة الوطنية...، ص ص 274، 275.

(2) AWO – 4063 – I14 -Rapport du Sous Préfet de Mascara au Préfet d'Oran, 14.04.1944, N° 1864.

(3) Ibid - Demande de BOUDERBALA Djilali à l'Administrateur de la Commune Mixte de Mascara - 29.07.1943.

(4) علوان أمال: دور الحركة الكشفية... ص ص 38، 39.

نائب الرئيس: بودربالة الجيلالي.

الأمين العام: زامورا دومينيك (ZAMORA Dominique)

نائب الأمين العام: عمراني عبد القادر.

أمين المال: تميمي محمد.

نائب أمين المال: بلاق محمد[1].

فوج الرشاد: تأسس سنة 1943 من طرف دلاي محمد، بلغ عدد المنخرطين فيه عند إنشائه ثلاثون عضوا[2].

2. من رواد كشافة معسكر

- **قايد حسين (1920 – 2000):**

من مواليد مدينة معسكر سنة 1920، كان والده – قايد الطاهر – من رجال الإصلاح وعضوا في المجلس الإداري لشعبة جمعية العلماء المسلمين في المدينة، تلقى تعليمه الأول بمسقط رأسه في مدرسة التربية والتعليم التابعة للجمعية والتي كان يشرف عليها محمد السعيد الزموشي منذ أواخر عام 1932[3].

ارتحل بعدها في طلب العلم إلى جامع الزيتونة ضمن أول بعثة علمية لمدرسة معسكر الباديسية مكونة من ثلاثة طلبة وهم: المعني – قايد حسين – بوعبسة حسين، وميلود بوزيان، اختارهم الشيخ الزموشي من بين 75 تلميذا ممن كان يشرف عليهم في مدرسة التربية والتعليم[4].

---

(1) AWO – 4063 – I14,Rapport de Sous Préfet du Mascara au Préfet d'Oran, 14.04.1944, N° 1864.

(2) AWO – 4063 – I14 - Rapport de Préfet d'Oran, 18/04/1944, N° 352.

(3) أرشيف عائلة قايد حسين، أنظر أيضا، جاكر لحسن: الحركة الوطنية ...، ص 112، 119.

(4) محمد الحسن الفضلاء: المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر (القطاع الوهراني)، الجزء الثاني، المصدر السابق، ص 110.

بعد عودته من تونس، اشتغل قايد حسين بالتجارة[1]، كبائع للمنسوجات، والقماش في متجر له بحي باب علي[2]. وخلال هذه المرحلة المبكرة من حياته أعلن عن مبادئه الوطنية بانضمامه إلى الحركة الكشفية بعد تأسيسها في 28 مارس 1938، وإلى شعبة جمعية العلماء بمعسكر[3]، ويعود ذلك إلى أسرته التي أدّت دورا أساسيا في تكوينه وإلى شيوخه الذين تتلمذ على يدهم سواء في معسكر كالشيخ الزموشي أو في تونس، وبهذا أصبح محل ثقة وجدير بالزعامة بين زملائه فوضعوه مرشدا عاما لفوج الإقدام بعد تأسيسه عام 1941[4].

ظل الرجل وفيا لمبادئه الوطنية فنظم إلى جانب زملائه في الكشافة، وأعضاء من حزب الشعب من أمثال بلحلفاوي محمد، واسطمبولي مصطفى مظاهرات الفاتح أكتوبر 1943[5]، طالبوا فيها الإدارة الاستعمارية رفع الحظر عن نشاط المجالس المالية المحلية، وإطلاق سراح المعتقلين السياسيين كفرحات عباس وسايح عبد القادر[6]، وهو ما أدى إلى اعتقاله لمدة 40 يوما وتغريمه بـ: 800 فرنكا فرنسيا[7].

ومهما يكن، فإنّ ذلك لم يثن من عزيمته قطُّ، حيث قام مرة أخرى إلى جانب العناصر الوطنية في المدينة بتنظيم مظاهرات سلمية في 01 ماي 1945 المصادف لعيد العمال، ونظرا لأنه كان أكثر ثورة وأقوى لهجة في التنديد بالسياسة الاستعمارية خلال المسيرة أصدرت السلطات الفرنسية مذكرة توقيف في حقه بتاريخ 03 ماي، وزُجّ به في معتقل البرواقية، وهو المعتقل الذي كانت تقبع فيه آنذاك قيادات بارزة في حزب الشعب أمثال

(1) محمد الحسن الفضلاء: المصدر نفسه، ص 100.

(2) AWO – 4063 – I14 - Rapport de Sous Préfet de Mascara au Préfet d'Oran - 02.10.1943, N° 5977.

(3) جاكر لحسن: الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص 197.

(4) المرجع نفسه، ص 196.

(5) AWO- 4063 – I14 - 02.10.1943, N° 5977.

(6) AWO- 4477- I9, Dissolution des délégations financière Compagnie- Mascara- 02.10.1943, N° 5974.

(7) Ibid – 4477 – I9, Mascara - 25.12.1943, N° 5906.

محمد ممشاوي من تلمسان، وأحمد مزغنة، وحسين عسلة، وماحي عبد حفيظ من الوسط، وشاذلي مكي، وعلي فيلالي من الشرق[1].

والحق أنّ قايد حسين رغم أنه كان مناضلا ومسؤولا كشفيا، إلاّ أن شخصيته برزت أكثر في الجانب السياسي مما أدى بالجهات الأمنية إلى مراقبته وتوخي الحذر منه، وهو ما يؤكده الأستاذ جاكر لحسن في مقابلة شخصية معه، بأنّ دوره الفاعل في الأحداث المتواترة التي وقعت خلال الحرب العالمية الثانية دفعت بمحافظ الشرطة الرئيسي جورج دي لابر (Georges Delarbre) إلى استدعائه وتحذيره من ترسيخ فيروس السياسة في صفوف الشباب[2].

غير أنّ التهديدات التي تعرّض لها بين الفينة والأخرى، والاعتقالات التي طالته لم تؤثر فيه البتّه، حيث واصل نشاطه بعد إطلاق سراحه، وهذه المرة من فوج "الشهاب" بعدما أصبح نائبا لرئيسه بلقور حمزة، فشارك مع زملائه في عدة تجمعات محلية وجهوية، منها على وجه الخصوص التجمع الكبير الذي نظمه الفوج يوم 10 فيفري 1949، على اثر زيارة رئيس فدرالية الكشافة الإسلامية الجزائرية السيد محمود بوزوزو إلى معسكر والذي تشرف فيها قايد حسين بضيافته في بيته[3].

وعلى أية حال فإن الرجل بقي وفيا لمبادئه الوطنية، ثائرا ضد التواجد الاستعماري الفرنسي إلى غاية اندلاع الثورة التي شارك فيها ودعمها من ماله الخاص؛ وبعد استرجاع السيادة الوطنية اشتغل قايد حسين في التجارة، وتفرغ للعمل الخيري حتى وفاته سنة 2000[4].

---

(1) جاكر لحسن: الحركة الوطنية ... ص 247.
(2) المرجع نفسه، ص 245.
(3) بن داهة عدة: معسكر عبر التاريخ، المرجع السابق، ص 65.
(4) جاكر لحسن: نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مدينة معسكر 1931 – 1956، المرجع السابق ص 118.

- **مداح قدور (1922 – 2000):**

ولد في حي باب علي الشعبي بمعسكر يوم 31 مارس 1922[1]. انخرط في صفوف الكشافة الإسلامية، وأصبح عضوا فاعلا فيها خلال الأربعينات وإلى غاية اندلاع الثورة، حيث أحيى إلى جانب رفاقه العديد من التظاهرات الكشفية المحلية والجهوية، ومن ذلك مشاركته في التجمع الجهوي للكشافة الإسلامية بعين فزة (تلمسان) مابين 31 ديسمبر 1941 و03 جانفي 1942[2]، وأشرافه في شهر أوت 1946 على مخيم الكشافة بمرسى بن مهيدي (تلمسان)[3].

استطاع بفضل جهوده الحثيثة، ونشاطه الدؤوب أن ينال احترام المسؤولين الوطنيين للكشافة ويكسب ثقتهم، ونظير ذلك قام السيد بوكلوة الزواوي – المحافظ الدائم لفدرالية الكشافة الإسلامية بالجزائر– أثناء زيارته لمدينة معسكر سنة 1953 بتعيينه في منصب محافظ محلي للكشافة الإسلامية خلفا للسيد كساسي محمد[4].

لم يشغله نشاطه الكشفي عن ممارسة رياضة الملاكمة التي تعلق بها منذ الصغر، وأصبح عضوا في ناديها المسمى نادي الملاكمة المعسكرية (Boxing club Mascareen) منذ تأسيسه في 09 أوت 1952 [5].

بعد الاستقلال تفرغ للحياة الفنية، وبالخصوص الموسيقى والمسرح، فأصبح عازفا موسيقيا في فرقة "الفن والعمل" بقيادة مغدير بن علي، ومؤلفا مسرحيا، ومن أهم ما ألف في

---

(1) المرجع السابق، ص 138.
(2) علوان أمال: دور الحركة الكشفية، المرجع السابق، ص 82.
(3) المرجع نفسه، ص 41.
(4) A.N.O.M - SLNA Oran - Février 1953, N° 141.
(5) Ibid – Mascara - 21.08.1952, N° 6713.

ذلك مسرحية تحت عنوان " وصية الشهيد" كتبها عن أحد شهداء المنطقة وهو بن ناصر جيلالي المدعو "الداموس". توفي مداح قدور عام 2000 عن عمر ناهز الثمانين سنة[1].

- **بلقور حمزة:**

ولد في مدينة سعيدة عام1915، يعتبر قطبا من أقطاب الحركة الكشفية في معسكر، حيث ساهم في تأسيس فوج الشهاب، وأصبح رئيسا له منذ جانفي 1944[2]، شغل منصب مساعد كاتب ضبط بمحكمة معسكر[3].

التحق بالثورة سنة 1957، حيث قام بإنشاء خلية استخباراتية مع محمد لكحل متكونة من جزائريين يعملون في جهاز الشرطة بالمدينة تحت قيادة السنوسي الحبيب لتزويد جبهة التحرير بالمعلومات أو أية مساعدات تمكن هياكل الثورة من أداء مهامها[4].

وبعد اكتشافها سارعت قوات الأمن إلى إلقاء القبض عليه مع بقية أعضائها، وحكمت عليه المحكمة بتسع سنوات سجنا، قضى مدة فيه امتدت إلى غاية استقلال الجزائر.

3. النشاط الكشفي: محليا وجهويا ووطنيا:

انصب اهتمام الحركة الكشفية في معسكر منذ البداية على غرس القيم الدينية، والوطنية المرتبطة بثوابت الأمة بين الشباب المنتمين إليها، فقد نظمت لهذا الغرض العديد من التظاهرات الثقافية، وأحيت الكثير من الاحتفالات الدينية (مثل الاحتفال بشهر رمضان المعظم، والمولد النبوي الشريف، والعيدين...) كما أقامت المخيمات، وشاركت إلى جانب الأفواج الأخرى في لقاءات جهوية ووطنية رسخت فيها روح التضامن والاتحاد، ولم تكتفي

(1) جاكر لحسن: المرجع السابق، ص 138.

(2) AWO – 4063 – I14 - 20 .01.1944, N° 23

(3) Ibid.

(4) Abdelkader Khelil : Au cœur du <<réacteur>> de la répression Policière : la bravoure d'une cellule FLN de renseignement à Mascara, le Quotidien d'Oran, N° 6467, le 25 Février 2016.

بذلك فحسب، بل راحت إلى أبعد من ذلك عندما أظهرت ميولها الوطني صراحة وانخرطت إلى جانب الأحزاب، والجمعيات الوطنية في النضال السياسي.

3-1 النشاط محلي:

أ. الثقافي والتربوي:

إن الحديث عن النشاط الكشفي يسوقنا في البداية إلى معرفة الأهداف المرجوة منه، ففي هذا الإطار حددت المادة الثانية من القانون الأساسي لفدرالية الكشافة الإسلامية الجزائرية غايته في أربع نقاط أساسية هي: تكوين الشبيبة في المجال الأخلاقي والصحي والبدني والتدريب العملي، كما حددت المادة الثالثة منه الوسائل والآليات التي يتم بواسطتها تحقيق ذلك، والمتمثلة في نشر دوريات ومؤلفات ومناشير خاصة، وتنظيم المحاضرات والمسابقات والتظاهرات المختلفة[1]. وتفعيلا لما جاء في هذه البنود قامت الأفواج الكشفية على مستوى دائرة معسكر بنشاطات عديدة تميزت بالثراء والتنوع بين ما هو ديني وثقافي وتربوي نذكر منها:

- تنظيم فوج الإقدام يوم 04 أفريل 1942 مخيم في مدرسة باب علي الأهلية احتفالا بذكرى المولد النبوي الشريف قدمت فيه عناصره مجموعة من الأناشيد والمسرحيات والألعاب الهادفة والمتشبعة بالإيمان والروح الوطنية[2]. كما عرف الحفل حضور جمهور عريض من الجزائريين والأوربيين[3].
- وبتاريخ 07 أفريل من نفس السنة نظم فوج الإقدام أمسية ترفيهية بقاعة سينما أولمبيا، لكن الحفل طالته انتقادات كثيرة من طرف بعض الحضور بسبب عرض عناصر الكشافة

(1) بوعمران الشيخ ومحمد جيجلي: المرجع السابق، ص 21.
(2) AWO – 4063 – I14 - L'Administrateur de la Commune Mixte de Mascara au Préfet d'Oran - 04.04.1942, N° 2942.
(3) Le Réveil de Mascara, 25/03/1942.

لرسومات فنية مستوحاة من القرآن الكريم، وقد عبر أحدهم عن ذلك بأنّ مثل هذه اللوحات هي استخفاف بالمسائل الدينية[1].

- كما أحيى فوج السلام في 15 مارس 1944 ذكرى المولد النبوي الشريف بمقر كشافة فرنسا وبحضور عناصر كشفية إسرائيلية[2].

- وبتاريخ 24 جوان 1944 أقام فوج الوداد ببوحنيفية مخيما كشفيا إلى جانب فوج الأمل لكشافة سيدي بلعباس، حيث تم تقديم استعراض في المدينة؛ وبعد أسبوع من ذلك وبالضبط يوم 02 جويلية نظم "الوداد" حفلا أخر حضره جميع الأفواج الكشفية في معسكر[3].

- ودائما في إطار النشاط الثقافي أقام فوج "الشهابّ حفلا غنائيا بقاعة سنيما ألمبيا يوم 16 جوان 1944 حضره حوالي 350 شخصا وعلى رأسهم وكيل الجمهورية، والمتصرف الإداري لبلدية معسكر المختلطة[4]. كما نظم ذات الفوج في شهر سبتمبر 1944 أمسية فنية في المدينة بمناسبة عيد الفطر المبارك حضرها السيد كرويشة عبد القادر المحافظ الجهوي للكشافة الإسلامية، الذي ألقى خلالها كلمة أثارت إعجاب الحاضرين[5].

ب. دورها السياسي:

لا يمكن إغفال دور الفرق الكشفية بمعسكر في مجهود الحركة الوطنية والثورة، فقد تركت هذه الأفواج بصماتها واضحة في النضال السياسي، ولا سيما فوج الإقدام الذي غلب على نشاطه منذ البداية الطابع السياسي، والقومي وهو ما دفع برئيسه دي هارو جيلبرت (DE Haro Gilbert) إلى التخلي عنه، والانسحاب منه في أوت 1941 (أي بعد شهرين من تأسيسه)[6].

---

(1) AWO- B p 201 (1941 – 1945), 30/01/1942, N° 321.

(2) بن داهة عدة: مساهمة الفرق الكشفية بمعسكر في...، ص 02.

(3) AWO – 4063 – I14 - Rapport de L'Inspecteur Chef de Poste au Commissaire Principal de la Police des Renseignements Généraux Chef du District d'Oran - 29.06.1944, N° 4658.

(4) بن داهة عدة: مساهمة الفرق الكشفية بمعسكر في...، ص 02.

(5) AWO – 4063 – I14 - Rapport du Commissaire central au Sous Préfet de l'Arrondissement de Mascara - 21.09.1944, N° 6419.

(6) AWO – 4063 – I14 - CIE Oran - 03.01.1942, N° 01.

ومن دون شك، فإن ذلك لم يكن يخفى عن أجهزة الأمن الفرنسية التي طالبت من الإدارة حل هذا الفوج، والتخلص من عناصره، حيث ورد في أحد التقارير التي رفعها محافظ الشرطة بمعسكر إلى رئيس الدائرة ما يلي:" ونظرا للخلفية السياسية للأعضاء يجب علينا عدم السماح باستمرار نشاط هذا الفوج، وربما يكون الحل الأفضل هو دمج الشباب المنخرطين فيه في الجمعيات الأوربية الموجودة"[1].

وقد برز النشاط السياسي للفوج بشكل جلي بعد مشاركته في مظاهرات 01 أكتوبر 1943، قادتها عناصر من حزب الشعب الجزائري من أمثال بلحفاوي محمد، ومصطفى اسطنبولي، وقايد حسين رئيس فوج الإقدام آنذاك [2].

انطلقت المظاهرات على الساعة التاسعة صباحا[3] من ساحة لافونتان (la Fontaine) "ابن خلدون حاليا" في حي باب علي، بمشاركة 140 شابا من الكشافة الإسلامية وحزب الشعب متجهين صوب النصب التذكاري للحرب العالمية الأولى[4] مرورا بحمام بوعبسة، فحمام حمزة، ومنه إلى الشارع الكبير (الأمير عبد القادر) انتهاء عند كنيسة سان بيار بوسط المدينة[5]، حاملين معهم أعلام أمريكية ولافتات تحمل عبارات: "تحيا الجزائر"، "تحيا انجلترا"، "تحيا أمريكا"، " أطلقوا سراح فرحات عباس"[6]، وهي شعارات تعبر عن الهوية الوطنية وتتنكر بصراحة للاستعمار، وتدعو إلى التضامن ولم الشمل، لكن قوات الشرطة تدخلت بقوة وفرقت المتظاهرين وألقت القبض على منظميها[7] وعلى رأسهم قايد حسين ولد الطاهر، قايد ميلود ولد محمد، بلحلفاوي محمد، واسطمبولي مصطفى، ومادون بن عومر،

---

(1) Ibid. 15.09.1941, N° 3658.
(2) Ibid .02.10.1943, N° 5977.
(3) جيلالي بلوفة عبد القادر: المرجع السابق، ص 102.
(4) AWO – 4063 – I14 – Mascara -02.10.1943, N° 5977.
(5) بن داهة عدة: معسكر عبر التاريخ ... ص 69.
(6) AWO – 4063 – I14 – Mascara - 02.10.1943, N° 5977.
(7) بن داهة عدة: معسكر عبر التاريخ ... ص 69.

حيث حكم على كل واحد منهم ب: 45 يوما سجنا وغرامة مالية تراوحت بين 800 و1200 فرنك[1].

كما أصدرت السلطة الاستعمارية مذكرة تُجرّم فيها فوج الإقدام للكشافة الإسلامية الجزائرية وتمنعه من النشاط نهائيا بحجة تنظيم مظاهرات سياسية دون ترخيص، وأكدت فيها على أنّ أي مخالفة لهذا القرار سيؤدي إلى اتخاذ عقوبات صارمة ضده[2].

لم تثن هذه الإجراءات من عزيمة المناضلين الشباب في بعث النشاط الكشفي، ومواصلة النضال من جديد، وذلك بتأسيس فوج أخر تحت اسم "الشهاب"، ضم في تركيبته البشرية عناصر ذات توجه وطني أغلبها من حزب الشعب وحركة الانتصار للحريات الديمقراطية، وهو ما كشفت عنه أحد تقارير الشرطة الفرنسية الاستعمارية والذي ورد فيه مايلي:" ... كان يوجد بالفرع المحلي للكشافة الإسلامية بمعسكر تياران أحدهما يمثل حزب الشعب الجزائري (حركة الانتصار للحريات الديمقراطية) والأخر يمثل الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري. كان التيار الأول (P.P.A - M.T.L.D) يمثله كل من السادة طفراوي عبد القادر، جاكر علي، اسطمبولي مصطفى، علقي أمحمد، بن سيرات محي الدين، السيد خليل، لحسن محمد، مولاي مرباح، بن زرقة بن نعوم، أما التيار الثاني (ح.إ.ح.د – U.D.M.A) كان يمثله السادة موفقي دحو، شريف عدة، كسال الحاج أحمد، درقال بن أعمر، بلحيداس علي، قاضي الطاهر، وهؤلاء أغلبهم حرفيون، إداريون، معلمون، ومترجمون"[3].

ومن جملة النشاطات التي تبرز الدور السياسي لهذا الفوج مشاركته إلى جانب الأحزاب السياسية المحلية في بعض التجمعات والمؤتمرات التي كانت تعقدها، ومنها على سبيل المثال التجمع الذي أقامه حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري بمعسكر يوم 10 فبراير

(1) جيلالي بلوفة عبد القادر: المرجع السابق، ص ص 104، 105.
(2) AWO – 4063 – I14 – Mascara - 19.10.1943, N° 8519.
(3) بن داهة عدة: معسكر عبر التاريخ ... ص64.

1947 بمناسبة الذكرى الرابعة لصدور بيان الشعب الجزائري، والذي قدمت فيه عناصر "الشهاب" نشاطات عديدة كان أهمها أنشودة بعنوان "بلادي" وعرض مسرحي بعنوان "المفلس" في إشارة ضمنية إلى إفلاس الاستعمار، وهو ما أقلق الإدارة الاستعمارية كثيرا لأن مثل هذه العروض كانت مشبعة بالروح الوطنية الاستقلالية [1].

ومن الأمثلة الأخرى التي تدّل على الارتباط الوثيق بين فوج الشهاب والتيارات السياسية المحلية هو قيام رئيسه بلقور حمزة بدعوة أعضاء حركة انتصار الحريات الديمقراطية وعلى رأسهم حبيبي الميلود، وخضريوي بوزيان، وطفراوي عبد القادر، وجميعهم أعضاء نافذين ومؤثرين في الحركة إلى حضور التجمع الذي عقده "الشهاب" بمناسبة الزيارة التي قام بها رئيس فدرالية الكشافة الإسلامية الجزائرية السيد محمود بوزوزو [2] إلى معسكر يوم 10 فيفري 1949[3].

عُقد التجمع في قاعة المجلس البلدي بحضور أزيد من ستين شخصا، وفيه ألقى بوزوزو خطابا أفصح فيه عن مواقفه الوطنية بصراحة، عندما تحدث بإسهاب عن الوطن، والحرية، والاستقلال، وذكّر الحضور بالدّور التاريخي الذي قام به الأمير عبد القادر في محاربة الاستعمار، ومما جاء فيه:" إني سعيد بالتواجد في معسكر مدينة الأمير عبد القادر أول رجل يقف في وجه الاستعمار لما يزيد عن خمسة عشرة سنة متتالية ... وإذا كان الأمير ميتا يجب علينا أن نأخذ مآثره كمثال ونحارب الاستعمار مثله لتحرير وطننا الجزائر"[4].

---

(1) جاكر لحسن: الحركة الوطنية... ص ص 286، 287.

(2) محمود بوزوزو: من مواليد سنة 1918 ببجاية، بدأ حياته العلمية كاتبا ومدرسا للغة العربية، دفعته ميوله السياسية إلى الانضمام لحزب الشعب الجزائري عام 1944، رائد من رواد الحركة الكشفية ورئيسا لفدراليتها للكشافة منذ سنة 1947، كما اشتغل بوزوزو بالصحافة وأصدر جريدة المنار سنة 1951، وهي صحيفة مستقلة ناطقة باللغة العربية، توجه خلال الثورة إلى سويسرا (جنيف) والتي استقر بها إلى غاية وفاته. أنظر:

Benjamin Stora : Dictionnaire biographique de militants nationalistes Algérien, E.N.A., P.P.A., M.T.L.D (1926 – 1954), Editions L'Harmattan, Paris 1985, P 172.

(3) ANOM - PRG de Mascara - 11.02.1949, N° 89.

(4) ANOM - PRG de Mascara- 11.02.1949, N° 89.

ولشحذ الهمم أكثر وترغيب الجزائريين في الاستقلال، ضرب بوزوزو مثالا بسوريا ولبنان اللتان انتزعتا حريتهما من الاستعمار رغم إمكانياتهما المحدودة جدا. وقال يحدث هذا في وقت ما يزال فيه بلد مثل الجزائر الذي يبلغ عدد سكانه 10 ملايين نسمة تحت الوصاية الفرنسية[1].

كما دعا في الختام جميع الأحزاب السياسية (حركة الانتصار الحريات الديمقراطية والاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري والحزب الشيوعي الجزائري) إلى الاتحاد والعمل سوياً من أجل هدف واحد هو تحرير الجزائر[2].

أثار الخطاب استياء الإدارة الاستعمارية، ولا سيما رئيس الدائرة الذي وصفه بالخطاب القومي (الوطني) في تقريره الذي بعثه إلى حاكم عمالة وهران بتاريخ 14 فيفري 1949، وعبّر له فيه عن أسفه للتسهيلات التي منحتها الإدارة لفوج الشهاب لتنشيط هذا التجمع، كاستغلال القاعة التابعة للمجلس البلدي، والسماح لعناصر حزب الشعب بالحضور والذي وصفهم بالوطنيين المعادين لفرنسا، كما وعده بعدم السماح لقيام مثل هذه التجمعات في المستقبل[3].

لا شك أنّ هذه النشاطات مجتمعة أظهرت الوجه الحقيقي لكشافة معسكر على أنها مدرسة للوطنية، ومنبر سياسي اعتلاه مناضلو الحركة الوطنية لنشر أفكارهم، وأرائهم بعد حل أحزابهم وشل نشاطهم. وهو ما دفع السلطات الفرنسية إلى نصب العراقيل والصعوبات أمام نشاط أفواجها، فرفضت في الكثير من الأحيان منحها رخص التخييم والتظاهرات، وحرمانها من الإعتمادات، والمساعدات المالية.

(1) Ibid.
(2) Ibid.
(3) ANOM - Rapport du Sous Préfet de Mascara au Préfet du Département d'Oran – Mascara- 14.02.1949, N° 92.

وأمام هذا الوضع، أوفدت القيادة المركزية للكشافة الإسلامية السيد بوكلوة الزواوي[1] إلى مدينة معسكر في فبراير 1953، للوقوف عن كثب على الظروف الصعبة التي تمر بها الأفواج الكشفية والمضايقات التي تتعرض لها. وبعد اجتماعه بالأعضاء المحليين أمرهم بضرورة الابتعاد عن النشاط السياسي ووجه إليهم كلمة في هذا الصدد جاء فيها:" إنني أمنع كل عناصر الكشافة من التدخل في المسائل السياسية، وعلى كل كشاف أن يحتفظ برأيه لنفسه. إن الإدارة تراقبنا بدقة وتعتبرنا وطنيين كما أنها لا تقدم لنا أي مساعدة. إن خزانتنا فارغة والعديد من الأفواج أوقفت نشاطها في البيض، وعين الصفراء، وبشار وسعيدة، أما فوج المحمدية فيلقى مطاردة من الشرطة. أطلب منكم أخذ نصائح رئيسكم بلقور حمزة بعين الاعتبار وأرجو من مداح قدور المحافظ المحلي أن يبلغكم مستقبلا بكل الرسائل الدورية التي تأتي من الفدرالية"[2].

أما بخصوص نشاطها خلال الثورة فقد أدّت كشافة معسكرا دوراً هاماً، تجلت مظاهره في التحاق العديد من إطاراتها المشهود لها بالكفاءة، والروح الوطنية العالية والانضباط بصفوف جيش التحرير، وهي الإطارات التي أصبحت دعما وسندا للثورة، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر بلقور حمزة رئيس فوج الشهاب، مكيوي مأمون، مصطفى اسطمبولي، دفان مختار، مزيان دحو...[3].

إن انضمام مناضلي كشافة معسكر إلى الثورة يندرج في إطار تعليمات جبهة التحرير الوطني إلى قيادة الكشافة الإسلامية الجزائرية، التي تدعو فيها المنخرطين في أفواجها إلى الالتحاق بصفوف الثورة بالصفة الفردية وليس باسم الكشافة الإسلامية حتى لا يلحق ذلك أي ضرر بالمسؤولين[4].

---

(1) كان يشغل منصب المحافظ الدائم لفدرالية الكشافة الإسلامية بالجزائر.
(2) فغرور دحو وأخرون: فلسفة المقاومة، دار الخلدونية، الجزائر 2017، ص 277.
(3) بن داهة عدة: مساهمة الفرق الكشفية بمعسكر ... ص 03.
(4) بوعمران الشيخ ومحمد جيجلي: المرجع السابق، ص 400.

ومن جهة أخرى، فقد سمحت فدرالية الكشافة الإسلامية الجزائرية للأفواج الكشفية بمواصلة نشاطها، وذلك للتغطية على دورها الثوري وعلاقتها بجبهة التحرير الوطني[1]، وعلى هذا الأساس حافظ فوج الشهاب على نشاطه خلال الثورة على غرار عدد من الأفواج في جهات أخرى من الوطن كفوج الأمل بسيدي بلعباس، غير أنّ نشاطه كان محدود جدا، ونسجل في ذلك الحفل الذي أقامه يوم 03 فيفري 1956 في الطريق الرئيسي بحي باب علي بمناسبة افتتاح مقره الجديد والذي حضره كل من الطاهر أحمد الأمين العام للفرع المحلي للاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، والشيخ عبد القادر الياجوري مرشد مدرسة الأمير عبد القادر الباديسية[2].

3-2 النشاط الجهوي والوطني:

استوجب على قادة الكشافة الخروج من بوتقة العمل المحلي، وتوسيع دائرة نشاطهم إلى فضاء أعم وأشمل من ذلك بهدف تبادل التجارب، والمعارف، واكتساب الخبرات، وعلى هذا الأساس قامت الفروع الكشفية لمعسكر بصولات وجولات لعدة مدن في الناحية الغربية شاركت من خلالها في تجمعات ولقاءات جهوية ووطنية، نذكر منها:

مشاركة فوج الإقدام في التجمع الجهوي الذي نظمه فوج المنصورة بعين فزة بضواحي تلمسان من 31 ديسمبر 1941 إلى 03 جانفي 1942 تحت رئاسة شريف غوتي[3]،

---

(1) طالبت الجبهة من جميع المنظمات الانضمام إلى صفوفها بصفة فردية وتوقيف كل نشاط جماعي، إلاّ أنّ فدرالية الكشافة الإسلامية واصلت نشاطها طيلة الفترة من 1954 إلى 1962، بداعي أنها تحصلت على ترخيص من مكتب جبهة التحرير الوطني بتونس لاستئناف نشاطها. أنظر بوعمران الشيخ ومحمد جيجلي: المرجع السابق، ص 100.

(2) A.N.O.M - 5228, P.R.G - 04.03.1956, N° 160.

(3) شريف غوتي: من مواليد مدينة تلمسان بتاريخ 25 نوفمبر 1913، زاول دراسته الابتدائية والثانوية بمسقط رأسه، اشتغل بالتجارة في البداية، كان شغوفا بالإصلاح، وهو ما دفعه أن يكون عضوا في "نادي السعادة" و"نادي الإبداع الثقافي". انضم إلى فوج المنصورة سنة 1938م، وفي أفريل 1939م أصبح النائب العام للفوج، وفي منتصف سنة 1941م أصبح محافظاً جهويا للكشافة الإسلامية الجزائرية في منطقة الغرب الجزائري، ثم عين بعدها قائدا وطنيا لفرقة الجوالة، ليصبح في أكتوبر 1947 القائد العام للكشافة، قبل أن يترك الحركة الكشفية في سنة 1948. أنظر: علوان أمال: الحركة الكشفية الإسلامية بالعمالة الغربية سيدي بلعباس تلمسان - نموذجا – رسالة ماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة سيدي بلعباس 2005-2006، ص 168.

وبحضور ممثلين عن أفواج وهران ومستغانم وتلمسان وغليزان وسيدي بلعباس ومغنية والغزوات[1].

أتاح اللقاء فرصة ثمينة لعناصر فوج الإقدام وعلى رأسهم مداح قدور الاتصال والتعرف على عدد كبير من الوجوه البارزة للكشافة الإسلامية في عمالة وهران أمثال شريف غوتي (تلمسان)، حمو بوتليليس وكرويشة عبد القادر (وهران)، بن ديمراد جميل وبن دوادي محمد (سيدي بلعباس)، بخلوف بلقاسم (مستغانم)، والشادلي منور (غليزان) وغيرهم[2].

وتكمن أهمية اللقاء في التوصيات التي خرج بها والمتمثلة في:

- تأسيس صندوق مالي مخصص للحالات الخاصة، والمستعجلة، والطارئة تحت إشراف شريف غوتي.
- تلقين شباب الكشافة تاريخ الجزائر، وبطولات رجالاته خاصة تاريخ الحقبة الاستعمارية.
- توطيد العلاقة مع كشافة فرنسا من أجل التغطية على نشاطهم الحقيقي.
- الالتزام بالحيطة والحذر وتعيين قادة سريين على رأس الأفواج الكشفية[3].

كما سجل فوج الإقدام مرة أخرى مع فوج الرشاد لمدينة تغنيف حضورهما في اللقاء الجهوي الذي احتضنه فوج الأمل لمدينة سيدي بلعباس يوم 11 جويلية 1943، بمشاركة كل من فوج النجاح (وهران)، وفوج المنصورة (تلمسان) وفوج المحبوبة (مغنية)... وخلاله تمّ البحث عن الآليات الكفيلة لتجاوز مشاكل الكشافة المطروحة وفي مقدمتها نقص الموارد

(1) جيلالي بلوفة عبد القادر: المرجع السابق، ص ص 138، 139.
(2) علوان أمال: محطات مضيئة من تاريخ فوج الأمل الكشفي لمدينة سيدي بلعباس، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، جامعة سيدي بلعباس، المجلد الأول، العدد الأول، 2009، ص 101.
(3) AWO – 4063 – I14 - ◌CIE Oran - 24.01.1942, N° 34.

المالية التي تسببت في عجز للعديد من الأفواج عن أداء نشاطها، ومشكلة التأطير بسبب تجنيد قادة الأفواج في الجيش الفرنسي خلال الحرب العالمية الثانية[1].

وبعد شهور قليلة من تأسيس "الشهاب"، وبتاريخ 10 جوان 1944 شارك سبعة من أعضائه في لقاء تقييمي ثنائي مع فوج الهلال بمدينة سعيدة، والذي استمر إلى غاية 15 جوان[2].

لينتقل بعدها فوج الشهاب مع فوج الوداد لمدينة بوحنيفية إلى تلمسان للمشاركة في المؤتمر الفدرالي الوطني للكشافة الإسلامية الذي نظمه فوج المنصورة شهر جويلية 1944، بحضور نحو 450 كشافا من مختلف أنحاء الجزائر، تتقدمهم شخصيات وطنية، وفرنسية بارزة كالشيخ البشير الإبراهيمي وفرحات عباس والوزير الفرنسي رونيه كابتان (Ronnie Capitan)[3]. قدم خلاله الفوجان عروضا مسرحية مشتركة بينهما، تم التحضير لها مسبقا (شهر جوان) في مقر الشهاب[4].

ومما ينبغي الإشارة إليه؛ أنّ الملتقى كان فرصة سانحة لعناصر الشهاب والوداد، للتقرب أكثر بقادة الحركة الوطنية، وعلى رأسهم: الشيخ البشير الإبراهيمي وفرحات عباس. هذا إلى جانب التعرف إلى رموز، وأُطُر الكشافة الإسلامية الجزائرية المشهود لها بالنضال الوطني كمحفوظ قداش، عمر لاغا، محمود بوزوزو، الصادق الفول وغيرهم... ناهيك عن التقارب والتواصل الذي حدث بينهما وبين بقية الأفواج المشاركة من شرق ووسط وغرب البلاد، فساهم كل ذلك في إثراء رصيد الفوجين بخبرات جديدة.

(1) Ibid - CIE Oran - 16.10.1943, N° 4839.
(2) Ibid - P.R.G Oran - 17.06.1944, N° 4392.
(3) بوعمران الشيخ ومحمد جيجلي: المرجع السابق، ص 32.
(4) AWO – 4063 – I14 - 29.06.1944, N° 4658.

كما سجل فوج الشهاب مرة أخرى حضوره في الاجتماع الذي عقدته الأفواج الكشفية للمقاطعة الغربية في وهران يوم 25 ماي 1945 تحت إشراف القائد حمو بوتليليس[1]، والذي دام ثلاثة أيام متتالية، جرت فيه مناقشات عميقة لحل المشاكل العويصة التي أصبحت تتخبط فيها الحركة الكشفية بعد مجازر 08 ماي 1945، ومنها على وجه الخصوص الاعتقالات التي طالت العديد من أعضائها وبعض القادة السياسيين، مثلما هو الحال لبلحلفاوي محمد من معسكر الذي تعرضت له الشرطة وحكمت عليه بالسجن[2].

أما بخصوص اللقاءات والتجمعات الكشفية الجهوية التي احتضنتها مدينة معسكر فنذكر منها:

الملتقى الجهوي الذي احتضنته مدينة بوحنيفية في الفترة ما بين 25 إلى 29 ديسمبر 1944، والذي حضره حوالي 150 كشافا من مختلف الأفواج الكشفية لمقاطعة وهران، وتجدر الإشارة أنّ هذا المخيم الذي أشرف عليه القائد مداح قدور قد شارك فيه سبعة أفراد من عناصر الكشافة الإسرائيلية[3].

وأيضا الملتقى الجهوي الذي عقده "الشهاب" بتاريخ 01 ديسمبر 1946، جمع المحافظ الجهوي للكشافة الإسلامية الجزائرية الشريف الغوتي بمحافظي الفروع المحلية، الذين جاؤوا، سيدي بلعباس، ومستغانم، وهم على التوالي: محمد بن داودي، وبخلوف بلقاسم، وترأس جلسات هذه الندوة القائد الفدرالي للكشافة الإسلامية السيد فارس محمد[4].

---

[1] ولد حمو بوتليليس في مدينة وهران عام 1920، ناضل في صفوف حزب الشعب الجزائري منذ سنة 1938، ثم حركة الانتصار الحريات الديمقراطية والتي أصبح عضوا في لجنتها المركزية في الفترة مابين (1947 -1951)، تولى قيادة المنظمة الخاصة في القطاع الوهراني مع الحاج بن علة سنة 1948، وبعد اكتشافها سنة 1951 اعتقلته قوات الأمن الفرنسي وحكم عليه بالسجن لمدة ست سنوات، وحرمانه من حقوقه المدنية لعشر سنوات، وبعد إطلاق سراحه اختطف مرة أخرى من طرف الشرطة الفرنسية في 21 أكتوبر 1957، ليختفي بعدها نهائيا. أنظر:
Benjamin Stora : Op.cit, P 279.

[2] بوعمران الشيخ ومحمد جيجلي: المرجع السابق، ص 136.

[3] AWO- B P 201 (1941 -1945) Le Camp Provincial de Bou-Hanifia, 30/12/1944, N° 677.

[4] بن داهة عدة: معسكر عبر التاريخ..، ص 64.

وصفوة القول: أنَّ هذه المشاركات سمحت للحركة الكشفية بمعسكر بالخروج من حيزها الضيق إلى فضاء أوسع، فكان لذلك الأثر الكبير في توسيع دائرة معارفها، وإثراء رصيدها الكشفي من جهة، وفي نضجها وزيادة وعيها الوطني من جهة ثانية.

على ضوء ما سبق عرضه يمكن استخلاص النتائج التالية:

- سبقت معسكر غيرها من مدن العمالة في إرساء قواعد الكشافة الإسلامية في الناحية الغربية بتأسيس أول فوج كشفي لها في أفريل 1937. وهو الطرح الذي أغفلته العديد من الدراسات، التي نسبت ظهور النشاط الكشفي في الجهة الغربية إلى كل من فوج "الفلاح" بمستغانم (أكتوبر 1937) وفوج "النجاح" بوهران (نوفمبر 1937).
- لم يتوقف النشاط الكشفي المحلي عند الدور التربوي، والثقافي المنوط به، بل تعداه إلى أدوار أخرى، بعدما أفصحت الأفواج الكشفية عن ميولها الوطني صراحة منذ سنة 1941، وقامت بالمشاركة إلى جانب ممثلي الأحزاب المحلية في التجمعات واللقاءات ذات الطابع السياسي المحض، فضلا عن مشاركة بعض أفواجها – فوج "الإقدام"، "الوداد" وغيرها...– في المظاهرات، والاعتصامات مُطالبةً بتحقيق مطالب الحركة الوطنية وإطلاق سراح المعتقلين

- مشاركتها في التجمعات واللقاءات الجهوية والوطنية، وتفاعلها مع التنظيمات الكشفية الأخرى كان له الأثر البالغ على مسارها، حيث ساهمت بشكل فعال في نضجها، وإثراء رصيدها الكشفي، كما سمحت لها بالتقرب عن كثب من رواد الحركة الكشفية ومن الشخصيات الدينية والوطنية والنهل من معينهم النضالي.
- أما بخصوص ثورة نوفمبر 1954، فإنه على الرغم من مواصلة بعض الأفواج الكشفية لنشاطها، إلاّ أن العديد من عناصرها ارتمت في أحضانها حاملة لواء الجهاد إلى جانب المجاهدين، كيف لا وكان يعتبرها الكثير من المسيرين، والقياديين مدرسة للتكوين العسكري، بالنظر إلى البدلة التي يرتديها الكشاف، والحياة داخل المخيم، والتقنيات شبه العسكرية المعتمدة.

المبحث الرابع: الجمعيات والمؤسسات الثقافية والإعلامية الفرنسية:

تمهيد:

لا تكتمل الصورة عن نشاط الجمعيات والنوادي الثقافية في معسكر في الفترة الممتدة مابين 1900 و1945 إلاّ بالحديث عن المؤسسات والهيئات التي احتضنت الفعل الثقافي لدى الأوربيين عامة والفرنسيين بصفة خاصة.

ولمّا كان من المتعذر علينا التطرق إلى جميع هذه المؤسسات وذكرها على وجه التفصيل، فقد وقع اختيارنا على أهمها وأوثقها صلة بالأهداف الاستعمارية التي أنشئت من أجلها والمتمثلة في نشر الثقافة الغربية المسيحية ونقل القيم الحضارية الفرنسية إلى المجتمع الجزائري للتأثير عليه. ونذكر منها على وجه الخصوص: الجمعية الفنية، الكشافة الفرنسية، المسرح الفرنسي، والصحافة الكولونيالية.

1. الجمعية الفنية (Association Artistique):

جمعية فنية موسيقية تأسست في 27 جانفي 1905[1]، تهدف إلى تكوين الشباب وتعليمه فن الموسيقى والعزف، بالإضافة إلى تنظيم الحفلات وإحياء المناسبات. أشرف على تسييرها عقب تأسيسها مكتب إداري منتخب، تشكل من:

الرئيس: راديسيش أنطوان (Radicich Antoine)، نائب الرئيس: شارنو (Charnot)، أمين المال: ستيلا (Stella)، الأمين العام: ديبرويل شمباردي (Dubreuil Chambardel).

إضافة إلى المساعدين وهم: فيزين لاري (Vésine Larue)، جويلاردو شوفاسي (Gauillardou Chevassut)، فيروب (Fierob)، ماتيو(Mathieu)، توري (Tourret)، وتم تعيين السيد ديكسوي (Dixius) قائدا للفرقة الموسيقية، ووينتر (Winter) مدرس للسولفاج[1].

(1) la Liberté de Mascara, 02/04/1906, N° 32.

لقد استطاعت الجمعية بعد تأسيسها استقطاب شريحة هامة من الشباب الأوربي إليها، الذين تلقوا دروسا في الموسيقى وتدريبا على مختلف آلات العزف، وقد كان لأعضائها الفضل في تحويل العديد منهم إلى موسيقيين بارعين نافسوا أساتذتهم ومعلميهم فيما بعد[2].

وتجدر الإشارة إلى أنّ هذه الجمعية قد نالت شهرة واسعة في الأوساط الفنية الأوربية، حيث أصبحت مع مطلع سنة 1913 تصنف ضمن الجمعيات الموسيقية الأولى في الجزائر بفرقة مكونة من خمسين عازفا. وحسب الصحافة الفرنسية فإنّ هذه المكانة التي أصبحت تحتلها ترجع إلى عاملين اثنين: العامل الأول يتمثل تأسيس مدرسة موسيقية تابعة لها لتكوين المنخرطين فيها[3]. أما العامل الثاني فيرجع إلى الدعم المادي والمعنوي الذي كانت تتلقاه الجمعية من السلطات الفرنسية، ومن بعض المستشارين والنواب وأيضا من المحسنين، ونذكر في هذا الصّدد المساعدات المالية التي كان يقدمها المجلس البلدي لمدرستها الموسيقية من فترة لأخرى[4] خاصة في عهد رئيسه جيرو (Géraud) الذي أولاها عناية كبيرة بحكم العلاقة الجيدة التي كانت تربطه بأعضائها[5].

أما بخصوص نشاطها، فقد قامت الجمعية بعدة أعمال فنية في المدينة وخارجها نذكر منها: الحفلات التي كانت تحييها بساحة قمبيطة (ساحة الأمير عبد القادر حاليا) الواقعة وسط مدينة معسكر في المناسبات والأعياد الوطنية، وفي غير المناسبات، كتلك التي نظمتها شهر نوفمبر 1906 بمناسبة عيد القديسين[6].

كما أحيت الجمعية حفلا أخر شهر نوفمبر 1909 بفندق بوريلي (Bourelly) – النزل الكبير حاليا – حضره شخصيات سياسية وفنية معروفة في المدينة كرئيس البلدية جيرو

(1) le Progrès de Mascara, 01/04/1905, N° 981.
(2) l'Afrique du Nord, 23/05/1913, N° 232.
(3) Ibid.
(4) Le Réveil de Mascara, 19/01/1919, N° 3334.
(5) Le Progrès de Mascara, 27/11/1909, N° 1218.
(6) Le Réveil de Mascara, 25/11/1906, N° 2294.

(Géraud)، والمستشار العام بيتي (Petit)، والسيد مونتيرا محي الدين، والسيد توريه (Tourret) الرئيس السابق للجمعية، ونائب رئيس البلدية السيد باريتي (Parietti). وفي ختام الحفل ألقى رئيسها السيد شفاسوت (Chevassut) كلمةً شَكَرَ فيها المتعاطفين مع الجمعية ونوّه بالدّعم المقدم من طرفهم وفي مقدمتهم رئيس البلدية والأعضاء الشرفيين، كما عبّر عن رغبته في زيادة هذا الدّعم لأنه يبقى حسبه غير كافي[1].

ومن أنشطة الجمعية أيضا مشاركتها شهر ماي 1913 في حفل فني بالجزائر العاصمة إلى جانب فرق موسيقية أخرى جاءت من مختلف أنحاء الوطن، حيث قام جوقها بعرض سافونيات ومقاطع موسيقية كلاسيكية وحديثة نالت إعجاب الجميع[2].

لقد واصلت الجمعية نشاطها إلى غاية الأربعينيات، ففي سنة 1942 أحيت فرقتها الموسيقية العديد من الحفلات الفنية بالمدينة، كما نظم أعضائها دورة تكوينية لفائدة طلابها الجدد في الفترة الممتدة مابين 07 إلى 31 أبريل. تضمن برنامجها ما يلي:

- بروفات عامة: كل ثلاثاء وجمعة على الساعة السادسة والنصف مساءا.
- سولفاج تمهيدي: الأربعاء والسبت على الساعة السادسة والنصف.
- سولفاج أساسي: الاثنين والخميس من الساعة السادسة إلى السابعة مساءا.
- دروس على آلة الفلوت يقدمها الأستاذ بورجون (Bourgeon) الاثنين والخميس من الساعة السادسة إلى السابعة مساءا.
- دروس على آلة المزمار يقدمها الأستاذ برينجارد (Brengard) الأربعاء والسبت من الساعة السادسة إلى السابعة مساءا.
- دروس على آلة الساكسو يقدمها الأستاذ لوردينوا (Lordinoit) يوم السبت والأربعاء من الثامنة إلى التاسعة مساءا[3].

---

(1) Le Progrès de Mascara, 27/11/1909, N° 1218.
(2) l'Afrique du Noud, 23/05/1913, N° 232.

(3) Le Réveil de Mascara, 28/03/1942, N° 4045.

يبدوا مما سبق، أن الجمعية الفنية التي تأسست من أجل خدمة الثقافة والفن الأوربي في معسكر قد نجحت في تحقيق أهدافها على أرض الواقع، فكل نشاطاتها وعروضها كانت محل اهتمام الجماعة الأوربية، خاصة مدرستها الفنية التي أصبحت ملاذا للشباب الفرنسي الذي وجد فيها ضالته لتعلم البروفات والسولفاج والعزف على مختلف الآلات الموسيقية.

كما يمكن القول في الأخير إلى أنّ الظاهرة الثقافية في معسكر كانت تعتمد أيضا على جمعيات وهيئات أخرى لترفيه عن الأوربيين وتقريبهم من خصوصياتهم الثقافية، ومن هذه الجمعيات نذكر:

- اتحاد نساء فرنسا (Union des Femmes de France) برئاسة السيدة كبلير (Kapler) بشارع ديبلينو (بوكتاب محمد حاليا).
- نادي مثالية معسكر (Idéal Club Mascarien) التي اتخذت مقرا لها عند السيد جون ماس بشارع فيكتور هيقو (شارع زغلول).
- نادي السعادة المعسكري (Joyeux Club Mascareen) برئاسة موريس شول[1].
- ونادي لافون قارد دي مسكرا (L'Avant-Garde de Mascara)[2].

2. النشاط الكشفي الفرنسي:

تشير المصادر الفرنسية إلى أن الحركة الكشفية التي أسسها البريطاني بادن باول (Baden Pawell) عام 1907 لم تظهر بفرنسا حتى سنة 1911 تحت اسم "جمعية الكشافة لفرنسا" (l'Association des Eclaireurs de France)، هذه الجمعية التي كان هدفها تنمية الروح الوطنية[3] عمّمت نشاطها داخل التراب الفرنسي وفي الجزائر أيضا عام 1912[4].

(1) جاكر لحسن: الحركة الوطنية ... المرجع السابق، ص ص 88، 89.
(2) Le Progrès de Mascara, 14/02/1914, N° 1433.
(3) J.O.R.F, 08/12/1911, N° 333, P 9814.
(4) L'Echo d'Alger 23/07/1912, N° 130.

فحسب جريدة "ليكو دالجي" (L'Echo d'Alger) الصادرة بتاريخ 23 جويلية 1912 أنّ أوّل من أسّس فوج كشفي بالجزائر خلال هذه السنة هو السّيد تابارد (Tabard) بحي باب الواد بالجزائر العاصمة، والذي كان يتألف خمسين عضوا[1].

كما عرفت معسكر هي الأخرى تشكيل أول فوج فيها بتاريخ 23 أوت 1913، وقد صُرَّح به في الجريدة الرّسمية للجمهورية الفرنسية يوم 04 سبتمبر 1913[2]. تكونت لجنته الإدارية من عناصر أوربية وأخرى جزائرية مشكّلة كالأتي:

الرئيس: كاستاغنو غاسبار (Castagno Gaspart)، **نائب الرئيس الأول وأمين المال:** القناوي بوجلال، **نائب الرئيس الثاني:** أموروس فرانسوا (Amoros François)، **أمين المال** جالان جوزيف (Galan Joseph)[3].

إلاّ أنه وبعد شهرين من تأسيسه استقال رئيسه الفرنسي كاستاغنو غاسبار من منصبه ليخلفه في رئاسته نائبه الأول الجزائري القناوي بوجلال[4].

وفي 29 أوت 1913 أنشأ الفرنسيون فوجا ثانيا للكشافة . أي بعد ستة أيام من تأسيس الفوج الأول . أطلق عليه اسم "أشبال الكشافة الفرنسية"[5]، وللعلم فإنّ هذا الفوج كان فرنسيا خالصاً لم يشارك فيه الجزائريون.

وتجدر الإشارة، إلى أنّ تأسيسه سبقته حملة دعائية واسعة قامت بها الصحافة الفرنسية المحلية للتعريف بالكشافة وأهدافها السامية عند الأوربيين، على أساس أن هؤلاء لم تكن لهم أدنى فكرة عن ذلك، ففي هذا الصّدد كتبت جريدة "لوريفاي دي مسكرا" (Le Réveil de

(1) Ibid.
(2) J.O.R.F, 04/09/1913, N° 7940.
(3) L'Echo d'Oran, 31/08/1913, N° 15212.
(4) Le Progrès de Mascara, 18/10/1913, N° 1417.
(5) J.O.R.F, 04/09/1913, N° 7940.

(Mascara، مقالا بتاريخ 26 أكتوبر 1912 جاء فيه:" الكشافة هي واحدة من أنماط التربية البدنية للشباب، بل هي واحدة من أكثر الأنماط فاعلية لأنها تجعل الشاب الصغير مواطنا قويا شجاعا من ذوي الخبرة لديه معرفة متعددة عن الرياضة، وعن الحياة في الهواء الطلق، وعن حياة المخيم، وعن علم النبات، وعن المبادئ الأساسية للطب، وعن الجراحة، كما يتعلم المبادئ العظيمة كالشّرف والولاء للعَلَم والوطّن، وتترسّخ فيه مشاعر التضّامن والإنسانّية"[1].

ليختتم المقال في الأخير بتوجيه دعوة للشباب الراغبين في الانخراط للكشافة إلى تسجيل أسمائهم وعناوينهم بمقر الجريدة حتى يتسنى التواصل معهم من أجل دعوتهم لحضور الاجتماع التأسيسي[2] الذي انعقد كما أوردنا سابقا بتاريخ 29 أوت 1913.

أما بخصوص نشاطه فقد سجلنا تواجده في العديد من التظاهرات الثقافية والحفلات الفنية والدينية، ولعل من أهمها مشاركته في التجمع الجهوي للكشافة الفرنسية الذي أقيم بمعسكر يوم 27 ماي 1946، والذي شهد مشاركة أزيد من 350 كشافا جاؤوا من سعيدة، سيدي بلعباس، مستغانم، الغزوات، تلمسان، ووهران[3].

كان برنامج هذا التجمع ثري ومتنوع، استهلته هذه الأفواج بزيارة إلى كنيسة "سان بيار" بوسط المدينة، وخلالها تم اللقاء بقسيسها الذي ألقى خطابا شجعهم فيه ودعاهم إلى التفاهم والتآخي فيما بينهم، كما تم بعدها التوجّه إلى النصب التذكاري لوضع إكليل من الزهور تخليدا لأرواح الجنود الذين ماتوا في الحرب العالمية الثانية[4].

(1) Le Réveil de Mascara, 26/10/1912, N° 2653.
(2) Ibid.
(3) Louis Abadie, Gilbert Levrone, Op.cit. P142.
(4) Louis Abadie, Gilbert Levrone, Op.cit. P142.

وفي المساء وبعد عودة الأشبال إلى المخيم تم تنظيم مسابقات ثقافية وعروض فنية (رقصات، مسرحيات، أناشيد ...) وكان ذلك بحضور السيد مودلات (Moudlat) نائب رئيس الدائرة، والسيد مارتين (Martin) النائب الأول لرئيس البلدية.

وقد اختتم هذا التجمع صباح اليوم الثالث (29 ماي) بحضور المفوض الجهوي للكشافة الفرنسية، ورئيس الدائرة الذي أعرب عن إعجابه بهذا التجمع مخاطبا الفرق قبل مغادرتها بعبارات التشجيع والتهنئة[1].

ولعل ما يلفت انتباه المرء من خلال عرضنا المختصر لنشاطه، هو الدعم المادي والمعنوي الذي كان يتلقاه هذا الفوج من طرف السلطات الفرنسية، عكس الأفواج الكشفية الجزائرية التي نصبت أمامها الصعوبات والعرقيل، وحرمتها من الاعتمادات والمساعدات المالية، ورفضت في الكثير من الأحيان منحها رخص التخييم.

3.المسرح الفرنسي:

اهتمت الإدارة الاستعمارية بالمسرح منذ بداية الاحتلال بغرض الترفيه عن جنودها، لهذا قامت بإنشاء فرقا مسرحية تابعة للجيش الفرنسي داخل الثكنات، وبناء مسارح في معظم المدن التي احتلتها، ففي مدينة الجزائر مثلا أنشأ الفرنسيون مابين 1830 و1928 أكثر من ستة مسارح[2]، كما قاموا في وقت مبكر من سنة 1843 ببناء مسارح أخرى في وهران، سكيكدة، عنابة، قسنطينة، والبليدة، وملیانة[3]. والأمر نفسه بالنسبة لمدينة معسكر التي عرفت سنة 1848 بناء مسرح خشبي وضعته الإدارة الاستعمارية تحت تصرف الجنود الفرنسيين الذين قاموا فيه بدور الممثلين والمتفرجين[4].

---

(1) Ibid.
(2) Boufassa Sami : L'énigme de la réalisation tardive du Théâtre de Bejaia à l'époque coloniale, Revue Jamaliyat, Volume 08, N° 01, 30/06/2021, P 515.
(3) Ibid.
(4) Louis Abadie, Gilbert Levrone, Op.cit. P 133.

ومع مطلع خمسينيات القرن التاسع عشر أصبح مسرح معسكر محل اهتمام المدنيين الأوربيين الذين كانوا يتوافدون عليه باستمرار من أجل مشاهدة العروض التي كان يقدمها هؤلاء العسكريون، مما دفع بالسلطات الفرنسية سنة 1855 بتحويل إدارته إلى المدنيين، بتعيين السيد تودوز (Toudouze) مديرا عليه[1]. فقام هذا الأخير مباشرة بعد تنصيبه بجلب العديد من الفنانين وتشكيل فرقة مسرحية تعمل إلى جانبه، والتي تكونت من: فيرمين (Firmin)، وفيكتور بويبري (Victor Beaupré) وفليكس (Félix)، وڤويلو (Guillo)، وتال (Tall)، ومن بعض الفتيات وهنّ ليونتين تودوز (Léontine Toudouze)، وديجازيت (Déjazet)، والسيدة تشالز (Charles)[2].

وحسب الصحافة الفرنسية فإن الأعمال المسرحية التي قدمتها الفرقة لجمهورها الفرنسي آثارت إعجاب الكثير منهم، وقد عبر عن ذلك أحدهم بقوله :" منذ أن بدأت الفرقة نشاطها اختفى الملل من أمسياتنا وأصبحنا نستمتع بالعروض الترفيهية التي كان يشرف عليها السيد تودوز "[3].

وفي نهاية ثمانينيات القرن التاسع عشر قامت السلطات الاستعمارية بتشييد مسرح جديد بطراز معماري حديث على نمط المسرح الإمبراطوري في باريس[4]، والذي أصبح يحمل اسم "المسرح البلدي".

لقد كان هذا المسرح أكثر نشاطا من سابقه، فحسب بعض المصادر التي روجت لعروضه فإن أبوابه كانت تفتح أربعة أيام في الأسبوع تقريبا أمام جمهوره لمشاهدة التمثيليات الدرامية والكوميدية، وعروض الأوبرا، والحفلات الموسيقية.

(1) L'Artiste Méridional, 04/11/1855, N° 20.
(2) Ibid. 30/12/1855, N° 28.
(3) Ibid.
(4) w.w.w. P-rubira.com. 19/07/2022 a 17h.

كما تداول على خشباته العديد من الفنانين المعروفين، أبرزهم الفنان أودران (Audran) الذي قدم عروضا كثيرة في الأوبرا ولعل أهمها أوبرا كوميدية من ثلاثة مقاطع بعنوان "إذا كنت ملكا"[1]، والفنانة ريمون ديداكس (Raymond Dedax) التي قامت بأدوار مسرحية عديدة أكسبتها نجاحا وشهرة واسعة أهمها مسرحية "فاطمة السمراء نحبك جميعا"[2] والمغني إلفيل (Elvell) الذي حضيت أغانيه بشعبية كبيرة عند مستمعيه خاصة أغنية "شكرا لكم أيها الألمان"[3]، وفنانين آخرين لا يتسع المقام إلى ذكرهم جميعا.

والحقيقة أن المسرح الفرنسي بمعسكر قام بدور هام في إثراء الحياة الثقافية لدى الأوربيين، وذلك لما كان يقدمه من عروض وتمثليات فنية مختلفة أثارت اهتمامهم ولبت رغبتهم. غير أنه يجب القول أنّ نشاطه لم يستقطب الجزائريين إليه، فتواصلهم معه كان ضئيلا جدا لأن معظم عروضه كانت تتنافى مع عاداتهم وتقاليدهم وقيمهم الدينية، كما كانت في الكثير من الأحيان تتخذهم مطية للسخرية والاستهزاء بغرض تشويه تاريخهم وحياتهم.

4. الصحافة الكولونيالية:

ترجع بداية ظهور الصحافة الكولونيالية بمعسكر إلى سنة 1880، بإصدار أول جريدة تحت عنوان "لوريفاي دي مسكرا" (Le Réveil de Mascara)، لتظهر بعدها بقليل صحف أخرى وصل تعدادها إلى أكثر من عشرة جرائد، مثّلت في ظاهرها عدة اتجاهات سياسية وإيديولوجية لكن مضامينها كانت تتّفق كلها على خدمة الاستعمار ومصالح الكولون على حساب الجزائريين، وقد تقاسمت طباعتها مع مطلع القرن العشرين مطبعتين رئسيتين، الأولى تقع بشارع "كارنو" (Carnot) – شارع محمود حاليا – والثانية تتواجد في شارع "بول دومير (Pol Doumar) – شارع نصر الدين محمد حاليا–.

(1) Le Progrès de Mascara, 15/03/1913, N° 853.
(2) L'Afrique du Noud, 15/03/1913, N° 218.
(3) Ibid.

تطرقت مواضيعها إلى الأخبار المحلية والجوارية التي تهم أوربيي مدينة معسكر وضواحيها، وأخبار السلطة الاستعمارية المركزية في الجزائر وفي فرنسا. كما احتوت صفحاتها على حيز كبير من الإشهار والدعاية لمنتجات المعمرين في المدينة.

غير أنّ مادتها الإخبارية التي تطرقت لأحوال المسلمين والظروف الصعبة التي كانوا يعيشونها تكاد تختفي في معظم صفحاتها، خاصة إذا علمنا أن حرية التعبير والحق في الإعلام لم يكن مسموحا به عند الجزائريين، وكان مقتصرا فقط على الأوربيين دون سواهم.

أما عن هذه الجرائد فنذكر:

- **جريدة لوريفاي دي مسكرا (Le Réveil de Mascara):**

تعتبر أقدم وأشهر جريدة بمدينة معسكر، وهي صحيفة أسبوعية ذات توجه اشتراكي، تطرقت مقالاتها لمختلف المجالات (سياسية، اقتصادية، اجتماعية، ثقافية، ورياضية...). صدر أول عدد لها سنة 1880[1]، وقد استطاعت أن تستمر إلى غاية سنة 1961. كانت الصحيفة تظهر لقرائها كل يوم أحد، ثم أصبحت تصدر بيوم السبت، أما مقرها فيتواجد بشارع بشارع "كارنو" (Carnot).

ارتبط اسمها بالسيد باسكال ميزلي الذي أصبح مالكها ومديرها وممولها ومحررها الرئيسي بداية من سنة 1903[2] إلى غاية وفاته مطلع شهر جوان 1946[3].

- **جريدة لانديباند دي مسكرا (L'indépendant de Mascara):**

جريدة راديكالية ذات توجه استقلالي، تأسست بتاريخ 22 جوان 1884، كانت تظهر مرتين في الأسبوع وذلك يومي الأحد والخميس، لكنها لم تعمر طويلا حيث توقفت عن الصدور سنة 1900. تولى إدارتها بعد إنشائها السيد "نارويس فوكو" (Naraisse Faucon)[4].

تجلت رسالتها في الدفاع عن حقوق الضعفاء والفئة المقهورة، وقد لخصت ذلك في افتتاحية عددها الأول التي جاء فيها:" نطالب باستقلال الجميع، وسنحارب العبودية سواء

(1) Le Réveil de Mascara, 18/05/1880 , N° 01.
(2) Ibid.08/08/1903.
(3) La Dépêche Algérienne, 01/06/1946, N° 21819.
(4) L'Indépendant de Mascara, 22/06/1884, N° 01.

في الجسد أو في العقل... لأن هناك رجعيون يخفون ميولهم الاستبدادية تحت مظاهر خداعة ... سنكون بلا رحمة لكل هؤلاء القادة والمسؤولين الذين يستغلون مناصبهم ورتبهم في اضطهاد الآخرين"[1].

- **جريدة لوبروڤري (Le Progrès):**

صدر عددها الأول يوم 06 جوان 1894، كانت تظهر كل يوم سبت وأربعاء، ثم أصبحت أسبوعية تظهر يوم السبت فقط، مدير تحريرها هو السيد أوغيست ديسامي (Auguste de Samie)، يقع مقرها في شارع كارنو داخل منزل السيد شارين (Charrin)، المقابل لمقر الدائرة[2].

كانت الجريدة موجهة بالخصوص لنشر مختلف الأخبار المحلية والجهوية المتعلقة بالمعمرين، كما اهتمت أيضا بالقضايا والأحداث ذات الصلة بالجزائريين الذين كانوا يسكنون مدينة معسكر ومختلف البلديات التابعة لها، نذكر منها على سبيل المثال مقالا بتاريخ 05 أكتوبر 1912 تطرّق فيه كاتبه إلى الظروف الصحية الصعبة لسكان حي "باب علي" الأهلي وحاجتهم الماسة إلى عيادة طبية[3].

توقفت الجريدة عن الصدور مع اندلاع الحرب العالمية الأولى، حيث صدر أخر عدد لها بتاريخ 01 أوت 1914، والتي كانت تحمل رقم 1457[4].

- **جريدة لوبتي مسكاريان (Le Petit Mascarien):**

جريدة أسبوعية ذات توجه يميني تعمل لصالح الوطن والجمهورية، أشهرت عدائها لليهود منذ عددها الأول الصادر بتاريخ 06 أوت 1899، تناولت صفحاتها موضوعات مختلفة سياسية، اقتصادية، وأدبية، وأخرى تهكمية ساخرة[5]. لم يطل بها الحال فقد توقفت عند الصدور بداية سنة 1904[6].

- **جريدة لوريبيبليكان (Le Republican):**

---

(1) Ibid.
(2) Le Progrès de Mascara, 06/04/1894, N° 01.
(3) Le Progrès de Mascara, 05/10/ 1912, N° 1365.
(4) Ibid. 01/08/1914, N° 1457.
(5) Le Petit Mascarien, 06/08/1899, N° 01.
)6(Ibid. 05/01/ 1904. N° .85

جريدة مستقلة كانت مضادة لليهود والسامية، أسسها الجمهوريون بتاريخ 22 ديسمبر 1901، كانت تصدر كل يوم "خميس" و"أحد"، وقد اهتمت كسابقاتها من الجرائد بمختلف الأخبار والمواضيع المحلية[1]، لكنّ ظهورها لم يستغرق فترة طويلة فسرعان ما توقفت عن الصدور عند نسختها رقم المئة والسابعة والستون (167) التي تزامنت مع تاريخ 14 أوت 1904[2].

- **جريدة مسكرا . سيثير (Mascara - Cythére)**

جريدة أسبوعية ذات طابع فكاهي، وأدبي، وفني، ليس لها علاقة بالسياسة، صدر عددها الأول يوم 27 جويلية 1902، مديرها العام السيد لويس ديلتيريو (Louis Deltrieux)، يتواجد مقرها بشارع 04 سبتمبر[3].

كانت الجريدة توزع في أيضا في المدن القريبة من معسكر كالمحمدية، وتغنيف، وسعيدة، وتيارت، وبلعباس. توقفت عند الصدور سنة 1907[4].

- **ليبرتي دي مسكرا(Liberté de Mascara) :**

تأسست بتاريخ 09 جوان 1904، يقع مقرها بشارع إشبيلية (أول نوفمبر حاليا)، مديرها هو السيد "قستون دوماس" (Gaston Daumas). كانت تصدر تحت إشراف هيئة تسمى "الاتحاد والتضامن الجمهوري لدائرة معسكر"[5]

أولت الجريدة اهتماما بالمواضيع ذات الصلة بالمساواة والعدالة، والمناهضة للفكر القومي والتعصب الديني والطائفي[6]. توقفت عن الصدور شهر جوان 1908[7].

- **لافونير دي مسكرا (L'avenire de Mascara)**

جريدة مستقلة ذات توجه يميني، محسوبة على الكولون أصحاب الأراضي الزراعية، تأسست في شهر فيفري 1920[8] واستمرت إلى غاية 1962، صدر منها حوالي 2225

(1) Le Republican, 22/01/1901, N° 01.
(2) Ibid. 14/08/1904. N° 167.
(3) Mascara-Cythére, 27/07/1902, N° 01.
(4) Ibid. 15/12/1907, N° 48.
(5) La Liberté de Mascara, 09/06/1904, N° 01.
(6) La Liberté de Mascara, 09/06/1904, N° 01.
(7) Ibid. 18/06/1908, N° 189.
(8) L'venire de Mascara, 06/02/1920, N° 01.

عدد خلال 42 سنة، يقع مقرها بشارع بول دومير (Paul Doumer)، . شارع نصر الدين محمد حاليا .، مديرها هو السيد بول ڤروبي (Paul Grauby). اهتمت كسابقاتها من الصحف بمختلف الأخبار المحلية والدولية، ونظرا لسمعتها ومقروئيتها الواسعة فقد أصبح لها مشتركين بمعسكر والدوائر المجاورة لها وبالعاصمة وباريس والمغرب أيضا[1].

هذا وقد اتسعت الساحة الإعلامية المحلية خلال هذه الفترة لصحف ونشريات فرنسية أخرى كانت تهدف أيضا إلى خدمة الاستعمار ومصالح الكولون، نذكر منها:

- لاتربين دي مسكرا (La Tribune de Mascara).
- لو كورير دي مسكرا (Le Courrier de Mascara).
- لافوا دي مسكرا (La Voix de Mascara).
- النشرية الشهرية للنقابة المهنية للفلاحين ومنتجي الكروم بناحية معسكر (Bulletin Mensuel de Syndicat Professionnel Agricole et Viticole de région de Mascara).

(1) Ibid.

الخاتمة

توصلنا في ختام هذه الدراسة حول الواقع الاجتماعي والثقافي في معسكر (1900 – 1945) إلى عدة نتائج منها:

أولا:

شهدت السنوات الأولى للاحتلال تدهور الوضع الاجتماعي لسكان المنطقة خاصة بعد تعرض المدينة إلى حملة عسكرية سنة 1835 أدت إلى تخريبها ونهبها، مما أجبرت الأمير عبد القادر على التخلي عنها مع عدد كبير من سكانها. ناهيك عن انتشار رهيب لبعض الأمراض والأوبئة كداء الكوليرا الذي أودى بحياة الكثير من منهم.

كما اتضح لنا أنّ الظروف الصعبة والقاسية لم تثن من عزيمة بعض قبائل المنطقة في التصدي للاحتلال، وفي مقدمتهم قبيلتي الحشم وبني شقران الذين شكّلوا نواة صلبة لمقاومة الأمير ووقفوا قرابة العقد من الزمن في وجه الاستعمار، دفاعا عن البلاد، وعن مدينتهم، التي لم يستطع الفرنسيون إخضاعها إلى غاية سنة 1841م.

ثانيا

رغم الظّروف الصّعبة التي مرت بها المنطقة في السنوات الأولى من الاحتلال، إلاّ أنّها حافظت على حراكها العلمي والثقافي، ويعود ذلك إلى تضافر وتلاحم جهود الأمير عبد القادر مع نخبة من علمائها الكبار الذين ينحدرون في معظمهم من بيوتات علمية عريقة.

كما اتضح لنا، أنّ المنطقة استطاعت تجاوز محنتها بعد الحملة الفرنسية عليها سنة 1835 التي خرّبت بعض معالمها الدينية والحضارية، واستولت على دُرَرها النّفيسة من كتب ومخطوطات، من خلال إحياء نشاط مؤسساتها من جديد، وترتيب المدرِّسين فيها، وتحفيز الطلبة على نهل العلوم. وهي الجهود التي سيكون لهذه أثرها في ترسيخ قيم الجهاد والمقاومة الثقافية، بعد احتلال المدينة بشكل نهائي سنة 1841، من خلال تصدي السكان لكل محاولات التشويه والطمس التي ستتعرض لها المؤسسات الإسلامية.

ثالثا

إن التطورات التي عرفها المجتمع الجزائري مع عملية الاحتلال الفرنسي الاستيطاني للمنطقة أدت إلى اضمحلال العائلات الكبرى ذات النفوذ والسلطة وفقدانها لمكانتها السياسية، والدينية، والاقتصادية، والاجتماعية، التي كانت تحظى بها طيلة الفترة العثمانية وإلى غاية السنوات الأولى من الاحتلال، كعائلة المشارف، والدحاحوة، وعائلة سيدي قادة بلمختار – جد الأمير عبد القادر–، وعائلة سيدي أحمد بن علي وغيرها...

كما تعتبر الهجرة والاستيطان الأوربي بالمنطقة العامل الرئيسي في تغيير ملامح البنية الاجتماعية سواء في الريف أو في المدينة، حيث نتج عنهما تفكيك المجتمع التقليدي وانهياره، وظهور مجتمع جديد هيمنت فيه الأقلية الأوربية سياسيا واقتصاديا على حساب الأغلبية الساحقة من الجزائريين.

غير أنه وفي مقابل ذلك، حافظت بعض العائلات الجزائرية على نفوذها وقوتها المادية ومكانتها الاجتماعية، خاصة بعد منحها بعض المناصب في الجهاز الإداري والوظيفي وارتقائها تدريجيا فيه حتى عام 1900، وهو عامل أساسي سيمكنها في المستقبل من تعزيز مكانتها الاقتصادية والاجتماعية، لتشكل قسما مهما من البورجوازية الريفية والحضرية.

رابعا:

رغم إقرار الإدارة الاستعمارية لمجانية العلاج لمسلمي معسكر وسعيها إلى وضع ملاجئ وعيادات خاصة بهم كالملجأ المستوصف والعيادات الأهلية في المدينة وبعض المراكز الاستيطانية التابعة لها، إلا أنّ المنطقة ظلت تعاني من العديد من الأمراض والأوبئة "كالتيفوئيد" و"الجذري" و"التيفوس" و"الملاريا" و"السل" وغيرها، والتي تكرر حدوثها بشكل مستمر ومتواصل في الفترة مابين 1900 – 1945 مما تسبب في تدهور الوضع الصحي وهلاك الكثير الجزائريين.

والحقيقة أنّ طبيعة الخدمات الطبية التي كانت تقدمها هذه المنشآت متدنية جدا، وتفتقر لأدنى الشروط الصحية اللازمة، فضلا عن قيام الإدارة بتوظيفها لأغراض سياسة ودينية دنيئة تمس بعقيدتهم ووطنيتهم. كما أنّ المستشفيات الفرعية التي أنشأتها الإدارة في نهاية العشرينات وبداية الثلاثينات في كل من معسكر وتغنيف وبوحنيفية وواد تاغية فقد تميزت جميعها بطابعها العنصري، وظلت تمارس التفرقة بين المرضى الأوربيين والجزائريين بفصلهم عن بعضهم البعض، وذلك بتخصيص جناح للأوربيين ووضعهم في غرف مجهزة ونظيفة وتوفير لهم الرعاية والأدوية اللازمة. أما الغرف والخدمات المخصصة للجزائريين فكانت على العكس من ذلك تماما ناهيك عن سوء معاملتهم واحتقارهم مما أدى إلى عزوف ورفض الكثير منهم العلاج فيها. ولجوئهم إلى الطرق التقليدية المتمثلة في الطب الشعبي.

خامسا

يعود انتشار معظم الأوبئة والأمراض التي ضربت معسكر خلال هذه الفترة إلى الظروف البيئية السيّئة (تلوث المياه، كثرة المستنقعات، عدم وجود قنوات الصرف الصحي في الأحياء والدواوير العربية ...). كما ارتبط وجودها بالظروف الاجتماعية والمعيشية المأساوية التي كان يعيشوها الجزائريون بسبب السياسة الاستعمارية القائمة على التجويع والتفقير وسوء التغذية والحرمان، الأمر الذي جعل هذه الأمراض تفتك بالمرضى بسرعة بسبب قلة مناعة الجسم وعدم قدرته على المقاومة. وأيضا إلى عامل الهجرة خاصة هجرة العمال المغاربة المصابين بالعدوى (كالجُذري والتيفوس) إلى المنطقة بحثا عن فرص للعمل وهو ما أدى إلى انتقالها بشكل سريع بين السكان.

سادسا

فيما يخص الواقع الاجتماعي للجزائريين خلال هذه الفترة فقد أكثر تعقيدا، حيث ارتفعت معدلات البطالة والفقر، وأصبحت المجاعة هاجس يهددهم باستمرار خاصة أثناء الأزمات،

ناهيك عن الضرائب والغرامات المفروضة عليهم والتي دفعت الكثير منهم إلى رهن أملاكهم وبيع أراضيهم، وهذا كله إلى جانب معاناتهم من السياسة الاستعمارية القائمة على القمع والاستبداد والتمييز بينهم وبين الأوربيين.

سابعا

تفاقم ظاهرة البطالة في أوساط الجزائريين أدى إلى هجرة حشود كبيرة من الريف إلى المراكز الحضرية القريبة، أو من المدينة إلى الخارج طلبا للعمل وبحثا عن موارد رزق أخرى.

ثامنا:

لم تقتصر هجرة سكان معسكر إلى الخارج على الكادحين والعمال فقط بل شملت كل الطبقات الاجتماعية بما فيها طبقة المثقفين، ورجال الدين، والعلماء، وقد كان لذلك تأثيره الواضح على المنطقة التي شهدت نزيفا رهيبا لنخبها ومشايخها، خاصة بعدما آثر العديد منهم البقاء في المهجر على العودة إلى وطنه.

تاسعا:

بالرغم من انحصار عدد المساجد مقارنة عما كانت عليه في الفترة العثمانية– ومراقبة نشاطها من طرف الإدارة الفرنسية خاصة المساجد الرسمية التي كانت خاضعة لها، إلا أنها قامت بدور مهم بعث الحركة العلمية والثقافية في معسكر، وقد كان لمشايخها وأئمتها ومدرسها الذين برزوا في هذه المرحلة الأثر الكبير في تعليم القرآن الكريم واللغة العربية ومختلف العلوم الدينية.

عاشرا:

قامت زوايا معسكر في مجملها قامت بدور هام في الحفاظ على الهوية والشخصية الوطنية وثوابتها الأساسية: الدين، واللغة، كما أثمرت جهودها تكوين أجيال عديدة من المتنورين المحافظين، حيث يكفيها فخرا أنها وفرت للمساجد والجوامع خيرة الحفاظ لكتاب الله العزيز، وخيرة الأئمة الذين تصدوا للإمامة والتدريس بها. كما دفعت بعدد كبير منهم إلى مواصلة دراستهم بالمعاهد والجامعات الكبرى في الوطن العربي، كالزيتونة بتونس، والقرويين بفاس، والأزهر الشريف بمصر، وببلاد الحجاز.

حادي عشر:

عرفت الكتاتيب انتشارا واسعا في كامل بلديات وقرى معسكر، حيث لا يكاد يخلوا منها شارع، أو حي، فبلدية معسكر المختلطة مثلا كانت تضم لوحدها مايزيد عن 102 مدرسة قرآنية يؤمها معظم الأطفال الذين تتراوح أعمارهم مابين السادسة والرابع عشرة سنة.

هذه الكتاتيب رغم بدائيتها والحالة التي كانت عليها، إلاّ أنها لعبت دورا أساسيا في تحفيظ القرآن الكريم ونشره وتعميمه بين أبناء المنطقة، وتعليم مبادئ اللغة العربية وترسيخها لدى الناشئة، فهي بذلك تعتبر شكلا من أشكال المقاومة الثقافية ضد الجهل والأمية وشيوع الثقافة الفرنسية. كما تعد مرحلة هامة تسمح للطالب الالتحاق بالمساجد الكبرى والمعاهد لاستكمال دراسته في شتى العلوم الدينية اللغوية.

الثاني عشر:

لم يكن التعليم الفرنسي الرسمي في معسكر يتماشى مع متطلبات الجزائريين، لا من حيث العدد الذي ظل ضئيلا جدا، ولا من حيث والوسائل والإمكانيات، فمجموع ما ظهر من المدارس الأهلية لم يتعد ربع المدارس الفرنسية بالمنطقة. كما أن وجودها اقتصر على

نطاق جغرافي محدود انحصر في المدينة وبعض المراكز الاستيطانية الكبرى، وإلى جانب هذا كله فإن غالبية الجزائريين الذين التحقوا بهذه المدارس كانوا يغادرونها في سن مبكرة ولا يمكنهم بأي حال مواصلة دراستهم في الأطوار اللاحقة نظرا لظروفهم المادية والاجتماعية الصعبة، وعدم سماح الإدارة الفرنسية لهم بذلك.

الثالث عشر:

ارتبطت الحياة الثقافية في معسكر خلال النصف الأول من القرن العشرين ارتباطا وثيقا بنشاط الجمعيات والنوادي الثقافية، فقد كان لهذه الأخيرة دور كبير في تنوير الشباب وتعليمهم وتقديم يد المساعدة لسكان المنطقة في مختلف المجالات الثقافية والاجتماعية والخيرية، كما كانت أحد أسلحة الجزائريين للمقاومة الثقافية وذلك بمساهمتها في غرس بذور النهضة الفكرية و نشر الوعي السياسي.

الرابع عشر

يعد نادي الشبيبة الأدبية الأهلية النادي الوحيد الذي حمل مشعل الثقافية العربية الإسلامية، ولواء الإصلاح بمدينة معسكر إلى جانب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فهو بذلك يعتبر أهم نادي ثقافي وتربوي وعلمي، ولما لدوره من أهمية تمكن من ضم العديد من الشباب إليه والذي زاد عددهم عن 200 منخرطاً. كما نجح في التأثير على عناصر ذات ثقافة مزدوجة تنتمي إلى تيارات سياسية، كتيار النّخبة والنّواب.

الخامس عشر:

لقد كانت معسكر من المدن الأولى التي استجابت لنداء الإصلاح الذي دعا إليه الشيخ عبد الحميد بن باديس، حيث تم فتح شعبة للجمعية بها أواخر سنة 1932 ترأسها الحاج أحمد خليل، وتولى أمانتها العامة الشيخ سعيد الزموشي.

السادس عشر:

إن المتتبع لنشاط مدرسة التربية والتعليم بمعسكر ومساهماتها العلمية والتربوية، يجد أنها قامت بدور كبير إلى جانب زوايا وكتاتيب ومساجد المنطقة في النهوض بالتعليم العربي الحر، والحفاظ مقومات الشخصية الوطنية والعربية الإسلامية، والتصدي في نفس الوقت للسياسة الاستعمارية الرامية إلى تجهيل الجزائريين، وهذا كله رغم قلة الإمكانيات من جهة والصعوبات والعراقيل التي نصبتها لها الإدارة الفرنسية من جهة ثانية، خاصة ما تعلق منها بالتوقفات والاعتقالات التي طالت معلميها خلال فترة الحرب العالمية الثانية.

السابع عشر:

سبقت معسكر غيرها من مدن العمالة في إرساء قواعد الكشافة الإسلامية في الناحية الغربية بتأسيس أول فوج كشفي لها في أفريل 1937. وهو الطرح الذي أغفلته العديد من الدراسات، التي نسبت ظهور النشاط الكشفي في الجهة الغربية إلى كل من فوج "الفلاح" بمستغانم (أكتوبر 1937) وفوج "النجاح" بوهران (نوفمبر 1937).

الثامن عشر:

لم يتوقف النشاط الكشفي المحلي عند الدور التربوي، والثقافي المنوط به، بل تعداه إلى أدوار أخرى، بعدما أفصحت الأفواج الكشفية عن ميولها الوطني صراحة منذ سنة 1941، وقامت بالمشاركة إلى جانب ممثلي الأحزاب المحلية في التجمعات واللقاءات ذات الطابع السياسي المحض، فضلا عن مشاركة بعض أفواجها – فوج "الإقدام"، "الوداد" وغيرها...– في المظاهرات، والاعتصامات مُطالبةً بتحقيق مطالب الحركة الوطنية وإطلاق سراح المعتقلين، كما أن مشاركة أفواجها في التجمعات واللقاءات الجهوية والوطنية، وتفاعلها مع التنظيمات الكشفية الأخرى كان له الأثر البالغ على مسارها، حيث ساهمت بشكل فعال في

نضجها، وإثراء رصيدها الكشفي، كما سمحت لها بالتقرب عن كثب من رواد الحركة الكشفية ومن الشخصيات الدينية والوطنية والنهل من معينهم النضالي.

التاسع عشر :

اقترن نشاط المؤسسات الثقافية الأوربية بالأهداف الاستعمارية والمتمثلة في نشر الثقافة الغربية المسيحية ونقل القيم الحضارية الفرنسية إلى المجتمع الجزائري للتأثير عليه.

الملاحق

الملحق رقم 01:

مضمون الوثيقة: مخطط مدينة معسكر

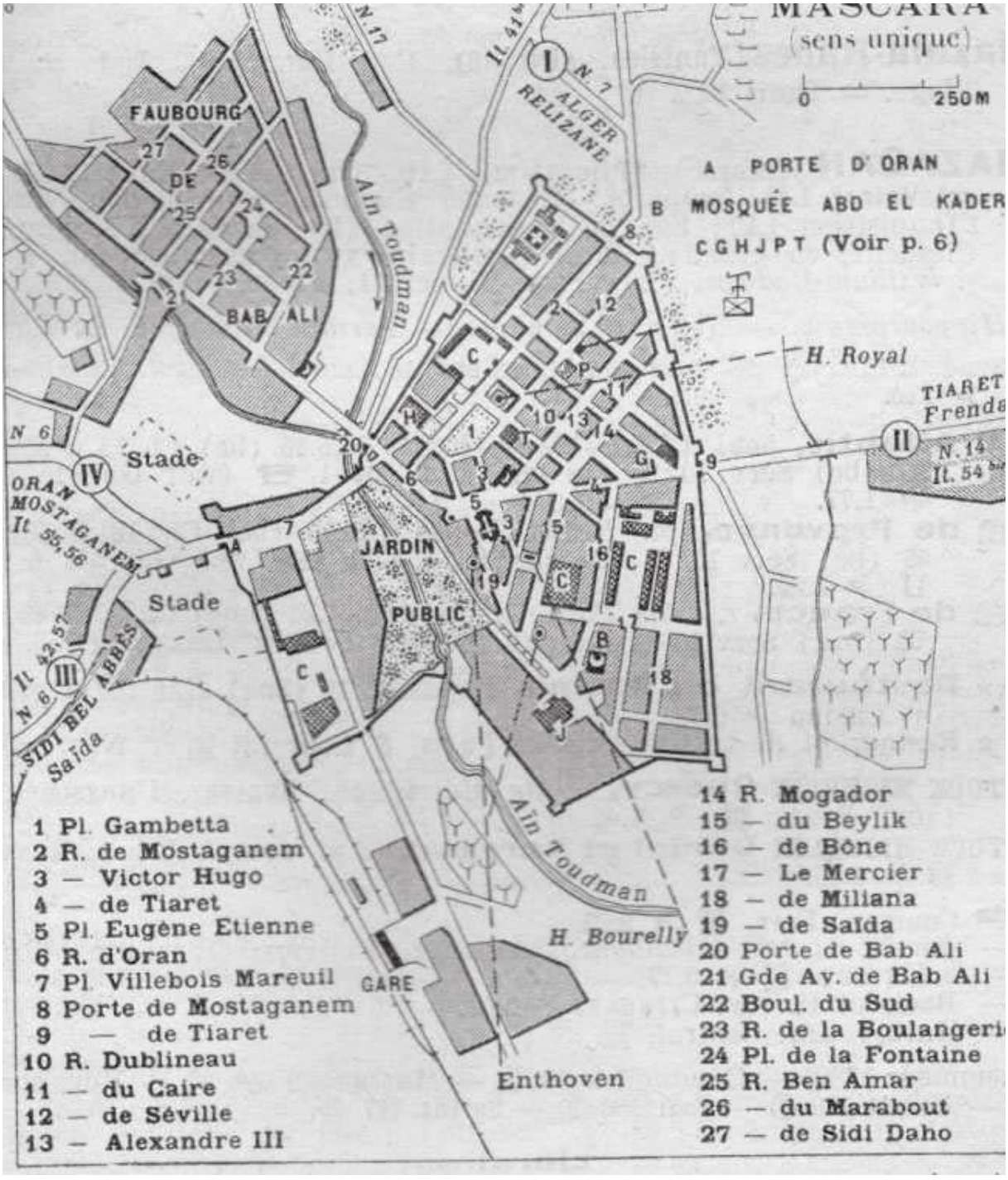

الملحق رقم 02:

مضمون الوثيقة: مجموع الكتاتيب القرآنية المتواجدة في بلدية معسكر المختلطة سنة 1903.

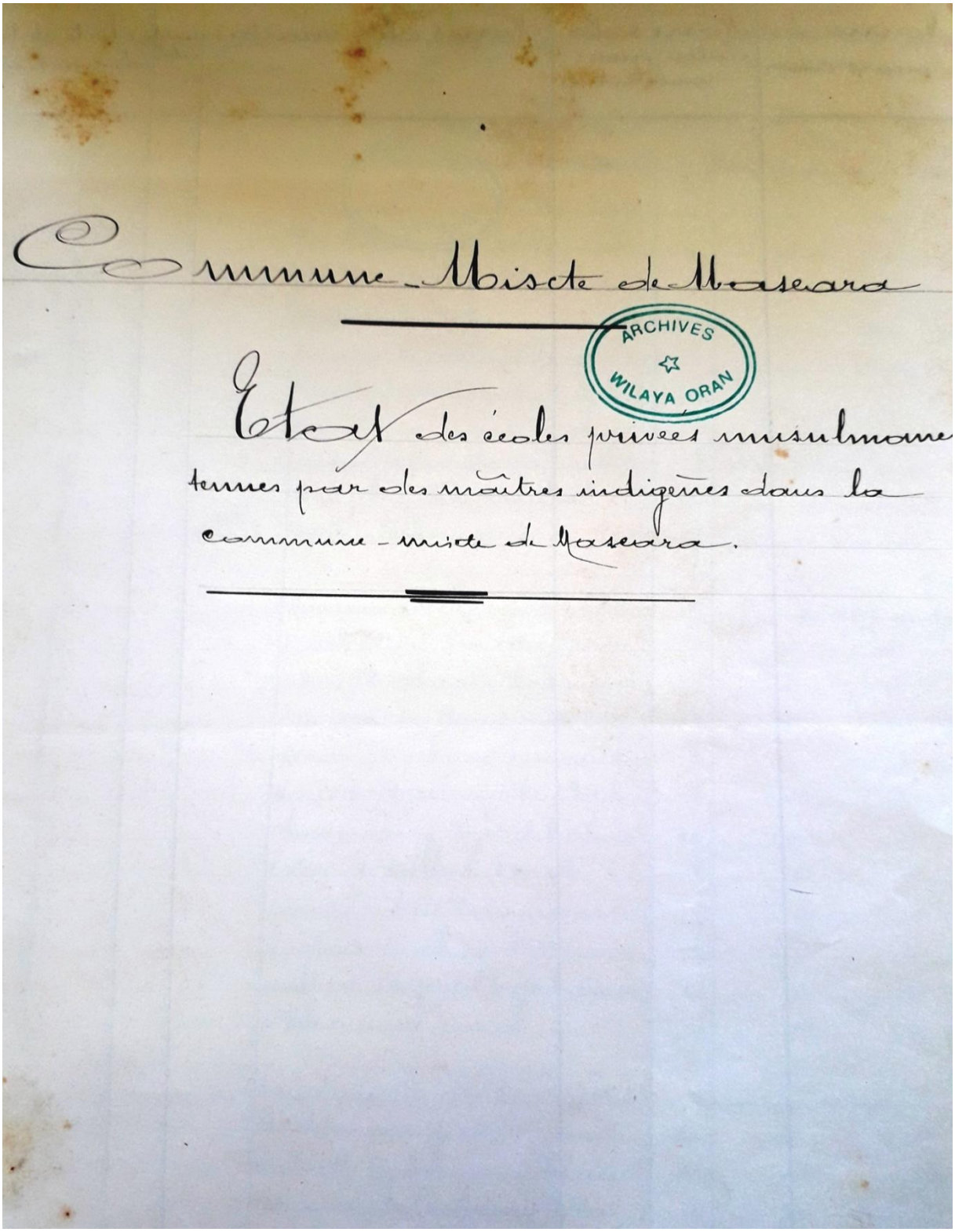
Commune Mixte de Maseara

ARCHIVES
WILAYA ORAN

Etat des écoles privées musulmanes tenues par des maîtres indigènes dans la commune - mixte de Maseara.

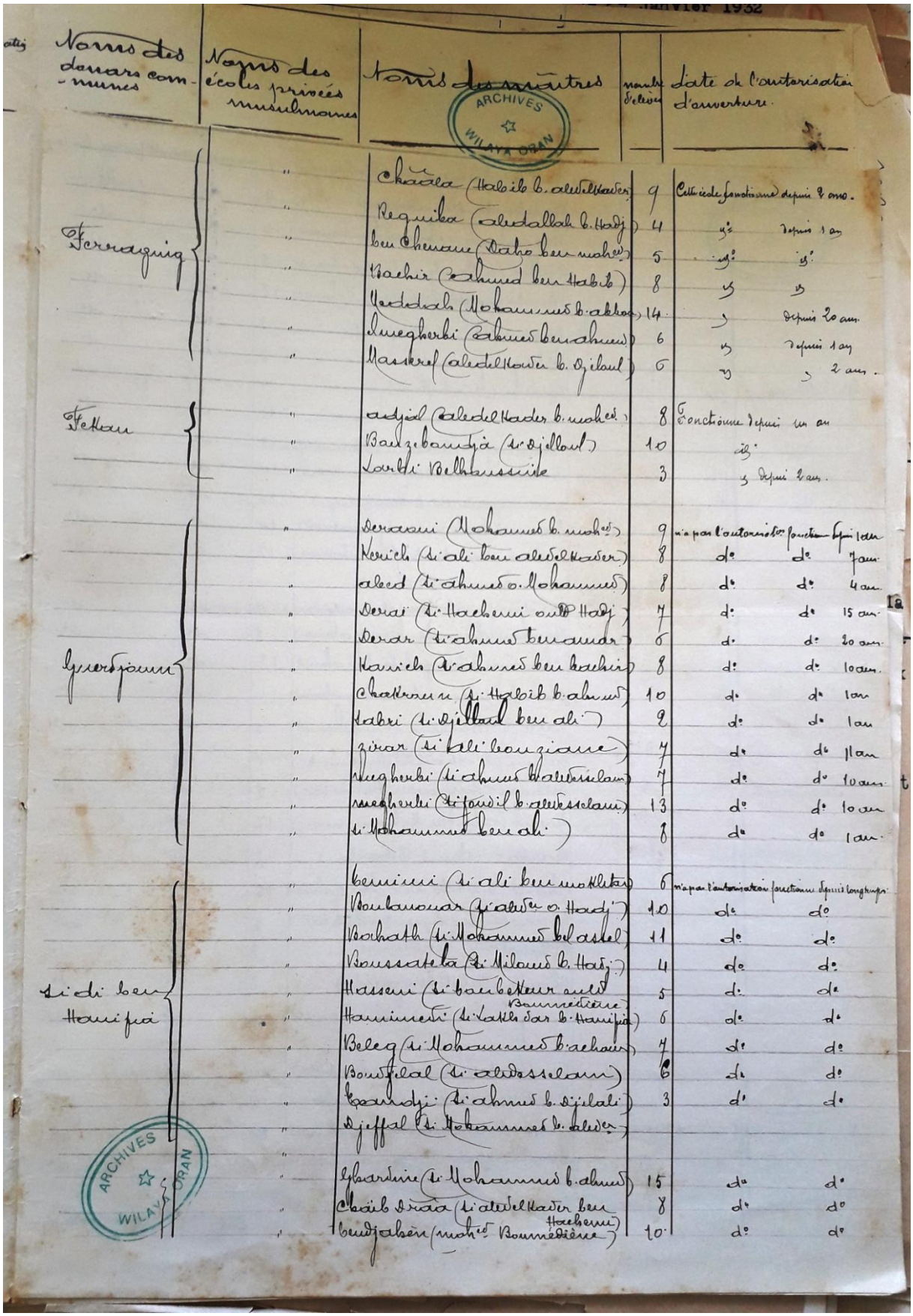

Noms des douars communes	Noms des écoles privées musulmanes	Noms des maîtres	nombre d'élèves	Date de l'autorisation d'ouverture.
Ferragiug	"	Chaala (Habib b. abdelkader)	9	Cette école fonctionne depuis 2 ans.
	"	Requiba (abdallah b. Hadj)	4	id. depuis 1 an
	"	ben Cheraue (Taho ben mahed)	5	id. id.
	"	Bachir (Ahmed ben Habib)	8	id. id.
	"	Abdallah (Mohammed b. akkaa)	14	id. depuis 20 ans.
	"	Rueghebi (Ahmed benahmed)	6	id. depuis 1 an
	"	Mastaref (abdelkader b. Djilani)	6	id. id. 2 ans.
Tetlan	"	adjiel (abdelkader b. mahed)	8	Fonctionne depuis un an
	"	Badzebaoudja (si Djillani)	10	id.
	"	Larbi Belhaussine	3	id. depuis 2 ans.
Iguerdjoum	"	Derraoui (Mohammed b. mahed)	9	mis par l'autorisation fonctionne depuis 1 an
	"	Kerrich (si ali ben abdelkader)	8	id. id. 7 ans.
	"	abed (si ahmed b. Mohammed)	8	id. id. 4 ans.
	"	Derai (si Hacheni ould Hadj)	7	id. id. 15 ans.
	"	Derar (si ahmed ben amar)	6	id. id. 20 ans.
	"	Kaviels (si ahmed ben bachir)	8	id. id. 10 ans.
	"	Chaliaren (si Habib b. ahmed)	10	id. id. 1 an
	"	Kabri (si Djillali ben ali)	9	id. id. 1 an
	"	zirar (si ali bouziane)	7	id. id. 11 ans
	"	Rueghebi (si ahmed Abdesselam)	7	id. id. 10 ans.
	"	rueghebi (si Djoudi b. abdesselam)	13	id. id. 10 ans
	"	si Mohammed ben ali)	8	id. id. 1 an.
si di ben Hamida	"	Kemimi (si ali ben mokhtar)	6	mis par l'autorisation fonctionne depuis longtemps
	"	Boubaouar (si abdn o. Hadj)	10	id. id.
	"	Bachath (si Mohammed bel abbel)	11	id. id.
	"	Boussatela (si Milaud b. Hadj)	4	id. id.
	"	Hassani (si bachir ould Bounediène)	5	id. id.
	"	Hamimeni (si Kaddour ben b. Hamida)	6	id. id.
	"	Beleg (si Mohammed b. achour)	7	id. id.
	"	Boudjelal (si abdesselam)	6	id. id.
	"	Bouadji (si ahmed b. Djilali)	3	id. id.
	"	Djeffal (si Mohammed b. abdn)		
	"	Ghardine (si Mohammed b. ahmed)	15	id. id.
	"	Chaib Draa (si abdelkader ben Hacheni)	8	id. id.
	"	Bendjaber (mahed Bounediène)	10	id. id.

ARCHIVES ☆ WILAYA ORAN

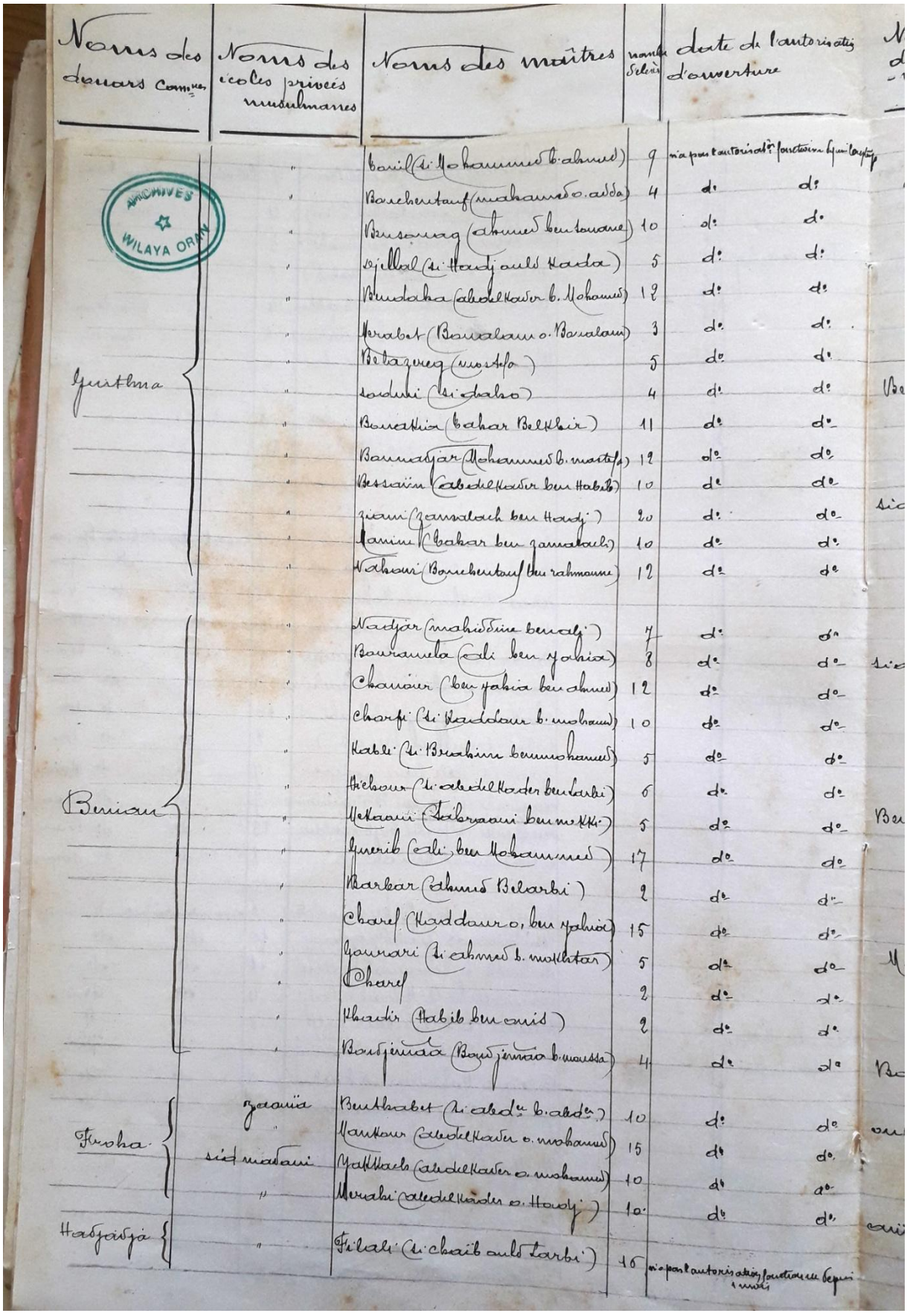

Noms des douars communes	Noms des écoles privées musulmanes	Noms des maîtres	nombre d'élèves	date de l'autorisation d'ouverture	
	"	Bairi (Si Mohammed b. ahmed)	9	mis pour autorisation pour fonctionner fin [illegible]	
	"	Boucherouf (mohamed o. aida)	4	d°	d°
	"	Bousouag (ahmed ben tounane)	10	d°	d°
	"	Djellal (Si Hadj ould Hada)	5	d°	d°
	"	Boudaha (abdelkader b. Mohamed)	12	d°	d°
	"	Merabet (Boualam o. Boualam)	3	d°	d°
	"	Betazoug (mostefa)	5	d°	d°
Ighilma	"	Saadoudi (Si Ghalo)	4	d°	d°
	"	Bouakkia (Bahar Belkheir)	11	d°	d°
	"	Bammadjar (Mohammed b. mostefa)	12	d°	d°
	"	Bessaim (abdelkader ben Habib)	10	d°	d°
	"	Ziani (Zamalach ben Hadj)	20	d°	d°
	"	Hamimi (Bahar ben zamalach)	10	d°	d°
	"	Nakoussi Bouchentouf ben rahmoune	12	d°	d°
	"	Nadjar (mahiddine benali)	7	d°	d°
	"	Bouramoula (ali ben yahia)	8	d°	d°
	"	Chaouar (ben yahia ben ahmed)	12	d°	d°
	"	Charfi (Si Baddour b. mohamed)	10	d°	d°
	"	Habli (Si Brahim benmohamed)	5	d°	d°
	"	Tiebsour (Si abdelkader benbarbi)	6	d°	d°
Beniaa	"	Hakaoui (Tabraoui ben mekki)	5	d°	d°
	"	Guerib (ali ben Mohammed)	17	d°	d°
	"	Barkat (Ahmed Belarbi)	2	d°	d°
	"	Charef (Haddour o. ben yahia)	15	d°	d°
	"	Gaouari (Si ahmed b. mokhtar)	5	d°	d°
	"	Charef	2	d°	d°
	"	Kharkir (Habib ben amid)	2	d°	d°
	"	Boudjemaa (Boudjemaa b. moussa)	4	d°	d°
	zaouia	Bentkabet (Si abd[illegible] b. abd[illegible])	10	d°	d°
Ferdjioua	"	Hamdoun (abdelkader o. mohamed)	15	d°	d°
	sid madani	Yakhlaf (abdelkader o. mohamed)	10	d°	d°
	"	Merabi (abdelkader o. Hadj)	10	d°	d°
Hadjadja	"	Filali (Si chaib ould Larbi)	15	mis pour autorisation pour fonctionner fin Septembre	

ARCHIVES WILAYA ORAN

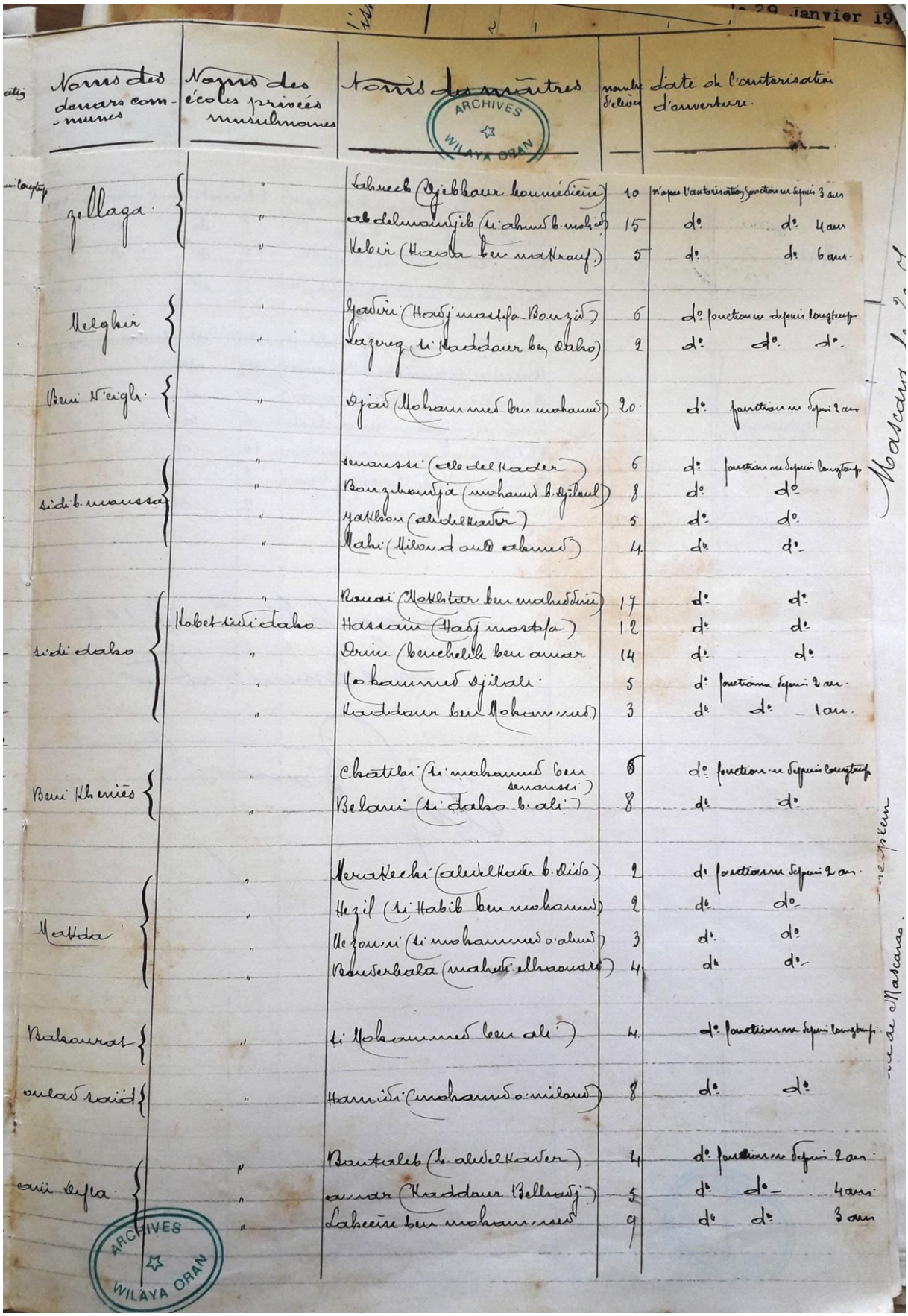

Noms des douars communes	Noms des écoles privées musulmanes	Noms des maîtres	nombre d'élèves	Date de l'autorisation d'ouverture.
zellaga	"	Lahseck (Djilbaur bourmédienne)	10	n'ayant l'autorisation fonctionne depuis 3 ans
	"	ab delmoumjib (si ahmed b. mahieddine)	15	d° d° 4 ans
	"	Kebir (Hasba ben mathrouf)	5	d° d° 6 ans
Melghir	"	Yadiri (Hadj mustapha Bouzid)	6	d° fonctionne depuis longtemps
	"	Lazereg (si Kaddour ben Daho)	2	d° d° d°
Beni Meigh	"	Djad (Mohammed ben mohammed)	20	d° fonctionne depuis 2 ans
sidi b. maussa	"	Senaussi (ab del Kader)	6	d° fonctionne depuis longtemps
	"	Bouzhoundja (mohamed b. djilali)	8	d° d°
	"	Yakhlef (abdelkader)	5	d° d°
	"	Mahi (Mimoun ould ahmed)	4	d° d°
sidi dahso	Kobet sidi dahso	Rouai (Mokhtar ben mahieddine)	17	d° d°
	"	Hassain (Hadj mostapha)	12	d° d°
	"	Driss (benchelih ben amar	14	d° d°
	"	Mohammed djilali	5	d° fonctionne depuis 2 ans
	"	Kaddour ben Mohammed)	3	d° d° 1 an
Beni Khenifès	"	Chatibi (si mohammed ben senaussi)	8	d° fonctionne depuis longtemps
	"	Belaini (si dahso b. ali)	8	d° d°
Mekkida	"	Merakechi (abdelkader b. Dido)	2	d° fonctionne depuis 2 ans
	"	Hezil (si Habib ben mohammed)	2	d° d°
	"	Mezouni (si mohammed o. ahmed)	3	d° d°
	"	Bouterbala (mahieddine elhaouari)	4	d° d°
Bakaurat	"	si Mohammed ben ali	4	d° fonctionne depuis longtemps
oulad saïd	"	Hamidi (mohamed o. miloud)	8	d° d°
ouled Sefia	"	Bouteleb (b. abdelkader)	4	d° fonctionne depuis 2 ans
	"	ammar (Kaddour Belhadj)	5	d° d° 4 ans
	"	Lakeche ben mohammed	9	d° d° 3 ans

ARCHIVES WILAYA ORAN

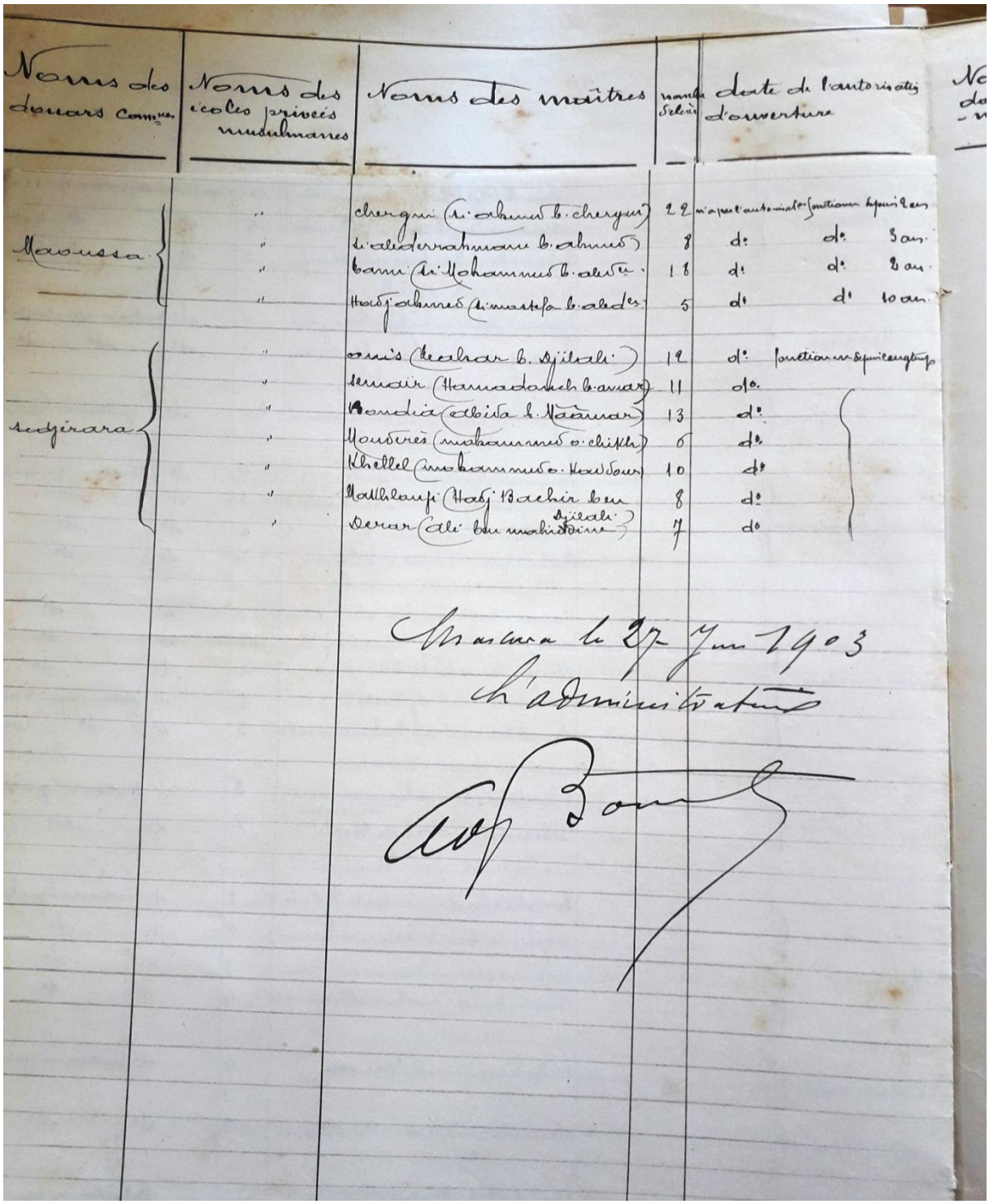

Noms des communes	Noms des écoles privées musulmanes	Noms des maîtres	nombre d'élèves	date de l'autorisation d'ouverture	
Mascara	"	Cherguni (Ahmed b. Cherguni)	22	mise en activité autorisation	depuis 2 ans
	"	Abderrahmane b. Ahmed	8	id.	id. 3 ans.
	"	Bami (Mohammed b. Ali)	18	id.	id. 2 ans.
	"	Hadj Ahmed (Mustapha b. Abdes)	5	id.	id. 10 ans.
Sedjerara	"	Ouis (Bekhar b. Djilali)	12	id.	fonctionne depuis cinq ans
	"	Semair (Hamadache b. Amar)	11	id.	
	"	Bendia (Abdia b. Naâmane)	13	id.	
	"	Mouderes (Mohammed b. Chikh)	6	id.	
	"	Khellel (Mohammed b. Houssou)	10	id.	
	"	Mallah Lanfi (Hadj Bachir ben Djilali)	8	id.	
	"	Derrar (Ali ben Mahiddine)	7	id.	

Mascara le 27 Juin 1903

L'Administrateur

المصدر:

A.W.O - 4064 Enseignement privé des indigènes Oranie (1903 –1922)

الملحق رقم 03:

مضمون الوثيقة: وثيقة من ثلاثة صفحات تحتوي على واحد وسبعون عنوان كتاب مطلوبة من طرف مفتي مدينة معسكر لتزويد مكتبة الجامع الكبير.

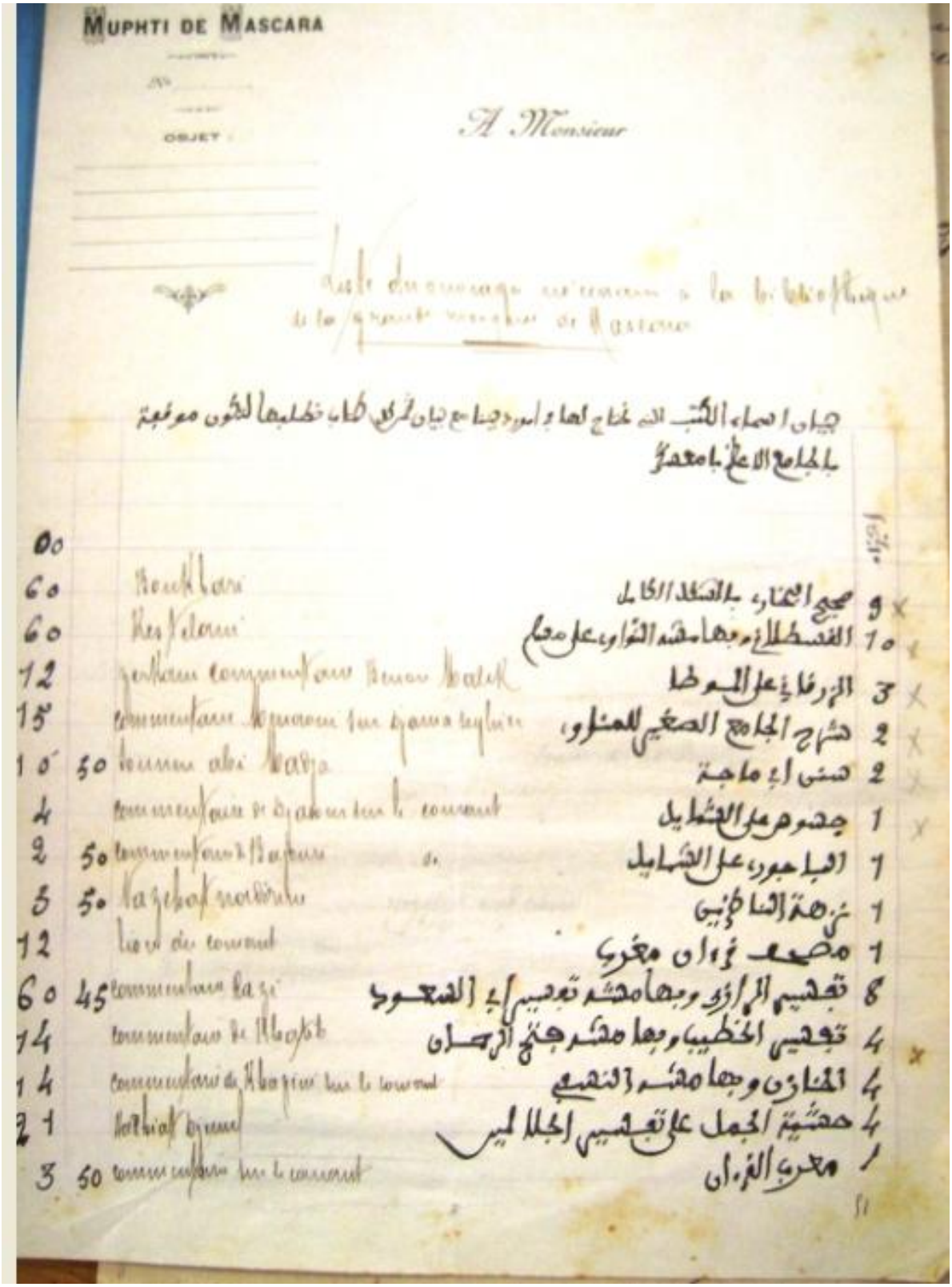
MUPHTI DE MASCARA

A Monsieur

OBJET :

Liste du ouvrage à remettre à la bibliothèque de la grande mosquée de Mascara

جدول اسماء الكتب التي نحتاج لها و اسود جميع بيان لكل كتاب نطلبها لتكون موجودة بالجامع الاعظم بامعسكر

00			
60	Boukhari	9	صحيح البخاري بالشرح الكامل
60	Mouslem	10	المسطلاق وبهامشه الحواشي على مسلم
12		3	الزرقاني على الموطا
15		2	شراح الجامع الصغير للمناوي
10 50		2	سنن ابن ماجة
4		1	جمع الفوائد
2 50		1	الباجوري على الشمايل
5 50		1	نزهة الناظرين
12		1	مصحف ثوراني مغربي
60 45		8	تفسير الرازي وبهامشه تفسير ابي السعود
14		4	تفسير الخطيب وبهامشه تفسير الرحمان
14		4	الخازن وبهامشه النسفي
21		4	حاشية الجمل على تفسير الجلالين
3 50		1	مغربي الزرقاني

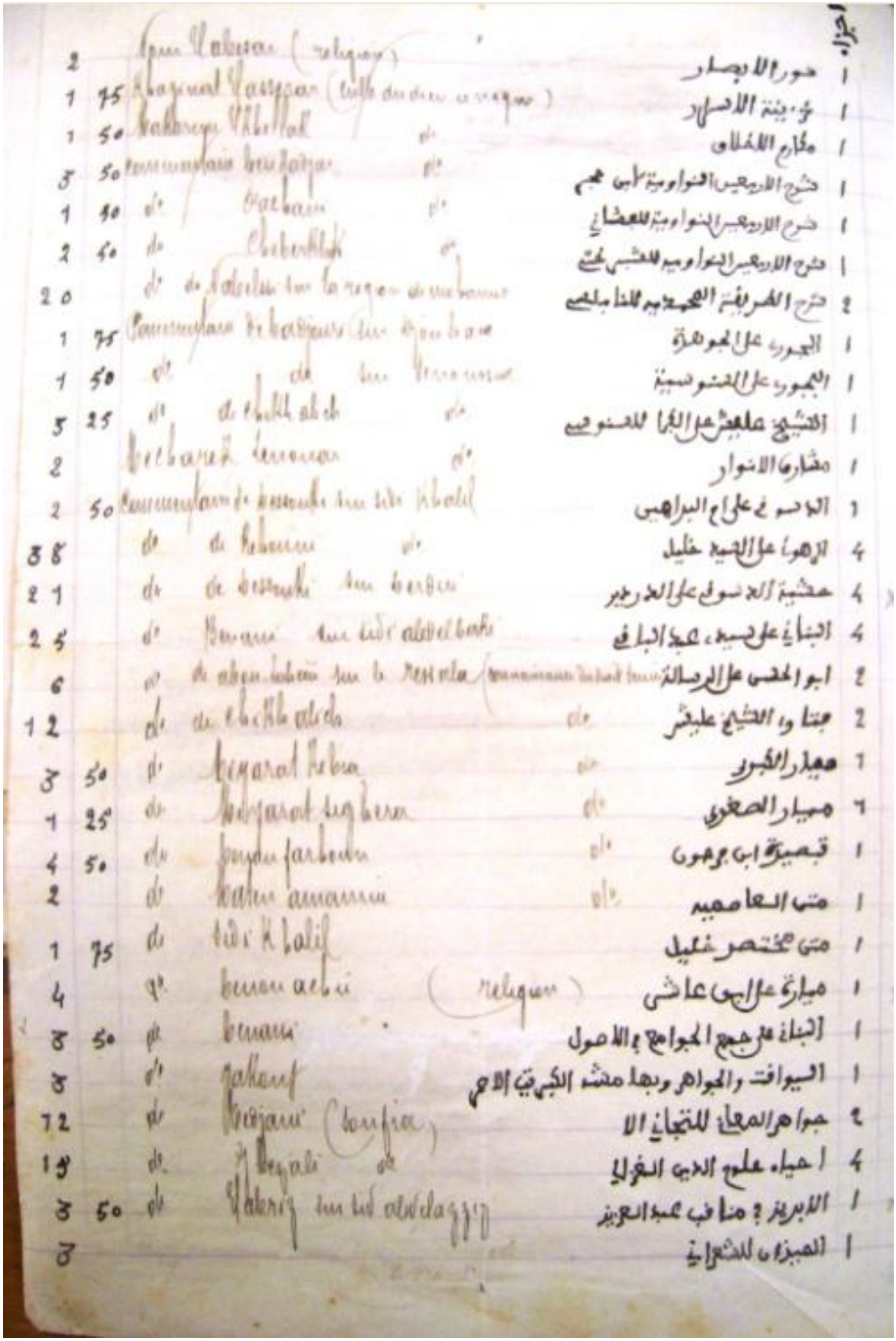

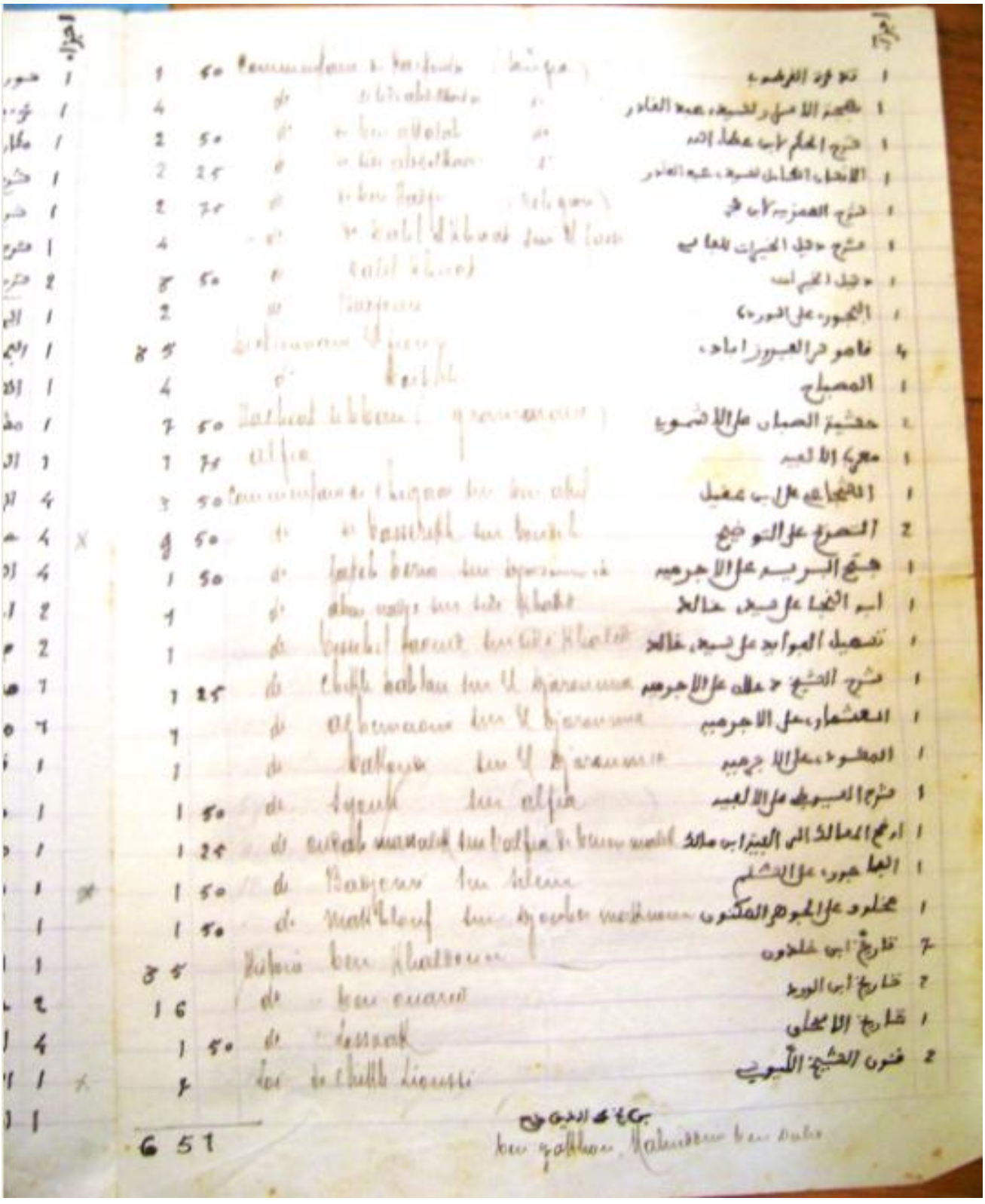

المصدر : A.N.O.M - 2U 14

الملحق رقم 04:

مضمون الوثيقة: رسالة من مفتي مدينة معسكر إلى رئيس دائرة معسكر يطلب فيها ترميم مكتبة المسجد الكبير.

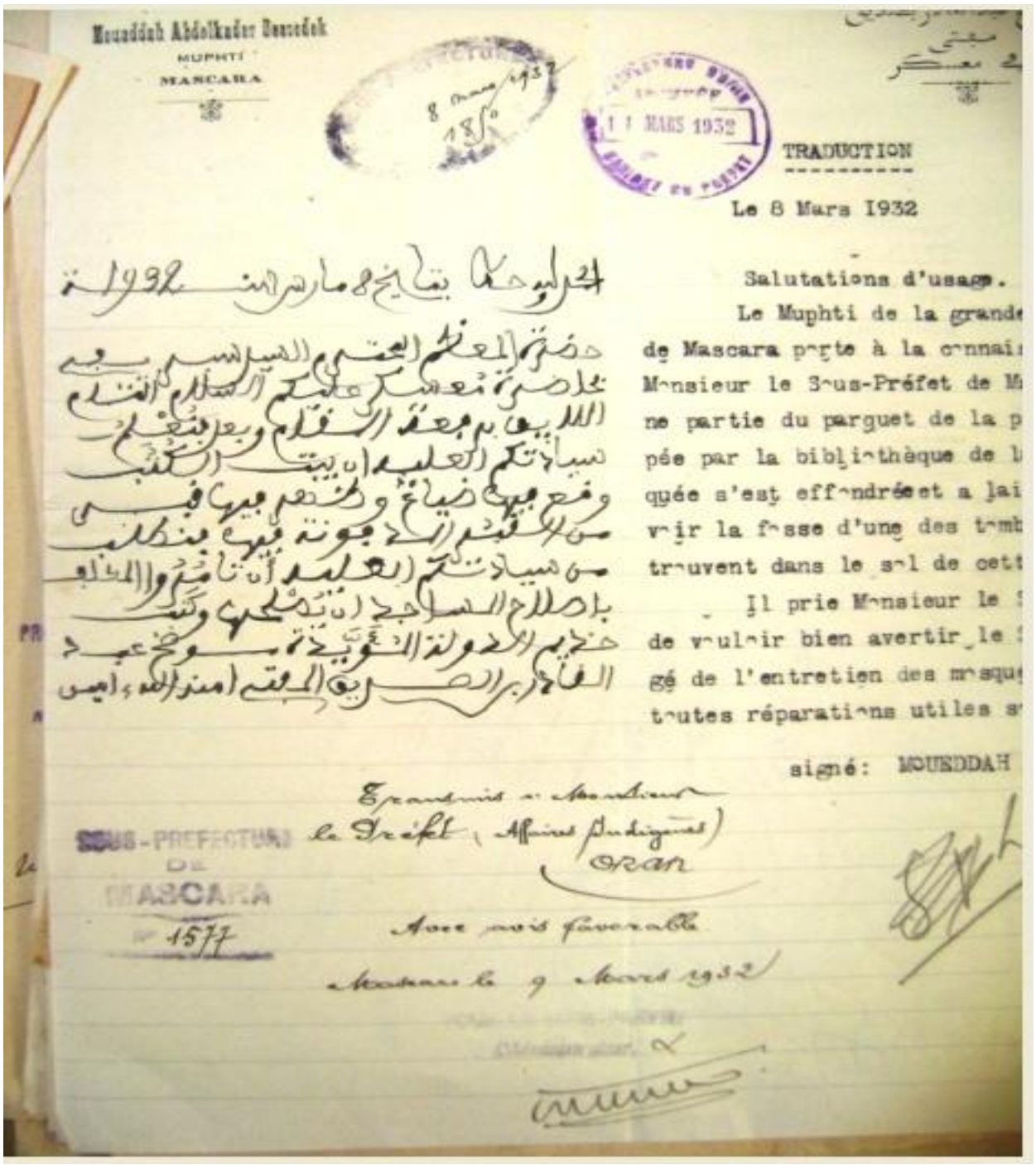

Mouaddah Abdelkader Benredek
MUPHTI
MASCARA

8 Mars 1932

11 MARS 1932

TRADUCTION

Le 8 Mars 1932

Salutations d'usage.

Le Muphti de la grande
de Mascara porte à la connai
Monsieur le Sous-Préfet de M
ne partie du parquet de la p
pée par la bibliothèque de l
quée s'est effondrée et a lai
voir la fosse d'une des tomb
trouvent dans le sol de cett

Il prie Monsieur le
de vouloir bien avertir le
gé de l'entretien des mosqu
toutes réparations utiles s

signé: MOUSDDAH

Transmis à Monsieur
le Préfet (Affaires Indigènes)
Oran

SOUS-PREFECTURE
DE
MASCARA
N° 1577

Avec avis favorable
Mascara le 9 Mars 1932

المصدر: A.N.O.M - 2U 14

الملحق رقم 05:

مضمون الوثيقة: رسالة من مقدم الزاوية القادرية الشيخ محمد بن نعوم إلى عامل عمالة وهران يطلب فيها تزويد الزاوية بالسجاد (الأفرشة).

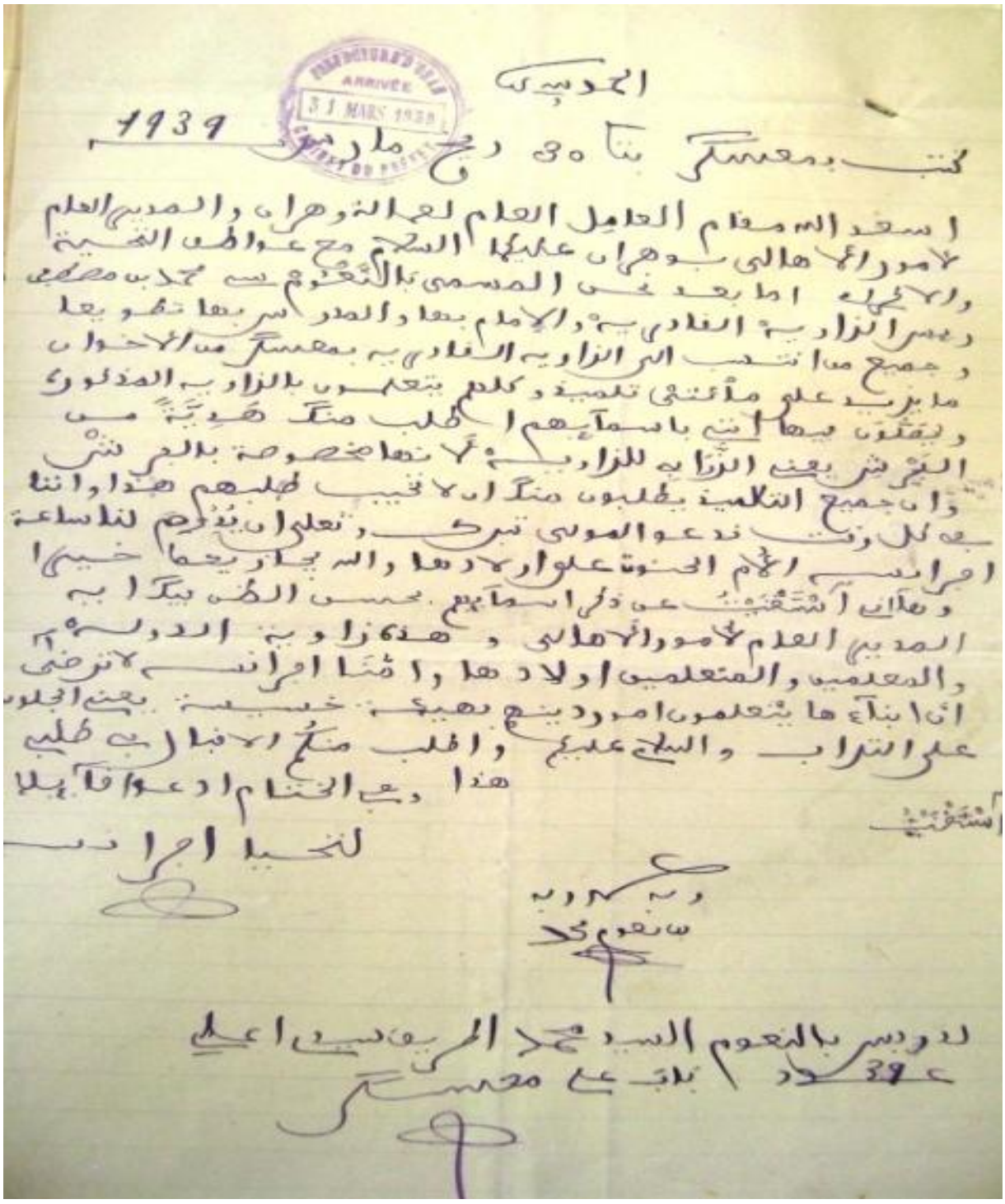

المصدر: A.N.O.M - 2U 06

الملحق رقم 06:

مضمون الوثيقة: وثيقة توضح تأسيس أول فوج كشفي بمدينة معسكر (أفريل 1937)

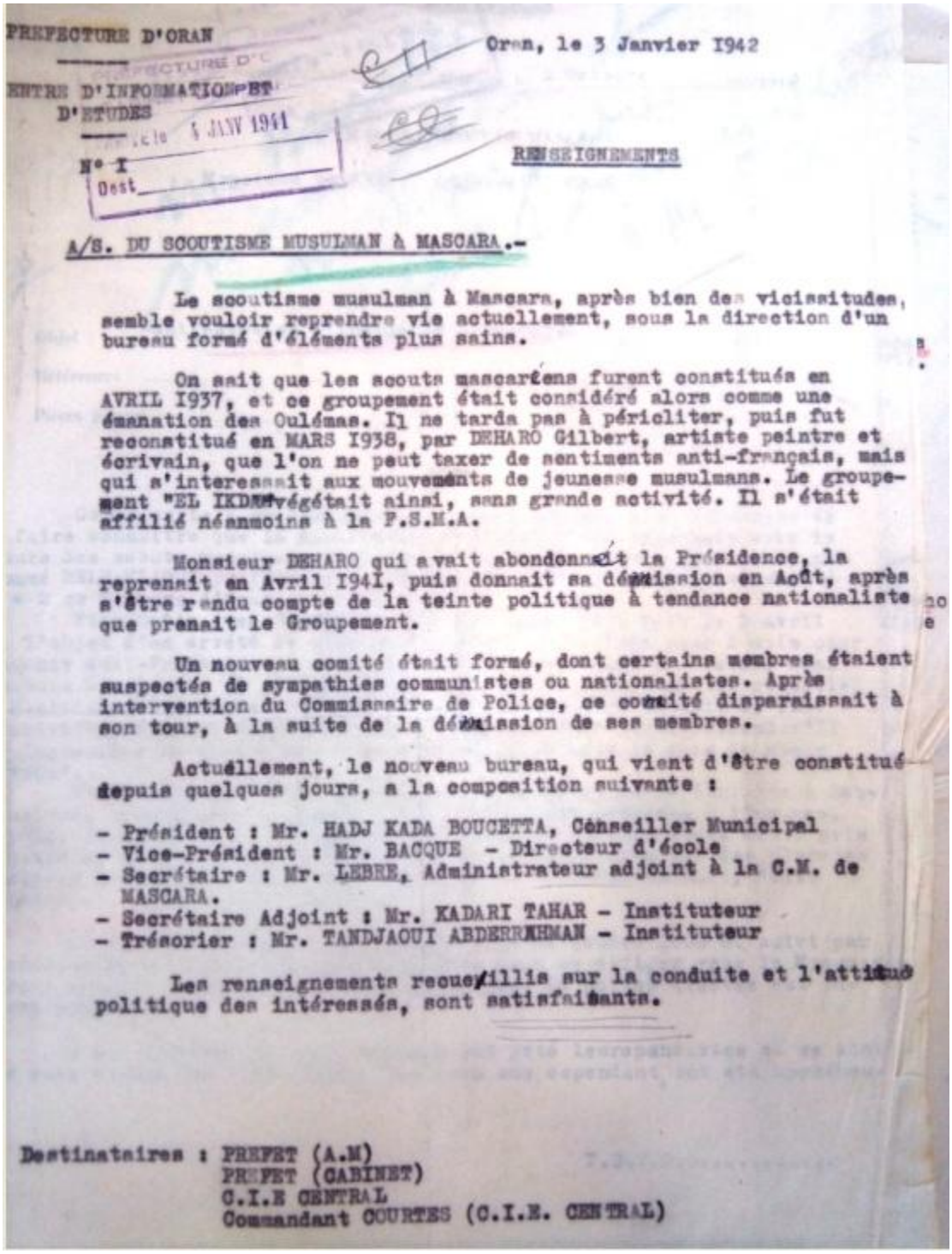

PREFECTURE D'ORAN

CENTRE D'INFORMATION ET D'ETUDES

Reçu le 5 JAN 1941

N° I

Dest

Oran, le 3 Janvier 1942

RENSEIGNEMENTS

A/S. DU SCOUTISME MUSULMAN A MASCARA.-

Le scoutisme musulman à Mascara, après bien des vicissitudes, semble vouloir reprendre vie actuellement, sous la direction d'un bureau formé d'éléments plus sains.

On sait que les scouts mascaréens furent constitués en AVRIL 1937, et ce groupement était considéré alors comme une émanation des Oulémas. Il ne tarda pas à péricliter, puis fut reconstitué en MARS 1938, par DEHARO Gilbert, artiste peintre et écrivain, que l'on ne peut taxer de sentiments anti-français, mais qui s'intéressait aux mouvements de jeunesse musulmans. Le groupement "EL IKDAM" végétait ainsi, sans grande activité. Il s'était affilié néanmoins à la P.S.M.A.

Monsieur DEHARO qui avait abondonné la Présidence, la reprenait en Avril 1941, puis donnait sa démission en Août, après s'être rendu compte de la teinte politique à tendance nationaliste que prenait le Groupement.

Un nouveau comité était formé, dont certains membres étaient suspectés de sympathies communistes ou nationalistes. Après intervention du Commissaire de Police, ce comité disparaissait à son tour, à la suite de la démission de ses membres.

Actuellement, le nouveau bureau, qui vient d'être constitué depuis quelques jours, a la composition suivante :

- Président : Mr. HADJ KADA BOUCETTA, Conseiller Municipal
- Vice-Président : Mr. BACQUE - Directeur d'école
- Secrétaire : Mr. LEBRE, Administrateur adjoint à la C.M. de MASCARA.
- Secrétaire Adjoint : Mr. KADARI TAHAR - Instituteur
- Trésorier : Mr. TANDJAOUI ABDERRAHMAN - Instituteur

Les renseignements recueillis sur la conduite et l'attitude politique des intéressés, sont satisfaisants.

Destinataires : PREFET (A.M)
PREFET (CABINET)
C.I.E CENTRAL
Commandant COURTES (C.I.E. CENTRAL)

المصدر: AWO – 4063

الملحق رقم 07:

محتوى الوثيقة: تأسيس فوج الشهاب للكشافة الإسلامية الجزائرية.

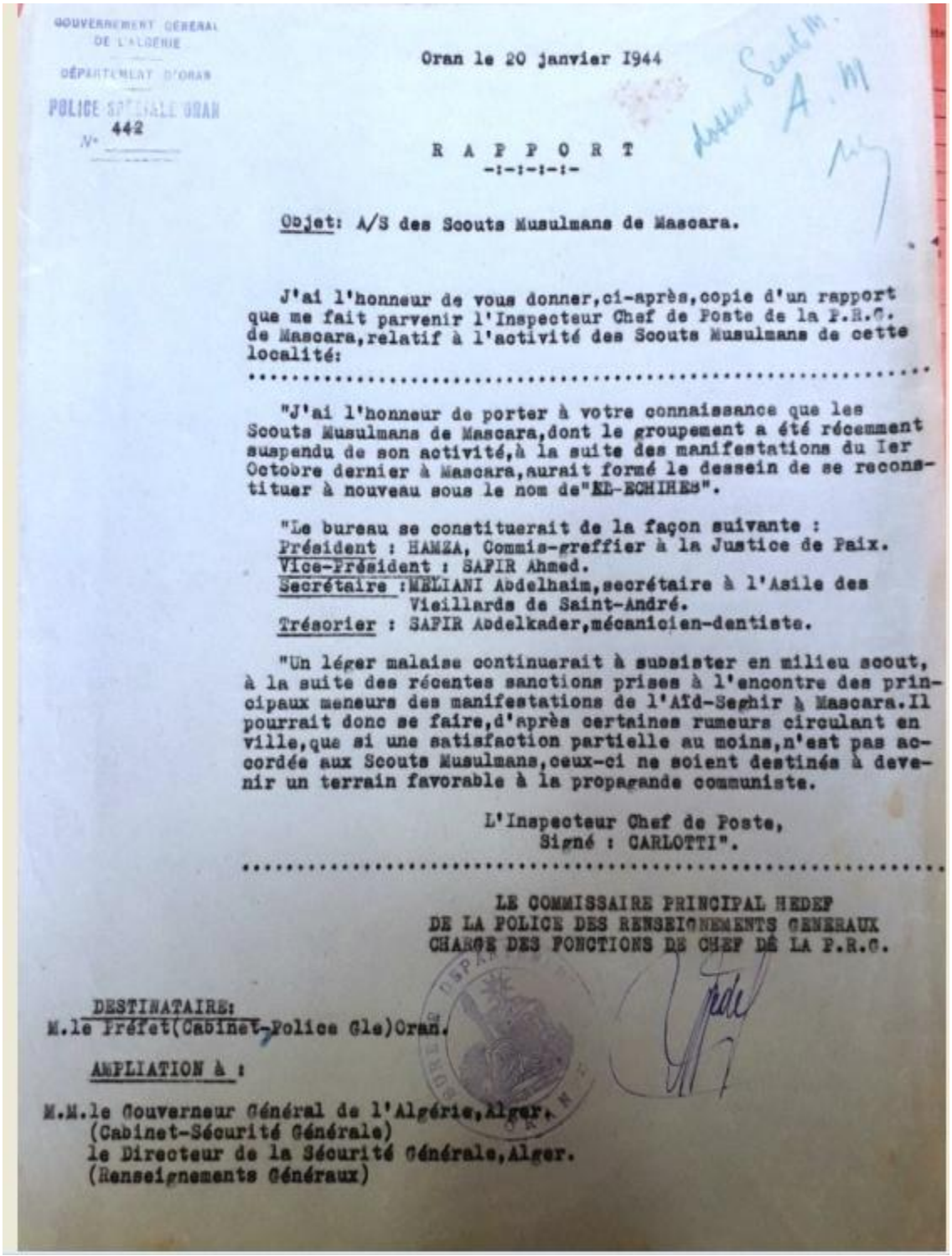

GOUVERNEMENT GENERAL
DE L'ALGERIE
DEPARTEMENT D'ORAN
POLICE SPECIALE ORAN
N° 442

Oran le 20 janvier 1944

R A P P O R T
-:-:-:-:-

Objet: A/S des Scouts Musulmans de Mascara.

J'ai l'honneur de vous donner,ci-après,copie d'un rapport que me fait parvenir l'Inspecteur Chef de Poste de la P.R.G. de Mascara,relatif à l'activité des Scouts Musulmans de cette localité:

.....

"J'ai l'honneur de porter à votre connaissance que les Scouts Musulmans de Mascara,dont le groupement a été récemment suspendu de son activité,à la suite des manifestations du 1er Octobre dernier à Mascara,aurait formé le dessein de se reconstituer à nouveau sous le nom de"EL-ECHIHEB".

"Le bureau se constituerait de la façon suivante :
Président : HAMZA, Commis-greffier à la Justice de Paix.
Vice-Président : SAFIR Ahmed.
Secrétaire :MELIANI Abdelhaim,secrétaire à l'Asile des Vieillards de Saint-André.
Trésorier : SAFIR Abdelkader,mécanicien-dentiste.

"Un léger malaise continuerait à subsister en milieu scout, à la suite des récentes sanctions prises à l'encontre des principaux meneurs des manifestations de l'Aïd-Seghir à Mascara.Il pourrait donc se faire,d'après certaines rumeurs circulant en ville,que si une satisfaction partielle au moins,n'est pas accordée aux Scouts Musulmans,ceux-ci ne soient destinés à devenir un terrain favorable à la propagande communiste.

L'Inspecteur Chef de Poste,
Signé : CARLOTTI".

.....

LE COMMISSAIRE PRINCIPAL HEDEF
DE LA POLICE DES RENSEIGNEMENTS GENERAUX
CHARGE DES FONCTIONS DE CHEF DE LA P.R.G.

DESTINATAIRE:
M.le Préfet(Cabinet-Police Gle)Oran.

AMPLIATION à :

M.M.le Gouverneur Général de l'Algérie,Alger.
(Cabinet-Sécurité Générale)
le Directeur de la Sécurité Générale,Alger.
(Renseignements Généraux)

المصدر: AWO – 4063

الملحق رقم 08: صور لبعض الجرائد الصادرة في معسكر خلال الفترة الاستعمارية .

1- جريدة لوبروڤري (Le Progrès)

Quatorzième Année. — N° 1076 — 5 CENTIMES LE NUMERO — Samedi 26 Janvier 1907

LE PROGRÈS

PARAISSANT LE SAMEDI

ABONNEMENTS
FRANCE : Un an, 6 fr. — Six mois, 3 fr.
FRANCE ET ALGERIE : Un an, 5 fr. — Six mois, 4 fr.

Pour ce qui concerne la Rédaction et l'Administration s'adresser à M. le Directeur du Journal
Bureaux : Rue Carnot, en face la Sous-Préfecture, MASCARA

ANNONCES
Annonces légales..... 0 fr. 10 la ligne
Abonnés diverses..... 0 15 »
Abonnés (texte arabe)..... 0 50 »
Réclames..... 1 fr. »

L'Assistance Obligatoire

La loi sur l'assistance obligatoire promulguée les 15 et 16 juillet 1905 est applicable à partir du 1er janvier 1907.

A un de nos abonnés qui nous demande si cette loi est applicable à l'Algérie nous répondons que dans le texte de la loi il n'est nullement fait mention de son applicabilité à la colonie !

Bien que par suite de cette exclusion de l'Algérie des bénéfices de cette loi, elle ne présente pas un intérêt immédiat pour les Algériens, nous croyons devoir en résumer les principales dispositions.

Dans son article premier elle proclame le droit de secours pour tous les Français incapables de subvenir par leur travail aux nécessités de l'existence, âgés de plus de soixante-dix ans ou atteint, d'une infirmité ou d'une maladie reconnue incurable.

En principe l'assistance se manifeste à domicile sous la forme d'une allocation mensuelle dont le taux est arrêté dans chaque commune, par le conseil municipal, sous réserve de l'approbation du conseil général et du ministre de l'intérieur. Ce taux ne peut être inférieur à cinq francs, ni, à moins de circonstances exceptionnelles, supérieur à vingt francs.

Ceux qui ne peuvent être utilement assistés à leur domicile, sont placés, s'ils y consentent, dans un établissement privé ou chez des particuliers, ou enfin dans les établissements publics.

Sans doute le taux des secours paraîtra bien modique, mais ceux qui savent de combien peu se contentent les vieux ouvriers, quand ils sont obligés de demander à leurs enfants des pensions alimentaires, comprendront que la création du secours de droit constitue un véritable progrès.

Il appartiendra d'ailleurs aux communes de fixer un taux raisonnable pour le secours mensuel ; il faut d'autre part tenir compte des possibilités pratiques ; or les dépenses entraînées par la nouvelle loi sont évaluées à plus de 66 millions dont 18 millions pour les communes, 11 millions pour les départements et 37 millions pour l'Etat.

Pour avoir droit à l'assistance il faut posséder un domicile qui s'acquiert par une résidence de cinq ans dans une commune et ne perd par une absence de même durée. A partir de 65 ans nul ne peut acquérir un nouveau domicile de secours ni perdre celui qu'il possède.

Il peut arriver que des circonstances conduisent un Français à faire dans des communes différentes des séjours successifs de moins de cinq ans, il perd son ancien domicile de secours sans en acquérir de nouveau. Il y a lieu, alors, de distinguer deux cas : 1° les diverses communes dans lesquelles il a successivement séjourné sont toutes dans le département, dans ce cas, l'intéressé acquiert un domicile de secours départemental ; 2° si ces communes sont situées dans des départements différents, l'Etat se substitue au département et l'assisté éventuel a pour domicile de secours : la France.

Si nous considérons la répartition des dépenses, nous trouvons : 1° que les communes ont à leur charge les assistés qui ont chez elles leur domicile de secours ; 2° que les départements devront fournir les sommes nécessaires au service des allocations pour ceux qui ont un domicile de secours départemental ; ils auront en outre à fournir des subsides à certaines communes dans des conditions légalement déterminées lorsque les ressources de celles-ci seront absolument insuffisantes ; 3° que l'Etat devra pensionner les assistés qui ont pour domicile de secours la France ; il servira en outre des subventions à certaines communes et à certains départements trop obérés, et cela suivant des règles nettement déterminées par des articles de la loi.

Les communes pourvoient à ces dépenses à l'aide : 1° des ressources spéciales provenant des fondations ou des libéralités faites en vue de l'assistance aux vieillards, aux infirmes et aux incurables à moins que les conditions des dites fondations ou libéralités ne s'y opposent ; 2° de la participation éventuelle du bureau de bienfaisance et de l'hospice ; 3° des recettes ordinaires ; 4° en cas d'insuffisance d'une subvention du département.

Lorsque dans une commune, le nombre des assistés dépassera dix par mille habitants, l'Etat allouera, pour cette dépense supplémentaire, à cette commune, une subvention directe par assisté en surnombre, sans que la charge communale puisse descendre au dessous de dix pour cent de la dépense totale.

Il nous reste à indiquer la procédure adoptée pour assurer aux ayants-droit la jouissance de leur petite rente. Un mois avant la session de février, le bureau d'assistance dresse, dans chaque commune, la liste des vieillards, des infirmes et des incurables qui, remplissant les conditions légales et résidant dans la commune, ont fait valoir par écrit leur droit au service de l'assistance.

Telles sont résumées, les dispositions générales de cette loi humanitaire dont seuls les Français de France, bénéficieront. Mais nous voulons croire que les Français d'Algérie seront jugés dignes, au même titre, de jouir de ces avantages et que nos députés solliciteront et obtiendront du Parlement son application à l'Algérie.

ÇA & LA

ADIEU A LA RAMPE

La Patti prend sa retraite. Elle dit un adieu définitif au théâtre. Elle se retire après fortune faite comme on dit vulgairement. Elle va vivre tranquillement dans son château de Craig y Nos, avec les vingt ou trente millions qu'elle a gagnés. Songez qu'on l'a payée jusqu'à 30.000 francs par concert et que cela dure depuis près d'un demi-siècle.

Un reporter a pu lire la copie du traité qui a été conclu avec la cantatrice lors de sa dernière tournée en Amérique. En voici un fragment :

« La Patti touchera pour chaque concert, 5.000 dollars. (25.000 francs) plus la moitié de la recette brute quand celle-ci dépassera 7.500 dollars. Le total de ses appointements formera donc pour 60 concerts au minimum 300.000 dollars (1 million, 500.000 fr.) dont le sixième lui sera versé du suite et le surplus payé au moment du départ. — La traversée aura lieu sur un transatlantique choisi par la diva, dans une cabine de luxe. Les voyages en Amérique se feront dans un train spécial, exclusivement formé pour elle, le baron son mari, sept domestiques, plusieurs chiens et oiseaux. — La Patti choisira elle-même ses hôtels où sept pièces lui seront réservées ; ses repas lui seront préparés par deux cuisinières qu'elle emmènera avec elle. — Dans chaque ville, deux équipages devront être, nuit et jour, à sa disposition. — Le programme de chaque concert ne comprendra que trois morceaux : deux de chant et un morceau d'ensemble choisi parmi les opéras suivants : Aida, Rigoletto, Lucie, la Traviata, Faust, le Trouvère. S'il plaît à la Patti elle chantera deux morceaux de plus. A chaque concert trois bouquets au moins devront être jetés sur la scène aux frais (comme tout le reste) de l'impresario... »

On croit rêver en lisant ces choses.

∴

CONSÉQUENCES DE LA DIMINUTION DU PRIX DES TIMBRES POSTE

La diminution du prix des timbres poste a fait augmenter naturellement la consommation.

L'année dernière, à Paris, on avait vendu le 1er janvier, pour environ cent cinquante mille francs de timbres à quinze centimes ; cette année la vente de timbres à dix centimes dépasse six cent cinquante mille francs.

Par contre, le chiffre des cartes de visite a légèrement faibli. Beaucoup de personnes qui, autrefois, envoyaient des cartes de visite pour se rappeler au souvenir de leurs amis, leur ont envoyé des lettres à dix centimes.

Les cartes illustrées, par exemple, sont toujours innombrables. On a dit que la rogne baissait ; c'est une erreur. Il y en a toujours autant.

∴

L'ÉTUDE DE LA STÉNOGRAPHIE

Est chose plus simple qu'on ne croit : 28 signes à apprendre et à savoir unir entre eux, les exercices d'application procurant ensuite la vitesse.

Notre confrère « *L'Etoile Sténographique de France* », organe d'un groupe de propagandistes, s'est donné pour mission de répondre cet art si utile et de l'enseigner par correspondance ; nous engageons donc nos lectrices et lecteurs à demander à son collaborateur chargé de ce service, M. J. LENORMAND, à Pannetières, par Sermaise (Loiret), la première leçon de ce cours qui est absolument gratuit et n'oblige à aucune souscription ni cotisation d'aucune sorte.

LE RECENSEMENT DE 1906
EN ALGÉRIE

La plupart des journaux de la métropole ont publié des articles assez tristes sur les résultats en France du recensement de 1906. Ces résultats ne sont pas, en effet, très réconfortants. En 1901, le chiffre de la population, en France, était de 38.961.945 ; il est monté en 1906, à 39.252 257 ; soit une augmentation en cinq ans, de 290.312 habitants, correspondant à une plus-value annuelle de 58.000 habitants environ.

Cette augmentation est bien peu importante, surtout si on la compare à celle des pays voisins, l'Allemagne, l'Italie, l'Angleterre, etc.

Toutes les considérations relatives à ces résultats ont été longuement exposées dans les journaux français. Ceux qui nous intéressent plus directement sont ceux se rapportant à l'Algérie.

Ces résultats seraient plus favorables

المصدر: www.gallica.bnf.fr.

2- جريدة لانديباند دي مسكرا (L'indépendant de Mascara):

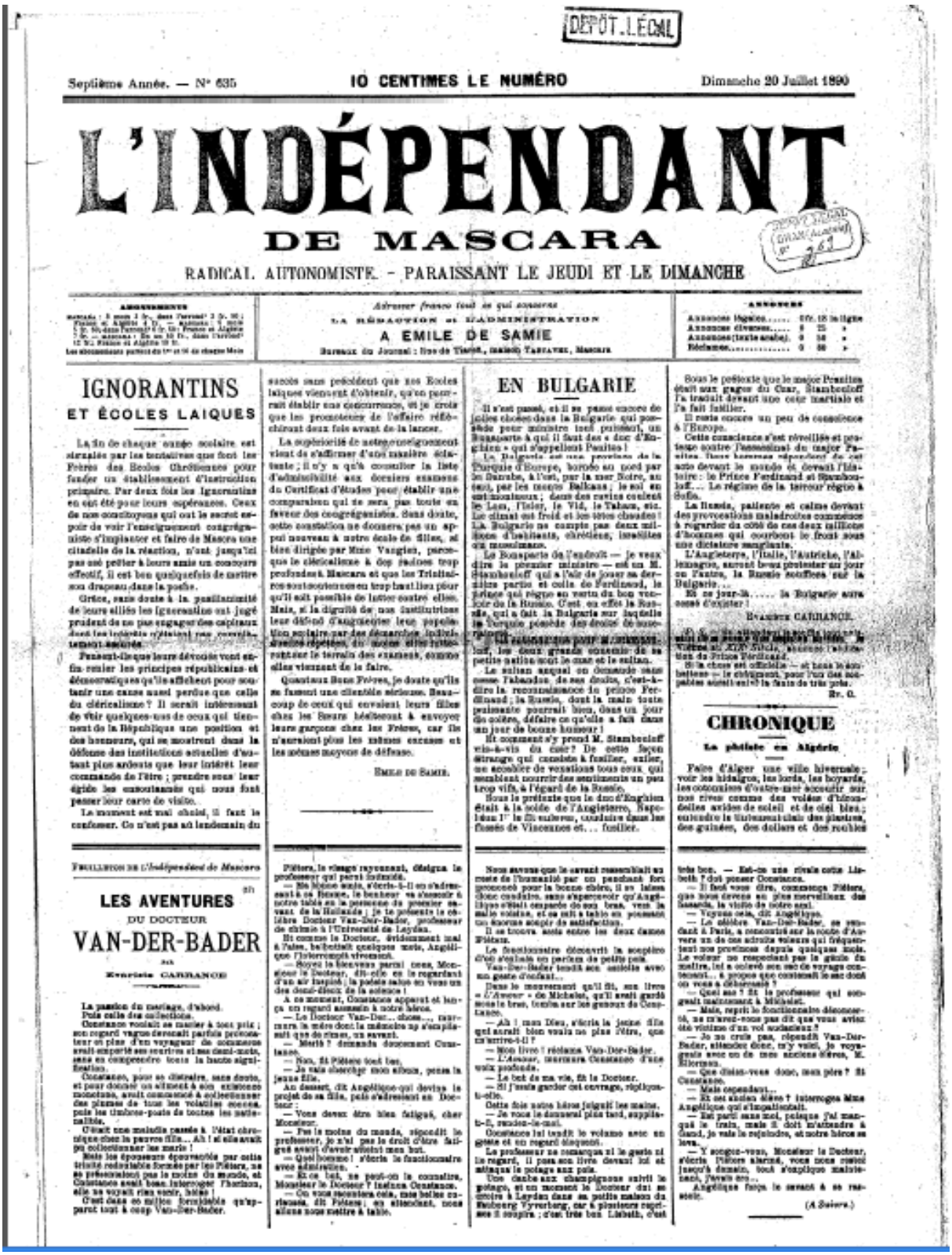

DÉPÔT LÉGAL

Septième Année. — N° 635 | 10 CENTIMES LE NUMÉRO | Dimanche 20 Juillet 1890

L'INDÉPENDANT
DE MASCARA

RADICAL. AUTONOMISTE. - PARAISSANT LE JEUDI ET LE DIMANCHE

ABONNEMENTS

Adresser francs tout ce qui concerne LA RÉDACTION et L'ADMINISTRATION A EMILE DE SAMIE

Bureaux du Journal : Rue de Tlemcen, maison Tabuyne, Mascara

ANNONCES

Annonces légales..... 0fr. 15 la ligne
Annonces diverses..... 0 25 »
Annonces (texte arabe). 0 50 »
Réclames..... 0 50 »

IGNORANTINS ET ÉCOLES LAIQUES

La fin de chaque année scolaire est signalée par les tentatives que font les Frères des Ecoles Chrétiennes pour fonder un établissement d'instruction primaire. Par deux fois les Ignorantins en ont été pour leurs espérances. Ceux de nos concitoyens qui ont le secret espoir de voir l'enseignement congréganiste s'implanter et faire de Mascara une citadelle de la réaction, n'ont jusqu'ici pas osé prêter à leurs amis un concours effectif, il est bon quelquefois de mettre son drapeau dans sa poche.

Grâce, sans doute à la pusillanimité de leurs alliés les Ignorantins ont jugé prudent de ne pas engager des capitaux dont les intérêts n'étaient pas couverts, tenant compte

Pensent-ils que leurs dévoués vont enfin renier les principes républicains et démocratiques qu'ils affichent pour soutenir une cause aussi perdue que celle du cléricalisme ? Il serait intéressant de voir quelques-uns de ceux qui tiennent de la République une position et des honneurs, qui se montrent dans la défense des institutions actuelles d'autant plus ardents que leur intérêt leur commande de l'être ; prendre sous leur égide les ennemis nés qui nous font passer leur carte de visite.

Le moment est mal choisi, il faut le confesser. Ce n'est pas au lendemain du succès sans précédent que nos Ecoles laïques viennent d'obtenir, qu'on pourrait établir une concurrence, et je crois que les promoteurs de l'affaire réfléchiront deux fois avant de la lancer.

La supériorité de notre enseignement veut de s'affirmer d'une manière éclatante ; il n'y a qu'à consulter la liste d'admissibilité aux derniers examens du Certificat d'études pour établir une comparaison qui ne sera pas toute en faveur des congréganistes. Sans doute, cette constatation ne donnera pas un appui nouveau à notre école de filles, si bien dirigée par Mme Vaugien, parce que le cléricalisme à dos radicaux trop profondément à Mascara et que les Trinitaires sont toujours trop haut lieu pour qu'il soit possible de lutter contre elles. Mais, si la dignité de nos institutrices leur défend d'augmenter leur popularité scolaire par des démarches individuelles répétées, du moins elles n'hésiteront pas à descendre sur le terrain des examens, comme elles viennent de le faire.

Quoiqu'en disent les Frères, je doute qu'ils se fassent une clientèle sérieuse. Beaucoup de ceux qui envoient leurs filles chez les Sœurs hésiteront à envoyer leurs garçons chez les Frères, car ils n'auraient plus les mêmes excuses et les mêmes moyens de défense.

Emile de Samie.

EN BULGARIE

Il n'est passé, et il ne passe encore de jolies choses dans la Bulgarie qui possède pour ministre intérimaire, un Bonaparte à qui il faut des « duc d'Enghien » qui s'appellent Pauites !

La Bulgarie est une province de la Turquie d'Europe, bornée au nord par le Danube, à l'est, par la mer Noire, au sud, par les monts Balkans ; le sol en est montueux ; dans des ravins coulent le Lom, l'Iskor, le Vid, le Tabacu, etc. Le climat est froid et les étés chauds ! La Bulgarie ne compte pas deux millions d'habitants, chrétiens, israélites ou musulmans.

Le Bonaparte du Sud-ouest — je veux dire le premier ministre — est un M. Stambouloff qui a l'air de jouer sa dernière partie et colle de Ferdinand, le prince qui règne en vertu du bon vouloir de la Russie. C'est en effet la Russie, qui a fait la Bulgarie sur laquelle la Turquie possède des droits de suzeraineté.

Et naturellement pour M. Stambouloff, les deux grands ennemis de sa petite patrie sont le czar et le sultan.

Le sultan auquel on demande sans cesse l'abandon de ses droits, c'est-à-dire la reconnaissance du prince Ferdinand ; la Russie, dont la main toute puissante pourrait bien, dans un jour de colère, défaire ce qu'elle a fait dans un jour de bonne humeur !

Et comment s'y prend M. Stambouloff vis-à-vis du czar ? De cette façon étrange qui consiste à fusiller, exiler, ne accabler de vexations tous ceux qui semblent nourrir des sentiments un peu trop vifs, à l'égard de la Russie.

Sous le prétexte que le duc d'Enghien était à la solde de l'Angleterre, Napoléon Ier le fit enlever, conduire dans les fossés de Vincennes et... fusiller.

Sous le prétexte que le major Panitza était aux gages du Czar, Stambouloff l'a traduit devant une cour martiale et l'a fait fusiller.

Il reste encore un peu de conscience à l'Europe.

Cette conscience s'est révoltée et proteste contre l'assassinat du major Panitza. Tous hommes répondent de cet acte devant le monde et devant l'histoire : le Prince Ferdinand et Stambouloff... Le régime de la terreur règne à Sofia.

La Russie, patiente et calme devant des provocations maladroites commence à regarder du côté de ces deux millions d'hommes qui courbent le front sous une dictature sanglante.

L'Angleterre, l'Italie, l'Autriche, l'Allemagne, auront beau protester un jour ou l'autre, la Russie sacrifiera sur la Bulgarie.....

Et ce jour-là..... la Bulgarie aura cessé d'exister !

Evariste CARRANCE.

CHRONIQUE

La phtisie en Algérie

Faire d'Alger une ville hivernale ; voir les hidalgos, les lords, les boyards, les cotonniers d'outre-mer accourir sur nos rives comme des volées d'hirondelles avides de soleil et de ciel bleu ; entendre le tintement des pièces, des guinées, des dollars et des roubles

---

FEUILLETON DE *L'Indépendant de Mascara*

(2)

LES AVENTURES DU DOCTEUR VAN-DER-BADER

par

Evariste CARRANCE

La passion du mariage, d'abord.

Puis celle des collections.

Constance voulait se marier à tout prix ; son regard vague devenait parfois pénétrant et un plus d'un voyageur de commerce avait emporté ses courtes mais demi-mots, sans en comprendre toute la haute signification.

Constance, pour se distraire, sans doute, et pour donner un aliment à son existence monotone, avait commencé à collectionner des plumes de tous les volatiles connus, puis les timbres-poste de toutes les nationalités.

C'était une maladie passée à l'état chronique chez la pauvre fille... Ah ! si elle avait pu collectionner les maris !

Mais les épouseurs épouvantés par cette triste redoutable formée par les Pélérs, ne se présentaient pas le moins du monde, et Constance avait beau interroger l'horizon, elle ne voyait rien venir, hélas !

C'est dans ce milieu favorable qu'apparut tout à coup Van-der-Bader.

Pélérs, la visage rayonnant, désigna le professeur qui parut intimidé.

— Ma bonne amie, s'écria-t-il en s'adressant à sa femme, le bonheur va s'asseoir à notre table en la personne du premier savant de la Hollande ; je te présente le célèbre Docteur Van-Der-Bader, professeur de chimie à l'Université de Leyden.

Et comme le Docteur, évidemment mal à l'aise, ne bougeait quelques mots, Angélique l'interrompit vivement.

— Soyez la bienvenu parmi nous, Monsieur le Docteur, dit-elle en le regardant d'un air inspiré ; la patrie salue en vous un des demi-dieux de la science !

A ce moment, Constance apparut et lança un regard assassin à notre héros.

— Le Docteur Van-Der... chose..., murmura la mère dont la mémoire ne s'emplissait que de rimes, on savait.

— Marth ? demanda doucement Constance.

— Non, fit Pélérs tout bas.

— Je vais chercher mon album, pensa la jeune fille.

Au dessert, dit Angélique qui devina le projet de sa fille, prie s'adresser au Docteur :

— Vous devez être bien fatigué, cher Monsieur.

— Pas le moins du monde, répondit le professeur, je n'ai pas le droit d'être fatigué avant d'avoir atteint mon but.

— Quel homme ! s'écria le fonctionnaire avec admiration.

— Et ce but, ne peut-on le connaître, Monsieur le Docteur ? insinua Constance.

— On vous montrera cela, mais belles curieuses, dit Pélérs ; en attendant, nous allons nous mettre à table.

Nous savons que le savant connaissait un coeur de l'humanité par un pendant fort prononcé pour la bonne chère, il se laissa donc conduire, sans s'apercevoir qu'Angélique s'était emparée de son bras, vers la salle voisine, et sa mit à table en poussant un énorme soupir de satisfaction.

Il se trouva assis entre les deux dames Pélérs.

Le fonctionnaire découvrit le sanctuaire d'où s'exhalait un parfum de petits pois.

Van-Der-Bader tendit son assiette avec un geste d'enfant...

Dans le mouvement qu'il fit, son livre « *L'Amour* » de Michelet, qu'il avait gardé sous le bras, tomba sur les genoux de Constance.

— Ah ! mon Dieu, s'écria la jeune fille qui aurait bien voulu ne plus Pélérs, que m'arrive-t-il ?

— Mon livre ! réclama Van-Der-Bader.

— *L'Amour*, murmura Constance d'une voix pochée.

— Le fait de ma vie, fit le Docteur.

— Si j'osais garder cet ouvrage, répliqua-t-elle.

Cette fois notre héros joignit les mains.

— Je vous le donnerai plus tard, supplia-t-il, rendez-le-moi.

Constance lui tendit le volume avec un geste et un regard éloquent.

Le professeur ne remarqua ni le geste ni le regard, il posa son livre devant lui et attaqua le potage aux pois.

Une demi-heure après champignons suivit le potage, et un moment le Docteur dut se croire à Leyden dans sa petite maison du Rapenburg Vyverberg, car à plusieurs reprises il soupira ; c'est très bon Lisbeth, c'est très bon. — Est-ce une cuisine cette Lisbeth ? doit penser Constance.

— Il faut vous dire, commença Pélérs, que nous devons au plus merveilleux des hasards, la visite de notre ami.

— Voyons cela, dit Angélique.

— Le célèbre Van-Der-Bader, se rendant à Paris, a rencontré sur la route d'Anvers un de ces accidents voiture qui fréquentent nos provinces depuis quelques mois. Le voiturier un rouquemard par la grâce du maître, lui a enlevé son sac de voyage contenant... à propos que contenait le sac dont on vous a débarrassé ?

— Quoi sac ? fit le professeur qui songeait maintenant à Michelet.

— Mais, reprit le fonctionnaire désorienté, ne m'avez-vous pas dit que vous aviez été victime d'un vol audacieux ?

— Je ne crois pas, répondit Van-Der-Bader, attendez donc, m'y voici. Je voyageais avec un de mes anciens élèves, M. Ellerman.

— Que disiez-vous donc, mon père ? fit Constance.

— Mais cependant...

— Et ces chiffres dites ? interrogea Mme Angélique qui s'impatientait.

— Je partis sans moi, puisque j'ai manqué le train, mais il doit m'attendre à Gand, je vais le rejoindre, et notre héros se lève.

— Y songez-vous, Monsieur le Docteur, s'écria Pélérs alarmé, vous nous restez jusqu'à demain, tout s'explique maintenant, j'avais eu...

Angélique fixa le savant à en rougir.

(*A Suivre.*)

المصدر: www.gallica.bnf.fr.

3- جريدة لوريفاي دي مسكرا (Le Réveil de Mascara):

31e Année N° 2512 — PARAISSANT LE SAMEDI — Samedi 5 Février 1910

5 Centimes — **LE RÉVEIL** — 5 Centimes

DE MASCARA

Journal de la défense des Intérêts de la région & Organe Officiel du "Syndicat Professionnel, Agricole & Viticole de l'arrondissement de Mascara"

ABONNEMENTS — Mascara ..... 1 an 6 fr. — Départements d'Oran et d'Alger .. — 7 fr. — de Constantine et France — 8 fr. — Les Abonnements sont payables d'avance

Directeur : P. MUSELLI Fils

RÉDACTION & ADMINISTRATION : 2, Rue de Séville

LE RÉVEIL DE MASCARA est désigné pour l'insertion des annonces Légales, Judiciaires et autres exigées pour la validité des procédures et contrats

ANNONCES — Légales ..... 0 f. 10 la ligne — Diverses et commerciales ..... 0 35 — — Texte annexe ..... 1 50 — — Réclames ..... à forfait.

Mascara, le 4 Février 1910

La Façon de donner..

C'était inévitable. Il y avait une faute à commettre : le pape n'en manque pas l'occasion. Il envoie trente mille francs aux sinistrés français ; mais il les donne sans convenance et sans délicatesse, les accompagnant d'un petit sermon qui est à la fois une réprimande et un boniment.

Ecoutez plutôt *L'Osservatore Romano*, organe officiel du Vatican :

Après avoir parlé des sympathies du monde entier pour Paris, il ajoute que cette angoisse est vive surtout chez les catholiques « plus spécialement et depuis longtemps attristés à cause d'autres calamités dont souffre le généreux peuple de France et qui échappent aux yeux profanes ».

« Nous faisons des vœux, continue cette feuille, pour que cette douloureuse épreuve fasse renaître plus vive, chez le peuple de France, sa foi, sa tradition nelle piété et les dernières lumières que le ministre Viviani se proposait d'éteindre dans son firmament. Ce dernier, à cette heure, a dû se résigner à ne voir éteindre, par la fureur des eaux envahissantes, que les lumières du Parlement déjà si souvent vacillantes dans la plus noire obscurité ».

Déjà, *La Croix* avait essayé, il y a quelques jours, d'exploiter, au profit de sa thaumaturgie, les malheurs de Paris. A ses débonnaires lecteurs, elle aussi montrait un rapport de cause à effet entre la politique anticléricale et la crue de nos fleuves.

« Tandis que ministres et députés, disait-elle le 23 janvier, s'évertuaient tristement à soutenir la thèse antichrétienne de l'exclusion de Dieu, Dieu entr'ouvrait les cataractes du ciel et presque toute la France submergeait le terrible fléau de l'inondation ».

Mais il avait fallu bientôt en rabattre, l'inondation ayant gagné les caves et noyé les machines du très catholique journal et démontré ainsi que le Dieu de charité, auteur du fléau, était singulièrement injuste ou remarquablement aveugle.

Mais *La Croix*, ce n'était que *La Croix*, c'est-à-dire un organe de polémique indépendante, un des mille journaux catholiques de la chrétienté. Mais *L'Osservatore Romano* c'est *L'Office* du Vatican : il est hors de doute que le pape lui-même a lu et approuvé les lignes qui font connaître et commentent le don d'argent consenti par lui.

Eh bien, le vicaire du Christ a manqué, dans la circonstance, de tact et d'esprit. La minute où l'on donne ce n'est pas le temps de faire de la morale et encore moins de la réclame. Et cette incorrection est aussi une maladresse, parce qu'elle aura blessé, irrité beaucoup de Français des plus pieux, des plus croyants, qui savent et pratiquent l'art de donner....

Quant à nous, mécréants, le procédé du pape nous choque, mais ne nous surprend pas. Nous l'enregistrons et nous répondons à l'organe officiel du Vatican :

C'est entendu. Les étoiles ont continué de briller au ciel, tandis que l'électricité s'éteignait par l'effet d'un fléau que votre Dieu nous envoya. Obscurité matérielle, dont la durée sera courte. Avant peu, le travail et la science rendront à la Ville Lumière toutes ses clartés. Mais il y a une nuit dont rien ne pourra dissiper l'opacité, c'est celle qui règne à jamais dans la cervelle de quelques ouvriers d'outremont.

Jean LABOUR.

La Réorganisation du Service de la Police en Algérie

Les grands journaux d'information de la Colonie ont annoncé la réorganisation du service de la police en Algérie. Voici en quoi consiste cette réorganisation, tel que cela résulte des instructions de M. le Gouverneur général à MM. les Préfets, Sous-Préfets, Maires, etc.

Le premier principe à retenir est que la réforme ne touche en rien les polices municipales qui continueront à fonctionner sans aucune modification. Les prérogatives des maires sont entièrement respectées.

Les attributions de la nouvelle police, dite police mobile, consistent, d'une part, dans une collaboration immédiate avec les parquets et tous les auxiliaires de la justice pour l'exercice de la police répressive et, d'autre part, dans la recherche et la constatation spontanées des flagrants délits, en vertu des pouvoirs propres d'officiers de police judiciaire conférés aux commissaires par le Code d'instruction criminelle.

Les enquêtes à caractère administratif et surtout à caractère politique leur sont rigoureusement interdites.

Le chef de la sûreté départementale concentre toute la police du département, police de sûreté et police mobile, ainsi est établie entre les différents services la cohésion qui faisait défaut. Le contrôle des étrangers est complété par un contrôle de recherches qui centralise à Alger tous les renseignements concernant les malfaiteurs avérés ou soupçonnés. Le contrôle de recherches fournit aux différents agents chargés de procéder aux arrestations toutes indications utiles. Pour ce faire, il constitue dans tous ses éléments le casier de police, lequel comprend : 1° des fiches de police et 2° des dossiers criminels.

Comme dans la Métropole, un bulletin de police contenant la liste des crimes et des délits commis sur tout le territoire algérien sera publié périodiquement et adressé aux différentes autorités de la Colonie, chargées de la recherche des malfaiteurs, à la direction de la Sûreté générale, à Paris, et aux services de police des grandes villes de France.

Le personnel du service anthropométrique est augmenté. Les stations d'Alger, d'Oran et de Constantine sont renforcées et une nouvelle station, avec service photographique est créée à Blida.

Un contrôle plus sévère est établi en ce qui concerne la vente des armes et munitions de guerre.

Il est créé une brigade de police mobile coloniale et des brigades de police mobile départementale.

La brigade de police mobile coloniale a compétence dans les trois départements. Elle a principalement pour mission de s'occuper des affaires présentant le caractère d'extrême urgence. Ses escadres devront toujours être prêtes à partir, de jour ou de nuit.

Les brigades de la police mobile départementale circulent continuellement dans toute l'étendue de leur circonscription. Elles ne doivent rencontrer qu'à la recherche et à la constatation des infractions qui intéressent la sécurité publique. Les commissaires de police mobile pourront, de leur propre mouvement, se rendre inopinément dans toutes les localités de leurs circonscriptions où les voleurs de bestiaux et autres vont écouler le produit de leurs vols. C'est un vaste champ ouvert à leur activité. J'attends des uns pour que la nouvelle organisation assure la sécurité de nos personnes et celle de nos biens.

AGRICOLA.

QUESTIONS DE PROTOCOLE

Les exigences et les fantaisies du Protocole ont plus d'une fois égayé la chronique. Bien que les rigueurs du cérémonial officiel se soient fort tempérées depuis le siècle où le Roi-Soleil ne se levait pas le bout du nez sans l'aide de satellites qui avaient seuls qualité pour tenir la cuvette d'or, où cet autre baigneur son royaume, le Protocole suscite encore de nos jours plus d'une difficulté et plus d'une amusante avanture.

On raconte que le prince Dolgorouki, invité au baptême du prince héritier de Roumanie, constata à la descente du train que ses bagages étaient restés en panne. Repérant un verbon à escrocs et en conquête de voyage le tzar de toutes les Russies, c'était une solution inadmissible et même inimaginable. On télégraphie, on téléphone et l'on apprend bientôt que les précieuses malles sont en souffrance dans une petite gare, à plus de cent kilomètres de Bucarest. On chauffe un rapide qui arrête la marche de dix trains réguliers et qui, à mi-chemin, rencontre un autre train spécial amenant les bagages.

Les valises arrivent juste à temps pour permettre à l'ambassadeur du Tzar de paraître à la fin de la cérémonie, revêtu de son plus brillant uniforme et de tous ses ordres.

Après le couronnement de Nicolas II à Moscou, le service des cérémonies de la Cour impériale avait fixé à une heure le train qui devait emmener l'ambassade française et à une heure et demie celui de l'ambassade allemande. Mais voici qu'au dernier moment, on s'avise que cette dernière mission, étant dirigée par le prince Henri de Prusse, proche frère de l'Empereur avait un droit de préséance sur la nôtre, présidée seulement par un officier général.

On intervertit les horaires, mais on néglige d'en informer les gares intermédiaires, en sorte qu'à chaque arrêt le prince Henri est salué par les échos retentissants de la Marseillaise.

POUR LES VICTIMES DES INONDATIONS

Le Maire de la ville de Mascara à l'honneur d'aviser la population qu'une souscription est ouverte en vue de venir en aide aux sinistrés des inondations qui désolent certaines régions de la France, à la suite des pluies torrentielles de ces derniers jours.

Des milliers de familles aisées ont été ruinées ; des ouvriers, des employés, des cultivateurs, sont réduits à la misère.

Les dégâts sont immenses. Les pertes essuyées sont incalculables.

Il est urgent de venir en aide à nos frères de France si éprouvés.

Les pouvoirs publics ont fait le premier effort.

Il appartient à tous ceux que le fléau n'a pas atteints de compléter leur œuvre de solidarité humaine.

Le Maire fait appel à tous les habitants de ce pays pour leur recommander cette souscription, certain qu'il tiendront à honneur de maintenir la réputation de générosité qu'ils ont acquise en secourant tant d'infortunes en France et à l'Etranger dans des circonstances comme celle que nous déplorons aujourd'hui.

Le Maire,
Louis GIRAUD.

Ecole Primaire Supérieure

DES GARÇONS
AVEC INTERNAT

EXTRAIT DU MAIRE

Le Conseil municipal s'est occupé, à diverses reprises, de l'opportunité à Mascara, de la création d'une Ecole Primaire Supérieure.

Après des pourparlers qui commencent à l'année 1905, dans la séance du 30 mai 1908, M. Airoldi était nommé rapporteur.

M. Airoldi déposait son rapport le 2 juillet 1909.

M. le Rapporteur de la question donnait lecture de ce document dans la séance du Conseil du 2 octobre 1909.

Il concluait à la nécessité pour la ville, de pourvoir au plus pressé, en achevant l'agrandissement des locaux scolaires des filles et de l'Ecole Maternelle insuffisants pour abriter tous les élèves et enfants susceptibles de les fréquenter. Il était donc d'avis de réserver cette création pour une époque ultérieure.

Il estimait de plus, que le seul emplacement qui convinssait un jour à l'Ecole Primaire Supérieure, était l'ancienne Cave Expérimentale.

Le Conseil Municipal préoccupé d'assurer tout d'abord l'aménagement, l'amélioration hygiénique et l'agrandissement des locaux actuels, a pensé avec son rapporteur, qu'on pourrait remettre à quelques mois, l'étude définitive d'un projet qu'elle n'a jamais perdu de vue.

Depuis, l'Administration Communale a poursuivi l'agrandissement de l'Ecole des filles qui a coûté la somme de 48.038 fr. 51.

Il a été créé un logement pour la directrice et une classe nouvelle ; on a agrandi les autres classes.

L'Ecole Maternelle s'est vue doubler par la création de deux nouvelles classes.

J'étudie en ce moment la création d'un préau et d'une classe nouvelle à cette école. Le projet sera soumis au Conseil pour le vote des crédits nécessaires.

Mon administration étudie encore la construction d'une seconde Ecole Maternelle à l'Argoub. Ce projet fait l'objet de pourparlers avec l'Autorité Académique, qui demande un logement pour la directrice.

Vous aurez sous peu à vous prononcer sur la question de la contribution financière de la ville. C'est dire que le projet sera sur pied sous peu, pour être soumis à l'Académie d'Oran.

Quant au projet de l'Ecole Mixte de Bab-Ali, il a été établi depuis longtemps par le service des bâtiments communaux et la dépense totale ne devait pas dépasser la somme de 81.000 fr. 00, avec contribution par la ville d'une part de 31.000 fr. 00.

Ce projet nous a été renvoyé récemment avec des instructions qui nous obligent à le retoucher et à en diminuer le prix de 16.000 fr.

Ce projet ne doit pas engager une dépense supérieure à 65.000 francs, d'après ces instructions.

Il sera difficile au service compétent de donner pleine et entière satisfaction aux exigences de l'Autorité Académique, en restreignant la dépense à engager. Néanmoins mon bureau d'Architecture s'est mis à l'œuvre et j'espère pouvoir bientôt le dossier d'une création d'école qui s'impose dans ce quartier si populeux, dépourvu de tout établissement de ce genre.

La commune de Mascara a fait de gros sacrifices, dans ces dernières années, pour l'Instruction publique. Le Conseil municipal soucieux d'obtenir un équilibre parfait de son budget, ne peut pas envisager la création des deux écoles Primaires Supérieures des garçons et des filles *à réaliser en une seule fois*. Il craignait de compro mettre cet équilibre obtenu, dans un pays pauvre en ressources, com-

المصدر : www.gallica.bnf.fr.

جريدة لوريبيبليكان (Le Republican)

Troisième Année. — N° 151 — Le Numéro CINQ Centimes — Jeudi 19 Mai 1904

LE REPUBLICAIN

Journal Républicain. Autonomiste, Antijuif

PARAISSANT A MASCARA LE JEUDI ET LE DIMANCHE

ABONNEMENTS : MASCARA ... Un an : 6 fr. Six mois : 3 fr. — SÉRIE ... — 7 fr. — 4 fr. — FRANCE : Port en sus

Pour ce qui concerne l'Administration et la Rédaction, s'adresser A L'IMPRIMERIE DU JOURNAL, RUE DE SEVILLE N° 3

Le Républicain est autorisé à publier les annonces légales et judiciaires

ANNONCES : Légales ... 0 fr. 15 — Diverses ... 0 fr. 15 — Réclame ... 1 fr. 00

Mascara, le 18 Mai 1904

Regard en arrière

Un confrère mascaréen, émule impérieux du *Rire*, du *Pêle-Mêle* et autres journaux amusants, habile à obtenir de mille façons variées l'épanouissement des rates, la délectation des heures d'ennui, vient de l'emporter sur les meilleures couveuses artificielles dans l'art délicat d'amener l'éclosion rapide des œufs de canard.

Le triomphe de la liste Robert à 30.000 voix de majorité, l'écrabouillement de MM. Giraud, Vinci et autres « rectificationnaires », premiers produits d'une verve qui s'ignore, doivent être, aujourd'hui, considérés comme de timides essais.

Oyez.

Il faudrait être d'une insigne mauvaise foi pour nier le triomphe, dans toute la province comme à Paris, de la politique ministérielle. C'est partout une déroute complète infligée à la réaction (lisez aux républicains libres et indépendants), c'est partout le triomphe de la République.

L'« insigne mauvaise foi » est, par définition, l'état, la manière d'être du mammifère vertébré connu en zoologie sous le nom de « républicain indépendant ».

L'aigle vit dans l'air, la salamandre dans le feu, la sardine dans l'eau de mer, l'araignée dans la cervelle de Muselli, la Vérité au fond du puits, le républicain indépendant dans la mauvaise foi insigne.

Toutefois on le reconnaîtra, admettre aveuglément « le triomphe en France et en Algérie, sauf à Mascara » (à toi Robert !) des idées ministérielles et jacobines, ce n'est pas plus dur que de croire à l'Immaculée Conception.

Encore que le Gouvernement, comme Jenny l'Ouvrière, soit résolu à se contenter de peu, il faut qu'il y mette une bonne volonté particulière pour trouver dans les élections qui viennent de s'achever un grand motif de satisfaction.

La vérité est que le ministère Combes a éprouvé des échecs et de graves échecs tout à fait significatifs dans les villes importantes où plus qu'ailleurs il avait multiplié ses efforts pour tourner la lutte à son profit. Si Paris le comble d'aise, la province, n'en déplaise à notre confrère mascaréen, n'est pas faite pour lui causer la même joie.

Et il apparaît par les chiffres qu'un fort mouvement de réaction contre la politique sectaire s'est produit dans un grand nombre de centres importants de population.

Quand des villes comme Lille, Marseille, Bordeaux, Roubaix, Nantes, Nancy, Caen, Orléans, Chartres, Saint-Nazaire, comptent parmi celles qui se sont nettement prononcées contre le ministère ; quand des villes, anciennement acquises au radicalisme, comme Aix, Perpignan, Frejus, Montpellier, se détachent du bloc ; quand des villes comme Alger avec M. Altairac, Oran avec M. Gobert, Constantine avec M. Morinaud, Mascara avec M. Giraud, réclament avant tout une politique réellement progressiste et purement libérale, on peut dire qu'un courant contraire à la politique actuelle s'est manifesté aux élections dernières dans les cités les plus intelligentes et les plus considérables.

Aux élections des 1er et 8 mai se sont affrontées deux politiques : l'une s'inspirant des excès tyranniques de Combes et consorts, l'autre cherchant l'établissement de la République des Français, d'un Gouvernement où la Liberté sera égale pour tous et où la Fraternité ne sera pas une chimère.

Ainsi tendent à se constituer, de plus en plus nettement, les deux grands partis qui seuls demeureront en présence dans un avenir prochain : le parti des ambitieux, des perturbateurs, des fanatiques sectaires, et le parti des vrais libéraux, des hommes calmes, ennemis des troubles et de la discorde !

PAUL DESAILLY.

A un Maître-Chanteur

Nous avons accusé M. Fontanilles Séverin, directeur de l'école du Beylick, d'avoir écrit, sous le pseudonyme de Pierre du Progrès, des articles infâmes contre la Ville.

Nous l'avons accusé d'avoir touché six cents francs d'une compagnie étrangère pour nous faire cette campagne.

Nous l'avons accusé d'être un maître-chanteur...

A quand notre comparution en Cour d'Assises ?

PALINODIES JUDAISANTES

Nous donnons ci-après des extraits du *Progrès* et du *Réveil* sur la question du Conseil des Prud'hommes, qu'agitaient si maladroitement et avec tant de mauvaise foi MM. Robert et Muselli.

Le public jugera et verra jusqu'à quel point ces gens-là cherchent à farder la vérité :

Du *Progrès* du 9 avril 1904 :

Nous avons dit qu'il ne fallait pas perdre tout espoir et que le Gouvernement pouvait passer outre à l'avis du Conseil d'Etat.

M. Giraud est de notre avis.

Mais nous différons sur le point de savoir quand la création du Conseil des Prud'hommes sera autorisée.

M. GIRAUD AFFIRME QUE S'IL EST RÉELU, CETTE CRÉATION AURA LIEU ; NOUS AFFIRMONS LE CONTRAIRE.

LE GOUVERNEMENT NE VEUT FAIRE AUCUNE FAVEUR A UNE TELLE ADMINISTRÉE PAR DES GENS QUI LE DIFFAMENT ET L'INSULTENT TOUS LES JOURS.

Nous n'ouvrons rien et M. Giraud le reconnaît lui-même ; il avoue que tous les projets qu'il a conçus ne reçoivent aucune exécution et que les pouvoirs publics lui refusent obstinément toute satisfaction.

Quel aveu terrible pour lui et ses collègues du Conseil municipal !

Quel aveu d'impuissance !

IL EST DONC AVÉRÉ, PATENT, QU'IL SUFFIT QUE M. GIRAUD DEMANDE QUELQUE CHOSE POUR QU'UN REFUS IMMÉDIAT LUI SOIT OPPOSÉ.

Et nous conviendrons une fois le Municipalité ?

Ce serait la dernière des hontes.

Du *Réveil* du 7 avril 1904 :

Ouvriers, sachez que ce sont des incapables et leur incapacité est notoire puisqu'il l'avoue eux-mêmes (RÉPUBLICAIN du 3 avril). Ainsi voilà des gens dont le devoir le plus élémentaire, s'ils s'intéressent réellement au bien être de la classe ouvrière, est d'hâter la solution des affaires pendantes intéressant les ouvriers et qui ignorent encore si le Conseil d'Etat a donné un avis favorable ou défavorable au projet de création d'un Conseil de Prud'hommes à Mascara, et alors pour masquer leur incapacité ils tombent à bras raccourcis sur leurs ennemis politiques, en les accusant d'avoir fait échouer le projet.

Enseignement et Politique

Il est bon, alors que les faits sont là, patents, indéniables, de notoriété publique, de coucher, sur les feuillets de l'histoire, l'attitude plus ou moins correcte de certains membres de l'enseignement pendant cette dernière période d'existence.

A tout seigneur tout honneur.

Nous avons vu précédemment sur la place publique, pérorant, discourant dans les cafés, un homme que, seul, un commencement de calvitie et de bedonnance faisant ressembler à Francisque Sarcey, c'était M. Bolelli, inspecteur primaire, transformé en courtier électoral, employant le temps qu'il doit à ses fonctions et l'influence que sa situation lui donne sur le personnel enseignant, à faire une propagande effrénée contre une Municipalité envers laquelle il serait bien en peine de spécifier un reproche.

Cette attitude belliqueuse, si bien accentuée, était elle une conséquence de ses convictions ?

M. Bolelli avait-il l'outrecuidante prétention de sauver la République mise en danger par nous ?

Il serait tourné au ridicule s'il osait le prétendre.

Non, ce ne sont ni ses convictions ni son amour pour la République qui ont déterminé cette attitude chez lui. C'est tout simplement un bon appétit : obtenir, à défaut de réels talents, par son servilisme envers les hommes au pouvoir, le poste d'inspecteur d'académie.

M. Bolelli semble ignorer et nous le lui rappelons, en cas, que ses fonctions sont de surveiller les écoles où vont les enfants de parents appartenant à toutes les opinions

المصدر : www.gallica.bnf.fr.

لا ليبرتي دي مسكرا (La Liberté de Mascara)

LA LIBERTÉ

TROISIÈME ANNÉE — N° 115

(Petites Affiches Mascaréennes)

Journal Républicain Indépendant, Organe des Intérêts de l'Arrondissement

TÉLÉPHONE 0.12 — Henri CHAZAUD, Directeur-Gérant

Mascara, le 27 Octob., 1906

VARIÉTÉS

LES BLEUS

Les « Bleus » sont arrivés : gais et joyeux ils ont pris le chemin du quartier.

Grandes ruches un instant presque vides, les casernes se remplissent à nouveau de bruit et de mouvement.

Là-bas à la ville et au village les mamans ont le cœur gros et ont peine à contenir leurs larmes ; deux ans ! c'est l'éternité pour une mère. Le beau gas qui s'en va, elles tremblent de ne plus le revoir.

Lui, le conscrit insouciant, quelque peu fanfaron, curieux aussi de cette existence nouvelle qu'il va vivre et que les anciens ne lui ont fait voir qu'à travers le prisme de leurs exagérations et de leurs gasconnades, il affiche un héroïsme facile qui se retrempe en des libations nombreuses et s'affirme en des chants plus bruyants qu'harmonieux.

Cette exaltation tombée, l'ivresse passagère dissipée, les portes de la caserne se seront refermées sur lui : tondu, habillé, matriculé, il sera soldat.

S'il a de l'énergie, de la bonne volonté et autre chose que de la flanelle dans les jambes, les petites misères du métier, les fatigues de la vie de troupier ne l'effraieront pas, il supportera cela gaiement, il fera simplement et facilement son devoir de citoyen et les deux ans se tireront tout de même.

Il trouvera, d'ailleurs, au régiment, à de rares exceptions près, des chefs instruits et bienveillants, une discipline paternelle quelquefois même trop douce, trop lénitive et s'il est « bouclé » et essayé il pourra faire son « mea culpa » et reconnaître dans son for intérieur, qu'il est un fichu soldat.

Un fichu soldat ne fait pas en général un citoyen bien recommandable : être mauvais soldat, c'est manquer de ressort, d'énergie, de volonté. Or, à notre époque ce sont des qualités indispensables à qui veut faire sa trouée dans la vie ; celui qui reste en route aux manœuvres, qui n'est pas capable du moindre effort physique, se couchera aussi dans le fossé, au bord de la route parfois rude de l'activité humaine.

Et c'est pour cela que le régiment est aujourd'hui une école précieuse d'énergie qui doit former non seulement des soldats prêts à défendre suivant la tactique la plus moderne, le sol de la patrie, mais aussi des hommes d'action et de volonté prêts à jouer leur rôle dans la lutte économique si vive entre les nations.

Le temps des vieilles culottes de peau et des vieilles badernes est passé et, quoi que fasse la réaction, il y a maintenant dans l'armée, une majorité d'officiers sincèrement républicains qui va tous les jours en augmentant.

Aussi le bon sens français qui ne perd jamais ses droits a-t-il fait bonne justice des élucubrations antimilitaristes de quelques idéologues exaltés et inconscients. Partout les conscrits ont répondu à l'appel ; pas une note discordante ne s'est élevée. C'est la meilleure preuve que le pays n'est pas encore disposé au suicide et qu'il se rend compte que la meilleure garantie de ses libertés et de sa dignité nationale, c'est le nombre de ses armées et la puissance de ses escadres.

(Le Tell).

Bulletin Politique

LE Nouveau Ministère

Malgré le très vif regret que nous avons de voir quitter la rue Dominique à M. Etienne, nous pouvons bien dire que ses amis et lui, c'est-à-dire les modérés du bloc Républicain, ont ce qu'ils méritent, car ils sont bien les artisans de leur élimination de la direction des affaires.

S'ils sont chassés du pouvoir, ils n'ont qu'à s'en prendre à eux-mêmes.

De surenchères électorales en surenchères électorales, ils se sont laissés entraîner et les voici aujourd'hui spectateurs, impuissants, de la débâcle de leur parti.

Nous ne saurions trop le répéter, c'est une excellente leçon pour ces hommes qui ne peuvent faire que « mea culpa », ayant toujours donné leur approbation aux actes de certains ministres des partis extrêmes, alors qu'il leur était facile de les arrêter par de sages conseils.

Mais, il n'y a pas lieu pourtant, de se montrer trop inquiet de l'escalade de M. Clémenceau.

Son premier acte a été un défi jeté à l'opinion publique.

Le choix du général Picquart a été, en effet, très sévèrement jugé, même dans les groupes radicaux.

Ce tombeur de ministères ne saurait voir vivre le sien. Et, dans les milieux politiques tout le monde s'accorde pour penser ainsi.

Il fallait que les groupes extrêmes goûtent un peu du pouvoir.

Plus vite ils y seront, plus vite nous en serons débarrassés !

Cette comédie ne saurait durer.

POIGNÉE DE NOUVELLES

Nouveau chant national

Voici « l'Internationale » contre la « Marseillaise ».

Il y a quelques jours, au Trocadéro, [illegible]

[illegible]

M. Hervé se trouvant parmi ces victimes résolut de jouer à la fois le rôle d'inculpé et d'avocat. En cette double qualité, il se présenta devant son juge.

On aurait pu attendre une vibrante plaidoirie ; on eut de simples conclusions. C'est la mode. Elles sont longues. C'est encore la mode.

[illegible] « l'Internationale » [illegible] « Marseillaise », que jouait une musique militaire, n'est faire injure à personne, pas même à la « Marseillaise », que l'article 479 du Code pénal n'a pas voulu protéger comme un fétiche ».

M. le commissaire de police Bézégorth, ministère public, frappé de ce raisonnement, s'est empressé d'abandonner le délit de tapage injurieux pour ne retenir que celui de trouble dans un concert, et le juge de paix qui avait renvoyé le prononcé de son jugement au 24 octobre, les a condamnés à 5 fr. d'amende.

La monnaie de nickel

On étudie, à la monnaie de Paris, le nouvelles pièces de cinq et dix centimes, elles seront en nickel. [illegible]

[illegible]

Les économies commencent

M. Clemenceau qui devait être un ministre économe par excellence, commence par créer, sans se soucier de l'approbation des Chambres, un deuxième ministère.

Bien entendu il va falloir au nouveau ministre une armée de secrétaires, d'attachés, de chefs, de sous-chefs de bureau, etc., etc.

Ce sont les économies qui commencent.

Et dire qu'il manque près de « quatre milliards » pour boucler le budget !

L'antimilitarisme tue

Décidément les idées de M. Hervé ne portent pas bonheur à ceux qui les font leur.

La propagande antimilitariste compte un cadavre de plus.

Ce ne sera pas, sans doute, le dernier.

[illegible] Auguste Dousses, antimilitariste militant, n'avait pas rejoint son corps d'affectation. Sa famille l'y décida pourtant, [illegible] de ce qu'il avait fait [illegible] sans même avoir rejoint son régiment. Recherché par la gendarmerie, qui avait découvert sa retraite, le malheureux s'est pendu dans une cave.

[illegible]

FICHETTES.

HUMEUR... FINANCIÈRE

On pourra ne pas se souvenir des paroles que prononça M. Poincarré dans les dernières heures qu'il fut Ministre.

Beaucoup les attribueront, peut-être, au dépit de perdre un maroquin ; d'autres, plus sages, verront en M. Poincarré, un homme sincère et loyal qui préférât quitter le pouvoir plutôt que de « jouer un rôle », comme il le dit si bien, « dans une pure comédie ».

Voici, en effet, ce qu'a dit M. Poincarré des causes qui l'obligèrent à quitter le ministère des Finances.

Ces causes montrent à quel péril nous mène ce parlementarisme du bloc qui ne se soucie aucunement de la valeur des hommes au pouvoir et fait les élections des bureaux et des commissions de la Chambre qu'en s'inspirant du point de vue politique, [illegible]

[illegible]

« Moi, j'ai voulu à tout prix faire un budget d'une sincérité absolue, rétablissant l'équilibre réel, avec des surtaxes nouvelles, que je ne croyais pas pouvoir fixer à un chiffre inférieur à 120 millions. La commission, au contraire, a écarté presque systématiquement tous les impôts que j'avais proposés, sauf un, — l'impôt sur les absinthes. — La commission ayant diminué fictivement certaines dépenses, comme les crédits du ministère du commerce pour les primes à la marine marchande, j'ai trouvé que c'était là une pure comédie, dans laquelle il m'a semblé préférable de ne plus accepter de rôle

« D'autre part, la commission a cru devoir majorer les recettes de la façon la plus artificielle. Ainsi figurez-vous qu'elle a relevé de 27 millions — vous entendez, de 27 millions ! — les évaluations des recettes des postes et télégraphes, alors que nos renseignements, dûment contrôlés, je vous prie de le croire, ne nous permettent pas d'avoir le moindre espoir d'une ré-

المصدر: www.gallica.bnf.fr.

الملحق رقم 08: صور لبعض مساجد وزوايا معسكر:

1- جامع الكرط بمدينة معسكر

2- مسجد المبايعة (عين البيضاء)

3- المسجد الكبير

المصدر: الموقع الإلكتروني:http://mascara29.forumactif.org

4- زاوية الشيطنة:

قائمة المصادر والمراجع

أولا: الأرشيف

1. أرشيف ما وراء البحار بإكس أن بروفانس (Aix En Provence) بفرنسا.

Série 2U. Culte Musulman.

- 2U 06 : Projets d'arrêts de Nominations et l'évocation Souvins par l'A.C.M l'approbation du G.G.A (transmis par le Préfet (1908 – 1932).
- 2U 14 : Bibliothèques de Mosquées (1894 – 1920).
- 2U 17, Affaires Générales et Collectives (1868-1955) Arrondissement de Mascara.
- 2U 18 : Affaires Générales et Collectives (1868-1955) Arrondissement de Mascara.

Série : 5I

- 5I 157 Monographie de l'arrondissement, Monographies des Communes, Monographies politiques des Communes 1952, Affaires locales diveres Arrondissement de Mascara 1910 – 1911 et 1942 – 1958.

Série : 9 H, (Surveillance politique des indigènes).

- 9H46, Surveillance politique des indigène – ouléma – Congrès musulman Algérien.

2. أرشيف ولاية وهران: (A.W.O**)**

- Carton 2260.I 12.
  - Marabout – Oulémas.
  - Dossiers sur le congrès musulman.
  - Activités des Oulémas en Oranie.

- Carton 4063 – I 14, Scouts Musulmant (1941 -1944) Renseignement généraux : Tlemcen, Oran, Mascara, Relizane, Mostaganem, Ain Témouchant, Sidi-Bel-Abbes, Tiaret.
- Carton 4064 – I 18, Enseignement privé des indigènes Oranie (1903 – 1922).
- Carton 4473 – I 5.
  - Politique indigène enquete générale (1918 – 1922).
  - Partis politiques musulmans (Auot 1938 - Octobre 1943).
- Carton 4475 – I 9.
  - Surveillance Politique des indigènes : état d'isprit (1935).
  - Parti des Peuple Algérien : ordre général (1937 – 1944).
  - Centre d'Information - Renseignement (1939 – 1942).
- Carton 4477- I 9, P.P.A – ordre général (1937 – 1944).
- Carton 4480 I11- Etat d'esprit des populations musulmanes : divers (1937-1944) : Tiaret, Mostaganem, sidi Bel Abbes, Mascara, Tlemcen- 02/12/1940- 2145.
- AP 114 à 123, Annuaire de l'Education Nationale du Département d'Oran (A p 122), Année 1954.
- BP 201, L'activité indigène dane le département d'Oran 1937 à 1940.
- BP - 201, L'activité indigène dane le département d'Oran 1941 à 1945 + 1947

3. أرشيف بلدية معسكر:

- Archive Commune de Mascara (Etat civil), extrait du Registre – Matrice, N° 9582.

4. أرشيف مديرية أملاك الدولة لولاية معسكر:

- Archive la conservation foncière de la Wilaya de Mascara, Acte N° 13, Vol 2263.

5. أرشيف مديرية الشؤون الدينية والأوقاف لولاية معسكر– مصلحة الإرشاد الأوقاف والزكاة، **ملف الزوايا.**

ثانيا: المصادر والمراجع.

1. المخطوطات:

- محمد ثابتي: شجرة نسب أولاد سيدي احمد بن علي، مخطوط بخزانة السيد أحمد ثابتي، معسكر.

2. المصادر بالغة العربية:

- ابن حوقل النصيبي أبي القاسم: صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت، لبنان 1992.
- إتيين (برنو): عبد القادر الجزائري، تر ميشيل خوري، ط 01، دار عطية للنشر، لبنان، 1997.
- الأمير عبد القادر: مذكرات الأمير عبد القادر (سيرة ذاتية) تح محمد الصغير بناني وأخرون، ط 04، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2004.
- البكري (أبو عبيد الله): المغرب في ذكري إفريقية والمغرب، جزء من كتاب المسالك والممالك، مكتبة المثنى، بغداد، دون تاريخ.
- بن خلدون (عبد الرحمن): ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج 7، دار الفكر، بيروت لبنان، 2000.
- بن سحنون (أحمد بن محمد الراشدي): الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح المهدي البوعبدلي، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، مطبعة البعث الجزائر 1973.

- حماني (أحمد): الصراع بين السنة والبدعة أو القصة الكاملة للسطو بالإمام الرئيس عبد الحميد بن باديس، ج 02، دار البعث للنشر، الجزائر، بدون تاريخ..

- حمدان بن عثمان (خوجة): المرآة، تح محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر 2006.

- الزياني (محمد بن يوسف): دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تح الشيخ المهدي البوعبدلي، ط 1، علم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر 2013.

- الشريف (الإدريسي): نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، المجلد الأول، المكتبة الثقافية الدينية، القاهرة 2002

- الصم (منور) : مذكرات المجاهد منور الصم، مطبعة بوعروج، الجزائر 2011.

- العربي (المشرفي): ياقوتة النسب الوهاجة في ضمنها التعريف بسيدي محمد بن علي مولى مجاجة، تح حمدادو بن عمر، بوعمامة العربي ، الطبعة الأولى 1432هـ – 2011م، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر.

- كربخال (مرمول): إفريقيا، ج 02، تر محمد حجي، محمد زينبر، محمد الأخضر، أحمد توفيق، دار نشر المعرفة، الرباط، 1989.

- محمد (بن عبد القادر الجزائري): تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، ج 1، تح ممدوح حقي، دار ثالة، الجزائر 2007 .

- محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي: مقدمة الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية، تح بوهليلة إدريس، الجزء الأول، دار أبي الرقراق للطباعة والنشر الرباط 2005.

- المختاري (الطيب بن مختار الغريسي): القول الأعم في بيان أنساب قبائل الحشم، تحقيق بلهاشمي بن بكار، مطبعة بن خلدون، تلمسان،1961.
- المراكشي (ابن عذاري): البيان المعرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، تحقيق ليفي بروفنسال وس.ج كولان، بيروت باريس 1948.
- المزاري (الآغا بن عودة): طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق يحي بوعزيز، ج 01، دار الغرب الإسلامي، لبنان 1990.
- مسلم (بن عبد القادر الوهراني): تاريخ بايات وهران المتأخر أو خاتمة أنيس الغريب والمسافر، تح رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1974.

3. المصادر بالغة الأجنبية:

- A. Vincent : Le choléra D'Après Les neuf épidémies qui ont régné A Alger depuis 1835 jusqu'en 1865, Paris.
- Achille Fillias : Géographie physique et politique de l'Algérie, deuxième édian 1873.
- Adrien Ber brugger : Relation de L'expédition de Mascara, Paris 1836.
- Charles Henry Churchill : la Vie D'Abd-el- Kader, 2 Edition, S.N.E.D, Alger 1974.
- Colonel Niox : Géographie Militaire Algérie et Tunisie, Libraires Militaire de L. Baudoin, paris 1890.

- Dela Blanchere (R) : voyage dans une partie de la Mauritanie césarienne, Paris imprimerie national, 1883.
- Demaeght (L) « Notes géographiques et archéologiques » B.S.G.A.O,7, 1887.
- Dr. Dommartin, DU Paludisme en Algérie, Imprimerie Librairie BEUN, BATNA 1900.
- E. Daumas : Correspondance du Capitaine Daumas, Consul à Mascara 1837-1839, Publier par Georges YVER, Alger, 1912,
- E. Pellissier: Annales Algériennes, Tome 03, Librairie Militaire , Paris 1854.
- Ernest Mercier : histoire de l'Afrique septentrionale, Tome troisiéme, paris 1891.
- Fabre (A): « Decoverte d'une milliaire a Saint-Denis du Sig » B.S.G.A.O 31. 1911
- Grammont H- D :quel est le lieu de la mort d'Aroudj Barberousse, Revue Africaine, volume 22, Année 1878.
- J. Gasser et Claude Petit et Roux Freissineng, Le livre D'or de L'oranie, Edition de Afrique du Noud Hlustrée, Août 1925.
- J. Pichon : Abd-el-kader Sa Jeunesse Son Role Politique et Religieux Son Rohe Militaire Sa Captivité, Sa Mort (1807-1883), Edition Militaire, Paris 1899.
- J.C.Crespin, La Fièvre Typhoïde dans les Pays chauds, Librairie J.-B. Baillière et Fils, paris 1901.

- Jacquetou Augustin Bernard et Stéphane Gsell : Algérie et Tunisie ce guide a été rédigé, librairie Hachette, paris 1909.
- L. Grandeau, Journal D'agriculture Pratique Moniteur des comices des propriétaires des fermière, Tome 05, Année 1903.
- Léon Galibert : Histoire de L'Algérie ancienne et Moderne, Furne et C Librairie Edition, paris 1843.
- Lethieullieux (J) : les sites Romains en Oranie, Notes manuscrites, Oran,1989..
- Louis Rinn : Marabouts et Khouans Etude sir l'Islam en Algérie, Imprimeur de L'académie, ALGER, 1884.
- M. F. M. Audouard, Histoire du Choléra-Morbus, Imprimerie de Dezauche, Paris 1836.
- M. Lucien Camus, Rapport Général par L'académie de Médecine sur les Vaccination et Revaccination, Masson et C^{le} , Editeurs, Paris 1931.
- M.F.M Audouard, histoire du choléra-Morbus, imprimerie de Dezauche, Paris 1836.
- Malva (M-V) : "Aquae sirenses" B.S.G.A.O,46 ,1926 .
- Mission scientifique du Maroc : Archives Marocaines, Editeur Ernest Leroux, Paris 1907.
- Mourice Poulard : L'Enseignement Pour les Indigène en Algérie, Imprimerie Administrative Gojossou, Alger 1910.

- Niel. (O) : géographie de L'Algérie. Tome 1, principaux libraires de l'Algérie 1876.
- P. Forgeot, Traité des Maladies infectieuses et Contagieuses D'origine Microbienne des Animaux Domestiques, Tome 03, Publication Pierre Johanet.
- P. Roge Duvollet : chez nous les Africains, Alger et Algérois, Oran, Oranie et Sud Oranies, Constantinoises, Maroc , Tunis et Tunisie, Sahara, Tome 10.
- Paul Azen : les grands soldate de l'Algérie , Publication de Comité National Métropolitain du Centenaire de l'Algérie.
- Paul Révoil, Tableau Général des Communes de L'Algérie, Imprimerie V^{ve} Giralt, Alger 1902.
- Paul-Albert Février : Approches du Maghreb Romain,I Paris Edition 1989.
- R. Lespes, les Troupes indigènes de L'Algérie ou service de la France, Tirailleurs, Spahis, Goumiers, Sahariens, imprimerie Minerva, Alger.
- Rozet et Carette : L'univers ou Histoire et Description de tous les peuples, de leurs religions, mœurs, coutumes, Editeurs Firmin Didot frères, Paris 1850.
- Stéphane GSELL, Histoire ancienne de l'Afrique du Nord. T1, librairie Hachette S.D, PARIS 1880.
- Thomas Shaw : voyage dans la régence d'Alger, traduite l'anglais par J. Mac carty, paris 1830.

– Victor Piquet, La Colonisation Française dans L'Afrique (Algérie – Tunisie – Maroc), Librairie Armand Colin, Paris 1914.

4. المراجع باللغة العربية:

- إبراهيمي (ك) : تمهيد حول ماقبل التاريخ في الجزائر، ترجمة محمد البشير شنيتي، رشيد بورويبة، المطبعة الشعبية للجيش، الجزائر 2007.

- أندري جوليان (شال): تاريخ إفريقيا الشمالية تعريب محمد مزالي، بوسلامة بشير، الدار البيضاء التونسية للنشر، تونس 1969.

- الإيلاني المصمودي (صالح بن عبد الحليم): مفاخر البربر، تحقيق بوباية عبد القادر، مؤسسة البلاغ النشر والدراسات والبحوث، الجزائر 2013

- بلهاشمي (بن بكار): كتاب مجموع الحسب والنسب والفضائل والتاريخ والأدب، تلمسان، مطبعة ابن خلدون، 1961.

- بن أشنهو (عبد اللطيف): تكون التخلف في الجزائر (محاولة لدراسة حدود التنمية الرأسمالية في الجزائر بين عامي 1830 و1962)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1979.

- بن الأمير (محمد): تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والامير عبد القادر، شرح وتعليق ممدوح حقي، الجزء الأول، دار ثالة، الجزائر 2007.

- بن داهة (عدة): الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض إبان فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830 – 1962، ج 01، المؤلفات للنشر والتوزيع (المسيلة) الجزائر، 2013.

- بن داهة (عدة): الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض إبان فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830– 1962، ج 02، المؤلفات للنشر والتوزيع (المسيلة) الجزائر، 2013.

- بن داهة (عدة): رحلة في رحاب دولة الأمير، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر 2014.

- بن داهة (عدة): معسكر عبر التاريخ، الطبعة الأولى، دار الخلدونية،الجزائر 2005.

- بن نعوم (صلاح الدين): القطف الداني في مناقب أولاد سيدي أحمد بن علي الثعباني، النشر الجامعي الجديد، الجزائر 2019.

- بوداود (عبيد) وأخرون: معسكر المجتمع والتاريخ، كتاب جماعي، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، الجزائر 2014.

- بوصفصاف (عبد الكريم): جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطوّر الحركة الوطنيّة الجزائرية 1931 – 1945، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر 2009.

- بوصفصاف (عبد الكريم): جمعية العلماء المسلمين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى (1931 – 1945) المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر 1996.

- البوعبدلي (المهدي): تاريخ المدن، جمع وتقديم عبد الرحمن دويب، الطبعة الأولى، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

- بوعزيز (يحي): أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، الجزء الثاني، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2009.

- بوعزيز (يحي): الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري سيرته الذاتية وجهاده، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2009.

- بوعزيز (يحي): المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2009.

- بوعزيز (يحي): المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2009.

- بوعزيز (يحي): بطل الكفاح الأمير عبد القادر الجزائري، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2009.

- بوعزيز (يحي): سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية من 1830 إلى 1954، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2009.

- بوعزيز (يحي): موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، الجزء الأول، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

- بوكعبر (تقي الدين): تفسير سورة الفاتحة للشيخ أبي رأس الناصري المعسكري من خلال مخطوط الإبريز والإكسير في علم التفسير، دار ألفا للوثائق، الجزائر 2021.

- بوكعبر (تقي الدين): المجموع الميسر لمدونة الأنساب والتراجم بفضاء الراشدية معسكر، ط 01، دار السادة المالكية، المدية (الجزائر) 2022.

- بونابي (الطاهر): التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7 الهجريين 12 و 13 الميلاديين (نشأته – تياراته – دوره الاجتماعي والثقافي والفكري والسياسي)، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2004.

- بوهند (خالد): الشيخ محمد سعيد الزموشي حياته الدينية والسياسية 1904 – 1960، ط 01، دار رشاد للطباعة والنشر، الجزائر 2018.

- بوهند (خالد): النخب الجزائرية دراسة تاريخية واجتماعية 1892 – 1942، دار القدس العربي، وهران 2015.

- بير بروجر (أدريان): رحلة وفد فرنسي لمقابلة الأمير في البويرة (1837 – 1838)، تر أبو القاسم سعد الله، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر 2006.

- تركي (رابح): التعليم القومي والشخصية الجزائرية 1931 – 1956، ط 02، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

- تركي (رابح): الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر 2009.

- جاكر (لحسن): الحركة الوطنية في معسكر 1930 – 1945، دار القدس العربي، الجزائر 2015.

- جاكر (لحسن): نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مدينة معسكر 1931 – 1956، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر 2003.

- جلالي (محمد): معسكر ومناقب أئمتها في القرن العشرين، دار ابن خلدون للنشر والتوزيع، تلمسان، الجزائر، (بدون تاريخ).

- جلول (جيلالي): العقد النفيس في ذكر أعلام غريس، منشورات دار الأديب، الجزائر 2007.

- جلول (جيلالي): معسكر رجال تاريخ، منشورات دار الأديب، الجزائر، 2006.

- الجيلالي (عبد الرحمن بن محمد): تاريخ الجزائر العام، ج1، ط 2، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت 1965.

- جيلالي بلوفة (عبد القادر): الحركة الاستقلالية في عمالة وهران خلال الحرب العالمية الثانية 1939-1945، دار نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع (قسنطينة)، الجزئر، 2013، ص131.

- جيلالي بلوفة (عبد القادر): حركة انتصار الحريات الديمقراطية: الخروج من النفق من اكتشاف المنظمة الخاصة إلى اندلاع الثورة التحريرية (1950 – 1954) عمالة وهران، ط 01، دار الألمعية للنشر والتوزيع، الجزائر 2011.

- الجيلاني بن عبد الحكم العطافي (عتبة): المرآة الجلية في ضبط ما تفرق من أولاد سيدي يحي بن صفية وفي التعريف بمشاهير العلماء ورجال المعاهد الصوفية، تح حسين جيلالي بن فرج، دار النعمان للطباعة والنشر، الجزائر 2018.

- حرب (أديب): التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري 1808 – 1847، ج 01، ط3، دار الرائد للكتاب، الجزائر.

- حساني (مختار): تاريخ الدولة الزيانية (الأحوال الاجتماعية) الجزء الثالث، منشورات دار الحضارة، الجزائر 2009.

- حساني (مختار): تاريخ الدولة الزيانية (الأحوال الإقتصادية والثقافية) الجزء الثاني، منشورات دار الحضارة، الجزائر 2009.

- حساني (مختار): موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية (مدن الغرب)، ج 04، ط 2، دار الحكمة، الجزائر 2012.

- الحسن الفضلاء (محمد): المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر (القطاع الوهراني)، ج 02، دار غرناطة للنشر والتوزيع، الجزائر 2015.

- الحسن الفضلاء (محمد): من أعلام الإصلاح في الجزائر، ج 03، دار هومة، الجزائر 2002.

- حلوش (عبد القادر): سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر 2010.

- حليمي (عبد القادر): جغرافية الجزائر (طبيعية، بشرية، اقتصادية)، ط 02، مطبعة الإنشاء دمشق (سوريا)، 1968.

- الخطيب (أحمد): جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985.

- الخطيب (أحمد): حزب الشعب الجزائري، ج 01، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986.

- خياطي (مصطفى): الأوبئة والمجاعات في الجزائر، تر حضرية يوسفي، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 2013.

- خياطي (مصطفى): الطب والأطباء خلال الفترة الاستعمارية، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر 2013.

- دودو (أبو العيد): الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر سنة النشر.

- روبير أجيرون (شارل): تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير 1954، المجلد الثاني، تر. محمد حمداوي وابراهيم صحراوي، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2013،.

- روبير أجيرون (شارل): تاريخ الجزائر المعاصرة، تر عيسى عصفور، الطبعة الأولى، منشورات عويدات، بيروت–باريس، 1982.

- زروقة (عبد الرشيد): جهاد بن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر (1913 – 1940)، ط 01، دار الشهاب بيروت (لبنان) 1999.

- زوزو (عبد الحميد): محطات في تاريخ الجزائر دراسات في الحركة الوطنية والثورة التحريرية على ضوء وثائق جديدة، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر.

- سحنون (محمد): ماقبل التاريخ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1999.

- سعد الله (أبو القاسم): تاريخ الجزائر الثقافي (1830 – 1954)، ج 07، ط 1، دار الغرب الإسلامي، لبنان 1998.

- سعد الله (أبو القاسم): تاريخ الجزائر الثقافي (1830 – 1954)، ج05، ط 01، دار الغرب الإسلامي، لبنان 1998.

- سعد الله (أبو القاسم): تاريخ الجزائر الثقافي، ج، 03 (1830 – 1954)، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي 1998.

- سعيدوني (ناصر الدين): دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر (العهد العثماني)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984.

- شرف (عبد الحق): العربي بن عبد القادر بن علي المشرفي حياته وآثاره، ط 1، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2012.

- الشيخ (أبو عمران) و جيجلي (محمد): الكشافة الاسلامية الجزائرية (1935 – 1955)، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2008.

- الشيخ (أبو عمران) وأخرون، معجم مشاهير المغاربة، الطبعة الثانية، مؤسسة صونيام، الجزائر 2013.

- صاري (الجيلالي)، قداش (محفوظ): المقاومة السياسية 1900–1945 الطريق الثوري والطريق الإصلاحي، تر عبد القادر بن حراث، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر 1987.

- صبحي (حسان): العقيدة التربوية الاستعمارية الفرنسية في الجزائر 1830–1962، منشورات أنوار المعرفة، الجزائر، 2013.

- الطالب (عبد الرحمن): الكتاتيب القرآنية بندرومة من 1900 إلى 1977، ديوان المطبوعات الجامعية 1983.

- طالبي (عمار): ابن باديس حياته وأثاره، ج 02، المجلد الثاني، ط 03، الشركة الجزائرية، الجزائر 1997م.

- عباد (صالح): الجزائر خلال العهد التركي 1514–1830، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2012

- عبد الرحمن بن محمد (الجيلالي): تاريخ الجزائر العام، ج3، الطبعة السابعة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994.

- العربي (إسماعيل): المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، ط 02، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982.

- علوان (أمال): دور الحركة الكشفية الإسلامية في نشاط الحركة الوطنية الجزائرية بالغرب الجزائري مابين 1936 و1954، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008.

- الفرقان (حسن): أدبيات الأوبئة في مغرب القرن التاسع عشر، نموذج أقوال المطاعين في الطعن والطواعين للعربي المشرفي ط 1، دار التوحيدي، المغرب 2014.

- فغرور (دحو) وأخرون: فلسفة المقاومة، دار الخلدونية، الجزائر، 2017.

- القاسمي الحسني (عبد المنعم): أعلام التصوف في الجزائر من البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى، دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع، المسيلة (الجزائر) 2005.

- القاسمي الحسني (عبد المنعم): زاوية الهامل مسيرة قرن من العطاء والجهاد 1862 – 1962، درار خليل القاسمي للنشر والتوزيع، الجزائر 2009.

- مؤيد العقبي (صلاح): الطرق الصوفية والزوايا في الجزائر تاريخها ونشاطها، دار البراق، لبنان، 2002.

- مرّاد (علي): الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر من 1925 إلى 1940، تر محمد يحياتن، دار الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر 2007.

- مرزوق (خالد)، بن عامر (المختار): مسيرة الحركة الإصلاحية بتلمسان أثار ومواقف (1907 – 1931 – 1956)، دار زمورة للنشر والتوزيع، الجزائر 2013.

- مريبعي (سعيد): التغيرات السكانية في الجزائر (1936 – 1966)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984.

- مناصرية (يوسف): مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب 1832– 1847، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر سنة النشر.

- مهديد (ابراهيم): الحركة الوطنية الجزائرية في القطاع الوهراني فيما بين الحربين العالميتين 1919 – 1939 النهضة والصراع السياسي، دار القدس العربي، وهران 2015.

- مهديد (إبراهيم): القطاع الوهراني مابين 1850و 1919، منشورات دار الأديب، الجزائر، 2006.

- مهديد (إبراهيم): المثقفون الجزائريون في عمالة وهران خلال الحقبة الكولونيالية الأولى 1850 – 1912، منشورات دار الأديب، الجزائر 2006.

- مهيريس (مبروك): المساجد العثمانية بوهران ومعسكر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2009.

- مقلاتي (عبد الله): خريجو معهد عبد الحميد بن باديس بقسنطينة ودورهم في الثورة التحريرية، دار العلم والمعرفة، الجزائر 2013.

- نويهض (عادل): معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط 02، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت (لبنان) 1980.

- هلال (عمار): الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام (1847 – 1918)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2007.

5. المراجع باللغة الأجنبية

- Abdelkader Bendameche : Florilège ou l'œuvre réunie d'EL-Boudali Safir, ENAG Editions – Alger 2008.
- Abdelkader Bendameche : les grandes figures de l'art Musical Algérien, Tome 01, ENAG Editions – Alger 2008.
- Abdellatif Benachenhou : L'état Algérien en 1830, Ses institutions sous l'Emir Abdelkader, E.N.A.G, Alger, 2009.
- Adolph Vilhelm Dinesen : Abd-el-Kader et les relations entre les Français et les Arabes en Afrique du Nour, Edition ANEP Rouiba 2012.
- Benjamin Stora : Dictionnaire biographique de militants nationalistes Algérien, E.N.A., P.P.A., M.T.L.D (1926 – 1954), Editions L'Harmattan, Paris 1985.
- Benjamin Stora : Dictionnaire biographique de militants nationalistes Algérien, E.N.A., P.P.A., M.T.L.D (1926 – 1954), Editions L'Harmattan, Paris 1985.
- Charles Robert Ageron, Les Algériens Musulmans et la France 1871 – 1919, Tome second, EDIF 2000.
- Decret (F) , Fautar (M), L'Afrique du nord daus L'antiquité histoire et civilisation 2= Edition Paris, Payot, 1998.
- Dion Cassius : Histoire Romaine, les Belles lettres, Paris 1996.
- G. Espé de Matz, Vers l'Empire …, Edition Moderne – Librairie Ambert, Paris 2016.
- Gilbert Meynier: L'Algérie Révélée, Editions el Maarifa, Alger, 2010.

- Hassab Miloud Benkarama : Récit d'évènment durant la lutte armée Zone 6 wilaya 5, Mascara, Saida, Mémoires authentiques, Edition Dar El-Quds El-Arabi, Algérie 2014.
- Kamel Kateb : Européenne, Indigènes et juifs en Algérie (1830-1962), Edition eh Maarifa, Algérie 2010.
- Louis Abadie, Gilbert Leverone : Mascara de ma Jeunesse 1935-1962, Editions Jacques Gandini 2000.
- Louis Abadie, Mascara une certaine capitale, Edition El Ibriz, Algérie 2013.
- Mahfoud Kaddache : Histoire du nationalisme Algérien (1919-1939), Tome 1 Edition, EDIF, 2000, Alger.
- Marcal Benabou: la résistance Africaine a la romanisation, Paris, Maspero 1976.
- Mercel Emerit : L'Algérie à l'poque d'Abd-el-kader,Editions Bouchène 2002.

ثالثا: الرسائل والأطروحات الجامعية

1. أطروحات الدكتوراه:

أ. بالعربية

- بختاوي (خديجة): التحولات الاقتصادية والاجتماعية في عمالة وهران (1870 – 1939)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، جامعة وهران، 2011 – 2012.

- بودربالة (نور الدين): العائلات النافذة في بايلك الغرب 1792 – 1830 مقاربة اجتماعية سياسية، لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث، قسم العلوم الانسانية، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة معسكر، 2019/2018.

- بوزياني (فاطيمة الزهراء) : الحفائر الأثرية بمنطقة تلمسان دراسة المستكشفات والنتائج، لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ القديم، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان 2016 – 2017.

- دبي (رابح): السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر ودور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الرد عليها (1830 – 1962) دراسة نظرية تحليلية، أطروحة دكتوراه في علوم التربية، قسم علم النفس وعلوم التربية والأرطفونيا، جامعة الجزائر 02، 2010.

- رقاد (سعدية): المؤسسات العلمية في بايلك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني (1700–1830م)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، جامعة وهران، السنة الجامعية (2018–2019).

- زياني (فاتح): الواقع الاجتماعي والثقافي للمستوطنين الأوربيين في الجزائر (1871 – 1945) وأثره على الأهالي المسلمين، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الأثار، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2020.

- شرف (عبد الحق): الحسام المشرفي لقطع لسان الساب الجعرفي الناطق بخرفات الجعسوس سيء الظن الكنسوس، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الاسلامية، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، جامعة وهران 2010–2011.

- علامة (صليحة): الأحوال الصحية بالجزائر خلال الاحتلال الفرنسي من 1830 إلى 1962 – عمالة الجزائر نموذجا– أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة أبو بكر بالقايد (تلمسان) 2016–2017.

- قرمان (عبد القادر): عمران وعمارة مدينة معسكر في العهد العثماني دراسة أثرية، عمرانية ومعمارية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر02، (2014–2015).

- لزغم (فوزية): البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي (925هـ–1246م/ 1520–1830م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، جامعة وهران 2013–2014م.

- مجاهد (يمينة): تاريخ الطب في الجزائر في ظل الاستعمار الفرنسي 1830 – 1862، أطروحة مقدمة لنيل الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، جامعة وهران (2017–2018).

- محمد (ڤن): الجمعيات والنوادي الثقافية في مدينة الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي 1930– 1954، أطروحة مقدمة لنيل الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية، جامعة الجزائر 02، السنة الدراسية 2016 – 2017.

- مصدق (سمية): أشراف غريس من خلال مصادر النسب مابين القرنيين السابع عشر والتاسع عشر للميلاد(17–19م)، أطروحة مقدمة لنيل الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة معسكر 2015–2016.

ب. بالفرنسية:

- EL Korso (Mohammed): Politique et Religion en Algérie le cas de l'association des Ulémas Musulmans Algériens en Oranie 1931 – 1945, T1Thèse d'Histoire, Pris VII 1989.
- EL Korso (Mohammed) : Politique et Religion en Algérie le cas de l'association des Ulémas Musulmans Algériens en Oranie 1931 – 1945, T2 Thèse d'Histoire, Pris VII 1989.

2. رسائل الماجستير:

- بن العيفاوي (علي): مدينة معسكر ودورها في العهد العثماني، رسالة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر (2008–2009).
- حرشوش (كريمة): جرائم الجنرالات الفرنسيين ضد مقاومة الأمير عبد القادر في الجزائر من خلال أدبياتهم (1832 – 1847) رسالة لنيل شهادة ماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، جامعة وهران، 2017 – 2018.
- صدوقي (ستي): دراسة تنميطية للمصالح المحفوظة بالمتحف الوطني أحمد زبانة وهران، رسالة لنيل شهادة ماجيستير في التاريخ القديم، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، جامعة وهران (2006–2007).

- علوان (أمال): الحركة الكشفية الإسلامية بالعمالة الغربية سيدي بلعباس تلمسان – نموذجا– رسالة لنيل شهادة ماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة سيدي بلعباس 2005–2006.

- عليو (محمد): الحياة الاقتصادية والاجتماعية في منطقة معسكر خلال القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر الميلاديين (1701 – 1830)، رسالة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، كلية الآداب واللغات والعلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة معسكر (2008 – 2009).

- القورصو (محمد): تأسيس ونشاط جمعية المسلمين الجزائريين في عمالة وهران 1931 – 1935، رسالة الدراسات المعمقة في التاريخ، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، جوان 1977.

- الواليش (فتيحة): الحياة الحضارية في بايلك الغرب الجزائري في القرن الثامن عشر، رسالة لنيل شهادة ماجيستير في التاريخ الحديث، معهد التاريخ، جامعة الجزائر (1993 – 1994).

رابعا: المقالات

- **بالعربية:**

- بختاوي خديجة: النشاط السياسي لجمعية العلماء المسلمين في عمالة وهران مابين 1949 – 1954، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية والمتوسطية، المجلد السابع، العدد الأول، جوان 2021.

- بلال (ريم): الدور التربوي للمؤسسات الدينية قبل وبعد الاستعمار الفرنسي، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، العدد الثاني، جوان 2012.

- بلبراوات (بن عتو): إسهام العائلة المشرفية في الكتابة التاريخية، مجلة عصور الجديدة، العدد 3-4، عدد خاص 1432-1433/2011-1012.

- بلحاج (محمد): اتجاهات الهجرة في عمالة وهران، مجلة المواقف للدراسات في المجتمع والتاريخ، جامعة مصطفى اسطنبولي معسكر، العدد رقم 04، ديسمبر 2009.

- بلحاج محمد: اتجاهات الهجرة في عمالة وهران، مجلة المواقف، العدد رقم 04، ديسمبر 2009.

- بن داهة (عدة): الهجرة الألمانية إلى الجزائر خلال القرن 19م (1830 - 1900)، مجلة المواقف للدراسات في المجتمع والتاريخ، جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر، العدد رقم 04، ديسمبر 2009.

- بن معمر (محمد): حفريات في تاريخ قلعة هوارة من التأسيس إلى نهاية العصر الوسيط، مجلة المواقف للبحوث في الدراسات في المجتمع والتاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية جامعة معسكر، العدد 12، ديسمبر 2017.

- بونقاب (مختار): الطريقة الدرقاوية بالجزائر، الحوار المتوسطي، العدد 11-12 مارس 2016.

- جاكر (لحسن): الشيخ أحمد خليل رائد الحركة الإصلاحية في معسكر، مجلة الواحات للبحوث والدراسات التاريخية، العدد 21، جانفي 2014.

- جاكر لحسن: مدرسة معسكر للتربية والتعليم ودورها في تطوير التعليم العربي 1932-1956، مجلة عصور الجديدة، العدد الخامس، 1433هـ، 2012م.

- حمدادو (بن عمر): مراكز الإشعاع الثقافي وخزائن المخطوطات بالمغرب الأوسط، مجلة الحوار المتوسطي، جامعة سيدي بلعباس، العدد 3-4، مارس 2011-2012.

- ديدييه (راي): زمن التعليمات أو التناقضات كرة القدم الكولونيالية في الجزائر (1928 – 1945)، تر محمد داود، مجلة انسانيات، العدد 35، السنة 2006.

- سمراد (سمير): البطل الغيور محمد سعيد الزموشي الصائغي، (1904م – 1960م)، مجلة الإصلاح، السنة الثانية، العدد 10، رجب/شعبان 1429 هـ الموافق ل جويلية/أوت 2008.

- طاعة (سعد): الدور العلمي لزوايا ومساجد معسكر خلال الفترة الأخيرة من الحكم العثماني، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية، المجلد السادس، العدد 10 ديسمبر 2019.

- عصامي (سكينة): آليات ومناهج تعليم الكتاتيب بالجريد التونسي، مجلة البحوث التاريخية، المجلد الرابع، العدد الأول، مارس 2020.

- علوان أمال: محطات مضيئة من تاريخ فوج الأمل الكشفي لمدينة سيدي بلعباس، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، جامعة سيدي بلعباس، المجلد الأول، العدد الأول، 2009.

- قرمان (عبد القادر): المؤسسات الدينية والتعليمية بمعسكر ودورها في كتابة التاريخ الوطني خلال العهد العثماني، مجلة أثار، العدد 15، السنة 2016.

- محمد الصالح رمضان، تاريخ الكشافة الإسلامية الجزائرية، مجلة الثقافة، العدد 70، بتاريخ 01 أوت 1982.

- مصدق (سمية): استقطاب منطقة غريس للأشراف، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، جامعة معسكر، العددان 5 و6 جوان 2015/2014.

- مضوي (خالدية) : البنيان (Ala Miliaria) مدينة جزائرية من العالم القديم، مجلة كان التاريخية، العدد العاشر، السنة الثالثة، ديسمبر 2010.

- **بالفرنسية:**

- Bodin (M) : Notes et questions sur sidi Ahmed-Ben-Yousef, **Revue Africaine** N° 66, 1925.

- Boufassa (Sami) : L'énigme de la réalisation tardive du Théâtre de Bejaia à l'époque coloniale, Revue Jamaliyat, Volume 08, N° 01, 30/06/2021.

- La Revue de Parise, Dix-huitième Année, Tome Première, Janvier-Février 1911, Parise.

- Leclerc (Ch): inscription Arabes de Mascara (Mosquée d'Ain Beidha), Revue Africaine, Volume 04, Année 1859-1860.

- Revue de l'alliance nationale pour l'Accroissement de la Population française, N° 253, Aout 1933.

خامسا: الندوات والملتقيات

- بن داهة عدة: مساهمة الفرق الكشفية بمعسكر في جهود الحركة الوطنية الجزائرية، الندوة الوطنية الموسومة ب: دور الحركة الكشفية في المسار النضالي للحركة الوطنية وثورة التحرير الجزائرية، مخبر البحوث الاجتماعية والإنسانية، جامعة معسكر، الثلاثاء 17 أفريل 2018.

- مهديد ابراهيم: بعض عناصر التفكير لمقاربة الهجرات الجزائرية المعاصرة مشرقيا ومغربيا (البعد التاريخي والواقع الاجتماعي)، الملتقى الوطني حول الهجرة الجزائرية إبان مرحلة الاحتلال 1830 – 1962، 30-31 أكتوبر 2006، منشورات وزارة المجاهدين 2007.

سادسا: المنشورات المطبوعة.

- Annuaire Statistique de l'Algérie, 1911 -1945.
- Archives de L'institut Pasteur D'Algérie, 1923.
- Assemblées Financières Algériennes, 1932.
- Bulletin Official du Gouvernement Générale de L'Algérie 1900 - 1945.
- Conseil Général du Département D'Oran, 1877.
- Délégation Financières Algériennes, 1912 – 1936
- Exposé de la Situation Générale de Algérie 1886- 1937.
- Journal Officiel de la République Françai 1906 – 1962

سابعا: الجرائد والدوريات.

1. بالفرنسية:

- Journel Général 1897.
- l'Afrique du Noud 1913 – 1935.
- L'Artiste Méridional 1855.
- L'avenir de Mascara 1920 – 1925.
- L'Echo d'Alger 1912 – 1928.

- L’Echo d’Oran 1912 – 1938.
- L’Echo sportif de L’Oranie (1913).
- L’indipendant de Mascara 1885.
- L’Oranie Populaire 1937 – 1938.
- La Dépêche Algérienne 1946.
- la Liberté de Mascara 1904 – 1908.
- La Mutualité Algérienne 1911.
- Le Petit Mascarien 1899.
- Le Progrès de Chéliff 1921.
- Le Progrès de Mascara 1898 – 1914.
- Le Progrès de Mostaganem 1936.
- le Quotidien d’Oran 2006.
- Le Rappel Algérienne 1911.
- Le Republican de Mascara 1900 – 1904.
- Le réveil de Mascara 1898 – 1942.
- Le Temps 1913.
- Mascara-Cythére 1902.
- Oran Matin 1936.
- Oran Républicain 1937.

2. بالعربية:

- جريدة البصائر 1936- 1938.

- جريدة الجزائري 2000.

- جريدة الشهاب 1932 – 1936.

ثامنا: المقابلات الشخصية.

- مقابلة شخصية مع الأستاذ عزوط محمد إبن صاحب المدرسة القرآنية، تاريخ المقابلة 27 فيفري 2019، الساعة الحادية عشرة وثلاثون دقيقة.

- مقابلة شخصية مع محمد بن نعوم "مقدم الزاوية وأمين مكتبتها في عهد الشيخ سي البشير سلطاني" في بيته، يوم الثلاثاء 08 جوان 2021، الساعة الثانية زولا.

تاسعا: القواميس والموسوعات.

- م.ت. هوتسما، ت.و. أونولد، وأخرون، موجز دائرة المعارف الإسلامية، المجلد السابع عشر، تح إبراهيم زكي خورشيد، أحمد الشنتناوي وآخرون، مركز الشارقة للإبداع الفكري (الإمارات)، 1998.

عاشرا: المواقع الالكترونية:

- www.sophyaproductions.com: Mascara C'tait hier .. Avant 1962, Mas/M1, 965.

- www.gallica.bnf.fr.

- w.w.w. P-rubira.com.

http://mascara29.forumactif.org

فهرس الجداول

- **الجدول (01)** يوضح عدد سكان مدينة معسكر ما بين 1830 – 1841 47
- **الجدول (02):** خاص بعدد سكان دوائر عمالة وهران 85
- **الجدول (03):** يبين تطور عدد سكان مدينة معسكر مابين 1900–1931 87
- **الجدول (04):** يبين مجموع سكان دائرة معسكر في البلديات الكاملة الصلاحيات والبلديات المختلطة في سنتي 1921–1931 89
- **الجدول (05):** يوضح تمركز السكان في المناطق الحضرية والريفية..... 98
- **الجدول (06)** خاص بتعداد الجاليات الأوربية في جميع بلديات دائرة معسكر سنة 1921 100
- **الجدول (07):** خاص بالمواليد والوفيات بدائرة معسكر عند الجزائريين مابين 1915 – 1935 103
- **الجدول (08):** خاص المواليد والوفيات بدائرة معسكر عند الأوربيين مابين 1915 – 1935 105
- **الجدول (09):** يبين عدد المواليد في دوائر عمالة وهران مابين 1915– 1935.....106
- **الجدول (10):** يوضح شراء الجزائريين للأراضي الزراعية من الأوربيين في دائرة معسكر 119
- **الجدول (11):** خاص بعدد الملاكين الجزائريين والأوربيين للأراضي الزراعية في بلدية ديبلينو (حسين) ما بين (1922 – 1937) 121
- **الجدول (12):** يوضح الأراضي المصادرة للسيد بوقطاية بن يحي 124
- **الجدول (13):** يبين عدد الفلاحين بدون ملكية عقارية لبعض دواوير بلديات معسكر المختلطة وكاشرو المختلطة.....126
- **الجدول (14):** يبين عدد المرضى الخاضعين للعلاج في المستشفيات الفرعية لدائرة معسكر ما بين 1927 و 1936 163
- **الجدول (15):** خاص طلبات العمل للبطالين في مدينة معسكر في سنتي 1936 و1938.....168
- **الجدول (16):** يمثل حجم المساعدات المقدمة من طرف مكتب الإعانات الإسلامية للسكان الجزائريين بدائرة معسكر 178

- **الجدول (17):** يبين أسعار بعض المواد الغذائية في السوق السوداء لسنة 1943 بدائرة معسكر 181
- **الجدول (18):** يوضح عدد المهاجرين الجزائريين إلى سوريا بين سنتي 1910–1912، وعدد الذين رجعوا منهم بين سنتي 1912 – 1918 بدائرة معسكر 186
- **الجدول (19):** يوضح عدد الطرق الدينية والزوايا والمقدمين والأتباع بمعسكر سنة 1882 218
- **الجدول (20):** يبين انتشار المدارس القرآنية في بلدية معسكر المختلطة خلال سنة 1903 241
- **الجدول (21):** يوضح أهم المدارس الابتدائية في معسكر قبل سنة 1900.....253
- **الجدول (22):** يبين عدد التلاميذ الناجحين في شهادة الدراسات الابتدائية من الأوربيين والجزائريين في مدارس دائرة معسكر لسنة 1910.....257
- **الجدول (23):** يوضح عدد التلاميذ الأوربيين والجزائريين والإسرائليين من البنين والبنات في المدارس الابتدائية العليا بمعسكر ما بين (1928 – 1935) 262
- **الجدول (24):** يوضح أعضاء المجلس الإداري نادي الشبيبة الأدبية الأهلية 301
- **الجدول (25):** يوضح أعضاء المجلس الإداري شعبة جمعية العلماء المسلمين 312
- **الجدول (26):** يوضح عدد التلاميذ والمعلمين في المدارس الحرة بالمقاطعة الغربية .319
- **الجدول (27):** يبين عدد الحضور من الجزائريين لاحتفالات الخاصة بالذكرى الأولى للمؤتمر الإسلامي في معظم مدن العمالة.....326

فهرس الأشكال والرسومات البيانية

- **الشكل (01):** منحنى بياني يوضح نمو سكان مدينة معسكر ما بين 1830 1841 .. 47
- **الشكل (02):** دائرة نسبية توضح نسب السكان لدوائر عمالة وهران لسنة 1911 85
- **الشكل (03):** دائرة نسبية توضح نسب السكان لدوائر عمالة وهران لسنة 1936 85
- **الشكل (04):** منحنى بياني يوضح تطور سكان مدينة معسكر مابين 1900-1931. 87
- **الشكل (05):** أعمدة بيانية توضح عدد السكان الجزائريين والأوربيين في البلديات الكاملة الصلاحيات لدائرة معسكر سنة 1931..... 94
- **الشكل (06):** أعمدة بيانية توضح عدد السكان الجزائريين والأوربيين في البلديات المختلطة لدائرة معسكر سنة 1931..... 95
- **الشكل (07):** منحنى بياني يوضح عدد المواليد الوفيات لسكان دائرة معسكر عند الجزائريين مابين (1915-1935) 104
- **الشكل (08):** أعمدة بيانية توضح المواليد في دوائر عمالة وهران مابين 1915-1935 107.....

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات:

الإهداء

الشكر والعرفان

قائمة المختصرات

مقدمة..... 01

الفصل التمهيدي

لمحة تاريخية عامة عن معسكر قبل الاحتلال الفرنسي.

المبحث الأول: معسكر الجغرافيا والتاريخ..... 20

1- موقع وجغرافية معسكر..... 20

2- التطور التاريخي لحاضرة معسكر إلى نهاية الحكم العثماني 22

2-1 مرحلة ما قبل التاريخ 22

2-2 العهد الروماني 24

2-3 العهد الإسلامي..... 28

2-4 العهد العثماني..... 36

المبحث الثاني: الواقع الاجتماعي والثقافي في دولة الأمير عبد القادر..... 45

1. الواقع الاجتماعي 45

1-1 السكان..... 45

1-2 الوضع الصحي..... 48

1-3 الأخلاق والآداب العامة..... 51

1-4 الأسواق 52

2. الواقع الثقافي..... 55
2-1 واقع الحياة العلمية والثقافية 55
2-2 المؤسسات العلمية والثقافية..... 57
- معهد اللوزات..... 57
- معهد القيطنة..... 58
- زاوية الزلامطة..... 58
- معهد واد طاغية..... 59
2-3 العلماء والمشايخ الذين عاصروا الأمير..... 60
- الشيخ محمد بن عبد الله المشرفي 60
- أبو حامد العربي بن علي المشرفي 62
- الشيخ الطيب بن المختار الغريسي..... 63
- السيد محمد السعيد بن محي الدين..... 63
- أحمد بن التهامي..... 64
- مصطفى بن أحمد بن التهامي..... 64
المبحث الثالث: الاحتلال الفرنسي لمعسكر (1841) وأثره على الحياة الاجتماعية والثقافية 66
1. الاحتلال الفرنسي لمعسكر 66
2. الآثار الاجتماعية والثقافية للحملة الفرنسية..... 74

الفصل الأول

الواقع الاجتماعي بمعسكر 1900 – 1945

المبحث الأول: الوضع الديمغرافي للسكان 83

1. النمو السكاني: الكثافة والتطورات 83
2. التمركز السكاني..... 96
2-1 الجزائريون 96
2-2 الأوربيون 99
3. المواليد والوفيات 103
3-1 المواليد والوفيات عند الجزائريين..... 103
3-2 المواليد والوفيات عند للأوربيين 105
المبحث الثاني: التركيبة الاجتماعية: البنى والتحولات..... 108
1. البنية الاجتماعية في الريف..... 110
1-1 الفئة البورجوازية العقارية الكبرى..... 111
1-2 الفئة البورجوازية المتوسطة والصغيرة 118
1-3 الفئة الكادحة 122
2. البنية الاجتماعية في المدينة..... 126
2-1 الطبقة البورجوازية الكبيرة 128
2-2 الطبقة البورجوازية الصغيرة والمتوسطة 136
2-3 طبقة البروليتاليا (الكادحة) 141
المبحث الثالث: الوضع الصحي 142
1. الأوبئة والأمراض..... **143**
1-1 التيفوئيد (Typhoid) 143
1-2 الجُذَري (variole) 146
1-3 التيفوس (Typhus) 149
1-4 الملاريا أو حمى المستنقعات (Paludisme) 150

2.المؤسسات الصحية والأطر الطبية.....154
2-1 المستشفى العسكري.....155
2-2 المراكز الإستشفائية الخاصة بالأهالي.....157
2-2-1 المستوصف الملجأ بباب علي (Hospice Infirmerie) 157
2-2-2 عيادة باب علي الأهلية.....159
2-3 المستشفيات الفرعية (Hôpitaux Auxiliaires) 161
المبحث الرابع: المشاكل الاجتماعية 166
1. مشكلة البطالة.....166
2. تدهور الوضع الاجتماعي.....172
3. الهجرة وأثارها.....183

الفصل الثاني:

المؤسسات الإسلامية والتعليمية وفاعليتها في الحياة الثقافية بمعسكر 1900 – 1945

تمهيد.....192

المبحث الأول: المساجد: دورها التعليمي والثقافي 194

أ- **المساجد الرسمية**.....196

1. الجامع الكبير.....196

2. مسجد عين البيضاء.....202

3. مسجد سيدي بوسكرين.....204

4. مسجد سيدي علي أمحمد.....208

5.مسجد الكرط.....209

ب- **المساجد الحرة**.....210

المبحث الثاني: الزوايا ودورها التعليمي.....213
أ- تعريف الزاوية.....213
ب- نشاط الزوايا في معسكر 215
1. زاوية سيدي بن عبد الله شنتوف الدرقاوية.....218
2. الزاوية القادرية.....222
3. زاوية الشيخ سيدي بوعمران.....223
4. زاوية الزلامطة 226
5. زاوية الشيخ أحمد ابن الحبيب بسيدي قادة.....229
6. زاوية الدراويش الدرقاوية "زاوية الشيخ سي البشير".....230
7. زاوية مولاي محمد بن البغدادي.....232
8. زاوية الشيخ نجم الدين سيدي بن يحي الحسني.....233
9. الزاوية البوتشيشية القادرية.....233
المبحث الثالث: الكتاتيب القرآنية ونشاطها التعليمي والديني 235
المبحث الرابع: واقع التعليم الفرنسي الرسمي.....249
1. التعليم الفرنسي الرسمي ما بين 1830 – 1900 249
2. التعليم الفرنسي الرسمي ما بين (1900 – 1945) 253
2-1 المرحلة الأولى (1900 – 1925) 253
2-2 المرحلة الثانية (1925 – 1945) 257
أ- التعليم الابتدائي 257
ب- التعليم الاعدادي.....260
المبحث الخامس: النخبة ومساهمتها في النهضة العلمية والثقافية.....263
1. الشيخ بكارة بلهاشمي.....263
2. سعيد الزموشي.....266
3. البودالي سفير.....271
4. الحاج أحمد خليل.....276
5. الطاهر أحمد.....280

الفصل الثالث

الجمعيات والنوادي الثقافية والفنية والرياضية بين الفعل الثقافي والبعد السياسي

تمهيد: 286

المبحث الأول: الجمعيات والنوادي مابين 1900 – 1930.....288

1. جمعية البابا علَّية.....288
2. الجمعية الدينية الإسلامية (Association Cultuelle Musulman) 291
3. المولودية المعسكرية 292
4. الجمعية الأخوية.....293
5. النادي الإسلامي لكرة القدم (F C M) 297
6. نادي غالية معسكر.....298
7. نادي الشبيبة الأدبية الأهلية.....299

المبحث الثاني: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.....306

1. ظروف تأسيس شعبة الجمعية 306
2. تأسيس شعبة جمعية العلماء المسلمين 308
3. نشاط الجمعية.....311
   - النشاط الإصلاحي والتربوي والثقافي.....312
   - النشاط التعليمي.....314
   - النشاط السياسي.....319
4. موقف الإدارة الفرنسية من نشاط الجمعية.....326

المبحث الثالث: الكشافة الإسلامية 329

تمهيد.....329

1. تأسيس الفروع الكشفية.....329

- فوج الإقدام.....332
- فوج أشبال الكشافة الإسلامية.....333
- فوج السلام.....333
- فوج الشهاب 333
- فوج الوداد 335
- فوج الرشاد.....336

2. من رواد كشافة معسكر.....336
- قايد حسين.....336
- مداح قدور.....339
- بلقور حمزة 340

3. النشاط الكشفي: محليا وجهويا ووطنيا.....341

3-1 النشاط محلي.....341

ت.الثقافي والتربوي.....341

ث.دورها السياسي.....343

3-2 النشاط الجهوي والوطني.....348

المبحث الرابع: الجمعيات والمؤسسات الثقافية والإعلامية الفرنسية 354

تمهيد.....354

1. الجمعية الفنية (Association Artistique).....354

2. النشاط الكشفي الفرنسي.....357

3. المسرح الفرنسي.....360

4. الصحافة الكولونيالية.....362
- جريدة لوريفاي دي مسكرا (Le Réveil de Mascara) 363
- جريدة لانديباند دي مسكرا (L'indépendant de Mascara) 364
- جريدة لوبروڤري (Le Progrès) 364
- جريدة لوبتي مسكاريان (Le Petit Mascarien) 365

- جريدة لوريبيبليكان (Le Republican) 365
- جريدة مسكرا . سيثير (Mascara - Cythére) 365
- ليبرتي دي مسكرا (La Liberté de Mascara). 365
- لافونير دي مسكرا (L'avenire de Mascara) 366

الخاتمة 367

الملاحق 377

قائمة المصادر والمراجع 398

فهرس الجداول 430

فهرس الأشكال والرسومات البيانية 433

فهرس المحتويات 435

الملخص:

يعالج موضوع البحث جانبا هاما من تاريخ مدينة معسكر خلال الحقبة الاستعمارية الممتدة من 1900 إلى 1945، أي من مطلع القرن العشرين إلى نهاية الحرب العالمية الثانية، والذي تطرقنا فيه إلى التحولات التي شهدها الواقع الاجتماعي والثقافي في منطقة معسكر عامة والمدينة بصفة خاصة أثناء هذه الفترة، وذلك ضمن سياق التحولات العميقة التي عرفها المجتمع الجزائري أنذاك.

قسمنا الدراسة إلى محورين رئيسيين، المحور الأول تضمن الجانب الاجتماعي وتطرقنا فيه إلى الوضع الديمغرافي للسكان الجزائريين والأوربيين على حد سواء، وكثافتهم، وتمركزهم، وأيضا إلى التقسيم الاجتماعي الجديد للمجتمع المعسكري، كما وقفنا فيه على الأوضاع الصحية المزرية، والأمراض والأوبئة التي كانت منتشرة بكثرة في المنطقة مبرزين أسبابها والنتائج التي خلفتها، لنعرج في الأخير على المشاكل الاجتماعية المتمثلة أساسا في مشكل البطالة، والفقر، والهجرة.

أما الشطر الثاني من الموضوع الذي عالج الجانب الثقافي، فقد جاء الحديث فيه عن دور المؤسسات الدينية والتعليمية وفاعليتها في الحياة الثقافية من جهة، ومساهمة أعلامها ومشايخها في بعث النهضة الفكرية بالمنطقة وبث الروح الوطنية وترسيخها في نفوس طلبتهم من جهة ثانية، كما تطرقنا فيه لواقع التعليم الفرنسي الرسمي الذي ظلت خطوات التقدم فيه بطيئة جدا بالنسبة للجزائريين بسبب العراقيل التي كان يضعها مسؤولو الإدارة ورؤساء البلديات، كما توجب علينا الوقوف عند الدور الهام الذي قامت به الجمعيات والنوادي الثقافية والرياضية في الحفاظ على الهوية العربية الاسلامية وبالأخص جمعية العلماء المسمين الجزائريين، والكشافة الاسلامية الجزائرية.

الكلمات المفتاحية: الواقع الاجتماعي، الواقع الثقافي، معسكر، السكان، الصحة، الهجرة، المؤسسات الدينية، المؤسسات التعليمية، المساجد، الزوايا، المدارس، الجمعيات، النوادي الصحافة.

Abstract :

This research topic examines an important part of the history of the city of mascara during the colonial period from 1900 to 1945, in other words from the beginning of the 20th century until the end of the Second World War, in which we addressed the transformations that affected social and cultural aspects in the Mascara region in general and in the city in particular during this period, this in the context of the profound transformations that Algerian society experienced in the era.

We have divided the elements of this study into two main axes: the first includes the social aspect in which we have studied the demographic situation of the Algerian and European populations, their density and their location, as well as the new social division of the Mascarian population. . We also discussed the poor sanitary conditions, diseases and epidemics widespread in the region, obviously highlighting their causes and consequences, to finally mention the social problems represented essentially in the problem of unemployment, poverty and immigration.

As for the second axis, it deals with the cultural aspect which illustrates, on the one hand, the role of religious and educational institutions and their effectiveness in cultural life. On the other hand, it highlights the contribution of the figures and sheikhs of these institutions in reviving the intellectual renaissance in the region, and the propagation and consolidation of the national spirit in the hearts of their followers. Also, we approached the reality of French official education whose stages of progress remained very slow for Algerians due to the obstacles put in place by the colonial administration. Finally, we have pointed out the important role played by cultural and sports associations and clubs in the preservation of Arab-Muslim identity, in particular the association of Algerian Muslim Ulemas and the Algerian Islamic Scouts.

Keys words :

Social reality, Cultural reality, Mascara, Population, Health, Immigration, Religious institutions, Educational institutions, Mosques, Zaouïas, Schools, Associations, Clubs, Press.